فهرس

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ٠٠٠وبعد

هذه سيرة مبسطة عن أعظم إنسان فى الوجود محمد (ص) وعن أفضليته وخصوصياته فان محمد شهاب قد أضاء العالم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

قال(توماس كارليل)

قرأت حياة رسول الإسلام جيدا مرات ومرات ، فلم أجد فيها إلا الخلق كما ينبغي أن يكون ، وكم ذا تمنيت أن يكون الإسلام هو سبيل العالم .

فهو يملك الأخلاق والأفعال التي لم تجتمع لبشر قط قبله ولا تجتمع لبشر بعده وذلك أننا لم نر ولم نسمع لأحد قط مثل صبره وحلمه وفائه وزهده وجوده ونجدته وتواضعه وعفوه ومثل صدق لهجته وكرم عشرته

لم نرى مثل صمته أي إذا صمت ولا كقوله إذا قال

وأخبر بأمر لم يكن في بلده ولا في قومه من يعرف مثله ولم يعرف قبله ولا بعده، لا في مصر من الأمصار ولا في عصر من العصور من أتى بمثل ما أتى به ولا من ظهر كظهوره.

ولا من أتى من العجائب والآيات بمثل ما أتى به ولا من دعا إلى شريعة أكمل من شريعته، ولا من ظهر دينه على الأديان كلها بالعلم والحجة وباليد والقوة كظهوره.

فالكمال المعتبر في البشر يكون من أربعة أوجه:

كمال الخلق وكمال الخلق وفضائل الأقوال وفضائل الأعمال.

وهذه ملكها محمد(ص)

و بتدبر سيرته منذ ولد إلى أن بعث ومن حين بعث إلى أن مات وبتدبر نسبه وبلده وأصله وخلقه فإنه كان أشرف أهل الأرض

ربنا هب لنا صدقا في القول وإخلاصا في العمل وهيئ لنا من أمرنا رشدا

نسال الله الكريم أن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصا لوجهه الكريم وان يجعل له القبول والنفع للمسلمين وان يهدى إليه ويهدى به

اللهم صل و سلم و بارك على سيدنا و نبينا و حبيبنا و كريمنا و شفيعنا إليك، و أوفانا و أبهانا و أعلانا و أتقانا و أرضانا و أثنانا عليك، و قائدنا و قدوتنا و أسوتنا و معلمنا و أستاذنا و مرشدنا و دليلنا عليك محمد بن عبدالله سيد البشر أجمعين و على آله و صحبه

د٠ عبد النعيم مخيمر

الفصل الاول

الحمل والولادة

لقد ثبت عن امه آمنه ان انبياء الله جميعا قد وفدوا عليه نبيا نبيا ورسولا رسولا على مدى حملها به واعلنوا امامها بانها تحمل سيد الانام وامام المرسلين
كما وفد عليها اهل الرضوان من عباد الله منهم آسيا امراة فرعون ومريم ابنة عمران
كما انها كانت تسمع تسبيحه لربه واضحا جليا
كما انها كانت ترى شعاع النور يخرج من بطنها فينفذ من ملكوت الارض والسموات مضيئا امامها معالم الكون
كما انها كانت تحس ان ملائكة الله تحيط بها تقدس الله وتصلى على رسول الله
كما ثبت عنها انها لم تتالم يوما بحمله او وضعه
نزل من بطن امه ساجدا لله عز وجل رافعا اصبعه
ارتباط هلاك اصحاب الفيل بميلاد خاتم المرسلين
ولد مختونا ، مكحول العينين ،نقيا جسده من كل شائبة
وتقول بعض كتب السير بأنه وُلد مختونًا، مسرورًا (مقطوع السرّة، بينما هناك روايات تقول أن عبد المطلب ختن محمدًا يوم سابعه وجعل له مأدبة
وكانت أمّه تحدّث أنّها لم تجد حين حملت به ما تجده الحوامل من ثقل ولا وحم ولا غير ذلك ولما وضعته وقع إلى الأرض وهو مستقبل القبلة رافعًا رأسه إلى السماءمقبوضة أصابع يديه مشيرًا بالسبابة كالمسبح بها وأنها رأت حين ولدته كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام
.ورُوي عن عثمان بن أبي العاص عن أمّه أم عثمان الثقفية واسمها "فاطمة بنت عبد الله" قالت «حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت البيت حين وضع قد امتلأ نورًا، ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع علي
عن أم سماعة بنت أبي رهم عن أمها قالت شهدت آمنة أم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في علتها التي ماتت فيها ومحمد غلام يقع له خمس سنين عند رأسها فنظرت إلى وجهه ثم قالت كل حي ميت وكل جديد بال وكل كبير يفنى وأنا ميتة وذكري باق وقد تركت خيرا وولدت طهرا ثم ماتت فكنا نسمع نوح الجن عليها
قال العباس عم النبى (ص) ان محمد وهو رضيع كان يشير الى القمر يمينا فيتحرك القمر يمينا وعندما يشير الى القمر شمالا يتحرك شمالا فقال النبى انه كان يداعبنى

الفصل الثانى

اسماء النبى (ص)

النسب

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ، بن مرة ، بن كعب ، بن لؤى ، بن غالب ، بن فهر ، بن مالك، بن النضر ، بن كنانةبن خزيمة ، بن مد ركة ، بن الياس ، بن مضر ، ابن نزار, بن معد ، بن عدنان ،ابن أد ، بن أد د، بن اليسع، بن الهميسع ، بن سلامان ، بن نبت ، بن حمل، بن قيذار، بن اسماعيل، بن ابراهيم ، بن تارح ، بن ناحور ، بن ساروغ ، بن أرغو ، بن فانغ، بن عابر ، بن شالخ ، بن أرفخشذ، بن سام ،ابن نوح، بن لمك ، بن متوشلخ ، بن أخنوخ، بن يارد, بن مهلا ييل، بن قينان ، بن أنوش ، بن شيث ، ابن آ د م صفى الله .

اسماء الحبيب

محمد بن عبد الله صلى الله عليه و آله ، خاتم النبيين ، و قائد الغر المحجلين ، و سيد جميع الأنبياء و المرسلين ، كان نبيا و آدم بين الماء و الطين ، رؤوف بالمؤمنين ، شفيع المذنبين ، مرسل إلى كافة الخلق أجمعين كما قال الله تعالى: (ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله و خاتم النبين).

صاحب الحوض المورود ، و المقام المحمود ، واللواء الممدود ، و الشفيع في اليوم الموعود ، نبي هاشمي ورسول قرشي ، و نبي حرمي مكي مدني أبطحي تهامي ، حسبه إبراهيمي ، و نسبه إسماعيلي ، و لسانه عربي ، و نوره قمري و نبعته حجازية ، وقلبه رحماني

رسول الثقلين ، لا بالطويل الشاهق ولا بالقصير اللاصق ، أبيض اللون ، مليح الكون ، مشرب الحمرة مدور الوجه , أقنى الأنف ، ادعج العينين أزج الحاجبين ، أشعر الذراعين ، براق الجبين , كحيل العينين ، باسط اليدين عظيم المنكبين ،

اذا قام بين الناس غمرهم بالقيام ، و إذا مشى معهم كأنه سحاب مظلل بالغمام ، مليح القدمين ، صاحب قاب قوسين ، نبي الرحمة شفيع الأمة عالي الهمة ، طلق اللسان جليل الذكر , جميل القدر ، طيب العرق حسن الخلق ، حديد الطرف ، جميل الانام حلو الكلام , ركن الإسلام ، يبدا بالسلام رسول الملك العلام ،

مفني البدائع و مظهر الشرائع ، فاسخ للملل والدول ، كثير الحياء واسع الصدر ، دائم البكاء كثير الذكر إلى الله تعالى ، أمين رب السماء ، كاتم السر خاتم البر ، جزيل العطاء زاهد نفسه ، لم يولد مثله ،

أخبر الذئب عن رسالته ، والثعلب عن نبوته ، و قام البراق إجلالا لهيبته حتى كأنه السحاب بحضرته ، و نبع الماء من تحت أصابعه حتى احتاج الناس منافعه ، و كلمه الحصى في كفه ، و نطق له الرضيع نطقا بأنه الرسول المرتضى حقا ،

قائما بأمر الله تعالى ، موقنا بوعد الله سبحانه ، مشمرا في عبادته مستسلما لمرضاة الله ، ساتر العورات قامع الشهوات ، غافر العثرات كاتم المصيبات ، صوام النهار قوام الليل ناصر البررة كاسر الكفرة ، و كان سهلا عند المصالحة ، عدلا عند المقاسمة , سابقا عند المعادلة ، شجاعا عند المقاتلة ،

فلج الثنايا ، قليل الضحك و الابتسام والتبسم ، كأن عنقه ابريق فضة ، قليل التنعم شجي الترنم ، رزين العقل ، خفيف النفس ، جعد الشعر شديد السواد كالليل المظلم ، وله شعرتان نازلتان متصلتان في شحمة أذنيه ، و لهما رائحة كالمسك الأذفر ، لم يكن على جسمه سواهما ، كثيف اللحية أطيب الناس رائحة ، و اذا سلم عليه أحد و صافحه , و جد رائحة طيبة إلى ثلاثة أيام سواء الليل والنهار ، و اذا رآه أحد جالسا في صحن الدار أو المسجد ، رآه كأنه القمر ليلة اربعة عشر ، والنور في وجهه يتلألأ وهو نور النبوة ، رسولا كريما رحيما .

بين كتفيه خاتم النبوة ، مكتوب عليه: لا إله الا الله محمد رسول الله ، لم ير أحد مثله قط لا قبله ولا بعده ، وقد سماه الله بأسماء كثيرة:
اسمه الماحي لأنه محا الله به السيئات في الدنيا والآخرة ،
و اسمه أحمد (صلى الله عليه و آله و سلم) لأنه أول من حمد الله تعالى ،
و اسمه العاقب لأن الله تعالى يعاقب به المخالفين ،
واسمه القاسم لأن الله تعالى يقسم به أهل الجنة والنار ،
و اسمه الحاشر لأنه يحشر الله به الناس إلى محشر ،
واسمه المبيض لأن الله تعالى بيض به وجوه المسلمين يوم القيامة
و اسمه المبارك لأنه يبارك الله به لمن والاه ولا يبارك لمن خالفه في الدنيا والآخرة ،
و اسمه محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) لأنه محمود عند الله تعالى وعند الملائكة و اسمه الخبير لأن به يخبر بما في قلوب الناس ،
و اسمه بشير لأنه يبشر به أهل الجنة ،
و اسمه نذير لأنه أنذر الناس عن النار ،
و اسمه المرتضى لأن الله يرضيه يوم القيامة ،
و اسمه في التوراة أحيد لأنه يحيد أمته عن النار
و يرتل القرآن ترتيلا ، و أظهر الإسلام ونصح أمته و عبد ربه حتى أتاه اليقين و كان عمره الشريف ثلاثة و ستين سنه و مولده شهر ربيع ليلة الاثنين السابع عشر منه ، وهو أعظم الأنبياء ، و ظهرت له معجزات كثيرة عند ولادته منها أربعمائة معجزة علم بها أكثر الناس ،

لو ذكرناها لطال شرحها ، أرسله الله تعالى إلى الناس كافة ، و له أربعون سنة ، و كانت وفاته ليلة الاثنين لليلتين بقيتا من صفر ،

و دخل الدنيا و فارقها ولم يلتفت إلى شيء منها , وهو قوله (صلى الله عليه و آله وسلم): أحببت من دنياكم ثلاث: النساء والطيب و قرة عيني الصلاة .
و اسمه في السماء الأولى (المجتبى)
و اسمه في السماء الثانية (المرتضى)
واسمه في السماء الثالثة (الزكي)
و اسمه في السماء الرابعة (المصطفى)
واسمه في السماء الخامسة (النبي)
و اسمه في السماء السادسة (المطهر)
و في السماء السابعة (القريب) ،

و عند الله(الحبيب) ، و يسميه المقربون والسفرة (الأول) ، والبررة ، (الآخر) ، و يسميه الكربيون (الصادق) ، والروحانيون (الطاهر) والأولياء (القاسم) ، و يسميه رضوان (الأكبر) ، و تسميه الجنة (عبد الملك) ، ويسميه أهل الجنة(عبد الديان) ، و تسميه الحور (المعطي) ، و يسميه مالك (عبد المختار) ، و تسميه الجحيم (عبد المنان) ، و يسميه أهل الجحيم (عبد الجبار) ، و تسميه الزبانية (عبدالرحيم) ،

و اسمه على ساق العرش (رسول الله)(صلى الله عليه و آله و سلم) ،
وعلى الكرسي (نبي الله)
و اسمه على طوبي (صفي الله)
و على لواء الحمد (صفوة الله)
و على باب الجنة (خيرة الله)
و على القمر (قمر الأقمار)
و على الشمس (نور الأنوار)
و تسميه الشياطين (عبد المجيد)
و تسميه الجن (عبد الحميد)
و اسمه عند الموقف (الداعي)
و يسمى عند الحساب (اللواء)
و عند المقام المحمود (الخطيب)
و يسميه القلم (عبد الحق)
و اسمه عند جبرائيل (عبد الغفار)
و عند ميكائيل (عبد الوهاب)
و عند إسرافيل (عبد الفتاح)

و عند عزرائيل (عبد التواب)
و تسميه الريح (عبد الأعلى)
و يسميه السحاب (عبد السلام)
و يسميه البرق) عبد المنعم)
و يسميه الرعد (عبد الوكيل)
و تسميه الأحجار (عبد الجليل)
و يسميه التراب (عبد العزيز)
و تسميه الطيور (عبد القادر)
و تسميه السباع (عبد القاهر)
و تسميه الجبال (عبد الرفيع) و (عبد المؤمن)
و تسميه الحيات (عبد المهيمن)
و يسميه الرعد (عبد المهيب)
و تسميه الروم (عبد الحكيم) و تسميه (صالحا)
و اسمه في القرآن (نون) و (عم) و) ألم) و (يس) و (طه)
و اسمه في صحف إبراهيم (كهيعص)
و اسمه في التوراة الإنجيل (مادومة) .
و صلى الله على خير خلقه محمد و آله الطيبين الطاهرين والحمدلله رب العالمين..

من اسماء النبي (ص) وصفاته في القران الكريم

١-محمد((وما محمد الاّ رسول قد خلت من قبله الرّسل)) ال عمران:١٤٤

٢-أحمد((ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد)) الصف:٦

٣-طه((طه*ما أنزلنا القران عليك لتشقى)) طه:١-٢

٤-يس ((يس*والقران الحكيم)) يس:١-٢

٥-النبي ((يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم)) التحريم:٩

٦-الرسول ((يا ايها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته المائدة:٦٧

٧-المزمل ((يا ايها المزمل *قم الليل الاّ قليلا)) المزمل:١-٢

٨-المدثر((يا ايها المدثر*قم فأنذر)) المدثر:١-٢

٩-النذير المبين((وقل اني انا النذير المبين)) االحجر:٨٩

١٠-المصطفى((الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير)) الحج:٧٥

١١-الكريم((انه لقول رسول كريم)) الحاقة:٤٠

١٢-النور((قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين)) المائدة:١٥

١٣-النعمة ((يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها)) النحل:٨٣

١٤-العبد((تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا)) الفرقان:١

١٥-الرحمة ((وما ارسلناك الاّ رحمة للعالمين)) الانبياء:١٠٧

١٦-النبي الامي (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل)) الاعراف:١٥٧

١٧-رؤوف رحيم((لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)) التوبة:١٢٨

١٨-الشاهد ((انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم)) المزمل:١٥

١٩-المبشر((يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا)) الاحزاب:٤٥

٢٠-الداعي ((يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به)) الاحقاف:٣١

٢١-السراج((وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا)) الاحزاب:٤٦

٢٢-عبد الله((وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا)) الجن:١٩

٢٣-المذكر ((فذكر انما انت المذكر)) الغاشية:٢١

٢٤-الذكر((قد انزل الله اليكم ذكرا)) الطلاق:١٠

٢٥-البرهان((يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم)) النساء:١٧٤

٢٦-الحق((ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين امنوا اتبعوا الحق)) محمد:٣

٢٧-الولي ((انما وليكم الله ورسوله)) المائدة:٥٥

٢٨-النجم((وعلامات وبالنجم هم يهتدون)) النحل :١٦

٢٩-الطاهر((انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا)) الاحزاب:٣٣

٣٠- رسول الله ، وخاتم النبيين (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيئ عليما (الأحزاب ٤٠)

بعض أسماء وصفات الرسول الواردة في القرآن الكريم

الامين- اول المؤمنين- اول المسلمين- اول العابدين- البرهان- البشير- داعياً الى الله - رحيم- رسول أمين- رسول مبين- رسول كريم- - سراجاً منيراً- شاهد- شهيد- صاحب - منذر- ناصح أمين - نذير-

أسماء الرسول من السنة (صلى الله عليه وسلم)

وعن واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله عز وجل اصطفى كنانة من ولد إسماعيل عليه السلام ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطـفاني من بني هاشم

قال العباس : " ان النبي صلى الله عليه وسلم بلغه بعض ما يقول الناس ، قال فصعد المنبر " ، فقال : من أنا ؟ (قالوا : أنت رسول الله . قال) : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه ، وجعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة ، وخلق القبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ، وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا ، فأنا خيركم بيتا ، وخيركم نفسا

وعن أنس رضي الله عنه قال : أن رجلا قال : يا محمد : انت سيدنا وابن سيدنا ! وخيرنا وابن خيرنا ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس عليكم بتقواكم ولا يستهوينّكم الشيطان ، أنا محمد بن عبد الله ، أنا عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلنيها الله .

وهذا من تواضعه ، إذ انه سيد الخلق ، وسيد الناس في الدنيا والآخرة ، ومن فضل الله تعالى علينا وكرمه أن جعلنا من امته ،

<u>لا يعرف في العرب من تسمى باسم محمد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة وهم :</u>

1ـ محمد بن سفيان بن مجاشع جد جد الشاعر الفرزدق.

2ـ محمد بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش .

3ـ محمد بن حمران بن ربيعة .

وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك ممن عندهم علم من الكتاب من قبلنا ، فأخبروهم بقرب مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وبإسمه في جزيرة العرب ، فنذر كل منهم إن ولد له ولد أن يسميه محمدا ، رجاء أن يكون ولدا له .

<u>محمد:</u> وهو أشهرها ، وبه سُمّيَ في التوراة صريحاً

<u>أحمد</u> : بشر به عيسى عليه الصلاة والسلام باسمه الكريم أحمد

قال الله تعالى :

وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي إسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين (الصف ٦) .

<u>الفارقليط :</u> بشّر به في الإنجيل باسم : ـ " الفارقليط . " ومعناه في السريانية :الفارق : هو الحامد اوالحماد أوالمحمود أو الحمد . وليط : بمعنى هو . أي : فارق هو ، كما يقال : رجل هو.

فمحمد : في الكثرة والكمية ، **وأحمد** : في الصفة والكيفية ، فيستحق من الحمد أكثر مما يستحق غيره ، فيحمد أكثر حمد ، وأفضل حمد حمده البشر ، فالإسمان واقعان على المفعول ، وهذا أبلغ في مدحه ، وأكمل معنى

<u>والفرق بين محمد وأحمد من وجهين</u>

الوجه الأول : أن **محمداً** هو المحمود حمداً بعد حمد فهو دال على كثرة حمد الحامدين له ، وذلك يستلزم كثرة موجبات الحمد فيه ، **وأحمد** تفضيل من الحمد يدل على أنه الحمد الذي يستحقه أفضل مما يستحقه غيره ، فمحمد زيادة حمد في الكمية وأحمد زيادة في الكيفية ، فيحمد أكثر حمد وأفضل حمد حمده البشر ٠

والوجه الثاني : أن **محمداً** هو المحمود حمداً متكرراً كما تقدم ، **وأحمد** هو الذي حمده لربه أفضل من حمد الحامدين غيره ، فدلَّ أحد الإسمين وهو محمد على كونه محموداً ودل الأسم الثاني وهو أحمد على كونه أحمد الحامدين لربه

وكلمة « مُحمد » حين ننظر إليها في الاشتقاق نجد انها ذاتٌ يقع عليها الحَمْد من غيرها ، مثلما تقول : فلان مكرَّم أي وقع التكريم من الغير عليه .

وكلمة « أحمد » نجدها ذاتا وقع عليها الحمد لغيرها

- وكلمة « مُحمد » ذاتٌ يقع عليها الحَمْد من غيرها
- وكلمة « أحمد » ذاتا وقع عليها الحمد لغيرها

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله أخبرنا عن نفسك . قال : نعم ، **أنا** دعوة أبي إبراهيم ، وكان آخر من بشر بي عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام

وقد كان من دعاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأهل مكة :

ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين (البقرة ١٢٩.)

<u>ابن العواتك</u> : وعن عمرو بن سعيد بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين : أنا بن العواتك من سليم

[كان للنبي صلى الله عليه وسلم ثلاث جدات من سليم إسمهن عاتكة ، فكان إذا افتخر قال انا ابن العواتك] قال البيهقي : [بلغني أن إحداهن أم عدنان ، والأخرى أم هاشم ، والثالثة جدته من قبل زهرة]

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :إن لي أسماء ، أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي ، الذي يمحو الله بي الكفر ، وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد

عن أبي الطفيل قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لي عشرة أسماء عند ربي أنا محمد وأحمد والفاتح والخاتم وابو القاسم والحاشر والعاقب والماحي ويس وطه

عن ابن عباس قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إسمي في القرآن محمد وفي الانجيل أحمد وفي التوراة أحيد وإنما سميت أحيد لأني احيد أمتي عن نار جهنم

عن ابن عباس ان النبي {صلى الله عليه وسلم} كان يسمى في الكتب القديمة احمد ومحمد والماحي والمقفى ونبي الملاحم وحمطايا وفارقليطا وماذماذ

الفاتح : وهو الذي فتح الله بهِ باب الهدى وفتح بهِ الأعين العمي والآذان الصم والقلوب الغلف ، وفتح الله بهِ أمصار الكفار
وأبواب الجنة وطرق العلم والعمل الصالح ٠

الأمين : هو أمين الله على وحيه ودينه وهو أمين من في السماوات والأرض ٠

البشير : هو المبشر لمن أطاعه بالثواب ٠

النذير : هو المنذر لمن عصاهُ بالعقاب ٠

السراج المنير : هو الذي ينير من غير إحراق بخلاف الوهاج فإن فيه نوع إحراق وتوهج ٠

الضحوك والقتّال وهما اسمان مزدوجان لايفرد أحدهما عن الآخر فإنه ضحوك في وجوه المؤمنين غير عابس ولا مقطب ، ولا غضوب ، ولا فظ ، قتّال لأعداء الله ، لاتخذه فيهم لومة لائم ٠

المتوكل : وهو الذي يتوكل على ربه في كل حالة ٠

وهو القاسم ، وعبدالله ، وصاحب لواء الحمد ، وصاحب المقام المحمود ، وغير ذلك من الأسماء ، لأن أسماءَه إذا كانت أوصاف مدح ، فإن له من كل وصف إسم لكن ينبغي أن يفرّق بين الوصف المختص بهِ ، أو الغالب عليه ويشتق له منه إسم ، وبين الوصف المشترك ، فلا يكون له منه إسم يخصه ٠

العاقب : هو الآخر الذي جاء عقب الانبياء فليس بعده نبي.

وعن ابي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه أسماء ، فقال :
أنا محمد ، وأحمد ، والمقفي ، والحاشر ، ونبي التوبة ،
ونبي الرحمة
زاد الطبراني في الكبير] : ونبي الملحمة

المقفّي : هو الذي قفىّ على آثار من تقدّمه من الرسل فكان خاتمهم وآخرهم.

الحاشر :من الحشر وهو الضم والجمع فهو أول من تنشق عنه الأرض الذي يحشر الناس على قدمه

نبي التوبة : كان صلى الله عليه وسلم اكثر الناس توبة واستغفارا ، وكان يعد له في المجلس الواحد مئة مرة.

ولكرامة أمته على الله تبارك وتعالى ، جعل توبتها بالإستغفار ، والندم ، والإقلاع عن الذنب ، وعدم العودة إليه .

وكانت توبة بني إسرائيل من عبادة العجل قتل أنفسهم .

نبي الرحمة : بعثه الله رحمة للعالمين إنسهم وجنهم . روى الإمام أحمد في مسنده قال : قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم :
ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبا ونؤمن بك ، قال :

وتفعلوا ؟ قالوا : نعم . قال : فدعا ، فاتاه جبريل فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : إن شئت أصبح الصفا لهم ذهبا ، فمن كفر منهم بعد ذلك أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ، وإن شئت فتحت لهم باب الرحمة والتوبة . قال : بل باب التوبة والرحمة

نبي الملحمة : أذن الله تعالى له بجهاد الأعداء ، فلم يجاهد نبي وامته قط ، كما جاهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ، والملاحم التي وقعت وتقع بين الكفار وأمته لم يقع مثلها من قبل .

سيد ولد آدم ، وأول شافع ، وأول مشفع : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفع

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي ، وأنا أول شافع ، وأول مشفع ولا فخر.

فهو سيد ولد آدم وفخرهم في الدنيا والآخرة.

الصادق : لقد كان يعرف قبل البعثة بالصادق الأمين . دخل على خديجة رضي الله عنها في أول البعثة يرجف فؤاده ، فقال:

"زملوني زملوني . " فزملوه حتى ذهب عنه الرّوع . فقال لخديجة ـ وأخبرها الخبر ـ : لقد خشيت على نفسي

فقالت خديجة : كلاّ أبشر ، فوالله لا يخزيك الله ابدا إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتقري الضيف ، وتحمل الكلّ ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق

الأمين : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ألا تؤمّـنوني ، وأنا أمين من في السماء ؟ يأتيني خبر السماء صباحا ومساء .

المتوكل : روى الإمام احمد والبخاري عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبدالله بن عمرو رضي الله عنه فقلت أخبرني عن صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة . فقال : أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن ، يايها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وحرزا للأميين . أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، لا فظ ، ولا غليظ ، ولا صخاب في الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه حتى يقيم به الملّة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله ، فيفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا.

النبي المصطفى : عن عوف بن مالك الشجعي رضي الله عنه قال: انطلق النبي صلى الله عليه وسلم يوما وأنا معه ، حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيد لهم ، فكرهوا دخولنا عليهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم) : يا معشر اليهود ! أروني اثني عشر رجلا يشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، يحط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليهم . قال: فأسكتوا ما أجابه منهم أحد ، ثم رد عليهم فلم يجبه منهم أحد ، فقال أبيتم ! فوالله إني لأنا الحاشر ، وانا العاقب ، وأنا النبي المصطفى آمنتم أم كذبتم

...

المعصوم : عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان يُحرس حتى نزلت هذه الآية) : والله يعصمك من الناس (فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة ، فقال لهم : يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل منزلا نظروا أعظم شجرة يرونها ، فجعلوها للنبي صلى الله عليه وسلم فينزل تحتها ، وينزل أصحابه بعد ذلك في ظل الشجر ، فبينما هو نازل تحت شجرة ـ وقد علّق السيف عليها ـ إذ جاء أعرابي فاخذ السيف من الشجرة ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فأيقظه ، فقال : يا محمد ! ما يمنعك مني الليلة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الله ، فأنزل الله تعالى : يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس (المائدة ٦٧)

مُبلغ، وقاسم : عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنا مبلغ والله يهدي ، وقاسم والله يعطي ، فمن بلغه مني شيئ بحسن رغبة وحسن هدى ، فإن ذلك الذي يبارك له فيه ، ومن بلغه عني شيئ بسوء رغبة وسوء هدى ، فذلك الذي يأكل ولا يشبع

كنيته أبو القاسم ، ولا يجوز لأحد ان يتكنّى بكنيته:
فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أبو القاسم ، الله يقسم ، وأنا أعطي

وعن جابر رضي الله عنه قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تسمّوا بإسمي ، ولا تكنّوا بكنيتي ، فإنما أنا القاسم اقسم بينكم

وأسماؤه صلى الله عليه وسلم نوعان :

النوع الأول : خاص به لا يشاركه فيه أحد غيره من الرسل كمحمد وأحمد والعاقب والحاشر والمقفي ونبي الملحمة ٠

والنوع الثاني : ما يشاركه في معناه غيره من الرسل ، ولكن له منه كماله فهو مختص بكماله دون أصله ، كرسول الله ونبيه وعبده والشاهد والمبشر والنذير ، ونبي الرحمه ونبي التوبة ٠وأما إن جُعِلَ له من كل وصف من أوصافه إسم تجاوزت أسماؤه المائتين كالصادق والمصدوق والرؤوف والرحيم إلى أمثال ذلك ، وفي هذا قال من قال من الناس إنا لله عز وجل ألف اسم وللنبي صلى الله عليه وسلم ألف اسم

كنيتـــه :

كان صلى الله عليه وسلم يكنّى أبا القاسم بولده القاسم وكان أكبر أولاده ٠

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم في السوق فقال رجل يا أبا القاسم ، فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : سمّوا بإسمي ولاتكنوا بكنيتي))

قال الحافظ : وقد إختلف في جواز التكني بكنيته صلى الله عليه وسلم ، فالمشهور عن الشافعي المنع على ظاهر الحديث ، وقيل يختص ذلك بزمانه وقيل بمن تسمى باسمه

قال القاضي عياض قد خص الله نبيه {صلى الله عليه وسلم} بأن سماه من اسمائه بنحو من ثلاثين إسما وهي الاكرم والامين والأول والآخر والبشير والجبار والحق والخبير وذو القوة والرؤوف والرحيم والشهيد والشكور والصادق والعظيم والعفو والعالم والعزيز والفاتح والكريم والمبين والمؤمن والمهيمن والمقدس والمولى والولي والنور والهادي وطه ويس

قلت قد وقع لنا عدة أسماء أخر زيادة على ذلك وهي الأحد والأصدق والأحسن والأجود والأعلى والآمر والناهي والباطن والبر والبرهان والحاشر والحافظ والحفيظ والحسيب والحكيم والحليم والحي والخليفة والداعي والرافع والواضع ورفيع الدرجات والسلام والسيد والشاكر
والصابر والصاحب والطيب والطاهر والعدل والعلي والغالب والغفور والغني والقائم والقريب والماجد والمعطي والناسخ والناشر والوفي وحم ونون

الفصل الثالث

صفات الرسول(ص) فى القرآن

قال الله تعالى
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً [٤٥] وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً [الأحزاب (46)
(فالصفات الواردة في هاتين الايتين الكريمتين:
شاهد .. مبشر .. نذير .. داعي الى الله بإذنه .. و سراجاً منيرا)

قال الله تعالى
لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ
(التوبة : ١٢٨)
(الصفات التي وردت هنا : على خلق عظيم .. حريص عليكم .. بالمؤمنين رؤوف رحيم)

قال الله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ {
.وقال تعالى: {ن والقَلَمِ وَما يَسْطُرُون * ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُون * وَإِنَّ لَكَ لأَجْراً غَيْرَ مَمْنُون * وَإِنَّكَ لَعلى خُلُقٍ عَظِيم} (القلم:١ – ٤)

وقال تعالى: **{وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}** (الأنبياء: ١٠٧)

<u>حديث قدسى:</u>

وقضيت يوم خلقت السموات والأرض أني مثبت هذا الأمر على يدي عبدي محمد وأختم به الأنبياء والرسل ومولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يتزين بالفحش ولا قوال بالخنا أسدده لكل أمر جميل وأهب له كل خلق كريم وأجعل التقوى ضميره والحكم مقوله والوفاء طبيعته والعدل سيرته والحق شريعته والإسلام ملته اسمه أحمد أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأعنى به بعد العائلة وأرفع به بعد الضعة أهدى به وأفتح به بين آذان صم وقلوب غلف وأهواء مختلفة متفرقة وأجعل أمته خير أمة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر إخلاصا لا سمي وتصديقا لما جاءت به الرسل ألهمهم التسبيح والتقديس والتهليل في مساجدهم ومجالسهم وبيوتهم ومنقلبهم ومثواهم يصلون لي قياما وقعودا وركعا وسجودا ويقاتون في سبيلي صفوفا وزحوفا قربانهم دماؤهم وأناجيلهم في صدورهم وقربانهم في بطونهم

رهبان بالليل ليوث في النهار ذلك فضلي أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم

<u>صفات الرسول (ص) فى السنة</u>

١.وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله أدع على المشركين، قال: "إني لم أُبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمة". رواه مسلم .

٢.وعن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة، فقال) :أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا {وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يُقيم به الملة والعوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعينًا عُميًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غُلفًا). رواه البخاري

٣.وكان صلى الله عليه وسلم، إذا أتاه السائل، أو صاحب الحاجة قال: (اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء) رواه البخاري

٤.ويقول أنس: "والله لقد خدمته تسع سنين ما علمته قال لشيء صنعته: لم فعلت كذا وكذا، أو لشيء تركته: هلا فعلت كذا وكذا" رواه مسلم

وفي رواية لأحمد: "ما قال لي فيها أف ."

٥.قال رسول اللَّهَ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: "أَنا زَعِيمٌ ببَيتٍ في ربَضِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِراءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَببيتٍ في وَسَطِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وإِن كَانَ مازحًا، وَببيتٍ في أعلى الجَنَّةِ لِمَن حَسُنَ خُلُقُهُ" حديث صحيح،

٦.وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت" رواه مسلم .

تواضعـــه

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرقّع ثوبه، ويخصف نعله، ويحلب شاته، ويأكل مع العبد، ويجلس على الأرض، ولا يمنعه الحياء أن يحمل حاجته من السوق إلى أهله، ويصافح الغني والفقير، ولا ينزع يده من يد أحد حتى ينزعها هو، ويسلم على من استقبله من غني وفقير وكبير وصغير، ولا يحقر ما دعي إليه ولو إلى حشف التمر، وإذا انتهى إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحدًا أكرم عليه منه، من جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، وقد وسع الناس بسطه وخلقه، فصار لهم أبا، وصاروا عنده في الحق متقاربين. يتفاضلون عنده بالتقوى .

١.وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما كان شخصٌ أحبُّ إليهم من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك.

٢.وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للصحابة عند موته: "لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم؛ فإنما أنا عبد الله ورسوله" رواه البخاري .

٣.وكان النبي صلى الله عليه وسلم يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤوسهم.

٤.وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم.

٥.يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحدٍ ولا يبغي أحد على أحد" أخرجه مسلم .

٦.عن أنس رضي الله عنه قال: "كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تُسبَق أو لا تكاد تُسبَق، فجاء أعرابي على قعود له (أي جمل) فسبقها، فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه" رواه البخاري .

صبره :

١.قال الله تعالى: "وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِّ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللهَّ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ."

٢.عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي نبيًّا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه يقول اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. متفق عليه

٣.وعن أبي سعيد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنهما أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم حتى نفد ما عنده فقال لهم حين أنفق كل شيء بيده ما يكن من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن

يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطى أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر . متفق عليه

<u>رفقه :</u>

١.عن أنس رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد وأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يصيحون به: مه مه (أي اترك)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزرفوه دعوه" (لا تقطعوا بوله)، فترك الصحابة الأعرابي يقضي بوله، ثم دعا الرسول عليه الصلاة والسلام الأعرابي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأعرابي: "إن المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن". وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه :إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين صبوا عليه دلوا من الماء. فقال الأعرابي: اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدًا. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "لقد تحجرت واسعًا، أي ضيقت واسعًا" متفق عليه .

٢.وعن عائشة قالت: استأذن رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليكم! قالت عائشة: فقلت: بل عليكم السام واللعنة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله .قالت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: قد قلت: وعليكم. متفق عليه .

٣.وعن أبي قَتادَةَ قال: قال رسول اللَّهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: "إنِّي لأَقُومُ إلَى الصَّلاةِ، وَأُرِيدُ أنْ أُطَوِّلَ فِيها، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجوَّزُ فِي صلاتِي كَرَاهِيَةَ أنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ" رواه البخاري

<u>من خصال النبى (ص)</u>

١.ويروى عن سيدنا الإمام عليّ - رضي الله عنه وكرم الله وجهه - أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا استيقظ في الليل ، استاك ، ثم نظر إلى السماء .

إذن فالنظر إلى السماء هو النظر إلى العلو . والنظر إلى الأرض أيضاً هو تأمل في حكمة الخالق ، لكن النظرة إلى السماء تجعل الإنسان يفطن إلى علو الخالق . ولذلك فالعربي الذي استلقى على ظهره نائماً ، واستيقظ ففطن إلى لون السماء الأزرق البديع ، والنجوم تتلألأ فيها فقال : أشهد أن لكِ رباً وخالقاً ، اللهم اغفر لي . ولقد عرف الرجل متى يدعو الله وكيف يدعو ، لذلك غفر الله له .

٢.وفيما روت كتب السيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جاء ليلة ونام ، وكانت ليلة عائشة رضوان الله عليها . قالت عائشة لعبدالله بن عمر رضوان الله عليه . فنام بجوارى حتى مس جلدي جلده ، ثم قال : « يا عائشة هل تأذنين لي الليلة في عبادة ربي »

لقد استأذن منها رسول الله في حقها لأن الليلة ليلتها . وأضافت عائشة : يا رسول الله أنا أحب قربك وأحب هواك ، وقد أذِنتُ لَكَ . وهذا درس يعطيه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نتعلم كيف نعامل أهلنا ، حتى ولو كان الأمر الذي يشغلنا عنهم هو العبادة

٣.ففي الحديث : « إنما أنا بشر مثلكم ، وإنكم تختصمون إليَّ ، ولعل أحدكم أن يكون ألحنَ بحجته فأقضي له ، فمَنْ قضيت له من حق أخيه شيئاً ، فلا يأخذه؛ فإنما أقطع له قطعة من النار » .
فردَّ صلى الله عليه وسلم الحكم إلى ذات المحكوم له ، ونصحه أنْ يراجعَ نفسه وينظر فيما يستحق
٤.وقد وصلتْ هذه المعايشة لدرجة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أنْ يقترضَ لا يقترض من مسلم ، بل كان يقترض من اليهود ، وفي هذا حكمة يجب أنْ نعيهَا ، وهي أن المسلم قد يستحي أن يطالب رسول الله إذا نسى مثلاً ، أما اليهودي فسوف يُلِحّ في طلب حقّه وإذا نسى رسول الله سَيُذكّره .
٥.قال صلى الله عليه وسلم : « أطفئوا المصابيح إذا رقدتم » .
فالظُلْمة سكَنٌ واستقرار وراحة . وفي الليل تهدأ الأعصاب من الأشعة والضوء ، ويأخذ البدن راحته؛
٦.وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن ، ولا يحب التشاؤم؛ لأن الفَأْل الطيب يُنشّط أجهزة الجسم انبساطاً للحركة ، أما التشاؤم فيدعو للتراجع والإحجام ، ويقضي على الحركة والتفاعل في الكون .
<u>قال صلى الله عليه وسلم لاعرابى : « بِئْسَ خطيب القوم أنت » لماذا؟</u>
قالوا : لأنه جمع بين الله تعالى ورسوله في : (ومن يعصهما) ، وكان عليه أنْ يقول : ومَنْ يَعْصِ الله ورسوله ، فالله وحده هو الذي يجمع معه سبحانه مَنْ يشاء .
قال سبحانه : { وَمَا نقموا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ الله وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ . . . } [التوبة : ٧٤]
أما نحن ، فليس لنا أبداً أنْ نأتي بصيغة تشريكية بين الله تعالى وأحد من خَلْقه .
وقوله تعالى : { إِنَّ الله وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النبي . . . } [الأحزاب : ٥٦] هكذا قال الله ، وجمع معه سبحانه مَنْ يشاء من خَلْقه ، وأنت لا يجوز لك أنْ تجمعَ هذا الجمع إلا إذا كنتَ تقرأه على أنه قرأن ، فإن أردتَ أنْ تنشيء كلاماً من عندك فلا بُدَّ أن تقول : الله يُصلّي على النبي ، والملائكة يُصلُّون على النبي
<u>ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :</u>
« أوصاني ربي بتسع أوصيكم بها : أوصاني بالإخلاص في السر وفي العلانية .
والقصد في الغنى والفقر وأن أعفو عمن ظلمني ، وأعطي من حرمني ، وأصل من قطعني ، وأن يكون صمتي فكرا ونطقي ذكرا ، ونظري عبرا »
<u>رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :</u>
« لا كبيرة مع الاستغفار . ولا صغيرة مع الإصرار »
<u>ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :</u>
« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »
وأصل المادة مأخوذة من راعي الغنم . .
-أن راعي الغنم لابد أن يتجه بها إلى الأماكن التي فيها العشب والماء . . أي إلى أماكن الرعي . .

أن يكون حارسا عليها حتى لا تشرد واحد أو تضل فتفتك بها ذئاب الصحاري . .
-وأن يوفر لها الراحة حتى لا تتعب وتنفق في الطريق .
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كنتُ أرعى الغنم على قراريط لأهل مكة »
النبي صلى الله عليه وسلم يعالج داءات النفوس
حينما أتاه شاب من الأعراب الذين آمنوا ، يشتكي إليه ضَعْفه أمام النساء ، وقلة صبره على هذه الشهوة ، حتى قال له : يا رسول الله ائذن لي في الزنا ، ومع ذلك لم ينهره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل علم أنه أمام مريض يحتاج إلى مَنْ يعالجه ، ويستل من نفسه هذه الثورة الجامحة ، خاصة وقد صارح رسول الله بما يعاني فكان صادقاً مع نفسه لم يدلس عليها .
لذلك أدناه رسول الله ، وقال له : يا أخا العرب ، أتحب ذلك لأمك؟ أتحب ذلك لزوجتك؟ أتحب ذلك لأختك؟ أتحب ذلك لابنتك؟ والشاب في كل هذا يقول : لا يا رسول الله جُعِلْتُ فِداك .
عندها قال صلى الله عليه وسلم : » كذلك الناس يا أخا العرب لا يحبون ذلك لأمهاتهم ولا لزوجاتهم ولا لأخواتهم ولا لبناتهم « .

الفصل الرابع

معجزات النبى (ص)

وبعد فلما كانت معجزات النبي (أنوارًا تشرق على القلوب الطافحة بالإيمان وتزيدها قوة وثباتًا واستقامة أحببت أن أذكر ما تيسر منها والله المسؤل أن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم.
اعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه

أن الله قد جمع لنبينا (جميع أنواع المعجزات والخوارق. أما العلم والأخبار الغيبية والسماع والرؤية.

الاول: إخباره عن الأمور الغائبة ماضيها وحاضرها هو من باب العلم الخارق للعادة.
الثانى: وكذلك إخباره عن الأمور المستقبلة.
الثالث:إسراؤه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.
الرابع: ونبع الماء من بين أصابعه.

الخامس: تكثير الطعام
السادس: معجزات الشفاء
السابع:اطاعة الجماد له
الثامن: الاستسقاء
التاسع:العصمة من الناس
العاشر:اجابته على الايات
احدى عشر:دعاؤه المستجاب
اثنى عشر: الترغيب
الثالث عشر: معرفة الحيوان بمحمد ص
الرابع عشر: الجن
الخامس عشر:- ومن ذلك ما أخبر به في حياته وذلك مأخوذ من القرآن
السادس عشر:اخباره على الانبياء
السابع عشر:باب آياته {صلى الله عليه وسلم} في إحياء الموتى وكلامهم
الثامن عشر:من معجزاته
التاسع عشر: إخباره عن أمور الربوبية والملائكة والجنة والنار

<u>الاول: إخباره عن الأمور الغائبة ماضيها وحاضرها هو من باب العلم الخارق للعادة</u>

<u>١-علمه بالمال الذى دفنه العباس</u>
ولما بعثت قريش في فداء أسراهم إلى رسول الله بعد بدر ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا وكان العباس أسيرًا قال يا رسول الله قد كنت مسلمًا فقال رسول الله "الله أعلم بإسلامك فإن يكن كما تقول فإن الله يجزيك وأما ظاهرك فقد كان علينا فافتد نفسك وابني أخويك" قال العباس: ما ذاك عندي. قال رسول الله "فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل فقلت لها إن أصبت في سفري هذا فهذا المال الذي دفنته لبني الفضل وعبد الله وقثم".
قال والله يا رسول الله لأعلم أنك رسول الله إن هذا لشيء ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل

<u>٢-اخباره عمير بما اتفق عليه مع صفوان</u>
وقصة عمير بن وهب الجمحي وذلك أنه كان مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر وكان عمير شيطانًا من شياطين قريش وممن كان يؤذي رسول الله وأصحابه ويلقون منه عناء وهو بمكة وكان ابنه وهب ابن عمير في أسارى بدر
قال فذكر عمير أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان والله ما في العيش بعدهم خير.
قال عمير صدقت والله أما والله لولا دين علي ليس له عندي قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله فإن لي قبلهم علة ابني أسير في أيديهم

قال فاغتنمها صفوان وقال علي دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا لا يسعني شيء يعجز عنهم.
فقال عمير فاكتم شأني وشأنك قال أفعل ثم انطلق حتى قدم المدينة فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر وما أكرمهم الله به وما أراهم من عدوهم إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ راحلته على باب المسجد، متوشحا السيف، فقال عمر هذا الكلب عدو الله والله ما جاء إلا لشر.
ثم دخل عمر على رسول الله فقال يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب، قد جاء متوشحًا سيفه، قال فأدخله علي فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلببه بها.
وقال لرجال من الأنصار ادخلوا على رسول الله فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون ثم دخل به على رسول الله
(فلما رآه رسول الله) قال أرسله فدنا عمير.
فقال رسول الله "فما جاء بك يا عمير ؟" قال جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه يعني ولده قال فما بال السيف في عنقك قال قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنك شيئًا قال "أصدقني ما الذي جاء بك" قال ما جئت إلا لذلك.
قال رسول الله "بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت لولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمدًا فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك".
فقال عمير أشهد أنك رسول الله قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا الساق ثم شهد شهادة الحق فقال رسول الله "فقهوا أخاكم في دينه واقرئوه القرآن وأطلقوا له أسيره" ففعلوا.. إلخ، والله أعلم وصلى الله على محمد.

٣-اخباره بان هذه الريح تقتل منافق

ومنها ما رواه مسلم، أن النبي قدم من سفر فلما كان قرب المدينة، هاجت ريح شديدة، تكاد أن تدفن الراكب، فزعم أنه قال "بعثت هذه الريح لموت منافق" فلما قدم المدينة إذا عظيم من المنافقين قد مات.

٤-علمه بما فعله (حاطب)فى الوشايه الى قريش

وقصة حاطب بن أبي بلتعة وذلك أن رسول الله عندما أعلم الناس أنه سائر إلى مكة وأمرهم بالجد والتهيؤ وقال "اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش، حتى نبغتها في بلادها" فلما أجمع رسول الله على المسير، كتب حاطب كتابًا إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله من الأمر بالسير إليهم.
ثم أعطاه امرأة وجعل لها عطاء على أن تبلغ قريشًا فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونها "جدائلها".

وأتى رسول الله الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث رسول الله علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ـ رضي الله عنهما ـ فقال أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش يحذرهم ما أجمعنا عليه في أمرهم.
فخرجا حتى أدركاها بالخليقة "اسم موضع" فاستنزلاها فالتمسا في رجلها فلم يجدا شيئا فقال لها علي بن أبي طالب إني أحلف بالله ما كذب رسول الله ولا كذبًا ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك.
فلما رأت الجد قالت أعرض فأعرض فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه فأتى به رسول الله فدعا رسول الله حاطبًا فقال يا حاطب ما حملك على هذا !؟.
فقال يا رسول الله أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولآبدلت ولكني امرؤ ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم.
فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله دعني فلأضرب عنقه فإن الرجل قد نافق، فقال رسول الله "وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر فقال اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم" فأنزل الله: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ**. والله أعلم وصلى الله على محمدٍ وآله وصحبه وسلم.

٥-علمه بالشاة المسمومة في فتح خيبر

ومن ذلك ما رواه أبو هريرة ، قال لما فتحت خيبر، أهديت للنبي شاة فيها سم فقال "اجمعوا لي من كان هنا من اليهود" فجمعوا، فقال لهم "إني سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادقي عنه ؟" قالوا نعم، يا أبا القاسم، فقال لهم "من أبوكم ؟" قالوا: فلان، قال "كذبتم، أبوكم فلان" قالوا صدقت، وبررت، قال "فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه ؟" قالوا: نعم، وإن كذبناك عرفت، كما عرفته في أبينا، قال لهم: "من أهل النار ؟" قالوا نكون فيها يسيرًا، ثم تخلفونا فيها.
قال "اخسؤا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدًا" قال "هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه ؟" قالوا نعم، قال "هل جعلتم في هذه الشاة سمًا؟" قالوا: نعم، قال "فما حملكم على ذلك ؟" قالوا: أردنا إن كنت كاذبًا نستريح منك، وإن كنت صادقًا لم يضرك، رواه البخاري.

٦-تحذيره لعمرو الخزاعي من عمرو بن امية

ومنها ما رواه عبد الله بن عمرو الخزاعي عن أبيه قال دعاني النبي ، وأراد أن يبعثني بمال، إلى أبي سفيان بمكة، ليقسمه في قريش، بعد الفتح، فقال "التمس صاحبًا" فجاءني عمرو بن أمية الضمري، فقال: بلغني أنك تريد الخروج إلى مكة، فتلتمس صاحبًا، قلت أجل، قال فأنا لك صاحب.

فجئت النبي ، فقلت قد وجدت صاحبًا، قال من، قلت عمرو بن أمية، قال "إذا هبطت بلاد قومه، فاحذره، فإنه قد قال القائل: أخوك البكري لا تأمنه" فخرجنا، حتى إذا كنا بالأبواء، قال إني أريد حاجة إلى قومي، وودت، أن تلبث لي قليلاً فقلت، انصرف راشدًا، فلما ولى ذكرت، قول النبي ، فشددت على بعيري، فخرجت أوضعه، حتى إذا كنت بالأصافر إذا هو يعارضني في رهط، فأوضعت، فسبقته، فلما رآني جاءني، فقال قد كانت لي إلى قومي حاجة، قلت أجل، ومضينا، حتى قدمنا مكة، فدفعت المال إلى أبي سفيان.

٧-رؤيته ان رجل اخذ سيفه

وعن جابر قال غزونا مع النبي قبل نجد، فأدركنا النبي في القائلة في واد كثير العضاه، فنزل تحت شجرة، فعلق سيفه بغصن من أغصانها.

وتفرق الناس في الوادي، يستظلون بالشجر، فقال: "إن رجلا أتاني وأنا نائم، فأخذ السيف، فاستيقظت، وهو قائم على رأسي، والسيف صلتًا في يده، فقال من يمنعك مني، قلت الله، فشام السيف فها هو ذا جالس" ثم لم يعرض له وكان ملك قومه، فانصرف حين عفى عنه، فقال لا أكون في قوم هم حرب لك، متفق عليه.

٨- إخباره (أن الأرضة أكلت من صحيفة قريش ما فيه ظلم، وقطيعة رحم) وأبقت ما فيها من أسماء الله تعالى.

أن قريشًا كتبوا فيما بينهم صحيفة بأن لا يبيعوا بني هاشم، ولا يبتاعوا منهم، ولا يناكحوهم، ولا يكلموهم، أو يدفعوا إليهم محمدًا ليقتلوه، ودفنوها في الكعبة، فقام أبو طالب ومن معه بحماية النبي ، فبقوا محصورين في الشعب سنتين أو ثلاثًا.

قال ابن هاشم وقد ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله قال لأبي طالب: يا عم، إن الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسمًا هو لله إلا أثبتته فيها، ونفت منها الظلم، والقطيعة، والبهتان، فقال أربك أخبرك بهذا، قال نعم، قال فوالله ما يدخل عليك أحد.

ثم خرج إلى قريش فقال يا معشر قريش، إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا فهلم صحيفتكم، فإن كانت كما قال ابن أخي فانتهوا عن قطيعتنا، وانزلوا عما فيها، وإن كان كاذبًا، دفعت إليكم ابن أخي، فقال القوم رضينا، فتعاقدوا على ذلك.

ثم نظروا فإذا هي كما قال ، فزادهم ذلك شرًا فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا.

٩-إخباره عن مقتل القراء،

فعن أنس بن مالك قال جاء ناس إلى النبي ، فقالوا ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار، يقال لهم القراء فيهم خالى حرام يقرؤن القرآن، ويتدارسون بالليل يتعلمون.

وكانوا بالنهار يجيئون بالماء، فيضعونه في المسجد، ويحتطبون، فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة، وللفقراء، فبعثهم النبي إليهم، فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان فقالوا اللهم بلغ عنا نبينا، أنا قد لقيناك فرضينا عنك، ورضيت عنا.

قال: وأتى رجل حرامًا، خال أنس، من خلفه فطعنته برمح حتى أنفذه، فقال حرام، فزت ورب الكعبة، فقال رسول الله لأصحابه "إن إخوانكم قد قتلوا وإنهم قالوا اللهم بلغ عنا نبينا، أنا قد لقيناك فرضينا عنك، ورضيت عنا".

١٠-علمه بما حدث من رجل بطال

ومن ذلك ما ورد عن قيس بن أبي حازم عن أبي شهم وكان رجلاً بطالاً فمرت به جارية فأهوى بيده إلى خاصرتها قال فأتيت النبي من الغد وهو يبايع الناس فقبض يده وقال: "أصاحب الجبذة أمس ؟" قال فقلت لا أعود يا رسول الله فقال "فنعم إذا" الحديث أخرجه النسائي.

١١-اخباره عما جاء به سائلان

ومن ذلك ما رواه ابن عمر - رضي الله عنهما - ، قال كنت جالسًا مع النبي في مسجد منى، فأتاه رجل من الأنصار، ورجل من ثقيف، فسلما، ثم قالا، يا رسول الله جئنا نسألك، فقال "إن شئتما أخبرتكما، بما جئتما تسألاني عنه فعلت، وإن شئتما أن أمسك وتسألاني فعلت" فقالا أخبرنا يا رسول الله، فقال الثقفي للأنصاري، سل، فقال أخبرني يا رسول الله.
فقال "جئت تسألني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام، وما لك فيه، وعن ركعتيك بعد الطواف، وما لك فيها، وعن طوافك بين الصفا والمروة، وما لك فيه، وعن وقوفك عشية عرفة، ومالك فيه، وعن رميك الجمار، ومالك فيه، وعن نحرك، ومالك فيه، مع الإفاضة" فقال "والذي بعثك بالحق لعن هذا جئت، أسألك.
قال "فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام، لا تضع ناقتك خفًا، ولا ترفعه، إلا كتب الله لك به حسنة، ومحا عنك خطيئة، وأما ركعتاك بعد الطواف، كعتق رقبة من بني إسماعيل عليه السلام، وأما طوافك بالصفا والمروة، كعتق سبعين رقبة، وأما وقوفك عشية عرفة، فإن الله يهبط إلى سماء الدنيا، فيباهي بكم الملائكة يقول عبادي جاؤني شعثًا، من كل فج عميق، يرجون جنتي فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل، أو كقطر المطر، أو كزبد البحر، لغفرتها، أفيضوا عبادي، مغفورًا لكم، ولمن شفعتم له.
وأما رميك الجمار، فلك بكل حصاة رميتها، تكفير كبيرة من الموبقات، وأما نحرك فمدخور لك عند ربك، وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة، ويمحى عنك بها خطيئة، وأما طوافك بالبيت، بعد ذلك، فإنك تطوف ولا ذنب لك، يأتي ملك يضع يده بين كتفيك، فيقول اعمل فيما تستقبل فقد غفر لك ما مضى" رواه الطبراني في الكبير والبزار واللفظ له ورواه ابن حبان في صحيحه.

١٢-علمه ابو خيثمة قبل حضوره

ومنها ما ذكره ابن إسحاق من أن أبا خيثمة رجع - بعد ما سار رسول الله أياما إلى أهله في يوم حار فوجد امرأتين له في عريش لهما في حائطه قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت له فيها ماء وهيأت له فيه طعامًا.

فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امأتيه وما صنعتا له فقال رسول الله في الضح - لهب الشمس وحرارتها - والريح والحر وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيإ وامرأة حسناء في ماله مقيم ما هذا بالنصف والعدل.
ثم قال والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله فهيئآ لي زادًا ففعلتا ثم قدم ناضحه فارتحله - أي أحضر جمله فوضع عليه الرحل وأعده للسفر.
ثم خرج في طلب رسول الله حتى أدركه حين نزل تبوك وكان عندما أقبل قال الناس هذا راكب على الطريق فقال رسول الله كن أبا خيثمة.
فقالوا يا رسول الله هو والله أبو خيثمة فلما أناخ راحلته أقبل فسلم على رسول الله وأخبر خبره فقال له رسول الله خيرًا ودعا له بخير وفي هذه معجزة.

١٣-علمه بما قالا وديعة بن ثابت ومخشى بن حمير

ومنها ما ذكر من أن جماعة من المنافقين منهم وديعة بن ثابت ومنهم مخشي بن حمير قال بعضهم لبعض أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضًا والله لكأنكم غدا مقرنين في الحبال إرجافًا وإرهابًا للمؤمنين.
فقال مخشي والله لوددت أني أقاضى على أن يضرب كل منا مائة جلدة وأنا ننقلب قبل أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه وقال رسول الله لعمار بن ياسر "أدرك القوم فإنهم قد احترقوا فسلهم عما قالوا فإن أنكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا فانطلق إليهم عمار فقال ذلك لهم.
فأتوا رسول الله يعتذرون إليه فقال وديعة بن ثابت كنا نخوض ونلعب فأنزل الله فيهم **(وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ)** فقال مخشي بن حمير: يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي فكان الذي عفي عنه في هذه الآية وتسمى عبد الرحمن وسأل الله أن يقتل شهيدًا لا يعلم بمكانه فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر، ففي هذه القصة معجزة أيضًا.

١٤--علمه غصن من ذهب فى قبر ابى رغال

ومنها قصة أبي رغال لما روى أبو داود أن النبي قال هذا قبر أبي رغال وآية ذلك أن معه غصنًا من ذهب إن رأيتم نبشتم عنه أصبتموه معه فابتدره الناس فاستخرجوا الغصن وهذه معجزة أيضًا.

١٥-اخباره عن مكان الناقة الضالة

ومنها حينما ضلت ناقة رسول الله ببعض الطريق فخرج أصحابه في طلبها وعند رسول الله رجل من بعض أصحابه يقال له عمارة ابن حزم الأنصاري.
وكان في رحله زيد بن لصيت القينقاعي وكان منافقًا فقال زيد بن لصيت وهو في رحل عمارة عند رسول الله: أليس يزعم محمد أن يخبركم من خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته.
فقال رسول الله وعمارة عنده إن رجلاً قال إن محمدًا يخبركم أنه بني وهو يزعم أن يخبركم بخبر السماء وهو لا يدري أين ناقته وإني والله ما أعلم إلا ما أعلمني الله وقد دلني

الله عليها وهي في الوادي في شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوا بها.
فذهبوا فجاؤا بها وقد وجدها الحارث بن خزمة الأشهلي كما قال رسول الله فقال زيد لكأني لم أسلم إلا اليوم فقد كنت شاكًا في محمد وقد أصبحت وأنا فيه ذو بصيرة أشهد أنه رسول الله.

الثاني: وكذلك إخباره عن الأمور المستقبلة

١-ومن ذلك إخباره أم حرام، عن غزوها في البحر وعلو مكانتها

ففي صحيح البخاري، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك ، أنه سمعه يقول كان رسول الله إذا ذهب إلى قباء يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت تحت عباءة بن الصامت.
فدخل يومًا فأطعمته، فنام رسول الله ثم استيقظ يضحك قالت فقلت ما يضحكك يا رسول الله، فقال "ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر، ملوكًا على الأسرة –
أو قال مثل الملوك على الأسرة" شك إسحاق، قالت أدع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها رسول الله.

ثم وضع رأسه، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت قلت ما يضحكك يا رسول الله، قال "ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله" كما قال في الأولى، فقلت يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم، قال "أنت من الأولين" فركبت البحر زمان معاوية، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت، فوقع كما أخبر

٢-ومنها إخباره عن أول زوجاته لحوقًا به بعد وفاته،

فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن بعض أزواج النبي قلن يا رسول الله أينا أسرع بك لحوقا، قال أطولكن يدًا، فأخذن قصبة يذرعنها فكانت سودة أطولهن يدا، فعلمنا بعد إنما، كان طول يدها الصدقة، وكانت تحب الصدقة، وكانت أسرعنا لحوقًا به ، أخرجه الشيخان.

٣-ومن ذلك إخباره عامل كسرى ملك الفرس على اليمن أن الله وعده أن يقتل كسرى في يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا

ومن حديثه أن كسرى كتب إلى عامله على اليمن بآذان أنه بلغني أن رجلاً من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبي فسر إليه فاستتبه فإن تاب وإلا فابعث إلي رأسه.
فبعث بآذان بكتاب كسرى إلى رسول الله.

فكتب إليه رسول الله "إن الله قد وعدني أن يقتل كسرى في يوم كذا وكذا، من شهر كذا وكذا" فلما أتى بآذان كتاب رسول الله توقف، لينظر، وقال إن كان نبيًا فسيكون ما قال، فقتل كسرى، في اليوم الذي قال رسول الله ، قتل على يد ابنه، شيرويه.
فلما بلغ ذلك بآذان بعث بإسلامه، وإسلام من معه، من الفرس إلى رسول الله ، فقالت الرسل من الفرس، إلى من نحن يا رسول الله، قال "أنتم منا وإلينا أهل البيت".

٤-ومنها إخباره أن الحسن بن علي وهو ابن فاطمة يصلح الله به بين فئتين عظيمتين،
فتم ذلك بمصالحة الحسن لمعاوية بن أبي سفيان، وذلك بعد وفاة رسول الله بثلاثين سنة.

٥-ومنها إخباره (بأن عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية،)
وهو يدعوهم إلى الجنة، وهم يدعونه إلى النار، ويكون آخر زاده ضياحًا من لبن، فقتله أصحاب معاوية بصفين، وهو مع علي بن أبي طالب، وكان آخر زاده من الدنيا ضياحا من لبن (والضياح) اللبن الخاثر يصب فيه الماء ثم يخبط.
٦-ومنها إخباره (أصحابه، وهم يحفرون الخندق بأن الله يفتح عليه اليمن والشام والمغرب والمشرق)
، ففي السير والتفاسير، عن سلمان الفارسي، قال: ضربت في ناحية من الخندق فغلظت علي صخرة، ورسول الله قريب مني.
فلما رآني أضرب، ورأى شدة المكان علي، نزل فأخذ المعول من يدي، فضرب ضربة لمعت تحت المعول برقة، قال ثم ضرب به ضربة أخرى، فلمعت تحته برقة أخرى، قال ثم ضرب به الثالثة، فلمعت تحته برقة أخرى، قال قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب قال "أو قد رأيت ذلك يا سلمان ؟" قال قلت: نعم.
قال أما الأولى، فإن الله فتح علي بها اليمن،
وأما الثانية فإن الله فتح علي بها الشام والمغرب،
وأما الثالثة فإن الله فتح علي بها المشرق،
فكان الأمر كما أخبر على التفصيل، فإن أول ما فتح من البلدان المذكورة اليمن، فتحت على عهد رسول الله ، وفتحت بعدها الشام والمغرب، وفتح بعد الشام المشرق، في مدة قليلة بعد وفاة رسول الله.
٧-ومن ذلك إخباره أصحابه عما وقع لخبيب بن عدي

٨-ومن ذلك إخباره بأن على بن أبي طالب يفتح الله على يديه خيبر.
ففي الصحيحين عن سهل بن سعد أن رسول الله قال يوم خيبر "لأعطين الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه، فبات الناس يدركون ليلتهم، أيهم يعطاها فقال "أين علي بن أبي طالب ؟" فقيل هو يشتكي عينيه فأرسلوا إليه فأتى به فبصق في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال "انفذ على رسلك حتى تنزل

بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم" ففتح الله على يديه فكان كما قال.

٩-ومن ذلك نعيه (زيدًا، وجعفرًا وابن رواحة)،

فقد روى البخاري عن أنس بن مالك أن رسول الله نعى زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس، قبل أن يأتي خبرهم، فقال: "أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب، وعيناه تذرفان، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله" يعني خالد بن الوليد، حتى فتح الله عليهم والله أعلم وصلى الله على محمدٍ وآله وسلم.

١٠-ومن ذلك إخباره إن أمته تحذو حذو بني إسرائيل، وحذو من كان قبلهم من الأمم

حذو القذة بالقذة، والنعل بالنعل.

وكان الأمر كما أخبر حذت حذوهم في الاختلاف، والتفرق، وارتكاب المحرمات، والإحداث في الدين، والكذب، على النبي حذو اليهود والنصارى.

١١-ومن ذلك إخباره يوم هوازن بقتل ذي الخويصرة، حرقوص بن زهير السعدي، وأصحابه، مارقين من الدين، خارجين على حين فرقة من الناس.

الرجل المذكور وأصحابه خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعد حرب صفين. فقتلهم علي في النهروان ، فكبر علي حين وجده، وسجد سجدة شكر، وكبر العسكر الذي معه فرحًا وسرورًا بما شاهدوه من خبر رسول الله الذي وقع طبق ما قال.

١٢-قوله رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده

وقد تحقق قوله فإن عثمان لما نفى أبا ذر نزل أبو ذر الربذة فأصابه بها قدره ولم يكن معه أحد إلا امرأته وغلامه فأوصاهما أن غسلاني وكفناني.

ثم ضعاني على قارعة الطريق فأول ركب يمر بكم فقولوا له هذا أبو ذر صاحب رسول الله فأعينونا على دفنه فلما مات فعلا ذلك به ثم وضعاه على قارعة الطريق.

١٣-علمه بما سيحدث لابن العباس

ومن ذلك ما روي أن العباس بن عبد المطلب، بعث ابنه عبد الله، إلى رسول الله في حاجة، فوجد عنده رجلاً فرجع ولم يكلمه، من أجل مكان الرجل،

فلقي العباس رسول الله ، فأخبره بذلك، فقال "ورآه ؟" قال نعم "قال أتدري من ذاك الرجل ؟" ذاك جبريل.

"ولن يموت حتى يذهب بصره، ويؤتى علمًا" وقد مات ابن العباس سنة ثمان وستين، بعد ما عمي بصره، وصار بحرًا زاخرًا في العلم.

١٤-علمه بما سيحدث لزيد بن ارقم

ومن ذلك، ما رواه البيهقي أن رسول الله دخل على زيد يعوده في مرض كان به، قال "ليس عليك من مرض بأس، ولكن كيف بك إذا عمرت بعدي، فعميت ؟" قال: إذا أحتسب وأصبر، قال "إذًا تدخل الجنة، بغير حساب" قال فعمي بعد ما مات رسول الله ، ثم رد الله عليه بصره، ثم مات.

١٥-إخباره عن محنة عثمان

ففي صحيح البخاري عن أبي موسى ، قال كنت مع النبي في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح، فقال النبي "افتح له وبشره بالجنة" ففتحت، فإذا هو أبو بكر، فبشرته بما قال النبي فحمد الله.
ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبي "افتح له وبشره بالجنة" ففتحت، فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبي
ثم استفتح رجل فقال لي "افتح له وبشره بالجنة، على بلوى تصيبه" فإذا هو عثمان فأخبرته بما قال النبي فحمد الله، ثم قال: الله المستعان.

١٦-إخباره (في مقتل علي بن أبي طالب وأن قاتله يخضب لحية علي من دم رأسه)

وعن عثمان بن صهيب عن أبيه، قال قال علي قال لي رسول الله "من أشقى الأولين ؟" قلت: لا علم لي يا رسول الله. قال "الذي يضربك على هذه - وأشار علي إلى يافوخه بيده - فيخضب هذه من هذه" يعني لحيته من دم رأسه، قال: فكان يقول وددت أنه قد انبعث أشقاكم. وقتل ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ٤٠ هـ، عندما خرج يوقظ الناس لصلاة الفجر، فضربه ابن ملجم بالسيف على قرنه، فسال دمه على لحيته، رضي الله عنه وأرضاه، فوقع طبق ما أخبره به النبي.

١٧-علمه بموت النجاشي

وقصة موت النجاشي وهي ما ورد عن أم كلثوم بنت أبي سلمة ربيبة رسول الله قالت لما تزوج النبي أم سلمة قال لها "إني قد أهديت للنجاشي أواقي من مسك وحلة وإني لا أراه إلا قد مات ولا أرى الهدية إلا سترد إلي، فإذا ردت إلي فهي لك" فكان كما قال ، مات النجاشي وردت إلى النبي هديته فأعطى كل امرأة من نسائه أوقية من ذلك المسك وأعطى سائره أم سلمة.

١٨-اخباره عما يحدث فى فتح مكه

ومنها إخباره عليه أصحابه قبل مسيرهم إلى فتح مكة وهم يتجهزون للمسير أنه يصير بينهم وبين قريش دماء قليلة، فكان الأمر كما أخبر به ، فإنه وقع بين بعض كتائبه حين دخولهم مكة وبين قوم من قريش قعدوا بالخندمة، ليردوا النبي بزعمهم عن دخول مكة مناوشة قليلة. وقتل بعض المشركين، وانهزم الباقون، وقد ملكهم الرعب والذغر وجللهم الخوف

١٩-قوله الآن نغزوهم ولا يغزوننا

ومنها قوله لأصحابه لما رجع الأحزاب خائبين "الآن نغزوهم ولا يغزوننا" فكان الأمر كما قال، فإن قريشًا بعد ذلك لم يرجعوا إلى غزو المدينة، وإن رسول الله توجه إلى مكة عام الحديبية، فصالحوه وهادنوه، ثم دخل مكة من قابل مع أصحابه آمنين، ثم فتحها بعد ذلك.

٢٠-(أن ابنته فاطمة أول أهل بيته لحوقًا به)

ومنها إخباره أن ابنته فاطمة أول أهل بيته لحوقًا به، فكان كذلك، فإنها ـ رضي الله عنها ـ توفيت بعده بأربعين يومًا، أو خمس وسبعين يومًا، أو ستة أشهر، على اختلاف الروايات، ولم يتوف قبلها أحد من أهل بيته.

٢١-(أنه قال لعلي يوم أحد إن قريشا لن يصيبوا منا مثلها بعد هذا)

ومنها ما روي عنه أنه قال لعلي يوم أحد بعد انجلاء الهيجاء، إن قريشا لن يصيبوا منا مثلها بعد هذا، حتى يفتح الله علينا مكة، فكان الأمر كما قال، فإنه لم تصب قريش من أصحاب النبي بعد أحد ما أصابت منهم يوم أحد.

وما زال أمر النبي يعلو عليهم حتى غزاهم في عقر دارهم، ومحل قرارهم، ولم يستطيعوا دفعه، بل استأسروا له راغمين، فمن عليهم فأطلقهم من حبالة القتل، وأعتقهم من رق الأسر، وناداهم وهم مرعوبون "اخرجوا فأنتم الطلقاء" وذلك يوم فتح مكة بالنسبة الثامنة من الهجرة.

٢٢-اسر اكدير دومة وهو يصيد البقر

أنه بعث خالد بن الوليد من تبوك، في أربع مائة وعشرين فارسًا، إلى أكيدر دومة الجندل، من كندة، فقال خالد يا رسول الله، كيف لي به وسط بلاد كلب، وإنما أنا في عدد يسير، فقال ستجده يصيد البقر، فتأخذه، فوقع طبق ما أخبره به النبي.

٢٣-أيتكن صاحبة الجمل المدبب، تخرج فينبحها كلاب الحوأب

ومنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من أن عائشة لما أقبلت وبلغت مياه بني عامر ليلاً، نبحت الكلاب، فقالت أي ماء هذا، قالوا ماء الحوأب، قالت ما أظنني إلا أني راجعة،
قال بعض من كان معها بل تقدمين، فيراك المسلمون، فيصلح الله عز وجل ذات بينهم،
قالت إن رسول الله قال لها ذات يوم "كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب"
وفي حديث ابن عباس قال: قال رسول الله "ليت شعري، أيتكن صاحبة الجمل المدبب، تخرج فينبحها كلاب الحوأب، يقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثير، ثم تنجو بعدما كادت" كل ذلك يقع طبق ما أخبر الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه.

٢٤-إخباره عن محنة المسلمين، وتداعي الأمم عليهم،

ففي سنن أبي داود، عن ثوبان قال: قال رسول الله "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها" فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ قال: "بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن" فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن ؟ قال "حب الدنيا وكراهة الموت"

٢٥-إخباره (باتساع ملك المسلمين وفوزهم بكنوز كسرى وقيصر واضطراب أمر المسلمين في النهاية.)

ففي صحيح مسلم عن ثوبان قال: قال لي رسول الله: "إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم.

وإن الله قال لي: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك إن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، أو قال من بين أقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا.

٢٦-قال لأصحابه "يدخل اليوم عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان

ثم خرج شريح، من عنده، فقال رسول الله ("لقد دخل بوجه كافر، وخرج بقفا غادر، وما الرجل بمسلم")

٢٧-الحسين بن على يقتل بالعراق فكان الأمر كما أخبر

ومنها ما روي عنه (من أن ابن بنته فاطمة الحسين بن علي يقتل بالعراق فكان الأمر كما أخبر فقتل الحسين (في كربلاء سنة إحدى وستين وله أربع وخمسون سنة وستة أشهر ونصف الشهر.

٢٨-ومن ذلك توقيته (مواقيت الحج المكانية وذلك أنه عينها من قبل فتح بلدانها)

٢٩-إنذاره (بريح شديدة في تبوك، وطلب من أصحابه أن يأخذوا حذرهم)

٣٠-إخباره (أنه سيأتي زمان ترتحل فيه الظعينة من الحيرة إلى الكعبة، لا تخاف إلا الله ووقع طبق ما أخبر.)

٣١-اخبار الرسول(ص)بمصرع صناديد قريش

ألم يحدث للكفار هذا الخزي يوم بدر؟ ألم يُمسِك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقضيب في يده قبل المعركة ويشير به : « هذا مَصرع فلان ، وهذا مصرع فلان » ويسمي صناديد الكفر ورؤوس الضلال في قريش؟ وبعد انتهاء المعركة كان الأمر كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصُرِع كلُّ هؤلاء الصناديد في نفس الأماكن التي أشار إليها رسول الله .

٣٢-معركة مؤته فى ارض الروم لقد ابلغ عنها الرسول وهو بالمدينة ويصف دقائق المعركة فاخذ يقول : اخذ الراية زيد بن حارثة وقتل شهيدا ثم اخذ الراية جعفر وقتل شهيدا ، ثم اخذ الراية عبد الله بن رواحة وقتل شهيدا ، ثم قال رفعوا الى الجنة على سرر من ذهب

اخباره بالمستقبل من القرآن

١-ومن كشف حُجُب الغيب المستقبل قوله تعالى: {والخيل والبغال والحمير لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ... } [النحل: ٨] ولو انتهتْ الآية إلى هذا الحدِّ لقالوا: ذكر القرآن البدائيات، ولم يذكر شيئاً عن السيارة والصاروخ. . إلخ.
لكن الحق - تبارك وتعالى - يكمل الآية
{وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} [النحل: ٨] ليجعل في القرآن رصيداً لكل ما يستجد من وسائل المواصلات والانتقال إلى يوم القيامة.
٢-ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: {سُبْحَانَ الذي خَلَق الأزواج كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأرض وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ} [يس: ٣٦] فكلُّ شيء في الوجود قائم على الزوجين ذكورةً وأنوثة حتى الجمادات التي لا نرى فيها حياة.
٣-ومن ذلك قوله تعالى: {الم غُلِبَتِ الروم في أَدْنَى الأرض وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ ... } [الروم: ١ - ٤]
فمَنْ يستطيع أن يحكم على نتيجة معركة بعد سبع سنين؟ وبعد ذلك يُصدِّقه الله، وتنتصر الروم، وكانوا أهل كتاب على الفرس، وكانوا يعبدون النار؛ لذلك قال سبحانه: {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المؤمنون بِنَصْرِ الله ... } [الروم: ٤ - ٥]
٤-ولما تشوَّق الصحابة لأداء العمرة ونزل على رسول الله قوله تعالى: {لَتَدْخُلُنَّ المسجد الحرام إِن شَآءَ الله آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً} [الفتح: ٢٧] .
«فخرج بهم رسول الله حتى بلغوا الحديبية على بُعْد ٢٢ كيلو من مكة تعرَّضَتْ لهم قريش، ومنعتهم من العمرة، واشترطوا عليهم العودة في العام المقبل، وقد كتبوا وثيقة تعاهدوا فيها، فلما أملى رسول الله على الكاتب: هذا ما تعاهد عليه محمد رسول الله، قام عمرو بن سهيل فقال: لو كنا نعلم أنك رسول الله ما حاربناك ولا رددناك، إنما اكتب: هذا ما تعاهد عليه محمد بن عبد الله.
وعندها ثار صحابة رسول الله وغضبوا حتى راجعوا رسول الله فقال عمر: يا رسول الله ألسْنا على الحق؟ قال: بلى، قال: أليسوا على الباطل؟ قال: بلى قال: فَلِمَ نعطى الدَّنية في ديننا، فقال الصِّديق: الزم غَرْزَهُ يا عمر، يعني قف عند حدَّك - إنه رسول الله.
ولما أصر علي بن أبي طالب أن يكتب محمد رسول الله نظر إليه رسول الله، وقال:» يا علي ستُسام مثلها فتقبل «ومرَّتْ الأيام والسنون، وقُبض رسول الله، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، فلما تولّى عليٌّ الخلافة وحدثت الفتنة بينه وبين معاوية، وقامت بينهما حرب الجمل ثم صفِّين حتى اضطر عليّ لأنْ يكتب مع معاوية وثيقة لإنهاء القتال أملى عليّ: هذا ما تعاهد عليه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، فقالوا له: لو أنك أمير المؤمنين ما حاربناك، فاسترجع عليٌّ قول رسول الله: سَتُسام مثلها فتقبل.
<u>الشعراوي</u>
معجزات الرسول
وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٦)

قوله تعالى: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطور إِذْ نَادَيْنَا ... } [القصص: ٤٦] أي: موسى عليه السلام {ولكن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ... } [القصص: ٤٦] أي: أنك يا محمد ما شهدت هذه الأحداث، إنما جاءتْك بالفضل من الله {لِتُنذِرَ قَوْماً مَّآ أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [القصص: ٤٦] يتذكَّرون ما غفلوا عنه من الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها.

وكلمة (وما كنت) في مواضع عدة في القرآن تدل على أن رسول الله جاء بأخبار لم يقرأها في كتاب، ولم يسمعها من مُعلِّم؛ لأنه لا يقرأ، ولم يُعرف عنه أنه جلس إلى مُعلِّم، وأهل الكتاب هم الذين يعرفون صدْق هذه الأخبار؛ لأنها ذُكِرت في كتبهم، لذلك قال القرآن عنهم: {يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ. .} [الأنعام: ٢٠] .

ويقول سبحانه: {إِنَّ هذا لَفِي الصحف الأولى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وموسى} [الأعلى: ١٨ - ١٩] .

ومن علامات النبوة أن يخرق الحق سبحانه لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُجُب الغيب، والشيء يغيب عنك إما لأنه ماضٍ، ولا وسيلةَ لك إليه، وهذا هو حجاب الزمن الماضي، وهو لا يُعرف إلا بواسطة القراءة في

كتاب أو التعلم من مُعلِّم، وقد نفى الله تعالى هذا بالنسبة لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

وإما أن يكون الحجابُ الزمنَ المستقبل والأحداث التي لم تأْتِ بعْد، ولا يستطيع أن يخبرك بها إلا الذي يعلمها أزَلاً.

إذن: خرق الله لرسوله حجاب الزمن الماضي، والزمن المستقبل، فماذا عن الزمن الحاضر؟

وكيف يكون خرق الحجاب فيه؟ هذا في مثل قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ في أَنفُسِهِمْ لَوْلاَ يُعَذِّبُنَا الله بِمَا نَقُولُ ... } [المجادلة: ٨] فأطلعه الله على ما في نفوس القوم.

وفي غزوة مؤتة، وهي الغزوة الوحيدة التي لم يحضرها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومع ذلك سُمِّيت غزوة - لأن الغزوة لا تُقَال إلا للمعركة التي حضرها رسول الله، أما في مؤتة فقد حضرها وشاهدها وهو في المدينة، حيث كشف الله له حجاب الحاضر، فصار يخبر أصحابه في المدينة بما يجري في مؤتة وكأنها رَأْيُ العين.

ويومها تولى القيادة جماعة من كبار الصحابة: زيد بن حارثة، وابن رواحة، وجعفر بن أبي طالب، وخالد بن الوليد، فكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: قُتِل فلان وسقطت الراية، فأخذها فلان وقُتِل وحملها فلان. . إلخ فلما عادوا من الغزوة أخبروا بنفس ما أخبر به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لذلك يقول تعالى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تنسى} [الأعلى: ٦] فكان النجم من القرآن ينزل على رسول الله فلما يُسرى عنه يُمليه على أصحابه، كل آية في مكانها وترتيبها من السورة، ثم يقرؤها بعد ذلك كما أُنزلت، وكما أملاها.

وسبق أنْ قُلْنا: تستطيع أن تتحدَّى أيَّ شخص بأن يتكلم مثلاً لمدة ثُلث الساعة، ثم يعيد ما قال، ولن يستطيع، أما المسألة مع سيدنا رسول الله فتختلف؛ لأنها من الله تعالى {سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تنسى} [الأعلى: ٦] .

وقلنا: إن سيدنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أول نزول القرآن عليه كان يُردد الآية خلف جبريل عليه السلام مخافة أن ينساها، فإنْ قال جبريل: {والضحى} [الضحى: ١] قال رسول

الله {والضحى} [الضحى: ١] وهكذا، فأنزل الله عليه: {لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فاتبع قُرْآنَهُ} [القيامة: ١٦ - ١٨] .
وقال سبحانه: {وَلاَ تَعْجَلْ بالقرآن مِن قَبْلِ أَن يقضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ }طه: ١١٤ أي: أرح نفسك يا محمد، ولا تخْشَ النسيان، وانتظر حتى تنتهي الآيات، وسوف تعيدها كما هي، لا تَنْسى منها حرفاً واحداً.
وقلنا: إن الغيب أنواع: غيب له مقدمات تُوصِّل إليه، العلماء إنما أخذوا مقدمات موجودة واستنبطوا منها معدوماً.
أمّا الغيب المطلق فهو الذي ليس له مقدمات تُوصِّل إليه، فهو غيب عن كل الناس، وفيه يقول تعالى: {عَالِمُ الغيب فَلاَ يُظْهِرُ على غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنِ ارتضى مِن رَّسُولٍ } [الجن: ٢٦ - ٢٧] .
إن كنتَ تريد أن تعلم غيب الآخرين، فاسمح لهم أنْ يعلموا غيبك وأعتقد أن أحداً لا يرضى ذلك.
إذن: سَتْر الغيب عن الخَلْق نعمة كبرى لله تعالى؛ لأنه سبحانه
رب الناس جميعاً، ويريد سبحانه أن ينتفع خَلْقه بخَلْقه، ألا ترى أنك إنْ علمتَ في إنسان سيئة واحدة تزهدك في كل حسناته، وتجعلك تكرهه، وتكره كل حسنة من حسناته، فستر الله عنك غَيْب الآخرين لتنتفع بحسناتهم.
والغيب حجزه الله عنا، إما بحجاب الزمن الماضي، أو الزمن المستقبل، أو بحجاب المكان، فأنت لا تعرف أحداث الماضي قبل أنْ تُولد إلى أنْ يأتي مَنْ تثق به، فيخبرك بما حدث في الماضي، وكذلك لا تعرف ما سيحدث في المستقبل، أما حاجز المكان فأنت لا تعرف ما يوجد في مكان آخر غير مكانك، وقد يكون الشيء في مكانك، لكن له مكين فلا تطلع عليه.
ومن ذلك قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ في أَنفُسِهِمْ لَوْلاَ يُعَذِّبُنَا الله بِمَا نَقُولُ ... } [المجادلة: ٨] .
فمَنِ الذي أخبر رسول الله بما في نفوسهم؟ لقد خرق الله له حجاب المكان، وأخبره بما يدور في نفوس القوم، وأخبرهم رسول الله به، أَمَا كان هذا كافياً لأن يؤمنوا بالله الذي أخرج مكنون صدورهم؟ إذن: المسألة عندهم عناد ولجاجة وإنكار.
وكذلك ما كان من رسول الله في غزوة مؤتة التي دارتْ على أرض الأردن ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة - ونعلم أن أهل السيرة لا يطلقون اسم الغزوة إلا على التي حضرها رسول الله، وكل حدث
حربي لم يحضره رسول الله نسميه سرية إلا مؤتة هي التي انفردتْ بهذه التسمية، فلماذا مع أن رسول الله لم يشهدها؟
قالوا: بل شهدها رسول الله وهو بالمدينة، بما كشف الله له من حجاب المكان وأطلعه على ما يدور هناك حتى كان يخبر صحابته بما يدور في الحرب كأنه يراها، فيقول: أخذ الراية فلأن فقُتِل، فأخذها فلان فقُتِل، فلما جاءهم الخبر وجدوا الأمر كما أخبر به سيدنا رسول الله.
كما خَرق له حجاب الماضي، فأخبره بحوادث في الأمم السابقة كما في قوله سبحانه: {وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الغربي إِذْ قَضَيْنَآ إلى مُوسَى الأمر ... } [القصص: ٤٤] {وَمَا كُنتَ ثَاوِياً في أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ... } [القصص: ٤٥] .

كما خرق له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حجاب المستقبل، كما في هذه الآية التي نحن بصدد الحديث عنها: {وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ.
. .} [الروم: ٣ - ٤].
فمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو النبي الأمي المقيم في جزيرة العرب ولا يعرف شيئاً عن قوة الروم أو قوة الفرس ـ يخبرنا بهذه النتيجة؛ لأن الذي يعلم الأشياء على وَفْق ما تكون هو الذي أخبره، وكون محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلنها ويتحدَّى بها في قرآن يُتْلَى إلى يوم القيامة دليل على تصديقه بمنطق الله له، وأنه واثق من حدوث ما أخبر به.
ولنا في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأسوة الحسنة، فعندما أراد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا يكسر خاطر أي واحد من الأنصار عندما هاجر إلى المدينة، وتطلع كل واحد من الأنصار إلى أن ينزل رسول الله في بيته، وحاول كل واحد أن يمسك بزمام الناقة وأن يجعلها تقف أمام بيته، فقال لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«خلوا سبيلها فإنها مأمورة»
فعندما تميل الناقة وتقف عند أي بيت لن يقول أحد: إن النبي آثر فلاناً على فلان. جعلها الرسول في يد من لا يقدر أحد على ان يخالفه عليه،

الثالث:إسراؤه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

ومن أعلام نبوته **(، قوله في ليلة الإسراء، حين أصبح** ")إن من آية ما أقول لكم، إني مررت بعير لكم، في مكان كذا وكذا، وقد أضلوا بعيرًا لهم، فجمعه لهم فلان، وإن مسيرهم ينزلون بكذا، ثم كذا، ويأتونكم يوم كذا وكذا، يقدمهم جمل آدم، عليه مسح أسود، وغرارتان، سوداوان" فلما كان ذلك اليوم، أشرف الناس ينظرون، حين كان قريبًا من نصف النهار، حتى أقبلت العير، يقدمهم ذلك الجمل، الذي وصفه رسول الله
(فكان كما أخبر.)

الرابع: ونبع الماء من بين أصابعه.

١-فوران الماء من بين اصابعه فى يوم الحديبية

وقصة ماء الركوة وهي ما ورد عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال عطش الناس يوم الحديبية والنبي بين يديه ركوة يتوضأ فجهش الناس نحوه فقال: "ما لكم ؟" قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك قال جابر فوضع النبي يده في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا قال سالم قلت لجابر كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا خمس عشر مائة (١٥٠٠).

٢-تكثير الماء فى تبوك

ومنها ما ذكره ابن عائذ في مغازيه من أن رسول الله نزل تبوك في زمان قل ماؤها فيه فاغترف رسول الله غرفة بيده من ماء فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلأت فهي كذلك حتى الساعة.

قلت: في صحيح مسلم: أنه قبل وصوله إليها قال إنكم ستأتون غدا إن شاء الله تعالى - عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي.

قال فجئناها وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشيء من مائها فسألها رسول الله هل مستما من مائها شيئًا قالا نعم.

فسبهما وقال ما شاء الله أن يقول ثم غرفوا من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس ففي هذه معجزة واضحة.

٣-تكثير الماء وقصة المزادتين

ومنها قصة المزادتين، أو السطيحتين فعن عمران بن حصين أن النبي في بعض أسفاره شكى إليه الناس من العطش فدعا فلانًا ودعا عليًا، فقال "اذهبا فابغيا الماء" فانطلقا، فلقيا امرأة بين مزادتين أو سطيحتين من ماء على بعير لها.

ودعا بإناء فأفرغ فيه من فواه الأفواه المزادتين، أو السطيحتين، وأوكأ أفواهما وإنه ليخيل إلينا أنها أشد ملأة منها حين ابتدأ فيها، فقال "اجمعوا لها" فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة، حتى جمعوا لها طعامًا فجعلوه في ثوب، وحملوه على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها، وقال لها: تعلمين ما رزقنا من ماءك شيئًا.

ولكن الله هو الذي أسقانا

فقالت يومًا لقومها، ما أرى إلا أن هؤلاء القوم يدعونكم عمدًا، فهل لكم في الإسلام، فأطاعوها، فدخلوا في الإسلام

٤-نبع الماء من بين اصابعه فى الزوراء

عن أنس أن النبي {صلى الله عليه وسلم} وأصحابه كانوا بالزوراء فدعا بقدح فيه ماء فوضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه فتوضأ أصحابه جميعا قلت لأنس كم كانوا قال زهاء ثلاثمائة

٥-بئر قباء

عن أنس انه سئل عن بئر بقباء فقال لقد كانت هذه وإن الرجل لينضح على حماره فتنزح فجاء رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأمر بذنوب فسقي فأما أن يكون توضأ منه أو تفل فيه ثم أمر به فأعيد في البئر فما نزحت منه

الخامس: تكثير الطعام.

١-بركة الطعام فى سمن ام سليم

وقصة عكة أم سليم لما ورد عن أنس عن أمه قالت كانت لنا شاة جمعت من سمنها في عكة فملأت العكة ثم بعثت بها مع ربيبة فقالت يا ربيبة فبلغي هذه العكة رسول الله يأتدم بها فانطلقت بها الربيبة حتى أتت رسول الله فقالت يا رسول الله هذه
وجاءت وأم سليم ليست في البيت فعلقت العكة على وتد فجاءت أم سليم فرأت العكة ممتلئة تقطر فقالت أم سليم يا ربيبة أليس أمرتك أن تنطلقي بها إلى رسول الله فقالت قد فعلت فإن لم تصدقيني فانطلقي فسلي رسول الله فانطلقت ومعها الربيبة.
فقالت يا رسول الله إني قد بعثت معها إليك بعكة فيها سمن قال قد فعلت قد جاءت قالت والذي بعثك بالحق ودين الحق إنها لممتلئة تقطر سمنا قال: فقال لها رسول الله "يا أم سليم أتعجبين إن كان الله أطعمك كما أطعم نبيه كلي وأطعمي" قالت فجئت إلى البيت فقسمت في قعب لنا كذا وكذا وتركت فيها ما ائتدمنا به شهرين.

٢-المسح على ضرع الشاة

وقصة أم معبد مشهورة من حديثها أن رسول الله حين مر بها طلب لبنًا أو لحمًا يشترونه وكانوا مرملين مسنتين فلم يجدوا عندها شيئًا قط فنظر إلى شاة في كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم، فسألها هل بها من لبن ؟ فقالت: هي أجهد من ذلك، فقال: أتأذنين لي أن أحلبها! فقالت بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلبًا.
فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها فدرت واجترت ودعا بإناء يشبع الرهط فحلب حتى ملأه وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه مرة أخرى عللاً بعد نهل ثم غادره عندها وذهبوا فجاء أبو معبد فلما رآى اللبن قال ما هذا يا أم معبد ؟ أنى لك هذا والشاة عازب حيال ولا حلوبة بالبيت فقالت لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك فقال صفيه فوصفته له، وذلك في طريق هجرته إلى المدينة.

٣-دعوته لعزق النخل ان يسقط

وجاء أعرابي إلى النبي فقال بم أعرف أنك نبي ؟ قال: "إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله ؟" قال: نعم. فدعاه رسول الله (فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي)ثم قال ارجع فعاد، فأسلم الأعرابي.

٤-بركة التمر

وقصة أبي جابر وهي ما ورد عن جابر بن عبد الله قال توفي أبي شهيدًا في أحد وعليه دين فاستعنت النبي على غرمائه أن يضعوا من دينه فطلب النبي فلم يفعلوا فقال لي النبي "اذهب فصنف تمرك أصنافًا العجوة على حدة وعذق زيد على حدة" (أنواع التمر).
ثم أرسل إلى قال جابر: ففعلت ثم أرسلت إلى رسول الله (فجلس على أعلاه أو في وسطه ثم قال كل للقوم قال جابر فكلتهم حتى أوفيتهم الذي لهم وبقي تمري كأن لم ينقص منه شيء.

٥-قصة لبن اهل الصفه

وقصة لبن أهل الصفة وذلك أن أبا هريرة قعد يومًا على الطريق فمر به رسول الله فتبسم حين رآه وعرف ما في نفسه وما في وجهه ثم قال "يا أبا هريرة" قال قلت لبيك يا رسول الله قال الحق ومضى فتبعته فاستأذن فأذن لي فدخل فوجد لبنًا في قدح فقال من أين هذا اللبن قالوا من فلان أو فلانة.
قال أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي قال أبو هريرة فساءني ذلك فقلت وما هذا اللبن في أهل الصفة كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها فإذا جاؤا أمرني فكنت أنا أعطيهم وما عسي أن يبلغني من هذا اللبن.
قال فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت فقال يا أبا هريرة قلت لبيك يا رسول الله خذ فأعطهم قال فأخذت القدح فجعلت أعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدح. حتى انتهيت إلى النبي وقد روي القوم كلهم.
فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلي فتبسم فقال يا أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال بقيت أنا وانت قلت صدقت يا رسول الله قال أقعد فاشرب فقعدت فشربت فقال اشرب فشربت فلا زال يقول اشرب حتى قلت والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكًا.
قال فأرني فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة.

٦-تكثير التمر

ومنها ما ذكره أبو رجاء، قال دخل النبي حائطًا لبعض الأنصار، فقال له "ما تجعل لي إن أرويت حائطك هذا ؟" قال له إني أجهد أرويه فلا أطيق، قال "تجعل لي مائة تمرة، اختارها من تمرك ؟" قال: نعم، فأخذ الغرب، فما لبث أن أرواه، حتى قال الرجل غرقت علي حائطي، فاختار مائة تمرة، فأكل هو وأصحابه، حتى شبعوا.
ثم رد عليه مائة تمرة كما أخذها، رواه الطبراني في الكبير.

٧-وقصة طعام جابر

وذلك ما ورد عنه قال لما حفر الخندق رأيت بالنبي خمصًا شديدًا فانكفأت إلى امرأتي فقلت هل عندك شيء فإني رأيت رسول الله خمصًا شديدًا.
فأخرجت إلي جرابًا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحناها وطحنت الشعير ففرغت إلى فراغي وقطعتها في برمتها ثم وليت إلى رسول الله فقالت لا تفضحني أبرسول الله فجئته فساورته فقلت يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعًا من شعير كان عندنا فتعال أنت ونفر معك.
فصاح النبي يا أهل الخندق إن جابرًا قد صنع سؤرًا فحيهلا بكم !؟ فقال رسول الله لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء فجئت وجاء رسول الله يقدم الناس حتى جئت امرأتي فقالت بك وبك فقلت قد فعلت الذي قلت فأخرجت له عجينًا فبصق فيه وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك.
ثم قال ادعي خابزة فلتخبز معك واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها وهم ألف فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي وإن عجيننا ليخبز كما هو.

٨-إطعامه الذين يحفرون الخندق من أصحابه بتمرات قليلة.

ففي كتب السير وغيرها أن ابنة لمشير بن سعد أخت النعمان بن بشير، قالت: دعتني أمي عمرة بن رواحة فأعطتني حفنة من تمر في ثوبي، ثم قالت أي بنية اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغذائهما.

قالت: فأخذتها، فانطلقت بها، فمررت برسول الله وأنا التمس أبي وخالي، فقال "تعالي يا بنية، ما هذا معك ؟" قالت: قلت يا رسول الله هذا تمر بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد وخالي عبد الله بن رواحة يتغذيانه، قال "هاتيه" قالت فصببته في كفي رسول الله ، فما ملأتهما.

ثم أمر بثوب فبسط له، ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب ثم قال لإنسان عنده "اصرخ في أهل الخندق، أن هلم إلى الغداء" فاجتمع أهل الخندق عليه، فجعلوا يأكلون منه، وجعل يزيد، حتى صدر أهل الخندق عنه، وإنه ليسقط من أطراف الثوب.

٩-تكثير الطعام

ومن ذلك ما ورد عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، قال كنا مع النبي ثلاثين ومائة فقال هل مع أحد منكم طعام، فإذا مع رجل صاع من طعام، أو نحوه، فعجن، ثم جاء رجل مشعان طويل بغنم يسوقها، فقال "بيعًا، أم هبة ؟" قال بل بيع، فاشترى منها شاة، فصنعت، فأمر بسواد البطن أن يشوى، وأيم الله، ما في الثلاثين والمائة، رجل إلا قد حز له حزة من سواد بطنها إن كان شاهدا أعطاه إياه، وإن كان غائبًا خبأ له فجعل منها قصعتين فأكلوا أجمعون وشبهنا ففضلت القطعتان فحملتا على البعير، رواه الشيخان.

١٠-تكثير الطعام

ومن ذلك ما ورد عن سمرة، قال كنا مع النبي نتداول من قصعة، من غدوة حتى الليل، تقوم عشرة، وتقعد عشرة، فقلنا فمما كانت تمد، قال ومن أي شيء تعجب، ما كانت تمد إلا من ها هنا، وأشار بيده إلى السماء، رواه الترمذي.

١١-تكثير الطعام

ومن ذلك ما رواه جابر، أن النبي جاءه رجل يستطعمه، فأطعمه شطر وسق شعير، فما زال الرجل يأكل منه، وامرأته، وضيفهما، حتى كاله ففنى، فأتى النبي فقال: "لو لم تكله لأكلتم منه، ولقام لكم" رواه مسلم.

١٢-تكثير الطعام والماء

ومن ذلك قصة سلمة بن الأكوع، قال خرجنا مع النبي في غزوة، فأصابنا جهد حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا، فأمر النبي فجمعنا أزوادنا، وبسط لنا نطعا فاجتمع زاد القوم على النطع، فتطاولت لأحزره كم هو، فإذا هو كربضة العنز، ونحن أربع عشرة مائة (١٤٠٠) فأكلنا حتى شبعنا جميعًا، ثم حشونا جربنًا، فقال ، "فهل من وضوء ؟" فجاء رجل بإداوة فيها نطفة من ماء، فأفرغها في قدح، فتوضأنا كلنا، ندغفقه دغفقة، رواه الشيخان.

١٣-بركة التمر

ومن ذلك ما رواه الترمذي عن أبي هريرة، قال أتيت النبي يومًا بتمرات، فقلت يا رسول الله ادع فيهن بالبركة، فضمهن، ثم دعا لي فيهن، ثم قال "خذهن، فاجعلهن في مزودك هذا أو في المزود، فكلما أردت أن تأخذ منه شيئًا أدخل يدك فيه، وخذ ولا تنثره نثرًا" ففعلت، فلقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله، فكنا نأكل منه ونطعم، وكان لا يفارق حقوي، حتى كان يوم قتل عثمان انقطع والله أعلم.

١٤-إطعامه (بني المطلب بذراع جزور وعس من لبن)

فقد ذكر أهل النقل أنه لما نزل على النبي (**(وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ)** أمر عليًا، فقال له "يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعًا، وعرفت أني متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمت عليها، حتى جاءني جبريل، فقال لي يا محمد إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك. فاصنع لنا صاعًا من طعام، واجعل عليها رجل شاة، واملأ لنا عسًا من لبن.

ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أبلغهم ما أمرت به، ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس ـ رضي الله عنهما ـ وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه، دعاني بالطعام الذي صنعته، فجئت به.

فلما وضعته تناول رسول الله جذية من اللحم فشقها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصحفة ثم قال خذ باسم الله، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل مثل ما قدمت لجميعهم.

ثم قال اسق القوم، فجئتهم بذلك العس، فشربوا حتى رووا جميعا، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب
مثله.

فقال الغد "يا علي إن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت، فتفرق القوم قبل أن أكلمهم، فعد لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم" ففعلت، ثم جمعتهم، فدعاني بالطعام، فقربته ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا وشربوا.

ثم تكلم رسول الله فقال يا بني عبد المطلب إني قد جئتكم بخيري الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه وعرض عليهم مؤازرته على ذلك، فلم يجبه إلا علي بن أبي طالب ، فهذا من الأمور الخارقة للعادة، أظهره الله على يدي نبيه تصديقًا له.

١٥-من معجزاته البلح

ألم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم : أشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وكان الرسول إذا ما أعجبه أمر في سيرته ذاتها يقول : أشهد أني رسول الله . . إنّه يقولها بفرحة .
ومثال ذلك ما روي « عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : » كان بالمدينة يهودي وكان يسلفني في تمري إلى الجذاذ ، وكان لجابر الأرض التي بطريق رومة فجلست فخلا عاما فجاءني اليهودي عند الجذاذ ولم أجد منها شيئا فجعلت أستنظره إلى قابل « أي أطلب منه أن يمهلني إلى عام ثان » فيأبى فَأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لأصحابه :

امشوا نستنظر لجابر من اليهودي فجاءوني في نخلي ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يكلم اليهودي فيقول (اليهودي) أبا القاسم ، لا أنظره فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم قام فطاف في النخل ثم جاءه فكلمه فأبى فجئت بقليل رطب فوضعته بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فأكل ثم قال : أين عريشك يا جابر فأخبرته ، فقال : افرش لي فيه ففرشته ، فدخل فرقد ثم استيقظ فجئته بقبضة أخرى فأكل منها ، ثم قام فكلم اليهودي فأبى عليه ، فقام في الرطاب في النخل الثانية ثم قال يا جابر ، جدّ واقض فوقف في الجداذ فَجذدْتُ منها ما قضيته ، وفضل منه فخرجت حتى جئت النبي صلى الله عليه وسلم فبشرته فقال : أشهد أني رسول الله « .

١٦-بركة الطعام : فى غزوة تبوك وعند حفر الخندق عندما بارك الله فى عنزة صغيرة فاكل منها الجميع

السادس: معجزات الشفاء

١- شفاء كسر الرجل

ومنها أنها انكسرت رجل عبد الله بن عتيك بعدما قتل أبا رافع الذي يؤذي النبي قال فانتهيت إلى النبي (فحدثته فقال لي "ابسط رجلك" فبسطت رجلي فمسحها فكأنها لم أشتكها قط.

٢-شفاء على

وعن علي قال كنت شاكيًا فمربي رسول الله وأنا أقول اللهم إن كان أجلي قد حضر فأرحني وإن كان متأخرًا فارفعني وإن كان بلاء فصبرني.
فقال رسول الله كيف قلت فأعاد عليه ما قال فضربه برجله وقال اللهم عافه أو أشفه شك شعبة قال فما اشتكيت وجعي بعد. قال الترمذي حديث حسن صحيح.

٣-رد عين قتادة

ومن ذلك رد عين قتادة بن النعمان فقد أصيبت عينه في غزوة أحد حتى وقعت على وجنته فردها النبي فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظرًا
والله أعلم وصلى الله على محمدٍ وآله وسلم.

٤-ابراء عين(على) من الرمد

ومن ذلك ما في غزوة خيبر من أنه أرسل إلى علي وهو أرمد فبصق في عينيه فبرئ كأن لم يكن به وجع.

٥-شفاء عين رفاعه بن رافع

ومنها ما ورد عن رفاعة بن رافع، قال رميت بسهم يوم بدر ففقئت عيني، فبصق فيها رسول الله ، ودعا لي، فما آذاني منها شيء بعد.

٦-شفاء ساق سلمه

ومن ذلك ما في صحيح البخاري، عن يزيد بن أبي عبيد، قال: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة، فقلت: يا أبا مسلم ما هذه الضربة، فقال هذه ضربة أصابتني يوم خيبر فقال الناس: أصيب سلمة، فأتيت رسول الله فنفث فيه ثلاث نفثات فما أشتكيها حتى الساعة.

٧-شفاء عتبه من حكة الجلد ،والطيب

وقصة طيب عتبة صاحب رسول الله قالت أم عاصم امرأة عتبة بن فرقد كنا عند عتبة ثلاث نسوة ما منا واحدة إلا وهي تجتهد في الطيب لتكون أطيب من صاحبتها وما يمس عتبة بن فرقد طيبًا إلا أن يلتمس دهنًا وكان أطيب ريحًا منا فقلت له في ذلك.
فقال أصابني الشرى "حكة في الجلد" على عهد رسول الله فأقعدني رسول الله بين يديه فتجردت وألقيت ثيابي على عورتي فنفث رسول الله في كفه ثم دلك بها الأخرى ثم أمرهما على ظهري فعبق بها ما ترون.

السابع:اطاعة الجماد له

١- ثبوت جبل احد ، ومعرفته بالشهيدين

وقصة ارتجاف أحد وذلك أن النبي (صعد أحدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال رسول الله) أثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان.

٢-تسبيح الحصى

ومنها ما رواه البزار من
أن أبا ذر تبع النبي (يومًا، فجلس قال: فجلست عنده، فقال: "يا أبا ذر: ما جاء بك ؟" قلت الله ورسوله،
فجاء أبو بكر فسلم وجلس عن يمينه ، فقال له "ما جاء بك يا أبا بكر ؟" قال: الله ورسوله،
فجاء عمر، فجلس عن يمين أبي بكر، فقال "يا عمر ما جاء بك ؟" قال: الله ورسوله،
ثم جاء عثمان، فجلس عن يمين عمر، فقال "يا عثمان ما جاء بك ؟" قال: الله ورسوله،
فتناول سبع حصيات، أو تسع حصيات، فسبحن في يده، حتى سمعت لهن حنينًا كحنين النحل. ثم وضعهن فخرسن، ثم وضعهن في يد أبي بكر فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنينًا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر فسبحن في يده، حتى سمعت لهن حنينًا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان، فسبحن في يده، حتى سمعت لهن حنينًا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن. وقال الزهري يعني الخلافة.

٣-عود الحطب الذى تحول الى سيف

وقصة عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي حينما اندفع يقاتل المشركين يوم بدر ويحصد فيهم حصدًا حتى انكسر سيفه فلم يثنه ذلك عن خوض المعركة ولم يتخذ من كسر سيفه معذرة

عن القتال فجاء إلى النبي يخبره بكسر سيفه وإرادة غيره فدفع له جذلاً من حطب فقال له قاتل بهذا يا عكاشة.
فلما أخذه عكاشة من رسول الله هزه فعاد في يده سيفًا صارمًا طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين ولم يزل عنده ذلك السيف يشهد به المشاهد مع رسول الله (حتى استشهد في قتال الردة في خلافة أبي بكر الصديق)

٤-حنين الجذع

وقصة حنين الجذع ما ورد عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ألا أجعل لك شيئًا تقعد عليه فإن لي غلامًا نجارًا قال إن شئت قال فعملت له المنبر فلما كان يوم الجمعة قعد النبي على المنبر الذي صنع فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت أن تنشق فنزل النبي حتى أخذها فضمها إليه فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكت.

٥-ضوء العرجون

وقصة قتادة بن النعمان فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله (خرج ذات ليلة لصلاة العشاء وهاجت الظلماء من السماء وبرقت برقة فرأى رسول الله (قتادة بن النعمان فقال رسول الله (قتادة ؟ قال نعم يا رسول الله علمت إن شاهد الصلاة الليلة قليل فأحببت أن أشهدها.
فقال له رسول الله إذا انصرفت فأتني فلما انصرف أعطاه رسول الله عرجونًا وقال "خذه فسيضيء أمامك عشرًا وخلفك عشرًا".

٦-دعوته للشجرة

وروي الإمام أحمد عن أنس قال جاء جبريل إلى النبي ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء، ضربه بعض أهل مكة فقال مالك قال: فعل هؤلاء وفعلوا، قال: فقال له جبريل أتحب أن أريك آية ؟ قال نعم فنظر إلى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فدعاها فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه فقال مرها فلترجع إلى مكانها فقال لها ارجعي فرجعت حتى عادت إلى مكانها فقال حسبي. والله أعلم وصلى الله على محمدٍ وآله وسلم.

٧-انقياد الشجر

وفي صحيح مسلم من حديث جابر قال: "سرنا مع رسول الله حتى نزلنا واديًا أفيح فذهب رسول الله يقضي حاجته فاتبعته بإداوة من ماء فنظر رسول الله فلم ير شيئًا يستتر فإذا شجرتان بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال: انقادي علي بإذن الله.
فانقادت معه كالبعير المخشوم الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بعض أغصانها فقال: انقادي علي بإذن الله فانقادت كذلك حتى إذا كان بالمنتصف فيما بينهما فلاءم بينهما حتى جمع بينهما، فقال: التئما علي بإذن الله فالتأمتا عليه.

فخرجت أحضر مخافة أن يحس رسول الله بقربي فتباعدت فجلست أحدث نفسي فحانت مني لفتة فإذا أنا برسول الله مقبلاً وإذا الشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق" وذكر الحديث

٨-طاعة حراء له

ومن ذلك ما ورد عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه، عن أبي هريرة قال: صعد النبي حراء، ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير، وطلحة، وسعيد، فتحرك الجبل، فقال النبي اسكن حراء، فليس عليك إلا نبي أو صديق، أو شهيد، فسكن الجبل

٩-الكدية، وهي الصخرة الصلبة، التي لا تعمل فيها المعاول

فشكوها إلى رسول الله ، فدعا بإناء من ماء، فتفل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به، ثم نضح الماء على تلك الكدية، فيقول من حضرها، فوالذى بعثه بالحق نبيًا لانهالت، حتى عادت كالثيب، لا ترد فأسًا، ولا مسحاة.

١٠-سقوط الأصنام، بإشارة من قضيب

كان في يده فإنه كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما، أرجلها مثبتة بالرصاص، في الحجارة تثبيتًا محكمًا، فلما دخل عام الفتح إلى المسجد الحرام، جعل يشير بقضيب في يده، إلى تلك الأصنام فوقعت لوجوهها، وظهورها، حسب إشارته.

١١-فرح حراء وثور

حيث كانت الحجارة تَغَارُ وتحسد حِراء؛ لأن المصطفى صلى الله عليه وسلم كان يتعبَّد به قبل البَعْثة ، فحِراء شاهدُ تعبُّد لرسول الله يزهو بهذه الصحبة ، فلما نزل رسول الله بغار ثور عند الهجرة فرح ثور؛ لأنه صار في منزلة حراء

١٢-عندما ضرب الرسول حجرا فى حفر الخندق فتطاير منها

فى اول ضربة شعاع اضاء نحو الشام فقال النبى : انى لارى قصور الشام وهو يكبر
فى ثانى ضربة شغاغ اضاء نحو اليمن فقال النبى انى لانظر قصور اليمن وهو يكبر
فى ثالث ضربة شعاع اضاء نحو الفرس فقال النبى انى لانظر قصور الفرس وهو يكبر
وقد تحقق ذلك فى فتح الشام واليمن والفرس

الثامن: الاستسقاء

١- **ومن ذلك استسقاؤه واستصحاؤه.** ففي الصحيحين عن أنس أنه رفع يديه ثم قال: "اللهم أغثنا اللهم أغثنا" قال أنس والله ما نرى في السماء من سحاب ولا من قزعة وإن السماء لمثل الزجاجة وما بيننا وبين سلع من دار.

فوالذي نفسي بيده ما وضع يديه حتى ثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل من منبره حتى رأيت المطر يتحدر عن لحيته، وفي رواية أخرى قال: "فلا والله ما رأيت الشمس سبتًا قال: ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة فاستقبله قائمًا فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله أن يمسكها عنا، قال فرفع رسول الله يديه ثم قال: "اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر"، قال فما يشير بيده إلى ناحية إلا انفرجت حتى رأيت المدينة في مثل الجوبة وسال الوادي قناة شهرًا.

٢-الاستسقاء و ابو لبانة

ومن ذلك أنه استسقى مرة، فقام أبو لبانة، فقال يا رسول الله إن التمر في المرابد. فقال "اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبانة عريان فيشد مربده بإزاره" فأمطرت فاجتمعوا إلى أبي لبانة فقالوا إنها لن تقلع حتى تقوم عريانًا فتشد ثعلب مربدك بإزارك ففعل فأقلعت السماء.

٣-إنزال المطر على المجاهدين مع النبي

فأطفأ الغبار، وتلبدت به الأرض، حتى ثبتت الأقدام، وتوضؤا منه، وسقوا الركاب، وملوا الأسقية، وزالت عنهم وسوسة الشيطان، وذلك أنهم نزلوا يوم بدر على كثيب أعفر، تسيخ فيه الأقدام، وحوافر الدواب، وقد سبقهم الكفار إلى ماء بدر، وأصبح المسلمون بعضهم محدثين، وبعضهم مجنبين، وأصابهم الظمأ، ووسوس إليهم الشيطان، وقال: تزعمون أنكم على الحق، وفيكم نبي الله، وأنكم أولياء الله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلون مجنبين، ومحدثين، فكيف ترجون أن تظهروا عليهم، وأصاب المشركين من ذلك المطر ما لم يقدروا على أن يرحلوا معه.

٤-دعاؤه فى ساعة العسرة

ومنها ما روي أنه قيل لعمر بن الخطاب حدثنا عن شأن ساعة العسرة فقال عمر خرجنا إلى تبوك في قيض شديد فنزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع وحتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ثم يجعل ما بقي على كبده. فقال أبو بكر الصديق يا رسول الله إن الله قد عودك في الدعاء خيرًا فادع الله لنا فقال أو تحب ذلك قال نعم فرفع رسول الله يديه إلى السماء فلم يرجعهما حتى قالت السماء - أي آذنت بمطر فأطلت ثم سكبت فملؤا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نرها جاوزت العسكر.

التاسع:العصمة من الناس

١-حماية الله له من اربد وعامر

ومن ذلك أن عامر بن الطفيل، وأربد بن قيس، وهو أخو لبيد بن ربيعة، وفدا على رسول الله ، في قومهما من بني عامر، فقال عامر لأربد، إذا قدمنا على محمد، فإني شاغل عنك وجهه، فاعله أنت بالسيف، حتى تقتله، قال أربد أفعل ثم أقبل عامر يمشي، وكان رجلاً جميلاً، حتى

قام على رأس رسول الله فقال يا محمد، ما لي إن أسلمت، فقال لك ما للإسلام وعليك ما على الإسلام، قال ألا تجعلني الوالي من بعدك.

قال ليس ذلك لك، ولا لقومك، ولكن لك أعنة الخيل، تغزو بها، قال أو ليست لي اليوم، ولكن اجعل لي ولك المدد، قال ليس ذلك لك، فقال قم يا محمد، إلى ههنا، فقام إليه، فوضع عامر يده بين منكبيه، ثم أومأ إلى أربد، أن اضرب، فسل أربد سيفه، قريبًا من ذراع، ثم أمسك الله يده، فلم يستطع أن يسله ولا يغمده.

فالتفت رسول الله إلى أربد، فرآه على ما هو عليه، فقال اللهم اكفنيهما بما شئت اللهم اهد بني عامر، واغن الدين عن عامر، فانطلقا وعامر يقول، والله لأملأنها عليك خيلاً دهمًا، ووردًا، فقال رسول الله يأبى الله ذلك، وأبناء قيلة، يعني الأنصار، ثم قال عامر لأربد، ويلك لماذا أمسكت عنه ؟ فقال والله ما هممت به مرة، إلا رأيتك، ولا أرى غيرك، أفأضربك بالسيف.

وسار عامر، فطرح الله عليه الطاعون في عنقه، فقتله، في بيت امرأة من بني سلول، وجعل يقول يا آل عامر، غدة كغدة البعير، وموت في بيت سلولية، وانتهت حياته لعنه الله، وأما أربد، فقدم على قومه، فقالوا ما وراءك، يا أربد، فقال والله لقد دعانا محمد، إلى عبادة شيء، لوددت أنه عندي الآن، فأرميه بنبلي هذا، حتى أقتله.

ثم خرج بعد مقالته بيوم أو يومين، ومعه جمال له تتبعه فأرسل الله عليه صاعقة، فأحرقته، وقيل نزل في صاعقته "هو الذي يريكم البرق خوفًا وطمعًا - إلى قوله ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء".

٢-حماية الله له من معمر بن يزيد

ومنها ما ذكره في أعلام النبوة، أن معمر بن يزيد وكان أشجع قومه، استغاثت به قريش، وشكوا إليه رسول الله (، وكانت بنو كنانة تصدر عن رأيه وتطيع أمره، فلما شكوا إليه قال لهم إني قادم إلى ثلاث، وأريحكم منه، وعندي عشرون ألف مدجج، فلا أرى هذا الحي، من بني هاشم يقدر على حربي.

وإن سألوني الدية، أعطيتهم عشر ديات، ففي مالي سعة وهو مشهور بالشجاعة، والبأس، فلبس يوم وعده قريشًا سلاحه، وظاهر بين درعين، فوافقهم بالحطيم، ورسول الله في الحجر يصلي، وقد عرف ذلك، فما التفت، ولا تزعزع، ولا قصر في صلاة.

فقيل له هذا محمد ساجد، فأهوى إليه، وقد سل سيفه، وأقبل نحوه، فلما دنا منه رمي بسيفه، وعاد، فلما صار إلى باب الصفا، عثر فر درعه، فسقط، فقام وقد أدمى وجهه بالحجارة، يعدو كأشد العدو، حتى بلغ البطحاء، ما يلتفت إلى خلف، فاجتمعوا وغسلوا، عن وجهه الدم، وقالوا: ماذا أصابك، قال ويحكم، المغرور من غررتموه، قالوا ما شانك قال ما رأيت كاليوم، دعوني ترجع إلى نفسي فتركوه ساعة، وقالوا ما أصابك يا أبا الليث، قال إني لما دنوت من محمد، فأردت أن أهوي بسيفي إليه، أهوى إلي من عند رأسه شجاعان، أقرعان، ينفخان بالنيران، تلمع من أبصارهما، فعدوت فما كنت لأعود، في شيء من مساءة محمد.

٣-حماية الله له من كلدة بن اسد

أن كلدة بن أسد أبا الأشد، وكان من القوة بمكان، خاطر قريشًا يومًا في قتل رسول الله ، فأعظموا له الخطر، إن هو كفاهم، فرأى رسول الله في الطريق يريد المسجد، ما بين دار عقيل، وعقال، فجاء كلدة ومع المزراق، فرجع المزراق في صدره، فرجع فزعًا، فقالت له قريش مالك يا أبا الأشد، فقال ويحكم، ما ترون الفحل خلفي، قالوا لا ما نرى شيئا، قال ويحكم فإني أراه، فلم يزل يعدو حتى بلغ الطائف، فاستهزأت به ثقيف، فقال أنا أعذركم، لو رأيتم ما رأيت لهلكتم.
والله أعلم وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وسلم.

٤-إرسال الريح الشديدة على الأحزاب ومنها إرسال الريح الشديدة على الأحزاب، وهم قريش، ومن معهم يوم الخندق أرسلها الله عليهم ليلاً، قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب، انطلقي ننصر رسول الله (، فقالت الشمال غن الحرة لا تسري بليل، وكانت الريح التي أرسلها الله عليهم الصبا، ففروا لشدتها عن بعض أثقالهم وأمتعتهم، ولو أقاموا إلى الصباح لهلكوا جميعا.
وهو المدلول عليه بقوله تعالى **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا)**
ففي خبر القصة أن رسول الله (لما رأى من أصحابه الجزع لطول الحصار، صعد إلى الجبل فدعا الله وكان فيما دعاه أن قال "واصرف عنا شر هؤلاء القوم بقوتك وحولك وقدرتك".
فنزل جبريل يخبره عن الله بأنه استجاب له وأمر الله الريح والملائكة أن يهزموا قريشًا والأحزاب تلك الليلة، فأمر حذيفة بن اليمان أن يدخل معسكرهم أي قريش، ويأتي بأخبارهم وقال له إن الله عز وجل قد أخبرني أنه أرسل على قريش الريح، وهزمهم.
قال فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرًا، ولا نارًا، ولا بناءً، فقطعت أطناب الفسطاط، وقلعت الأوتاد، وأكفأت القدور، وجالت الخيل بعضها في بعض، وكثر تكبير الملائكة في جوانب المعسكر.
قال وقال أبو سفيان يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل، فردوا بغيظهم **(وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ.)**
فالباري جل وعلا أرسل الريح على أولئك المشركين نصرًا لنبيه محمد وتصديقًا لدعوته، واستجابة لدعائه، لعلمه تعالى أن أصحاب محمدٍ ذلك اليوم لا يقومون بقتال أولئك ففي هذه معجزة عظيمة.

٥-وقد بعث إليه ملك الجبال، ليأمره بما شاء
ومن ذلك ما ورد عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ ، أنها قالت للنبي ، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد، قال "لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيته منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل، بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت، وأنا مهموم على وجهي، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، وإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت

فإذا فيها جبريل عليه السلام، فناداني، فقال إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين، فقال النبي "بل أرجو، أن يخرج الله من أصلابهم، من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئًا" متفق عليه.

٦-اخفاء اثره فى غار ثور، ودعاؤه لسراقه

ومن ذلك أنه لما أراد الهجرة، خرج من مكة، ومعه أبو بكر فدخل غارًا في جبل ثور، ليستخفي من قريش، وقد طلبته، وبذلت لمن جاء به مائة ناقة، فأعانه الله بإخفاء أثره، ونسجت العنكبوت على باب الغار.

ولما خرج، لحقه سراقة بن مالك بن جعشم، وهو من جملة من توجه لطلبه، فقال أبو بكر هذا سراقة قد قرب، فقال رسول الله "اللهم اكفنا سراقة" فأخذت الأرض قوائم فرسه إلى إبطها، فقال سراقة، يا محمد ادع الله أن يطلقني، ولك علي أن أرد من جاء يطلبك، ولا أعين عليك أبدًا، فقال "اللهم إن كان صادقًا فأطلق عن فرسه" فأطلق الله عنه، ثم أسلم سراقة وحسن إسلامه.

٧-تثبيت اقدام ابو لهب وامرأته عندما نويا ان يضرانه

ومن ذلك ما ذكره الماوردي في أعلام النبوة، من أن أبا لهب خرج يومًا، وقد اجتمعت قريش، فقالوا له يا أبا عتبة، إنك سيدنا، وأنت أولى بمحمد منا، وإن أبا طالب، هو الحائل بيننا وبينه، ولو قتلته لم ينكر أبو طالب، ولا حمزة، منك شيئًا، وأنت بريء من دمه، نؤدي نحن الدية، وتسود قومك، فقال فإني أكفيكم، ففرحوا بذلك، ومدحته خطباؤهم.

فلما كان في تلك الليلة، وكان مشرفًا عليه، نزل أبو لهب، وهو يصلي وتسلقت امرأة أبي لهب، أم جميل الحائط، حتى وقفت على رسول الله ، وهو ساجد فصاح به، أبو لهب، فلم يلتفت إليه، وهما كانا لا ينقلان أقدامهما، ولا يقدران على شيء، حتى تفجر الصبح، وفرغ رسول الله ، فقال له أبو لهب يا محمد، أطلق عنا، فقال "ما كنت لأطلق عنكما، أو تضمنا لي أنكما لا تؤذياني" قالا: قد فعلنا، فدعا ربه فرجعا.

٨-منع شيبه ان يقتله

ومن ذلك أن الناس لما انهزموا عن رسول الله يوم حنين، وهو معتزل عنهم، رآه شيبة بن عثمان، بن أبي طلحة، فقال اليوم أدرك ثأري من محمد، فأقتله، لأن أبا شيبة قتل يوم أحد في جماعة إخوته وأعمامه، قال شيبة فلما أردت قتله، أقبل شيء حتى تغشى فؤادي فلم أطق ذلك فعلمت أنه ممنوع.

٩-تيبس يدى ابو جهل بالحجرعند اراد ان يقتله

ومن ذلك قصة أبي جهل وحجره، ففي السيرة النبوية أن أبا جهل قال يومًا، يا معشر قريش، إن محمدًا قد أبى إلا ما ترون، من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وشتم آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له غدًا، بحجر ما أطيق حمله، فإذا سجد في صلاته، فضخت به رأسه، فأسلموني عند ذلك، أو امنعوني، فليصنع بعد ذلك عبد مناف ما بدا لهم، قالوا: والله لا نسلمك لشيء أبدًا، فامض لما تريد.

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرًا كما وصف، ثم جلس لرسول الله ينتظره، وغدا رسول الله كما كان يغدو، فقام يصلي، وقد غدت قريش، فجلسوا في أنديتهم، ينتظرون ما أبو جهل فاعل، فلما سجد رسول الله. احتمل أبو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه، رجع منهزمًا، منتقعًا لونه، مرعوبًا، قد يبست يداه على حجره حتى قذف الحجر من يده.

وقام إليه رجال من قريش فقالوا له: ما لك يا أبا الحكم ؟ قال: قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت منه، عرض لي دونه، فحل من الإبل، لا والله ما رأيت مثل هامته، ولا قصرته، ولا أنيابه، لفحل قط، فهم بي أن يأكلني، وروي أن رسول الله قال: ذلك جبريل لو دنا لأخذه.

١٠-فرار ابو جهل لما قرريعفر وجهه الشريف بالتراب

ومنها قصة أخرى مع أبي جهل فعن أبي هريرة، قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا: نعم. قال: فقال واللات والعزي، لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه في التراب، فأتى رسول الله وهو يصلي ليطأ على رقبته، قال فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه.

قال: فقيل لها ما لك، فقال: إن بيني وبينه خندقًا من نار، وهولاً، وأجنحة، قال فقال رسول الله ("لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا" قال: فأنزل الله لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا (كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى(إلى آخر السورة.)

١١-ومنها قتال الملائكة معه يوم أحد

ففي الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص، قال رأيت رسول الله يوم أحد، ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثياب بيض، كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد.

١٢-صرف النبل عنه يوم احد

ومنها ما ورد عن نافع بن جبير، قال سمعت رجلاً من المهاجرين يقول شهدت أحد، فنظرت إلى النبل يأتي من كل ناحية، ورسول الله وسطها، كل ذلك يصرف عنه.

١٣-ماحدث للنصرانى بعد ان كذب محمد ص

ومن ذلك ما في صحيح البخاري عن أنس قال كان رجل نصرانيًا فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران فكان يكتب للنبي

فعاد نصرانيًا، فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له، فأماته الله فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا هذا فعل محمد وأصحابه، لما هرب منهم، نبشوا عن صاحبنا، فألقوه،
فحفروا له، فأعمقوا، فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا هذا فعل محمد وأصحابه، نبشوا عن صاحبنا، لما هرب منهم فألقوه خارج القبر
فحفروا وأعمقوا له في الأرض، ما استطاعوا، فأصبح قد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه.

العاشر:اجابته على الايات

١-سؤال اليهودى

ومن ذلك ما ورد عن صفوان بن عسال: قال بعض اليهود لصاحبه، اذهب بنا إلى هذا النبي، فقال له صاحبه، لا تقل نبي، إنه لو سمعك كان له أربعة أعين، فأتيا النبي فسألاه عن تسع آيات بينات.
فقال لهم "لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا محصنة، ولا تولوا الأدبار يوم الزحف، وعليكم خاصة اليهود، أن تعدوا يوم السبت" فقبلا يده، ورجله، وقالا: نشهد أنك نبي.
فقال "ما يمنعكما أن تتبعاني ؟" قالا إن داود دعا ربه، أن لا يزال من ذريته نبي، وإنا نخاف إن اتبعناك، تقتلنا اليهود، للترمذي والنسائي.

٢-اجابته على اسئلة عبد الله بن سلام

ومنها ما رواه البخاري عن أنس قال: بلغ عبد الله بن سلام، مقدم النبي المدينة فأتاه، وقال: إني سائلك عن ثلاث، لا يعلمهن إلا نبي، ما أول أشراط الساعة، وما أول طعام يأكله أهل الجنة، ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه، ومن أي شيء ينزع إلى أخواله، فقال "أخبرني بهن آنفًا جبريل" قال: عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة.
"أما أول أشراط الساعة، فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة، فزيادة كبد الحوت، وأما الشبه في الولد، فإن الرجل إذا غشى المرأة فسبقها ماؤه، كان الشبه له، وإذا سبقت كان الشبه لها" قال أشهد أنك رسول الله، الحديث.

٣- عبد الله بن سلام

عن العرباض بن سارية قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} انا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى عليهما السلام
عن جده عبد الله بن سلام أنه لما سمع بمخرج النبي {صلى الله عليه وسلم} بمكة خرج فلقيه فقال له النبي {صلى الله عليه وسلم} انت ابن سلام عالم اهل يثرب قال نعم قال ناشدتك بالله الذي انزل التوراة على موسى هل تجد صفتي في كتاب الله قال انسب ربك يا محمد فارتج النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال له جبرئيل قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن

له كفوا احد فقال ابن سلام أشهد أنك رسول الله وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان وإني لأجد صفتك في كتاب الله يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يستقيم به الملة المعوجة حتى يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا

احدى عشر:دعاؤه المستجاب

١-دعوته على المستهزئين

ومنها أخذ الله المشركين المستهزئين بالنبي (بما شغلهم عنه وأزال منعهم إياه عن تبليغ الرسالة، وهو المشار إليه بقوله تعالى **(إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ).**

وهم خمسة نفر من رؤساء قريش،

الوليد بن المغيرة المخزومي، وكان رأسهم،

والعاص بن وائل السهمي،

والأسود بن عبد المطلب ابن الحارث بن أسد بن عبد العزي بن زمعة.

وكان رسول الله (قد دعا عليه، فقال "اللهم اعم بصره، وأثكله بولده")

والأسود بن عبد يغوث بن وهب،

والحارث بن قيس بن الطلاطلة.

٢-فأتى جبريل النبي والمستهزون يطوفون بالبيت.

فقام جبريل إلى جنبه،

فمر به الوليد بن المغيرة، فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا، فقال "بئس عبد الله" فقال قد كفيته، وأومأ إلى ساق الوليد، فمر برجل من خزاعة نبال يريش نباله، وعليه برد يماني، وهو يجر إزاره، فتعلقت شظية من نبله بإزاره، فمنعه الكبر أن يطأطئ رأسه فينزعها وجعلت تضرب ساقه، فخدشته فمرض منها فمات.

ومر به العاص بن وائل، فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد، قال "بئس عبد الله"، فأشار جبريل إلى أخمص رجليه، وقال قد كفيته، فخرج على راحلته، ومعه ابنان له يتنزه، فنزل شعبًا من تلك الشعاب، فوطئ على شبرقة، فدخلت منها شوكة في أخمص رجله، فقال لدغت لدغت، فطلبوا فلم يجدوا شيئًا، وانتفخت رجله، حتى صارت مثل عنق البعير، فمات مكانه.

فمر به الأسود بن عبد المطلب، فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد، قال "بئس عبد الله" فأشار بيده إلى عينيه، وقال: قد كفيته، فعمي، قال ابن عباس رماه جبريل بورقة خضراء، فعمي فذهب بصره، ووجعت عيناه، فجعل يضرب برأسه الجدار، حتى هلك.

ومر به الأسود بن عبد يغوث، فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد، قال "بئس عبد الله على أنه ابن خالي" فقال: قد كفيته. وأشار إلى بطنه، فاستسقى بطنه فمات، ومر به الحارث بن قيس قال جبريل كيف تجد هذا يا محمد، فقال "عبد سوء" فأومأ إلى رأسه، وقال قد كفيته، فامتخط قيحا، فقتله، وقيل أكل حوتًا مالحًا، فلم يزل يشرب حتى انقد بطنه.

٣-ومن ذلك دعاؤه (للنابغة الجعدي، بقوله له "لا يفضفض الله فاك"
فعمر، وكان أحسن الناس ثغرًا، كلما سقطت له سن، نبتت له أخرى.

٤-ومن ذلك دعاؤه على مضر، وإمساك القطر عنهم
فإنهم لما كذبوه، وآذوه، في نفسه، وأصحابه، دعا عليهم فقال "اللهم اشدد وطأتك على مضر وابعث عليهم سنين كسني يوسف (" فأمسك عنهم القطر، حتى جف النبات، والشجر، وماتت الماشية، وحتى اشتووا القد، وأكلوا العلهر، وتفرقوا في البلاد، لشدة الحال.
فوفد حاجب بن زرارة، إلى كسرى فشكا إليه ما نالهم، وسأله أن يأذن له في الرعي، بالسواد، ورهنه قوسه.
والقصة مشهورة، يسوقها أهل التفسير، عند قول الله تعالى: (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ).

٥-دعاءه لعلى
ومن ذلك ما روي عن علي بن أبي طالب قال: بعثني رسول الله إلى اليمن فقلت يا رسول الله تبعثني وأنا حدث السن لا علم لي بالقضاء قال "انطلق فإن الله تعالى سيهدي قلبك ويثبت لسانك" قال علي فما شككت في قضاء بين اثنين ولذلك قال "أقضاكم علي".

٦-ومنها إجابة دعائه (لأبي هريرة، في تحبيبه إلى الناس وأمه)
فقد ورد عن أبي هريرة (أنه قال، والله ما خلق الله مؤمنا يسمع بي أو يراني إلا أحبني، قال إن أمي كانت امرأة مشركة، وإني كنت أدعوها إلى الإسلام، وكانت تأبى علي فدعوتها يومًا، فأسمعتني في رسول الله (ما أكره.
فأتيت رسول الله (وأنا أبكي فقلت يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام، فكانت تأبي علي، وإني دعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال "اللهم اهد أم أبي هريرة" فخرجت أعدو أبشرها، بدعاء رسول الله (.
فلما أتيت الباب إذا هو مجاف، وسمعت خضخضة، (خشخشة) وسمعت خشف رجل - يعني وقعها، فقالت يا أبا هريرة كما أنت، ثم فتحت الباب، وقد لبست درعها، وعجلت عن خمارها أن تلبسه، وقالت أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، فرجعت إلى رسول الله أبكي من الفرح، كما بكيت من الحزن.
فقلت يا رسول الله أبشر، فقد استجاب الله دعاءك، قد هدى الله أم أبي هريرة، وقلت يا رسول الله، ادع الله أن يحببني وأمي إلى عباده المؤمنين.
فقال "اللهم حبب عبيدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحببهم إليهما" قال أبو هريرة، فما خلق الله من مؤمن يسمع بي ولا يراني أو يرى أمي إلا وهو يحببني.

٧-دعاؤه لابى هريرة

ومنها قصة أخرى، مع أبي هريرة، وهي ما ورد عن سعيد المقبري عن أبي هريرة، قال قلت يا رسول الله، إني أسمع منك حديثًا كثيرًا فأنساه فقال "ابسط رداءك" فبسطته، ثم قال "ضمه"، فضممته، فما نسيت حديثًا بعد، رواه البخاري.

وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان، عن الزهري، عن عبد الرحمن الأعرج، قال سمعت أبا هريرة يقول إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله (، والله الموعد إني كنت امرأ مسكينًا، أصحب رسول الله على ملء بطني، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق في الأسواق، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم، فحضرت من رسول الله يوما مجلسًا، فقال "من بسط رداءه حتى أقضي مقالتي ثم يقبضه إليه فلن ينسى شيئًا سمعه مني" فبسطت بردة علي، حتى قضى مقالته، ثم قبضتها إلي، فوالذي نفسي بيده، ما نسيت شيئا سمعته منه بعد ذلك.

اللهم ثبت محبتك في قلوبنا وقوها ونور قلوبنا بنور الإيمان واجعلنا هداة مهتدين وتوفنا مسلمين والحقنا بالصالحين واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

٨-دعاؤه لجمل جابر بن عبد الله

ومنها قصة جمل جابر بن عبد الله، فعنه أنه كان على جمل له قد أعيا فأراد أن يسيبه قال، فلحقني النبي فدعا لي وضربه، فسار سيرًا لم يسر مثله، فقال "بعنيه بأوقية" قلت: لا، ثم قال "بعنيه" فبعته بأوقية، واشترطت حملانه إلى أهلي، فلما بلغت أتيته بالجمل، فنقدني ثمنه، ثم رجعت فأرسل في أثري، فقال "أتراني ماكستك لآخذ جملك، خذ جملك ودراهمك فهو لك" متفق عليه.

٩-ومنها دعاؤه لأبي طلحة وأم سليم، واستجابة الله لدعوته

فعن أنس قال: كان لأبي طلحة ابن يشتكي فخرج أبو طلحة فقبض الصبي، فلما رجع أبو طلحة قال ما فعل الصبي قالت أم سليم وهي أم الصبي، هو أسكن ما كان، فقربت له العشاء، فتعشى، ثم أصاب منها فلما فرغ قالت: واروا الصبي.

فلما أصبح أبو طلحة، أتى رسول الله فأخبره، فقال أعرستم الليلة، قال نعم، قال "اللهم بارك لهما" فولدت غلامًا، فقال لي أبو طلحة، احمله، حتى تأتي به النبي ، وبعث معه بتمرات، فقال "أمعه شيء ؟" قال: نعم، تمرات، فأخذها النبي ، فمضغها، ثم أخذها من فيه، فجعلها في الصبي، ثم حنكه، وسماه، عبد الله، وفي رواية للبخاري قال ابن عيينة فقال رجل من الأنصار - فرأيت تسعة أولاد، كلهم قد قرؤا القرآن، يعني من أولاد عبد الله المولود.

١٠-ومن ذلك دعاؤه (على أفراد من المشركين أصحاب القليب)

فعن ابن مسعود قال: بينما رسول الله يصلي عند البيت، وأبو جهل، وأصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل، أيكم يقول إلي سلا جزور بني فلان، فيضعه بين كتفي محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم فأخذه.

فلما سجد النبي وضعه بين كتفيه، فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة، طرحته عن ظهره، والنبي ، ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان إلى فاطمة ل.

فجاءت وهي جويرية، فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضي صلاته ، رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا، دعا ثلاث مرات، وإذا سأل سأل ثلاثًا، فقال اللهم عليك بقريش، فلما سمعوا صوته، ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته.

ثم قال الله عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وذكر السابع، ولم أحفظه، فوالذي بعث محمدًا عليه وسلم بالحق، لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر.

ثم سحبوا إلى القليب، (قليب بدر) أخرجه الشيخان، والنسائي

١١-دعاؤه للسائب بن يزيد

ومنها ما رواه الشيخان عن السائب بن يزيد، قال ذهبت بي خالتي إلى النبي ، فقالت يا رسول الله، إن ابن أختي وجع: فمسح رأسي، ودعا لي بالبركة: فتوضأ، فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره، فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه، مثل زر الحجلة، وقال الجعيد، رأيت السائب بن يزيد، ابن أربع وتسعين، جلدًا معتدلاً: فقال قد علمت ما متعت به سمعي وبصري إلا بدعاء النبي.

١٢-دعاؤه لابو زيد بن اخطب

ومنها ما رواه الترمذي، قال أبو زيد بن أخطب، مسح النبي بيده على وجهي، ودعا لي: قال عزرة: فلقد رأيته بعد ما عاش عشرين ومائة سنة، وليس في لحيته إلا شعيرات تعد بيض.

١٣-ومنها دعاؤه لأنس بن مالك، واستجابة الله لدعائه،

فعن أنس ، قال جاءت بي أمي أم أنس إلى رسول الله ، وقد آزرتني بنصف خمارها، وردتني بنصفه، فقالت يا رسول الله، هذا أنيس، ابني أتيتك به يخدمك، فادع الله له، فقال "اللهم أكثر ماله، وولده".

قال أنس، فوالله إن مالي كثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المائة اليوم، أخرجه مسلم، وعن أبي خلدة خالد بن دينار، قال قلت لأبي العالية، سمع أنس من رسول الله ، قال خدمه عشر سنين، ودعا له، وكان له بستان يحمل في النسة الفاكهة مرتين، وكان، فيه ريحان، يجيء منه ريح المسك، أخرجه الترمذي.

١٤-دعاؤه على عتبه بن ابى لهب

ومن ذلك ما روي أن النبي لما تلا (**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى**) قال عتبة بن أبي لهب، كفرت بالذي دنا فتدلى، فقال النبي "اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك" يعني الأسد، فخرج عتبة مع أصحابه، في عير إلى الشام، حتى إذا كانوا في طريقهم، زأر الأسد، فجعلت فرائص عتبة ترتعد، فقال

أصحابه من أي شيء ترتعد، فوالله ما نحن وأنت إلا سواء، فقال إن محمدًا دعا علي، وما ترد له دعوة، ولا أصدق منه لهجة.
فوضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه، وحاط القوم أنفسهم بمتاعهم وجعلوا عتبة وسطهم وناموا، فجاء الأسد يشم رؤوسهم رجلاً رجلاً، حتى انتهي إلى عتبة، فهشمه هشمة أوصلته إلى آخر رمق، فقال وهو بآخر رمق، ألم أقل لكم إن محمدًا أصدق الناس لهجة.

١٥-دعاؤه لابن العباس

ومن ذلك قوله لابن عباس، وهو يومئذ غلام: "اللهم فقهه في الدين، وعلم التأويل" فخرج أفقه الناس في الدين، وأعلمهم بالتأويل، حتى سمي البحر، لسعة علمه،

اثنى عشر: الترغيب

عرض عتبة بن ربيعة

ومن أعلام نبوته ، ما يلي: قال محمد بن كعب القرظي، حدثت أن عتبة بن ربيعة كان سيدًا حليمًا، قال يومًا وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله جالس، وحده في المسجد، قال يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد، وأكلمه، وأعرض عليه أمورًا، لعله يقبل منا بعضها فنعطيه، ويكف عنا، وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحاب رسول الله (، يزيدون ويكثرون.) فقالوا بلى، يا أبا الوليد، فقم إليه فكلمه، فقام عتبة، حتى جلس إلى رسول الله (، فقال يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكان في النسب وإنك قد أتيت قومك، بأمر عظيم، فرقت جماعتهم وسفهت أحلامهم، وعبت آلهتهم، وكفرت من مشي من آبائهم فاسمع مني، أعرض عليك أمورًا تنظر فيها، فقال رسول الله ((قل يا أبا الوليد).
فقال يا ابن أخي، إن كنت تريد شرفًا، سودناك علينا، وإن كنت تريد مالاً بما جئت به، جمعنا لك من أموالنا، حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كان الذي بك رئيًا، لا نستطيع رده، طلبنا لك الطب، ولعل هذا شعر جاش بصدرك، فإنكم لعمري بني المطلب تقدرون من ذلك ما لا يقدر عليه غيركم،
حتى إذا فرغ ما عنده، من سائر الأمور التي يزعم إنها ترده عما يقول، فقال له رسول الله ("أو قد فرغت يا أبا الوليد ؟" قال نعم.
قال "فاستمع مني" قال فافعل فقال **(بِسْمِ اللهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيم ، حم (١) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)** ثم مضي فيها يقرأ، فلما سمعها عتبة، أنصت له، وألقى يديه خلف ظهره، معتمدًا عليها يستمع منه، حتى انتهى رسول الله إلى السجدة فسجد، ثم قال "قد سمعت يا أبا الوليد فأنت وذاك"
فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض نحلف بالله، لقد جاءكم أبو الوليد، بغير الوجه الذي ذهب به.
فلما جلس فيهم قالوا ما وراءك، يا أبا الوليد، فقال ورائي إني سمعت قولاً، والله ما سمعت بمثله قط، ما هو بالشعر، ولا السحر، ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، واعتزلوه، فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد

كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب، فملكه ملككم، وعزه عزكم، فأنتم أسعد الناس به، فقالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه فقال هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم.

الثالث عشر: معرفة الحيوان بمحمد ص

١- كلام الذئب في محمد(ص)

ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه، فقال ألا تتقي الله تنزع مني رزقًا ساقه الله إلي، فقال يا عجبي ذئب يكلمني كلام الإنس، فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك، محمد (بيثرب، يخبر الناس بأنباء ما قد سبق، قال فأقبل الراعي يسوق غنمه، حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها.
ثم أتى رسول الله فأخبره فأمر رسول الله فنودي الصلاة جامعة، ثم خرج فقال للراعي أخبرهم، فأخبرهم، فقال رسول الله "صدق، والذي نفس محمد بيده، لا تقوم الساعة، حتى يكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخده، بما أحدث أهله بعده".
قال ابن كثير وهذا إسناد على شرط مسلم، وقد صححه البيهقي ولم يروه إلا الترمذي من قوله: "والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس" إلى آخره.

٢-سجود البعير له

واخرج البيهقي وأبو نعيم عن عبد الله بن أبي أوفى قال بينما نحن قعود بين يدي النبي {صلى الله عليه وسلم} إذ أتاه آت فقال إن ناضح آل فلان قد أبق عليهم فنهض رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ونهضنا معه فقلنا يا رسول الله لا تقربه فإنا نخافه عليك فدنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من البعير فلما رآه البعير سجد ثم أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وضع يده على رأس البعير فقال هاتوا السفار فجيء بالسفار فوضعه في رأسه وقال ادعوا لي صاحب البعير فدعي له فقال احسن علفه ولا تشق عليه في العمل

وأخرج أحمد وأبو نعيم عن عائشة أن النبي {صلى الله عليه وسلم} كان في نفر فجاء بعير فسجد له وأخرج البزار عن أبي هريرة أن النبي {صلى الله عليه وسلم} دخل حائطا فجاء بعير فسجد له
وأخرج أبو نعيم عن ثعلبة بن أبي مالك قال اشترى إنسان من بني سلمة جملا ينضح عليه فأدخله في مربد فجرد كما يحمل عليه فلم يقدر أحد أن يدخل عليه إلا تخبطه فجاء رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فذكر ذلك له قال افتحوا عنه فقالوا إنا نخشى عليك منه قال افتحة ا عنه ففتحوا فلما رآه الجمل خر ساجدا فسبح القوم فقالوا يا رسول الله كنا نحن أحق بالسجود من هذه البهيمة قال (لو ينبغي لشيء من الخلق أن يسجد لشيء دون الله لانبغى للمرأة أن تسجد لزوجها)

أخرج الطبراني ابو نعيم عن يعلى بن مرة قال خرج النبي {صلى الله عليه وسلم} يوما فجاء بعير يرغو حتى سجد له فقال المسلمون نحن أحق أن نسجد للنبي {صلى الله عليه وسلم} فقال

(لو كنت آمر أحدا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها تدرون ما يقول هذا يزعم أنه خدم مواليه أربعين سنة حتى إذا كبر نقصوا من علفه وزادوا في عمله حتى إذا كان لهم عرس أخذوا الشفار لينحروه فأرسل إلى مة واليه فقص عليهم فقالوا صدق والله يا رسول الله قال إني أحب أن تدعوه لي)

وأخرج أبو نعيم عن بريدة أن رجلا من الأنصار أتى النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال يا رسول الله إن لنا جملا صئولا في الدار وليس أحد منا يستطيع أن يقربه أو يدير أنفه فقام معه النبي {صلى الله عليه وسلم} وقمنا معه فأتى ذلك ال
باب ففتحه فلما رآه الجمل جاء إليه فسجد له ووضع جرانه فأخذ النبي {صلى الله عليه وسلم} برأسه فمسحه ثم دعا بالخطام فخطمه ثم دفعه إلى صاحبه فقال له أبو بكر وعمر قد عرفك يا رسول الله أنك نبي الله قال (إنه ليس من شيء ألا يعرف أني رسول الله غير كفرة الجن والإنس)

٣-استجابة بعير لندائه

واخرج البيهقي والطبراني وأبونعيم عن ابن عباس قال جاء قوم إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} فقالوا يا رسول الله إن بعيرا لنا قطن في حائط فجاء إليه النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال
(تعالى فجاء مطأطئا رأسه فخطمه وأعطاه صاحبه فقال أبو بكر يا رسول الله كأنه علم أنك نبي) فقال (ما بين لابتيها أحد إلا يعلم أني نبي إلا كفرة الجن والانس)
واخرج أحمد وابن أبي شيبة والدارمي وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله قال دفعنا مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى حائط بني النجار فإذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحد إلا شد عليه فأتاه النبي {صلى الله عليه وسلم} فدعاه فجاء واضعا مشفرة في الأرض حتى برك بين يديه فقال هاتوا خطاما فخطمه ودفعه إلى صاحبه ثم التفت فقال (ما بين السماء إلى الأرض إلا يعلم إني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس

٤-البكرة الصعبة

واخرج البيهقي من طريق حماد بن سلمة قال سمعت شيخا من قيس يحدث عن أبيه قال جاءنا النبي {صلى الله عليه وسلم} وعندنا بكرة صعبة لا نقدر عليها فدنا منها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فمسح ضرعها فحفل فاحتلب وشرب

٥-بكاء الجمل

وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي وأبو نعيم عن عبد الله بن جعفر قال دخل النبي {صلى الله عليه وسلم} حائطا لرجل من الأنصار فإذا فيه جمل فلما رأى النبي {صلى الله عليه وسلم} حن إليه وذرفت عيناه فقال من رب هذا الجمل فجاء فتى من الأنصار فقال هو لي فقال ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فانه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه

٦-استغاثة جمل

وأخرج ابن سعد عن الحسن قال بينما رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في مسجده إذ أقبل جمل ناد حتى وضع رأسه في حجر النبي {صلى الله عليه وسلم} وجرجر فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} إن هذا الجمل يزعم أنه لرجل وأنه يريد أن ينحره في طعام عن أبيه الآن فجاء يستغيث ثم أتى صاحبه فسأله فأخبره أنه أراد ذلك فطلب إليه النبي {صلى الله عليه وسلم} أن لا ينحره ففعل

٧-البعير الشارد

وأخرج أبو نعيم من طريق أبي ظلال عن أنس أن رجلا من الأنصار كان له بعير فشرد عليه فقال يا رسول الله إن لي بعيرا قد شرد علي وهو في أقصى
أرضي وأني لا أستطيع أن أدنو منه خشية أن يتناولني فانطلق إليه فلما نظر البعير إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أقبل يحمحم وألقى بجرانه حتى برك عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وجعل عيناه تسيلان فقال يا فلان أرى بعيرك يشكوك فأحسن إليه فجاء بحبل فألقاه في رأسه

٨-شفاء بعير

وأخرج مسلم عن جابر قال غزوت مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فتلاحق بي وتحتي ناضح لي قد أعيي ولا يكاد يسير فقال لي ما لبعيرك قلت عليل فزجره ودعا له فما زال بين يدي الإبل قدامها يسير فقال لي كيف ترى بعيرك قلت بخير قد أصابته بركتك

٩-الظبية ورضاع اولادها

عن أنس بن مالك قال مر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على قوم قد أصابوا ظبية فشدوها إلى عمود فسطاط فقلت يا رسول الله إني وضعت ولي خشفان فاستأذن لي أن أرضعهما حتى أعود فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خلوا عنها حتى تأتي خشفيها فترضعهما وتأتي اليكم قالوا ومن لنا بذالك يا رسول الله قال أنا فأطلقوها فذهبت فأرضعت ثم رجعت إليهم فأوثقوها قال تبيعونها قالوا يا رسول الله هي لك فخلوا عنها فأطلقوها فذهبت
وأخرج البيهقي عن أبي سعيد الخدري قال مر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بظبية مربوطة إلى خبأ فقالت يا رسول الله حلني حتى أذهب فأرضع خشفي ثم أرجع فتربطني فقال رسول الله صيد قوم وربيطة قوم فأخذ عليها فحلفت فما مكثت إلا قليلا حتى جاءت وقد نفضت ما في ضرعها فربطها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فجاء أصحابها فاستوهبها منهم فوهبوها له فحلها

١٠-الحمرة وفرخيها

أخرج البيهقي وأبو نعيم وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن ابن مسعود قال كنا مع النبي {صلى الله عليه وسلم} في سفر فمررنا بشجرة فيها فرخا حمرة فأخذناهما فمرت الحمرة إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} وهي تعرض فقال من فجع هذه بفرخيها قلنا نحن قال ردوهما موضعهما فرددناهما

١١-الدابة لا تهرم ببركته

قال ابن سبع من خصائصه {صلى الله عليه وسلم} أن كل دابة ركبها بقيت على القدر الذي كانت عليه ولم تهرم ببركته {صلى الله عليه وسلم}

١٢-قصة الضب

أخرج الطبراني في الأوسط والصغير وابن عدي والحاكم في المعجزات والبيهقي وابو نعيم وابن عساكر عن عمر بن الخطاب أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كان في محفل من أصحابه إذ جاء إعرابي من بني سليم قد صاد ضبا فقال واللات والعزى لا آمنت بك حتى يؤمن بك هذا الضب فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من أنا يا ضب فقال الضب بلسان عربي مبين يفهمه القوم جميعا لبيك وسعديك يا رسول رب العالمين قال من تعبد فقال الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه قال فمن أنا قال أنت رسول رب العالمين وخاتم النبيين قد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك فأسلم الأعرابي ليس في إسناده من ينظر في حاله سوى محمد بن علي بن الوليد البصري السلمي شيخ الطبراني وابن عدي

١٣-نسج العنكبوت باب الغار وعششت الحمامة

وعند الهجرة نسج العنكبوت باب الغار وعششت الحمامة وباضت كل ذلك فى لحظة من اللحظات

وتعقبه سراقة فساخ فرسه وطلب من الرسول الآمان فقال له الرسول يا سراقة ارجع ولك سوار كسرى ، وفى عهد سيدنا عمر وجيئ بالغنائم وسوار كسرى فينادى عمر يا سراقة هذان سوار كسرى كما وعدك رسول الله

الرابع عشر: الجن

١- ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم أن ابن مسعود سئل من آذن النبي بالجن ليلة استمعوا القرآن، فقال آذنت بهم شجرة.

٢-أخرج الشيخان من طريق محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال إن عفريتا من الجن تفلت علي البارحة ليقطع علي الصلاة فأمكنني الله منه فأخذته وأردت

أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا فتنظروا إليه فذكرت دعوة أخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي فرددته خاسئا

٣-وأخرج من طريق أبي سلمة عن ابن هريرة عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال اعترض لي الشيطان في مصلاي فأخذت بحلقه حتى وجدت برد لسانه على كفي ولولا ما كان من دعوة أخي سليمان لأصبح موثقا تنظرون إليه

الخامس عشر:- ومن ذلك ما أخبر به في حياته وذلك مأخوذ من القرآن،

١- قال تعالى: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ.)
فأخبر أن عمه أبا لهب سيدخل النار هو وامرأته، وعاشا مدة، وقدر الله أنهما ماتا على شركهما، ولم يسلما حتى ولا ظاهراً، وهذا من دلائل النبوة الباهرة.

٢-ومن ذلك ما أتى به في القرآن قال تعالى (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)
وتحداهم بعشر سور، وبسورة من مثله، وأخبر أنهم لن يفعلوا ذلك أبدًا، ولم يقع، ولن يقع: صدق الله العظيم، فهذا من المعجزات الباهرة.

٣-وقال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا) وهكذا وقع سواء سواء، مكن الله هذا الدين وأظهره وأعلاه ونشره في الآفاق وأنفذه وأمضاه.

٤-وقال تعالى: (قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ)،
قيل إنهم فارس وقيل الروم، وقيل هوازن، وثقيف، وغطفان، يوم حنين، وقيل بنو حنيفة، قوم مسيلمة الكذاب، والمهم أنه وقع كما أخبر الله.

٥-وقال تعالى: (وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٢٠) وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا)
وسواء كان هذا خيبر، أو مكة، فقد فتحت، وأخذت كما وقع به الوعد سواء بسواء.

٦-وقال تعالى: (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا)
فوقع إنجاز هذا الوعد في سنة سبع عام عمرة القضاء.

٧-وقال تعالى (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ)
فوقع طبق ما أخبر الله.
٨-وقال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)
وهكذا وقع، فإن الله عوض من أسلم منهم بخيري الدنيا والآخرة.

٩-وقال تعالى (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)
وهكذا وقع عوضهم الله عما كان يغدو إليهم مع حجاج المشركين بما شرعه لهم من قتال أهل الكتاب، وضرب الجزية عليهم، وسلب أموال من قتل منهم على كفره، كما وقع بكفار أهل الشام من الروم، ومجوس الفرس بالعراق، وغيرها من البلدان، التي انتشر الإسلام على أرجائها.

١٠-وقال تعالى (سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ) الآية
وهكذا وقع لما رجع من غزوة تبوك كان قد تخلف عنه طائفة من المنافقين فجعلوا يحلفون بالله، لقد كانوا معذورين في تخلفهم، وهم في ذلك كاذبون فأمر رسول الله أن يجري أحوالهم على ظواهرها، ولا يفضحهم عند الناس.

١١-وقال تعالى: (وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً)
وهكذا وقع لما اشتوروا عليه ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه من بين أظهرهم، المهم أنه وقع كما أخبر سواء بسواء.

١٢-ومن ذلك ما ورد من أن سبب نزول **قول الله تعالى لنبيه (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ)** إلى آخر السورة،
هو أن رهطًا من قريش منهم الحارث بن قيس السهمي، والعاص بن وائل، والوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب بن أسد، وأمية بن خلف، قالوا: يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك، ونشركك في أمرنا كله تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة، فإن كان الذي جئت به خيرًا كنا قد شركناك فيه، وأخذنا حظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيرًا كنت قد شركتنا فيه، وأخذت بحظك منه. فقال "معاذ الله أن أشرك به غيره" قالوا: فاستلم بعض آلهتنا،

نصدقك ونعبد إلهك، فقال لا حتى أنظر ما يأتيني من عند ربي فأنزل الله عز وجل (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ)إلى آخر السورة، فكان كما قال فلم يتبعهم ولم يتبعوه في عبادة الله وحده لا شريك له.

يقول الرازى

١٠- قل

معاني في لفظ (قل)للفخر الرازى

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ

اعلم أن قوله تعالى: فيه فوائد :

١- أنه عليه السلام كان مأموراً بالرفق واللين في جميع الأمور كما قال : { قل }

{ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فضاً غليظ القلب لانفضوا من حولك } [آل عمران : ١٥٩]

{ بالمؤمنين رءوف رحيم } [التوبة : ١٢٨]

{ وَمَا أرسلناك إلاَّ رَحْمَةً للعالمين } [الأنبياء : ١٠٧]

ثم كان مأموراً بأن يدعو إلى الله بالوجه الأحسن : { وجادلهم بالتى هِيَ أَحْسَنُ } [النحل : ١٢٥]

ولما كان الأمر كذلك ، ثم إنه خاطبهم بيا أيها الكافرون فكانوا يقولون : كيف يليق هذا التغليظ بذلك الرفق فأجاب بأني مأمور بهذا الكلام لا أني ذكرته من عند نفسي فكان المراد من قوله : قل تقرير هذا المعنى

٢- أنه لما قيل له : { وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقربين } [الشعراء : ٢١٤] وهو كان يحب أقرباءه لقوله : { قُل لاَّ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ المودة فِى القربى } [الشورى : ٢٣]

فكانت القرابة ووحدة النسب كالمانع من إظهار الخشونة فأمر بالتصريح بتلك الخشونة والتغليظ فقيل له : { قُلْ } ،

٣- أنه لما قيل له : { يأيها الرسول بَلّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ } [المائدة : ٦٧] فأمر بتبليغ كل ما أنزل عليه فلما قال الله تعالى له : { قُلْ يا أَيُّهَا الكافرون } نقل هو عليه السلام هذا الكلام بجملته

٤- أن الكفار كانوا مقرين بوجود الصانع ، وأنه هو الذي خلقهم ورزقهم ، على ما قال تعالى : { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السموات والأرض لَيَقُولُنَّ الله } [لقمان : ٢٥] فلو أنه عليه السلام قال ابتداء : { يأيها الكافرون } لجوزوا أن يكون هذا كلام محمد ، فلعلهم ما كانوا يتحملونه منه وكانوا يؤذونه . أما لما سمعوا قوله : { قُلْ } علموا أنه ينقل هذا التغليظ عن خالق السموات والأرض ، فكانوا يتحملونه ولا يعظم تأذيهم به

٥- أن قوله : { قُلْ } يوجب كونه رسولاً من عند الله ، فكلما قيل له : { قُلْ } كان ذلك كالمنشور الجديد في ثبوت رسالته ، وذلك يقتضي المبالغة في تعظيم الرسول ، فإن الملك إذا فوض مملكته إلى بعض عبيده ، فإذا كان يكتب له كل شهر وسنة منشوراً جديداً دل ذلك على غاية اعتنائه بشأنه

٦- أن الكفار لما قالوا : نعبد إلهك سنة ، وتعبد آلهتنا سنة ، فكأنه عليه السلام قال : استأمرت إليه فيه . فقال : { قُلْ ياأيها الكافرون لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ }
٧- الكفار قالوا فيه السوء ، فهو تعالى زجرهم عن ذلك ، وأجابهم وقال : { إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأبتر } [الكوثر : ٣] وكأنه تعالى قال : حين ذكروك بسوء ، فأنا كنت المجيب بنفسي ، فحين ذكروني بالسوء وأثبتوا لي الشركاء ، فكن أنت المجيب : { قُلْ يا أَيُّهَا الكافرون لاَ أَعْبُدُ مَا تعبدون }

٨- أنهم سموك أبتر ، فإن شئت أن تستوفي منهم القصاص ، فاذكرهم بوصف ذم بحيث تكون صادقاً فيه : { قُلْ يا أيها الكافرون } لكن الفرق أنهم عابوك بما ليس من فعلك وأنت تعيبهم بما هو فعلهم
٩- أن بتقدير أن تقول : يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدونه ، والكفار يقولون : هذا كلام ربك أم كلامك ،
فإن كان كلام ربك فربك يقول : أنا لا أعبد هذه الأصنام ، ونحن لا نطلب هذه العبادة من ربك إنما نطلبها منك
وإن كان هذا كلامك فأنت قلت من عند نفسك إني لا أعبد هذه الأصنام ، فلم قلت : إن ربك هو الذي أمرك بذلك
أما لما قال : قل ، سقط هذا الاعتراض لأن قوله : { قُلْ } يدل على أنه مأمور من عند الله تعالى بأن لا يعبدها ويتبرأ منها
١٠- أنه لو أنزل قوله : { يا أيها الكافرون } لكان يقرؤها عليهم لا محالة ، لأنه لا يجوز أن يخون في الوحي إلا أنه لما قال : { قُلْ } كان ذلك كالتأكيد في إيجاب تبليغ هذا الوحي إليهم ، والتأكيد يدل على أن ذلك الأمر أمر عظيم .
١١- كأنه تعالى يقول كانت التقية جائزة عند الخوف ، أما الآن لما قوينا قلبك بقولنا : { إِنَّا أعطيناك الكوثر } وبقولنا : { إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأبتر } فلا تبال بهم ولا تلتفت إليهم و : { قُلْ يا أَيُّهَا الكافرون لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ }
١٢- أن خطاب الله تعالى مع العبد من غير واسطة يوجب التعظيم ألا ترى أنه تعالى ذكر من أقسام إهانة الكفار ، إنه تعالى لا يكلمهم ، فلو قال : { فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكافرون } لكان ذلك من حيث إنه خطاب مشافهة يوجب التعظيم ، ومن حيث إنه وصف لهم بالكفر يوجب الإيذاء فينجبر الإيذاء بالإكرام ، أما لما قال : { قُلْ يا أَيُّهَا الكافرون } فحينئذ يرجع تشريف المخاطبة إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وترجع الإهانة الحاصلة لهم بسبب وصفهم بالكفر إلى الكفار ، فيحصل فيه تعظيم الأولياء ، وإهانة الأعداء
١٣- قال تعالى : قل يا محمد لهم : أيها الكافرون ليعلموا أنك لما وصفتهم بذلك مع غاية شفقتك عليهم وغاية احترازك عن الكذب فهم موصوفون بهذه الصفة القبيحة ، فربما يصير ذلك داعياً لهم إلى البراءة من هذه الصفة والاحتراز عنها

١٤- أن الإيذاء والايحاش من ذوي القربى أشد وأصعب من الغير فأنت من قبيلتهم ، ونشأت فيما بين أظهرهم فقل لهم : يا أيها الكافرون فلعله يصعب ذلك الكلام عليهم ، فيصير ذلك داعياً لهم إلى البحث والنظر والبراءة عن الكفر

١٥- كأنه تعالى يقول : ألسنا بينا في سورة : { والعصر إنَّ الإنسان لَفِى خُسْرٍ إلاَّ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات وَتَوَاصَوْاْ بالحق وَتَوَاصَوْاْ بالصبر } وفي سورة الكوثر : { إنَّا أعطيناك الكوثر } وأتيت بالإيمان والأعمال الصالحات ، بمقتضى قولنا : { فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانحر } بقي عليك التواصي بالحق والتواصي بالصبر ، وذلك هو أن تمنعهم بلسانك وبرهانك عن عبادة غير الله ، فقل : قل ياأيها الكافرون

١٦- كأنه تعالى يقول : يا محمد أنسيت أنني لما أخرت الوحي عليك مدة قليلة ، قال الكافرون : إنه ودعه ربه وقلاه ، فشق عليك ذلك غاية المشقة ، حتى أنزلت عليك السورة ، وأقسمت بالضحى : والليل إذا سجى أنه ما ودعك ربك وما قلى فلما لم تستجز أن أتركك شهراً ولم يطب قلبك حتى ناديت في العالم بأنه : ما ودعك ربك وما قلى أفتستجيز أن تتركني شهراً وتشتغل بعبادة آلهتهم فلما ناديت بنفي تلك التهمة ، فناد أنت أيضاً في العالم بنفي هذه التهمة و : قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ،

١٧- لما سألوا منه أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة ، فهو عليه السلام سكت ولم يقل شيئاً ، لا لأنه جوز في قلبه أن يكون الذي قالوه حقاً ، فإنه كان قاطعاً بفساد ما قالوه لكنه عليه السلام ، توقف في أنه بماذا يجيبهم؟ ، فاغتنم الكفار ذلك السكوت وقالوا : إن محمداً مال إلى ديننا ، فكأنه تعالى قال : يا محمد إن توقفك عن الجواب في نفس الأمر حق ولكنه أوهم باطلاً ، فتدارك إزالة ذلك الباطل ، وصرح بما هو الحق و : قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون

١٨- أنه عليه السلام لما قال له ربه ليلة المعراج : أثن علي استولى عليه هيبة الحضرة الإلهية فقال : لا أحصي ثناء عليك ، فوقع ذلك السكوت منه في غاية الحسن فكأنه قيل له : إن سكت عن الثناء رعاية لهيبة الحضرة فأطلق لسانك في مذمة الأعداء و : قل يا أيها الكافرون حتى يكون سكوتك الله وكلامك الله ، وفيه تقرير آخر وهو أن هيبة الحضرة سلبت عنك قدرة القول فقل : ههنا حتى إن هيبة قولك تسلب قدرة القول عن هؤلاء الكفار

١٩- لو قال له : لا تعبد ما يعبدون لم يلزم منه أن يقول بلسانه : { لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ } أما لما أمره بأن يقول بلسانه : { لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ } يلزمه أن لا يعبد ما يعبدون إذ لو فعل ذلك لصار كلامه كذباً ، فثبت أنه لما قال له قل : { لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ } فلزمه أن يكون منكراً لذلك بقلبه ولسانه وجوارحه .

٢٠- ذكر التوحيد ونفي الأنداد جنة للعارفين ونار للمشركين فاجعل لفظك جنة للموحدين وناراً للمشركين و : { قُلْ يا أَيُّهَا الكافرون لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ }

٢١- أن الكفار لما قالوا نعبد إلهك سنة ، وتعبد آلهتنا سنة سكت محمد فقال : إن شافهتهم بالرد تأذوا ، وحصلت النفرة عن الإسلام في قلوبهم

٢٢- أنسيت يا محمد أني قدمت حقك على حق نفسي ، فقلت : { لَمْ يَكُنِ الذين كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الكتاب والمشركين } [البينه : ١] فقدمت أهل الكتاب في الكفر على المشركين لأن طعن أهل

الكتاب فيك وطعن المشركين في ، فقدمت حقك على حق نفسي وقدمت أهل الكتاب في الذم على المشركين ،

وأنت أيضاً هكذا كنت تفعل فإنهم لما كسروا سنك قلت : « اللهم أهد قومي » ولما شغلوك يوم الخندق عن الصلاة قلت : « اللهم املأ بطونهم ناراً » فههنا أيضاً قدم حقي على حق نفسك وسواء كنت خائفاً منهم ، أو لست خائفاً منهم فأظهر إنكار قولهم : قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون

٢٣- كأنه تعالى يقول : قصة امرأة زيد واقعة حقيرة بالنسبة إلى هذه الواقعة ، ثم إنني هناك ما رضيت منك أن تضمر في قلبك شيئاً ولا تظهره بلسانك ، بل قلت لك على سبيل العتاب : { وَتُخْفِى فِى نِفْسِكَ مَا الله مُبْدِيهِ وَتَخْشَى الناس والله أَحَقُّ أن تخشاه } [الأحزاب : ٣٧] فإذا كنت لم أرض منك في تلك الواقعة الحقيرة إلا بالإظهار ، وترك المبالاة بأقوال الناس فكيف أرضى منك في هذه المسألة ، وهي أعظم المسائل خطراً بالسكوت ، قل بصريح لسانك : يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون

٢٤- يا محمد ألست قلت لك :

{ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلّ قَرْيَةٍ نَّذِيراً } [الفرقان : ٥١] ثم إني مع هذه القدرة راعيت جانبك وطيبت قلبك وناديت في العالمين بأني لا أجعل الرسالة مشتركة بينه وبين غيره ، بل الرسالة له لا لغيره حيث قلت : { ولكن رَّسُولَ الله وَخَاتَمَ النبيين } [الأحزاب : ٤٠] / فأنت مع علمك بأنه يستحيل عقلاً أن يشاركني غيري في المعبودية أولى أن تنادي في العالمين بنفي هذه الشركة . فقل : وقل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون

٢٥- كأنه تعالى يقول : القوم جاؤك وأطمعوك في متابعتهم لك ومتابعتك لدينهم فسكت عن الإنكار والرد ، ألست أنا جعلت البيعة معك بيعة معي حيث قلت : { إِنَّ الذين يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ الله } [الفتح : ١٠] وجعلت متابعتك متابعة لي حيث قلت : { قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله فاتبعونى يُحْبِبْكُمُ الله } [آل عمران : ٣١] ثم إني ناديت في العالمين وقلت : { أَنَّ الله بَرِىء منَ المشركين وَرَسُولُهُ } [التوبة : ٣] فصرح أنت أيضاً بذلك ، و : قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ،

٢٦- كأنه تعالى يقول : ألست أرأف بك من الولد بولده ، ثم العرى والجوع مع الوالد أحسن من الشبع مع الأجانب ، كيف والجوع لهم لأن أصنامهم جائعة عن الحياة عارية عن الصفات وهم جائعون عن العلم عارون عن التقوى ، فقد جربتني ، ألم أجدك يتيماً وضالاً وعائلاً ، ألم نشرح لك صدرك ،

ألم أعطك بالصديق خزينة وبالفاروق هيبة وبعثمان معونة ، وبعلي علماً ، ألم أكف أصحاب الفيل حين حاولوا تخريب بلدتك ، ألم أكف أسلافك رحلة الشتاء والصيف ، ألم أعطك الكوثر ، ألم أضمن أن خصمك أبتر ، ألم يقل جدك في هذه الأصنام بعد تخريبها : { لِمَ تَعْبُدُ مَالاً يَسْمَعُ وَلاَ يَبْصِرُ وَلاَ يُغْنِى عَنكَ شَيْئاً } [مريم : ٤٢] فصرح بالبراءة عنها و : قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون

٢٧- كأنه تعالى يقول : يا محمد ألست قد أنزلت عليك : { فاذكروا الله كَذِكْرِكُمْ ءابَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا } [البقرة : ٢٠٠] ثم إن واحداً لو نسبك إلى والدين لغضبت ولأظهرت الإنكار ولبالغت فيه ، حتى قلت : « ولدت من نكاح ولم أولد من سفاح » فإذا لم تسكت عند التشريك في الولادة ، فكيف سكت عند التشريك في العبادة! بل أظهر الإنكار ، وبالغ في التصريح به ، و : قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون

٢٨- كأنه تعالى يقول يا محمد ألست قد أنزلت عليك : { أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يخلق عْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ } [النحل : ١٧] فحكمت بأن من سوى بين الإله الخالق وبين الوثن الجماد في المعبودية لا يكون عاقلاً بل يكون مجنوناً ، ثم إني أقسمت وقلت : { ن والقلم وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبَّك بِمَجْنُونٍ } [القلم : ١ ، ٢] والكفار يقولون : إنك مجنون ، فصرح برد مقالتهم فإنها تفيد براءتي عن عيب الشرك ، وبراءتك عن عيب الجنون و : قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون

٢٩- أن هؤلاء الكفار سموا الأوثان آلهة ، والمشاركة في الاسم لا توجب المشاركة في المعنى ، ألا ترى أن الرجل والمرأة يشتركان في الإنسانية حقيقة ، ثم القيمية كلها حظ الزوج لأنه أعلم وأقدر ، ثم من كان أعلم وأقدر كان له كل الحق في القيمية ، فمن لا قدرة له ولا علم ألبتة كيف يكون له حق في القيومية ، بل ههنا شيء آخر : وهو أن امرأة لو ادعاها رجلان فاصطلحا عليها لا يجوز ، ولو أقام كل واحد منها بينة على أنها زوجته لم يقض لواحد منهما ، والجارية بين إثنين لا تحل لواحد منهما ، فإذا لم يجز حصول زوجة لزوجين ، ولا أمة بين موليين في حل الوطء فكيف يعقل عابد واحد بين معبودينا بل من جوز أن يصطلح الزوجان على أن تحل الزوجة لأحدهما شهراً ، ثم الثاني شهراً آخر كان كافراً ،

فمن جوز الصلح بين الإله والصنم ألا يكون كافراً

٣٠- كأنه تعالى يقول أنسيت أني لما خيرت نساءك حين أنزلت عليك : { قُل لازواجك إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحياة الدنيا وَزِينَتَهَا } إلى قوله :

{ أَجْراً عَظِيماً } [الأحزاب : ٢٨ ، ٢٩] ثم خشيت من عائشة أن تختار الدنيا ، فقلت لها : لا تقولي شيئاً حتى تستأمري أبويك ، فقالت : أفي هذا استأمر أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة فناقصة العقل ما توقفت فيما يخالف رضاي أتتوقف فيما يخالف رضاي وأمري مع أني جبار السموات والأرض : { قُلْ يا أَيُّهَا الكافرون لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ }

٣١- كأنه تعالى يقول : يا محمد ألست أنت الذي قلت : « من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فلا يوقفن مواقف التهم » ،

وحتى أن بعض المشايخ قال لمريده الذي يريد أن يفارقه : لا تخاف السلطان قال : ولم؟ قال : لأنه يوقع الناس في أحد الخطأين ، وإما أن يعتقدوا أن السلطان متدين ، لأنه يخالطه العالم الزاهد ، أو يعتقدوا أنك فاسق مثله ، وكلاهما خطأ ، فإذا ثبت أنه يجب البراءة عن موقف التهم فسكوتك يا محمد عن هذا الكلام يجر إليك تهمة الرضا بذلك ، لاسيما وقد سبق أن الشيطان ألقى فيما بين قراءتك تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجي ، فأزل عن نفسك هذه التهمة : وقل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون

٣٢- الحقوق في الشاهد نوعان حق من أنت تحت يده ، وهو مولاك ، وحق من هو تحت يدك وهو الولد ، ثم أجمعنا على أن خدمة المولى مقدمة على تربية الولد ، فإذا كان حق المولى المجازي مقدماً ، فبأن يكون حق المولى الحقيقي مقدماً كان أولى

ثم روي أن علياً عليه السلام إستأذن الرسول صلى الله عليه وسلم في التزوج بابنة أبي جهل فضجر وقال : لا آذن لا آذن لا آذن إن فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ويسرني ما يسرها والله لا يجمع بين بنت عدو الله ، وبنت حبيب الله ،

فكأنه تعالى يقول : صرحت هناك بالرد وكررته على سبيل المبالغة رعاية لحق الولد ، فههنا أولى أن تصرح بالرد ، وتكرره رعاية لحق المولى فقل : { يا أيها الكافرين لا أعبد ما تعبدون } ولا أجمع في القلب بين طاعة الحبيب وطاعة العدو

٣٣- يا محمد ألست قلت لعمر : رأيت قصراً في الجنة ، فقلت : لمن؟ فقيل : لفتى من قريش ، فقلت : من هو ، فقالوا : عمر فخشيت غيرتك فلم أدخلها حتى قال عمر : أو أغار عليك يا رسول الله

فكأنه تعالى قال : خشيت غيرة عمر فما دخلت قصره أفما تخشى غيرتي في أن تدخل قلبك طاعة غيري ، ثم هناك أظهرت الامتناع فههنا أيضاً أظهر الامتناع و : قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ،

٣٤- أترى أن نعمتي عليك دون نعمة الوالدة ، ألم أربك؟ ألم أخلقك؟ ألم أرزقك؟ ألم أعطك الحياة والقدرة والعقل والهداية والتوفيق؟ ثم حين كنت طفلاً عديم العقل وعرفت تربية الأم فلو أخذتك امرأة أجمل وأحسن وأكرم من أمك لأظهرت النفرة ولبكيت ولو أعطتك الثدي لسددت فمك تقول لا أريد غير الأم لأنها أول المنعم علي ، فههنا أولى أن تظهر النفرة فتقول : لا أعبد سوى ربي لأنه أول منعم علي فقل : { يأَيُّهَا الكافرون لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ }

٣٥- نعمة الإطعام دون نعمة العقل والنبوة ، ثم قد عرفت أن الشاة والكلب لا ينسيان نعمة الإطعام ولا يميلان إلى غير من أطعمهما فكيف يليق بالعاقل أن ينسى نعمة الإيجاد والإحسان فكيف في حق أفضل الخلق : { قُلْ يا أَيُّهَا الكافرون لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ }

٣٦- مذهب الشافعي أنه يثبت حق الفرقة بواسطة الإعسار بالنفقة فإذا لم تجد من الأنصار تربية حصلت لك حق الفرقة لو كنت متصلاً بها ، لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً فبتقدير أن كنت متصلاً بها ، كان يجب أن تنفصل عنها وتتركها ، فكيف وما كنت متصلاً بها أيليق بك أن تقرب الاتصال بها قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون

٣٧- هؤلاء الكفار لفرط حماقتهم ظنوا أن الكثرة في الإلهية كالكثرة في المال يزيد به الغني وليس الأمر كذلك بل هو كالكثرة في العيال تزيد به الحاجة فقل : يا محمد لي إله واحد أقوم له في الليل وأصوم له في النهار ، ثم بعد لم أتفرغ من قضاء حق ذرة من ذرات نعمه ، فكيف ألتزم عبادة آلهة كثيرة : قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون

٣٨- أن مريم عليها السلام لما تمثل لها جبريل عليه السلام :

{ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بالرحمن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا } [مريم : ١٨] فاستعاذت أن تميل إلى جبريل دون الله أفتستجيز مع كمال رجوليتك أن تميل إلى الأصنام : قل يا أيها الكافون لا أعبد ما تعبدون

٣٩- مذهب أبي حنيفة أنه لا يثبت حق الفرقة بالعجز عن النفقة ولا بالعنة الطارئة يقول : لأنه كان قيماً فلا يحسن الإعراض عنه مع أنه تعيب فالحق سبحانه يقول : كنت قيماً ولم أتعيب ، فكيف يجوز الإعراض عني : قل يا أيها الكافون لا أعبد ما تعبدون

٤٠- هؤلاء الكفار كانوا معترفين بأن الله خالقهم : { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السموات والارض لَيَقُولُنَّ الله } [لقمان : ٢٥] وقال في موضع آخر : { أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الارض } [فاطر : ٤٠]

فكأنه تعالى يقول : هذه الشركة إما أن تكون مزارعة وذلك باطل ، لأن البذر مني والتربية والسقي مني ، والحفظ مني ، فأي شيء للصنم ، أو شركة الوجوه وذلك أيضاً باطل أترى أن الصنم أكثر شهرة وظهوراً مني ،

أو شركة الأبدان وذلك أيضاً باطل ، ون ذلك يستدعي الجنسية ، أو شركة العنان ، وذلك أيضاً باطل ، لأنه لا بد فيه من نصاب فما نصاب الأصنام ، أو يقول ليس هذه من باب الشركة لكن الصنم يأخذ بالتغلب نصيباً من الملك ، فكأن الرب يقول : ما أشد جهلكم إن هذا الصنم أكثر عجزاً من الذبابة : { إِنَّ الذين تَدْعُونَ مِن دُونِ الله لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً } [الحج : ٧٣] فأنا أخلق البذر ثم ألقيه في الأرض ، فالتربية والسقي والحفظ مني . ثم إن من هو أعجز من الذبابة يأخذ بالقهر والتغلب نصيباً مني ، ما هذا بقول يليق بالعقلاء : قل يا أيها الكافون لا أعبد ما تعبدون

٤١- أنه لا ذرة في عالم المحدثات إلا وهي تدعو العقول إلى معرفة الذات والصفات وأما الدعاة إلى معرفة أحكام الله فهم الأنبياء عليهم السلام ، ولما كان كل بق وبعوضة داعياً إلى معرفة الذاتي والصفات قال : { إِنَّ الله لاَ يَسْتَحْىِ أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا } [البقرة : ٢٦] ، ذلك لأن هذه البعوضة بحسب حدوث ذاتها وصفاتها تدعو إلى قدرة الله بحسب تركيبها العجيب تدعوا إلى علم الله وبحسب تخصيص ذاتها وصفاتها بقدر معين تدعو إلى إرادة الله ، فكأنه تعالى يقول : مثل هذا الشيء كيف يتسحيا منه ،

روي أن عمر رضي الله عنه كان في أيام خلافته دخل السوق فاشترى كرشاً وحمله بنفسه فرآه علي من بعيد فتنكب علي عن الطريق فاستقبله عمر وقال له : لم تنكبت عن الطريق؟ فقال علي : حتى لا تستحي ، فقال : وكيف أستحي من حمل ما هو غذائي!

فكأنه تعالى يقول : إذا كان عمر لا يستحي من الكرش الذي هو غذاؤه في الدنيا فكيف أستحي عن ذكر البعوض الذي يعطيك غذاء دينك ،

ثم كأنه تعالى يقول : يا محمد إن نمروذ لما ادعى الربوبية صاح عليه البعوض بالإنكار ، فهؤلاء الكفار لما دعوك إلى الشرك أفلا تصيح عليهم أفلا تصرح بالرد عليهم : قل يا أيها الكافون لا أعبد ما تعبدون

وإن فرعون لما ادعى الإلهية فجبريل ملأ فاه من الطين فإن كنت ضعيفاً فلست أضعف من بعوضة نمروذ ، وإن كنت قوياً فلست أقوى من جبريل ، فأظهر الإنكار عليهم و : قل يا أيها الكافون لا أعبد ما تعبدون

٤٢- كأنه تعالى يقول يا محمد : قل بلسانك لا أعبد ما تعبدون واتركه قرضاً علي فإني أقضيك هذا القرض على أحسن الوجوه ، ألا ترى أن النصراني إذا قال : أشهد أن محمداً رسول الله فأقول أنا لا أكتفي بهذا مالم تصرح بالبراءة عن النصرانية ، فلما أوجبت على كل مكلف أن يتبرأ بصريح لسانه عن كل دين يخالف دينك فأنت أيضاً أوجب على نفسك أن تصرح برد كل معبود غيري فقل : يا أيها الكافون لا أعبد ما تعبدون

٤٣- أن موسى عليه السلام كان في طبعه الخشونة فلما أرسل إلى فرعون قيل له { فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا } [طه : ٤٤] وأما محمد عليه السلام فلما أرسل إلى الخلق أمر بإظهار الخشونة تنبيهاً على أنه في غاية الرحمة ، فقيل له : قل يا أيها الكافون لا أعبد ما تعبدون .

١٣-فقال عز من قائل (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)

<u>**١٤- ما وعد (به أصحابه من المهاجرين والأنصار في حال ضعفهم، من أن الله سينصرهم**</u>
ويمكنهم، ويقويهم، ويظهرهم، فيقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وتكون العقبى لهم
فتمكن أصحابه وخلفاؤه، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وكانت العقبى لهم، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه.

<u>**١٥-ومن ذلك إلقاء النعاس على المجاهدين مع رسول الله (أمانًا أمنهم الله به من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم، وقلة عددهم،**</u>
وكذلك فعل بهم يوم أحد: قال تعالى (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ (١١) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ).

ومن ذلك تقليل المجاهدين مع النبي (في أعين المشركين وتقليل المشركين في أعين المؤمنين ليقدم المؤمنون ويتجرؤا ويطمعوا فيهم ولئلا يهرب المشركون،
قال تعالى: (وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ)

١٦-ما قاله القرآن فى ابو جهل

ومن ذلك ما نزل في رجال بأعيانهم، من أنهم يصرون على كفرهم إلى أن يموتوا، من ذلك ما نزل في أبي جهل **(فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى (٣١) وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (٣٣) أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٤) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى)**

فقال أبو جهل: أتوعدني يا محمد، والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعل شيئًا وإني أعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه الله شر مصرع، وقتله أسوأ قتلة، وكان (يقول: "إن لكل أمة فرعونًا وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل"

ونزل في أبي جهل قوله تعالى **(إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ)**

ذكر ذلك غير واحد من المفسرين.

١٧-ومنها قصة البكاؤون الذين استحملوا رسول الله

وكانوا أهل حاجة فقال لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا يبكون وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ألا يجدوا ما ينفقون.

وقام علية بن يزيد فصلى من الليل وبكى وقال اللهم إنك قد أمرت بالجهاد ورغبت فيه ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسولك ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني فيها من مال أو جسد أو عرض.

ثم أصبح مع الناس فقال النبي: أين المتصدق هذه الليلة فلم يقم إليه أحد ثم قال أين المتصدق فليقم فقام إليه فأخبره فقال النبي: أبشر فوالذي نفس محمد بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة ففي هذا معجزة من معجزاته (لأن هذا غيب أعلم الله به نبيه)

١٨ومن ذلك الوعد بإرجاع النبى إلى مكة

قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ)

قال المفسرون إلى مكة ووقع طبق ما أخبر فيكون علما من نبوته

١٩-ومن ذلك قوله تعالى: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩) وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٢٠) وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا)

ففي هذه الآيات إخبار عن غيوب كثيرة منها تزكية المؤمنين المبايعين تحت الشجرة وإعلان الرضا عنهم وهم عدد كثير.

ولا شك أن الأمر كما قال إذ لو كان في إيمان أحدهم دخل لشك وارتاب وأعلن ارتداده وكفره ولو كان القرآن من محمد لم يقدم على هذا الإعلان الخطير إذ لا يعلم ما في بواطنهم إلا الله فدل ذلك على صحة هذا الإخبار وأنها أعلام على نبوته

٢٠-ومن ذلك الإخبار بحوادث خاصة كما في قوله تعالى: (وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ)

ففي هذا علم على نبوته لأن هذه أمور غيبية أطلع الله نبيه عليها.

٢١-ومن ذلك قوله تعالى: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)

وذلك أن رجلاً جاء إلى النبي فقال إني مجهود فأرسل إلى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك فقال من يضيف هذه الليلة رحمه الله.

فقام رجل من الأنصار فقال أنا يا رسول الله فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته هل عندك شيء قالت لا إلا قوت صبياني قال فعلليهم بشيء فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنا نأكل قال فقعدوا به وأكل الضيف.

فلما أصبح غدا على رسول الله فقال: قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة فهذا غيب من الغيوب أعلم الله نبيه به فهو معجزة واضحة.

(إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا)

يعني بني أبيرق واستغفر الله مما قلت لقتادة ... فلما نزل القرآن أتى رسول الله (بالسلاح فرده إلى رفاعة.

٢٣-ومن ذلك ما جاء في تبرئة أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ من الإفك قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ)

عشر آيات كلها نزلت في شأن عائشة ـ رضي الله عنها ـ حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوا من الكذب البحت والفرية التي غار الله لها ولنبيه

فأنزل الله تعالى براءتها صيانة لعرض الرسول بعد ما بقيت الألسنة تخوض في حادثة الإفك قريبًا من الشهر والرسول لا يوحى إليه كما جاء في صحيحي البخاري ومسلم - وهو حائر متردد في أمر عائشة يسأل ويستشير.

والمنافقون يشيعون الفاحشة حتى وقع فيها من وقع من المسلمين.

ثم جاءها الرسول (في بيت أهلها ثم قال يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه.

فوالله ما رام مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى أنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شات.

فلما سري عن رسول الله (وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي يا عائشة احمدي الله فقد برأك الله فقالت لي أمي قومي إلى رسول الله (فقلت لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله.

فأنزل الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ) الآيات

ففي هذه القصة علم من أعلام نبوته (لمن تدبره وتفهمه فقد كان موقفه من عائشة بعد إشاعة الفرية والبهتان موقف التردد والحيرة.

ثم تحول بعد الوحي فجأة إلى موقف الثقة والاطمئنان وهذا التحول لا يمكنه أن يكون لو لم يكن واثقًا ببرائتها بإخبار من العليم الخبير جل وعلا وتنزه وتقدس.

٢٤-ومن ذلك تحدي اليهود في تمني الموت مرتين

فقال: **"يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدًا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين".**

ووجه الدلالة أنه طلب من اليهود أن يتمنوا الموت ثم أخبر أنهم لن يتمنوه أبدًا فما تمنا أحد منهم مع حرصهم على تكذيب الرسول ومعارضتهم له وكيدهم له فقام ذلك دليلاً صادقًا على نبوته ومعجزة عظيمة.

٢٥- أخبر عن اليهود أنهم لن يتمنوا الموت أبدًا وكان كما أخبر

فلا يتمنى اليهود الموت أبدًا وهذا دليل من وجهين من جهة إخباره بأن لا يكون أبدًا من وجهة صرف الله لدواعي اليهود عن تمني الموت مع أن ذلك مقدور لهم وهذا من أعجب الأمور الخارقة للعادة وهم مع حرصهم على تكذيبه لم تنبعث دواعيهم لإظهار تكذيبه بإظهار تمني الموت. ا.هـ.

٢٦- الوعد بحفظ القرآن قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)

وهذا الإخبار إنما هو من الغيب ووقع كما جاء في القرآن فحفظ وتم وعد الله بذلك.

ولن يأتيه تغيير يعم جميع المصاحف الموجودة على وجه الأرض قال تعالى: **(لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)**

٢٧- الوعد بعصمة النبي من الناس

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)

وقد حقق الله وعده فحفظ نبيه ولم يقدر أحد على قتله مع كثرة المحاولات من أعدائه ففي ذلك علم من أعلام نبوته ومعجزة واضحة.

٢٨- قوله تعالى: (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)

قال البغوي أي يكفيك شر اليهود والنصارى وقد كفى بإجلاء بني النظير وقتل بني قريظة وضرب الجزية على اليهود والنصارى. ا.هـ وهذا إخبار عن الغيب فيكون معجزًا دالاً على صدقه حيث وقع طبق ما أخبر.

٢٩- المباهلة قال الله تعالى: (الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)

قيل إن سبب نزول هذه الآية هو أن العاقب والسيد صاحبي نجران جاءا إلى رسول الله وجادلاه في أمر عيسى عليه السلام فأنزل الله تعالى آية المباهلة والمباهلة دعاء الله والابتهال إليه أن ينزل لعنته على الكاذبين فواعداه على أن يلاعناه الغداة.

فغدا رسول الله فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجيباه وأقرا له بالخراج قال فقال رسول الله ("والذي بعثني بالحق لو قالا لأمطر عليهم الوادي نارًا ففي هذا علم من أعلام نبوته فلولا أنهم عرفوا من التوراة والإنجيل ما يدل على نبوته لما أحجموا عن المباهلة، ثانيًا وثوقه بذلك.

٣٠-(وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ)

ما قيل من أنه نزل في الأخنس بن شريق فمات على كفره

وقال مقاتل: نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي (، ويطعن عليه في وجهه، ونزل فيه **قوله تعالى: (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ)**

فلم يزده الله مالاً ولا ولدًا بعد هذا كما أخبر، وصار في نقصان ماله وولده إلى أن مات كافرًا، وقد كان عند نزول ذلك حيًا سليمًا.

٣١-(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ)

ومنهم النضر بن الحارث بن كلدة، أخو بني عبد الدار،

وكان شديد الرد على الله وعلى رسوله، شديد العداوة والإرصاد، وقد كان رحل في عداوة رسول الله (، إلى فارس، وطلب ما يكيد به الإسلام، فاشترى أخبار العجم، وقدم بها إلى مكة يحدث بها قريشًا ويقول إن محمدًا يحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة، فيستملحون حديثه، ويتركون استماع كلام الله.

فأنزل الله هذه الآية: قاله مقاتل والكلبي.

وقيل: نزل فيه أيضًا غيرها، وقيل: إنه يوم بدر أصابته جراحة ذهبت بقحف رأسه وحصل في أيدي المسلمين من جملة المأسورين وقال لا أذوق طعامًا، ولا شرابًا ما دمت في أيديهم فمات من الضربة وصار إلى النار بعد أن أذاقه الله العذاب المهين في الدنيا كما قال وكما أخبر عز وجل.

٣٢- قوله تعالى: (الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)

نزلت هذه الآيات حين غلب سابور ملك الفرس على بلاد الشام، وما والاها من بلاد الجزية، وأقاصي بلاد الروم، حتى ألجأه إلى القسطنطينية، وحاصره مدة طويلة، ثم عادت الدولة إلى هرقل، كما بشر القرآن قبل سبع سنوات، من انتصاره على الفرس، فوق طبق ما أخبر، فهذه معجزة من القرآن على رسالة الرسول

السادس عشر:اخباره على الانبياء

١-ومن ذلك ما أخبر به، وهو موجود في القرآن ذكره ما جاء عن آدم ونشأته، وما وسوس به إليه إبليس، وما وقع له من الهبوط إلى الأرض، بعد أن كان في الجنة.

٢-وحدثنا عن نوح أول المرسلين وما لقيه من قومه، من أذى وسخرية، ومدة لبثه فيهم، وما أرشده الله إليه من صنع الفلك، وركوبه، وإنجائه، ومن مع نوح وهم أصحاب السفينة، ودعوته لابنه، وعصيان ابنه له، وجواب الله له حين ما قال: (إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي(وانهمار السماء بالماء، وتفجر الأرض عيونًا، وإغراق الكافرين ونجاة المؤمنين.

٣-وأخبر القرآن عن موسى عليه السلام وما تم له عند ولادته، وما وقع له في مصر، وما حدث له في مدين، وما رآه في جبل الطور، وما كلف به من أعباء الرسالة، وما دار بينه وبين فرعون من حوار، وما جرى من السحرة، وما انتهى إليه أمر فرعون، وملئه، وموسى وقومه.

٤-وأخبر القرآن عن عيسى.

٥-وأمه عليهما السلام، وما وقع لهما من الخوارق، وما صنعه لهما بنوا إسرائيل من مكائد.

٦-وأخبر عن داود.

٧-وسليمان عليهما السلام وذكر الإحسان إليهما وما آتاهما من العلم والفهم قال الله تعالى: (وَكُلاً آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا) فأنعم الله على داود بتسخير الجبال والطير للتسبيح معه وأخبر أنه

جل وعلا علمه صنعة الدروع وأخبر أنه أنعم على سليمان بتسخير الريح العاصفة التي تجري بأمره وتسخير الشياطين تغوص في البحار وتعمل له أعمالاً أخرى.

٨-وأخبر عن إبراهيم خليل الرحمن، ومحاجته للملك الجبار وهو نمرود، البابلي، المعطل، المنكر، لرب العالمين، إلى أن وقف وانقطعت حجته، واضمحلت شبهته، وأخبر عن طلبه لربه، أن يريه كيف يحيي الموتى، وإجابة الله دعوته، وتلبية طلبته، وعن ما ابتلاه به من ذبح ابنه إسماعيل وأخبر عن ما من عليه به من العلم، والدعوة والصبر، وما أكرمه به من الذرية الصالحة، والنسل الطيب وأنه جعل صفوة الخلق من نسله.

٩-وأخبر عن يوسف عليه السلام، وما جرى له مع إخوته، ومقدار لبثه في السجن، ومراودة امرأة العزيز له، وظهور براءته وبيان صدقه، وإيثار الله له على إخوته، وما جرى لأبيه يعقوب.

١٠-وأخبر عن لوط، وما قاله لقومه، توبيخًا لهم، وجوابهم السخيف له جزاء نصحه، وإنجاء الله له، وأهل بيته إلا امرأته، وأخبر عن مجيء الرسل إليه، وأنه ساءه مجيئهم، وذلك لما يتوقعه من اعتداء قومه عليهم وفعلا جاؤا يهرولون إليه، وأخبر عن ما أوقعه الله من العقوبة العظيمة، جزاء فعلتهم، الشنيعة، التي لم يسبقهم بها أحد.

١١-وأخبر عن زكريا، وندائه لربه، وآثاره الصالحة ومناقبه الجميلة، وتبشير الله له بغلام اسمه يحيى، وطلبه من ربه أن يجعل له آية، يطمئن بها قلبه، وليس شكًا في خبر الله، وإنما هو كما قال الخليل: (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي(وإجابة الله إلى طلبته، ومنعه من الكلام، ثلاث ليال سويًا.

١٢-وأخبر عن يحيى عليه السلام وأن الله جعله برًا بوالديه، ولا يتعالى عن قبول الحق، ووصفه بصفات كلها مناهج للخير، ووسائل للطاعة، أولها قوله تعالى: (وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا(إلى أن ذكر سبحانه جزاءه، على ما قدم من عمل صالح، وأسلف من طاعة ربه.

١٣-وأخبر عما أخبر الله به جل وعلا عن مريم ابنة عمران، وأنه أنجب منها ولدًا من غير أب، وتقدم الكلام حولها وولدها عليهما السلام، وما لقيا من الابتلاء، والامتحان، وما قابلا به ذلك.

١٤-وأخبر عن يونس عليه السلام، وإباقه إلى الفلك، ومساهمته لأهل الفلك، والتقام الحوت له، وإنه كان من المسبحين، الذين يذكرون الله كثيرًا، وعن نبذه في مكان خال لا نبات فيه، وأخبر عن لطفه به ورعايته له، وعنايته به، بإنبات شجرة اليقطين، وأنه أرسله (إلى مائة ألف أو يزيدون) وأنهم آمنوا، ومتعهم الله إلى حين.

١٥-وأخبر عن صالح عليه السلام، وإرساله إلى ثمود القبيلة المعروفة، الذين يسكنون الحجر، وما حوله، وأنه دعاهم إلى التوحيد ونهاهم عن الشرك، وأنه جاءهم بآية، خارقة من خوارق العادات، وهي ناقة، شريفة، فاضلة.
وأخبر أنه بوأهم في الأرض، ومكن لهم فيها، وسهل لهم الأسباب، الموصلة إلى ما يريدون، وأمدهم بالقوة، وأنهم قابلوا إخلاص صالح ونصحه، بعقر الناقة، والتحدي بالعذاب، وآخر الأمر (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١) الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا(، (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(.

١٦-وأخبر عن هود عليه السلام، وإرساله إلى عاد الأولى، في أرض اليمن، يدعوهم إلى التوحيد، وينهاهم عن الشرك، وأنهم قابلوا دعوته برميه بالسفاهة، والكذب، واستنكروا التوحيد واحتجوا عليه بما لا يصلح عقلاً ولا شرعًا أن يكون حجة، من تقليد الآباء، والأجداد، وتحدوا بإتيانه بالوعيد، وأجابهم هود على مقالتهم، وآخر الأمر أنجى الله هودا والذين آمنوا معه، وقطع دابر المكذبين بآيات الله.

١٧-وأخبر عن شعيب عليه السلام، وإرساله إلى مدين، وأن لا يبخسوا الناس أشيائهم، وأن لا يعثوا في الأرض مفسدين، وأن أشرافهم والكبراء منهم قابلوا ذلك بالتهديد باستعمال القوة السبعية، ولم يراعوا دينًا، ولا ذمة ولا حقًا، بل اتبعوا عقولهم السخيفة، وآخر الأمر أخذتهم الزلزلة الشديدة، فأصبحوا في دارهم جاثمين.

١٨-وأخبر عن أصحاب الكهف، وأنهم فتية آمنوا بربهم، وأن الله لطف بهم حيث وفقهم للإيمان، وأنهم اعتزلوا قومهم، وآووا إلى الكهف، وبين حالهم بعد أن آووا إلى الكهف وهو أن الشمس تميل عن كهفهم جهة اليمين، وعند الغروب تقرضهم ذات الشمال، فلا تصيبهم الشمس في طلوعها، ولا غروبها، وبين أن هدايتهم، كانت بعناية الله إلى آخر قصتهم.

١٩-وأخبر عن أيوب عليه السلام، وما أصابه الشيطان به، ونداءه لربه واستجابة الله له، وكشف ما به من ضر، وإعطائه أهله، ومثلهم معه.

٢٠-وأخبر عن إسماعيل عليه السلام، وأنه كان صادق الوعد وأنه من وفائه بالوعد لما وعد من نفسه الصبر على ذبح أبيه له، قال ستجدني إن شاء الله من الصابرين ووفى بذلك، ومكن أباه من الذبح، الذي هو أعظم مصيبة تصيب الإنسان، وأنه كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة... إلخ.

٢١-وأخبر عن إدريس عليه السلام وأن الله وصفه بصفات الكمال، حيث جمع له بين الصديقية وبين اصطفائه لوحيه وأنه رفعه مكانا عاليًا.

٢٢-وأخبر عن إسحاق عليه السلام، وأنه ممن اختارهم الله واصطفاهم، وشرفهم بطاعته، وقواهم على العمل لما يرضيه، وآتاهم البصيرة في الدين قال الله تعالى: (وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ).

٢٣-وأخبر عن ذي القرنين، وأنه بلغ المشارق والمغارب، وأن الله أعطاه من كل شيء سببًا، وأخبر أنه لما بلغ بين السدين، وجد من دونهما قومًا لا يكادون يفقهون كلام أتباعه ولا كلام غيرهم، وأنهم أخبروه، عن إفساد يأجوج ومأجوج، وأنهم أرادوا أن يجمعوا له ويجعلوا له خرجًا على أن يسد بينهم وبين يأجوج ومأجوج وأنه قال ما أنا فيه خير مما تبذلونه وأجابهم إلى طلبهم وهو السد على يأجوج ومأجوج بأن يجعل ردمًا.

٢٤-وأخبر عن لقمان وأن الله آتاه الحكمة، وأخبر عن موعظته لابنه، المتضمنة للتحذير من الشرك، والأمر بالإخلاص لله وحده وذكر جل وعلا أمره له بالشكر، وأن شكر الشاكر يعود نفعه عليه، وأن من كفر فالله غني حميد فلا يضر الكفر إلا صاحبه، وأن من وصايا لقمان القيمة لابنه الأمر بإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف، والصبر على ما يصيبه، وأن تلك الوصايا من الأمور المهمة التي يعزم عليها، ويتحتم على العباد فعلها، ولا محيص منها، ثم حذره من أشياء أخر أولها الكبر... إلخ.

٢٥-وأخبر عن الخضر، وما اختص به من العلم، وما جرى بينه وبين موسى، عندما اتصل به، وما جرى لموسى وفتاه، في سفره إلى الخضر، وما تزوداه في السفر، إلى آخر القصة والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم.

٢٦-وأخبر عن أهل القرية، إذ جاءها المرسلون، وما جرى من أهل القرية، من التكذيب للرسل، وما قاله الرسل، وأن أهل القرية حينما توعدوا الرسل وهموا بقتلهم جاء رجل يسعى من أطراف المدينة، لينصح قومه، ويحضهم على اتباع الرسل، ويذب عن الرسل، وأنه أبان لهم أنه ما اختار لهم إلا ما اختار لنفسه، وهذا يشبه مؤمن آل فرعون الذي دافع عن موسى عليه السلام، وأخبر عن ما حل بأهل القرية، من النكال والعقوبة.

٢٧-وأخبر عن سبإ، وما أمدهم به من البساتين، والمياه العظيمة، والثمار التي بها يتنعمون، ويحصل لهم بها الغبطة، والسرور وأنهم ظلموا أنفسهم، وكفروا بالله، وبنعمته، فأرسل الله عليهم سيل العرم، وذهب بالبساتين، وأهلك الحرث والنسل، وبدلوا بتلك الجنان، والبساتين الحسنة، ببستانين ليس فيهما إلا أشجار تافهة، لا يؤبه لها، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

٢٨-وأخبر عن قارون وما أوتيه من كنوز، وأن مفاتحه تنوء بالعصبة أولى القوة، وأنه بغى على موسى وقومه، وأن قومه نصحوه، بعدة نصائح، وأنه قابلها بالإباء، وكفران النعمة، وأنه خرج مرة على قومه في زينته، وأخبر عن ما قال له مريدوا الحياة الدنيا، وما قال لهم أولوا العلم، وذكر مآل بطره وأشره، وما حل به من الوبال، والنكال، وهو الخسف به وبداره.

وقال الله تعالى لنبيه ورسوله محمد (ص)

قال :وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٦)

وقال (وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ)

وقال (ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ)

وقال تعالى (تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ)

وقال تعالى (كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء مَا قَدْ سَبَقَ) الآية.

وقال تعالى (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ)

وقال (ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ)

وقال (وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) (٤٥)

وقال تعالى (فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ)

فالنبي (عليه وسلم لم يعلمها عن مشاهدة ولكن أعلمه إياها الذي أحاط بكل شيء علمًا الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء

وأخبر النبي بأمور غيبية غير ما ذكرنا أعلمه الله بها وفي بعض ما ذكرنا كفاية تامة لمن أحب أن يقرأها ويتأملها ليقوى إيمانه بالله وبرسله وبما أخبروا به صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وكلمة (وما كنت) في مواضع عدة في القرآن تدل على أن رسول الله جاء بأخبار لم يقرأها في كتاب ، ولم يسمعها من مُعلّم

لذلك يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : **{ سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تنسى }** [الأعلى : ٦]

فكان النجم من القرآن ينزل على رسول الله فلما يُسرى عنه يُمليه على أصحابه ، كل آية في مكانها وترتيبها من السورة ، ثم يقرؤها بعد ذلك كما أُنزلت ، وكما أملاها .

وقلنا : إن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول نزول القرآن عليه كان يُردد الآية خلف جبريل عليه السلام مخافة أن ينساها ، فإنْ قال جبريل : { والضحى } [الضحى : ١] قال رسول الله { والضحى } [الضحى : ١] وهكذا ، فأنزل الله عليه : { لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فاتبع قُرْآنَهُ } [القيامة : ١٦-١٨] .

وقال سبحانه : { وَلاَ تَعْجَلْ بالقرآن مِن قَبْلِ أَن يقضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ . . . } [طه : ١١٤]

أي : أرح نفسك يا محمد ، ولا تخْشَ النسيان ، وانتظر حتى تنتهي الآيات ، وسوف تعيدها كما هي ، لا تَنْسى منها حرفاً واحداً .

السابع عشر:باب آياته {صلى الله عليه وسلم} في إحياء الموتى وكلامهم

١-إحياء أمه
٢-فى غزوة خيبر كلام الشاة المسمومة
٣-فى غزوة بدر إحياء أصحاب القليب وكلام الجدي المسموم
٤-اذن الله للرسول باحياء بعض الموتى ثم سال الميت ثم عاد لرقدته
٥-احيا الله له ابويه فقاما من رقدة موتهما فامنا بالله ورسوله ثم عادا ميتين

الثامن عشر:من معجزاته

١-نزلت الملائكة لتكون جندا لرسول الله فى بدر
٢-الغمام يظلله ويتبعه بل ويخصه بهذا الظل دون غيره ممن يكون معه ، حدث ذلك وهو غلام وشاب وكهلا
٣-عن عائشة قالت كان النبي {صلى الله عليه وسلم} إذا دخل الغائط دخلت في إثره فلا أرى شيئا إلا كنت أشم رائحة الطيب فذكرت ذلك له فقال أما علمت أن أجسادنا تنبت على أرواح أهل الجنة فما خرج منها من شيء ابتلعته الأرض

٤-عن ذكوان ان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لم يكن يرى له ظل في شمس ولا قمر ولا أثر قضاء حاجة

٥-وأخرج ابن سعد عن عطاء عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال إنا معشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا

٦-عن اسامة بن زيد عن صفوان بن سليم قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اتاني جبرئيل بقدر فأكلت منها فأعطيت قوة أربعين رجلا في الجماع
عن أنس قال كان النبي {صلى الله عليه وسلم} يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة قلت لأنس أو كان يطيقه قال كنا نتحدث أنه اعطي قوة ثلاثين
وأخرج عن ابن عمرو عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال أعطيت قوة أربعين رجلا في البطش والنكاح

٧-عن أنس قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فضلت على الناس بأربع بالسماحة والشجاعة وكثرة الجماع وشدة البطش

٨-عن ابن عباس قال ما احتلم نبي قط وإنما الاحتلام من الشيطان

٩-وأخرج الشيخان عن انس قال ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ولا شممت مسكا ولا عنبرا أطيب من ريح رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

١٠--باب اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بأن عورته لم تر قط ولو رآها أحد طمست عيناه

<u>التاسع عشر: إخباره عن أمور الربوبية والملائكة والجنة والنار</u>

بما يوافق الأنبياء قبله من غير تعلم منهم، ويعلم أن ذلك موافق لنقول الأنبياء تارة بما في أيديهم من الكتب الظاهرة ونحو ذلك من النقل المتواتر.

<u>قال سهل: والذرية ثلاث: أول وثاني وثالث:</u>

فالأول: محمد صلّى الله عليه وسلّم، لأن الله تعالى لما أراد أن يخلق محمداً صلّى الله عليه وسلّم أظهر من نوره نوراً، فلما بلغ حجاب العظمة سجد لله سجدة، فخلق سبحانه من سجدته عموداً عظيما كالزجاج من

النور، أي باطنه وظاهره فيه عين محمد صلّى الله عليه وسلّم، فوقف بين يدي رب العالمين بالخدمة ألف ألف عام بطبائع الإيمان، وهو معاينة الإيمان ومكاشفة اليقين ومشاهدة الرب، فأكرمه الله تعالى بالمشاهدة قبل بدء الخلق بألف ألف عام. وما من أحد في الدنيا إلاَّ غلبه إبليس لعنه الله فأسره، إلاَّ الأنبياء صلوات الله عليهم، والصديقون الذين شاهدت قلوبهم إيمانهم في مقاماتهم، وعرفوا اطلاع الله عليهم في جميع أحوالهم، فعلى قدر مشاهدتهم يعرفون الابتلاء، وعلى قدر معرفتهم الابتلاء يطلبون العصمة، وعلى قدر فقرهم وفاقتهم إليه يعرفون الضر والنفع، ويزدادون علماً وفهماً ونظراً. ثم قال: ما حمل الله على أحد من الأنبياء ما حمل على نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم من الخدمة، وما من مقام خدمة خدم الله تعالى بها من ولد آدم عليه السلام إلى أن بعث نبينا صلّى الله عليه وسلّم، إلاَّ وقد خدم الله بها نبينا صلّى الله عليه وسلّم. وقد سئل عن معنى قوله صلّى الله عليه وسلّم: «إني لست كأحدكم إن ربي يطعمني ويسقيني» فقال: ما كان معه طعام ولا شراب، ولكنه كان يذكر خصوصيته عند الله تعالى، فيكون كمن أكل الطعام وشرب الشراب، ولو كان معه شراب أو طعام لآثر أهله وأهل الصفة على نفسه.

الثاني: آدم صلوات الله عليه، خلقه من نور، قال عليه السلام: «وخلق محمداً صلّى الله عليه وسلّم، يعني جسده، من طين آدم عليه السلام» .

والثالث: ذرية آدم. وإن الله عزَّ وجلَّ خلق المريدين من نور آدم، وخلق المرادين من نور محمد صلّى الله عليه وسلّم، فالعامة من الخلق يعيشون في رحمة أهل القرب، وأهل القرب يعيشون في رحمة المقرب، يَسْعى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ [الحديد: ١٢] .

الفصل الخامس

موازاة الانبياء

ذكر موازاة الأنبياء في فضائلهم بفضائل نبينا {صلى الله عليه وسلم}

قال العلماء ما أوتي نبي بمعجزة ولا فضيلة إلا ولنبينا {صلى الله عليه وسلم} نظيرها أو أعظم منها

انبياء الله ورسله كانوا اول المؤمنين به قبل بعثته

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) آل عمران

شملت رسالته كل رسالات الانبياء والمرسلين ، استمدوا من طاقته طاقتهم اولهم حقيقة وآخرهم ظهورا

بعث كل رسول فى دائرة قومه لكن محمدا كانت رسالته الى الناس كافة شملت

١. اقوام الانبياء والمرسلين
٢. اقوام غير اقوامهم
٣. بل شملت الانبياء والمرسلين انفسهم

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (٤١) النساء
قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨)
الأعراف: ١٥٨

الاول :باب ما أوتي آدم عليه السلام

من ذلك أن الله تعالى خلقه بيده وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء
١- الكلام

قال بعض العلماء ذهب قوم إلى أن آدم نبى ء في ذلك الوقت وأرسل إلى الملائكة وكانت معجزته هذه الأنباء يعني قوله تعالى فلما أنبأهم بأسمائهم وأن الله كلمه

٢- كما أخرج الطبراني عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله آدم نبي
قال نعم كان نبيا رسولا كلمه الله قبلا
وقد أوتى النبي {صلى الله عليه وسلم} نظير ذلك كله أما الكلام فتقدم في الإسراء

٣-وأما تعليم الله أسماء كل شيء فأخرج الديلمي في مسند الفردوس عن أبي رافع قال
قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (مثلت لي أمتي في الماء والطين وعلمت الأسماء كلها كما علم آدم الأسماء كلها)

٤- السجود
فقال بعض العلماء في قوله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي الآية هذا التشريف الذي شرف به النبي {صلى الله عليه وسلم} أتم وأعم في الإكرام من تشريف آدم عليه السلام حيث أمر الملائكة بالسجود له من وجهين
١-أحدهما أن ذاك وقع وانقطع وتشريفه {صلى الله عليه وسلم} بالصلاة مستمر أبدا
٢-والثاني أن ذاك حصل من الملائكة لا غير وتشريفه {صلى الله عليه وسلم} بالصلاة حصل من الله والملائكة والمؤمنين

<u>٥- غوى جاءت فى القران مرتين</u>
<u>فى قصة سيدنا ادم(فغوى)</u>
<u>وفى رحلة المعراج للحبيب محمد(ص) (وما غوى)</u>
وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) النجم
فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) طه

<u>الثاني: باب فيما أوتيه إدريس عليه الصلاة السلام</u>
قال تعالى ورفعناه مكانا عليا وقد رفع {صلى الله عليه وسلم} إلى قاب قوسين

<u>الثالث: باب فيما أوتيه نوح عليه الصلاة والسلام</u>
١- قال أبو نعيم آيته التي أوتي إجابة دعوته وإغراق قومه بالطوفان
وكم لنبينا {صلى الله عليه وسلم} من دعوة مجابة منها دعوته على الذين وضعوا السلا على ظهره وقد دعا بالمطر عند القحط فهطلت السماء بدعائه
٢- قال أبو نعيم وزاد نبينا {صلى الله عليه وسلم} بأنه في مدة عشرين سنة آمن به ألوف كثيرة ودخل الناس في دينه أفواجا

ونوح أقام في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما فلم يؤمن به إلا دون المائة
٣- قلت ومما أوتيه نوح عليه السلام تسخير جميع الحيوانات له في السفينة وقد سخرت أنواع الحيوانات لنبينا {صلى الله عليه وسلم} كما تقدم في موضعه
٤- ونوح كان السبب في نزول الحمى إلى الأرض
ونبينا {صلى الله عليه وسلم} نفى الحمى من المدينة إلى الجحفة
٥- قال نوح: **وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦)** نوح

اما الحبيب(ص) ما من نبى صبر صبره او جاهد جهاده فلما لم يستجب له قومه دعا عليهم فاهلكهم الله بذنوبهم
ولكن نبينا كان يقول (لعل ان يخر ج من بين ظهور هم من يعبد الله لا يشر ك به شيئا اللهم اهدى قومى فانهم لا يعلمون)

<u>الرابع: باب فيما أوتيه هود عليه السلام</u>
قال أبو نعيم أوتي الريح وقد نصر بها {ص} كما تقدم في غزوة الخندق قلت وفي غزوة بدر

<u>الخامس: باب فيما أوتيه صالح عليه السلام</u>
قال أبو نعيم أوتي الناقة ونظيرها لنبينا {ص} كلام الجمل وطاعته له

<u>السادس: باب فيما أوتيه إبراهيم الخليل عليه الصلاة السلام</u>

<u>١-أوتي النجاة من النار</u> وقد تقدم نظير ذلك لنبينا {ص} في باب الآية في النار
خمدت لنبينا (ص)نار فارس لمولده وبينه وبين بعثته اربعون عاما ومسافة اشهر ولم تخمد قبلها بالف عام
وخمدت نار ابراهيم لمباشرته لها
فى حديث الشفاعة حرم الله على النار ان تاكل مواضع السجود
<u>٢-وأوتي الخلة</u>
وأخرج أبو نعيم عن كعب بن مالك سمعت النبي {صلى الله عليه وسلم} يقول قبل وفاته بخمس (إن الله اتخذ صاحبكم خليلا)
ان ابراهيم اختص بالخلة مع النبوة
وقد اتخذ الله محمدا خليلا وحبيبا والحبيب الطف من الخليل
قال النبى (ص)لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابو بكر خليلا ولكنه اخى وصاحبى ولقد اتخذ الله صاحبكم خليلا
قال (ص) ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ، ومنزلى ومنزل ابراهيم فى الجنة تجاهين والعباس بيننا ، مؤمن بين خليلين

قال (ص) انا قائل قول غير فخر ابراهيم خليل الله وموسى صفى الله وانا حبيب الله وانا سيد ولد آدم يوم القيامة

٣- **حجب الخليل وحجب الحبيب**

قيل ان ابراهيم حجب عن نمرود بحجب ثلاثة وحجب رسول الله (ص) بخمسة حجب
إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ (٩)يس
وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (٤٥) الإسراء

- النبى(ص) حجب عن ام جميل امراة ابولهب فعندما نزلت السورة فى ذمها وذم زوجها جاءت بحجر كبير لترجم النبى (ص)فانتهت الى ابو بكر وهو جالس عند النبى(ص) فلم ترى الرسول وقالت لأبى بكر اين صاحبك
- حجب النبى (ص) ايضا عن ابو جهل حين هم ان يطأ برجله راس الرسول وهو ساجد فراى نارا وهولا عظيما فرجع القهقرى وقال النبى لو تقدم لاختطفته الملائكة عضوا عضوا
- حجب النبى (ص) ليلة الهجرة خرج عليهم فجعل يذر عليهم ترابا ويقول شاهت الوجوه فلم يروه
- حجب عن سراقة حين اتبعه
- حجب بالعنكبوت الذى سد باب الغار ليعمى الله عليهم مكانه

٤- **قد ناظر إبراهيم نمرود فبهته بالبرهان** والحجة كما قال تعالى (فبهت الذي كفر) وكذلك نبينا {صلى الله عليه وسلم} أتاه أبي بن خلف يكذب بالبعث بعظم بال ففركه وقال الله من يحيى العظام وهي رميم فأنزل الله تعالى (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) وهذا البرهان الساطع قال أبو نعيم

٥- **وقد كسر إبراهيم أصنام قومه**

ابراهيم كسر اصنام قومه غضبا لله تعالى
وقيل ان محمدا(ص)كسر ٣٦٠ صنما فكان كلما دنا منها بمخصرته تهوى من غير ان يمسها ويقول(جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا)الاسراء ٨١
وقد قيل ان الاصنام تساقطت ايضا لمولده وهذا ابلغ واقوى فى العجاز من مباشرة كسرها

٦- **مما أوتيه إبراهيم كلام الأكبش**

أخرج ابن أبي حاتم عن علباء بن أحمر أن ذا القرنين قدم مكة فوجد إبراهيم وإسماعيل يبنيان البيت فقال ما لكما ولأرضي فقالا نحن عبدان مأموران أمرنا ببناء هذه الكعبة قال فهاتا بالبينة على ما تدعيان فقام خمسة أكبش فقلن نحن نشهد أن إبراهيم وإسماعيل عبدان مأموران أمرا ببناء هذه الكعبة فقال قد رضيت وسلمت
وقد تكلم بحضرة النبي {صلى الله عليه وسلم} عدة من الحيوانات

٧- **تغيير اللغة**

ومن معجزاته ما أخرجه ابن سعد أنا هشام بن محمد عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال لما هرب إبراهيم من كوثي وخرج من النار ولسانه يومئذ سرياني فلما قبر عبر الفرات غير الله لسانه فقيل عبراني حيث عبر الفرات وبعث نمرود في أثره وقال لا تدعوا احدا يتكلم بالسريانية إلا جئتموني به فلقوا إبراهيم فتكلم بالعبرانية فتركوه ولم يعرفوا لغته

وقد تقدم نظير ذلك لنبينا {صلى الله عليه وسلم} في الرسل الذين أرسلهم إلى الملوك فأصبح كل منهم يتكلم بلغة القوم الذي أرسل إليهم

٨- **بركة الطعام**

ومن معجزاته ما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف حدثنا محمد بن أبي عبيدة بن معن حدثني أبي عن الأعمش عن أبي صالح قال انطلق إبراهيم عليه السلام يمتار فلم يقدر على الطعام فمر بسهلة حمراء فأخذ منها ثم رجع إلى أهله فقالوا ما هذا قال حنطة حمراء ففتحوها فوجدوها حنطة حمراء فكان إذا زرع منها شيء خرج سنبلة من أصلها إلى فروعها حبا متراكما

وقد تقدم نظير ذلك لنبينا {صلى الله عليه وسلم} في السقاء الذي زوده لأصحابه وملأه ماء ففتحوه فإذا لبن وزبد

٩- **ولا تخزني يوم يبعثون**

سيدنا ابراهيم

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) الشعراء

سيدنا محمد

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨) التحريم
قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤) البقرة

١٠- **العبادة**

الخليل من يعبد ربه على الرغبة والرهبة من قوله (ان ابراهيم لأواه حليم) التوبة ١١٤ من كثرة ما يقول اواه

والحبيب الذى يعبد ربه على الرؤية والمحبة

١١- الفرق بين الخليل والحبيب

يقال الخليل الذى يكون معه انتظار العطاء

والحبيب الذى معه انتظار اللقاء

يقال الخليل الذى يصل بالواسطة**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥)** الأنعام

والحبيب الذى يصل بدون واسطة**وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠)** النجم

١٢- الدعاء بالمغفرة

قال الخليل:

وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) الشعراء

وقال الله للحبيب:

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢) الفتح

١٣- الذكر

قال الخليل: **وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ (٨٤)** الشعراء

وقال الله للحبيب: **وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥)** الشرح

١٤- الجنة

قال الخليل: **وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥)** الشعراء

وقال الله للحبيب: **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١)** الكوثر

١٥- عدم الخزى فى الآخرة

قال الخليل: **وَلاَ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧)** الشعراء

وقال الله للحبيب: **يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨)** التحريم

١٦- طلب الهداية

قال الخليل: **وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩)** الصافات

وقال الله للحبيب: **وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى (٧)** الضحى

١٧- الدعاء للذرية

قال الخليل: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ (٣٥) إبراهيم
قال الله للحبيب: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) الأحزاب

١٨- الدعاء

قال الخليل حين القى فى النار(حسبى الله ونعم الوكيل)
وقال الله للحبيب: **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤)** الأنفال

١٩- مقام الحبيب يوم القيامة

قال(ص)انى ساقوم مقاما يوم القيامة يرغب الى الخلق كلهم حتى ابوهم ابراهيم فدل على انه افضل

السابع: باب فيما أوتى إسماعيل عليه السلام

١- أوتي الصبر على الذبح وقد تقدم في باب شق الصدر أن ذلك نظيره بل أبلغ منه لأنه وقع حقيقة والذبح لم يقع
٢- وأوتي الفداء من الذبح وكذلك عبد الله أبو النبي {صلى الله عليه وسلم)
٣- وأوتي زمزم وكذلك عبد المطلب جد النبي {صلى الله عليه وسلم}
٤- وأوتي العربية أخرج الحاكم عن جابر قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (ألهم إسماعيل هذا اللسان العربي إلهاما)
وأخرج أبو نعيم وغيره عن عمر أنه قال يا رسول الله مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهارنا قال (كانت لغة إسماعيل درست فجاء بها جبريل فحفظنيها)

الثامن: باب فيما أوتى يعقوب عليه السلام

١-حدثني ربيعة قال لما أتى يعقوب عليه السلام فقيل له إن يوسف أكله الذئب فدعا الذئب فقال أكلت قرة عيني وثمرة فؤادي قال لا لم أفعل قال فمن أين جئت وأين تريد
قال جئت من أرض مصر وأريد أرض جرجان قال فما يعنيك لها قال سمعت الأنبياء قبلك يقولون من زار حميما أو قريبا كتب الله له بكل خطوة ألف حسنة وحط عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة فدعا بنيه فقال اكتبوا هذا الحديث فأبى أن يحدثهم فقال مالك لا تحدثهم قال إنهم عصاة
وقد أوتي نبينا {صلى الله عليه وسلم} كلام الذئب كما تقدم
٢-قال أبو نعيم ومما اعطيه يعقوب عليه الصلاة والسلام أنه ابتلى بفراق ولده فصبر حتى يكون حرضا من الحزن
ونبينا {صلى الله عليه وسلم} فجع بولده ولم يكن له من البنين غيره فرضي واستسلم ففاق صبره صبر يعقوب

موت ابراهيم ابن رسول الله (ص) وصبره عليه وقوله(تدمع العين ويحزن القلب ولا نقل الا ما يرضى ربنا وانا بك يا ابراهيم لمحزونون)
وقد ماتت بناته الثلاثة رقية وام كلثوم وزينب ، وقتل عمه حمزة اسد الله واسد رسوله يوم احد فصبر واحتسب

التاسع: باب ما أوتي يوسف عليه الصلاة السلام

١-قال أبو نعيم أعطي يوسف من الحسن ما فاق به الأنبياء والمرسلين بل والخلق أجمعين ونبينا {صلى الله عليه وسلم} أوتي من الجمال ما لم يؤته أحد ولم يؤت يوسف إلا شطر الحسن وأوتي نبينا {صلى الله عليه وسلم} جميعه
جمال رسول الله (ص) ومهابته وحلاوته كما قالت الربيع بنت مسعود لو رايته لرايت الشمس طالعه
٢- وقد تقدم في أول الكتاب قال ويوسف أبتلي بفراقه عن أبويه وغربته عن وطنه ونبينا {صلى الله عليه وسلم} فارق الأهل والعشيرة والأحبة والوطن مهاجرا إلى الله تعالى

العاشر: باب ما أوتي موسى عليه الصلاة والسلام

١- أوتي نبع الماء من الحجر
وقد وقع ذلك لنبينا {صلى الله عليه وسلم} كما تقدم في أول البعث وزاد بنبعه من بين ألأصابع الشريفة
قال أبو نعيم وهو أعجب فإن نبعه من الحجر متعارف معهود وأما من بين اللحم والدم فلم يعهد
٢- وأوتي تظليل الغمام وقد تقدم ذلك لنبينا {صلى الله عليه وسلم} في عدة أحاديث
وكرم موسى بان ظلل عليه الغمام ، فقد اكرم محمدا فكان الغمام يظلله
٣- وأوتي العصا قال أبو نعيم ونظيرها لنبينا {صلى الله عليه وسلم} حنين الجذع
٤- العصا التى قلبها ثعبانا . نظيرها قصة الفحل الذي رآه أبو جهل
٥- وأوتي اليد البيضاء ونظيرها النور الذي جعله آية للطفيل فصار في وجهه ثم خاف أن يكون مثله فتحول إلى سوطه كما تقدم في باب إسلام الطفيل
واكرم موسى باليد البيضاء ،فقد اكرم محمدا بالقرآن
٦- وأوتي انفلاق البحر وقد تقدم نظيره في باب الإسراء أن البحر الذي بين السماء والأرض انفلق له حتى جاوزه
٧- الانتظار لموسى اربعون ليلة اما محمد(ص) ليس هناك انتظار للقاء
٨- وأوتي المن والسلوى قال أبو نعيم ونظيره إحلال الغنائم وإشباع الجمع الغفير من الطعام اليسير
٩- ودعا موسى على قومه بالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم قال أبو نعيم ونظيره دعاؤه {صلى الله عليه وسلم} على قومه بالسنين

١٠- وقال موسى لربه وعجلت اليك رب لترضى وقال الله تعالى لمحمد {صلى الله عليه وسلم} (ولسوف يعطيك ربك فترضى)(فلنولينك قبلة ترضاها)

١١- وقال تعالى لموسى (وألقيت عليك محبة مني) وقال في حق محمد {صلى الله عليه وسلم} (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

١٢- القوة والاحتمال

قوة رسول الله (ص) **لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)** الحشر

سيدنا موسى **وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣)** الأعراف

١٣- شرح الصدر

سيدنا موسى: **قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠)** طه

سيدنا محمد: **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤)** الشرح

١٤- اذا كان الله اكرم موسى ففلق له البحر فى الارض ، فقد اكرم محمدا ففلق له القمر فى السماء

١٥- الصعق فى الآخرة

حديث النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تُخيِّروا بين الأنبياء ، فإن الناس يُصْعقون يوم القيامة ، فأكون أولَ مَنْ تنشقُّ عنه الأرض ، فإذا أنا بموسى آخذٌ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدري أكان فيمن صُعِق ، أم حُوسِب بالصَعْقة الأولى » .

قالوا : لأنه صُعِق مرة في الدنيا ، ولا يجمع الله تعالى على عبده صَعقتَيْن .

١٦- اصحاب الحبيب واصحاب موسى

أن المقداد قال لرسول الله صلى الله عليه و سلم يوم بدر : يا رسول الله إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : { فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون } ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا فإنا معكما مقاتلون

١٧- نودى موسى فى الارض و نوجى محمد(ص) فى السماء فى المعراج

الحادى عشر: باب ما أوتي يوشع عليه السلام

أوتي حبس الشمس حين قاتل الجبارين وقد حبست لنبينا {صلى الله عليه وسلم} كما تقدم في الإسراء وأعجب من ذلك رد الشمس حين فات عصر علي رضي الله عنه

الثاني عشر: باب فيما أوتيه داود عليه الصلاة والسلام

١- قال أبو نعيم أوتي تسبيح الجبال ونظير ذلك لنبينا {صلى الله عليه وسلم} تسبيح الحصى والطعام كما تقدم في بابه

٢- وأوتي تسخير الطير وقد تقدم تسخير سائر الحيوانات له {صلى الله عليه وسلم}
٣- وأوتي الإنة الحديد وقد لينت الحجارلنبينا {صلى الله عليه وسلم} وصم الصخور واستتر من المشركين يوم أحد مال برأسه إلى الجبل ليخفي شخصه عنهم فلين الله له الجبل حتى أدخل فيه رأسه وذلك ظاهر باق يراه الناس وكذلك في بعض شعاب مكة حجر أصم إستروح إليه في صلاته {صلى الله عليه وسلم} في صلاته فلان له الحجر حتى أثر فيه بذراعيه وساعديه وذلك مشهور وهذا أعجب لأن الحديد تلينه النار ولن تر النار تلين الحجر هذا كله كلام أبي نعيم
٤- وأوتي داود نسج العنكبوت على الغار ووقع ذلك لنبينا {صلى الله عليه وسلم} كما تقدم في الهجرة
٥- واكرم الله داود بالطير المحشورة ، واكرم محمدا بالبراق
٦- عندما تجمع شباب قريش ليقتلوا رسول الله(ص)قال (فاغشيناهم فهم لا يبصرون) فغلبهم النوم وقذفهم بحفنة من التراب ومضى آمنا(كما فعل سيدنا داود مع جالوت)

<u>الثالث عشر: باب فيما أوتيه سليمان عليه الصلاة السلام</u>

١-قال ابو نعيم أوتي ملكا عظيما وقد أعطي نبينا {صلى الله عليه وسلم} ما هو أعظم من ذلك مفاتيح خزائن الأرض
٢- وأوتي سليمان الريح تسير به غدوها شهر ورواحها شهر وقد أعطي نبينا {صلى الله عليه وسلم} ما هو أعظم من ذلك البراق سار به مسيرة خمسين ألف سنة في أقل من ثلث ليلة فدخل السموات سماء سماء وأري عجائبها ووقف على الجنة والنار
٣- وسخرت لسليمان الجن وكانت تعتاص عليه حتى يصفدها ويعذبها ونبينا {صلى الله عليه وسلم} أتته وفود الجن طائعة مؤمنة وسخر له الشياطين والمردة منهم حتى هم أن يربط الشيطان الذي اخذه بسارية المسجد وقد تقدم ذلك في غير ما قصة
٤-وعلم سليمان منطق الطير وأعطي نبينا {صلى الله عليه وسلم} فهم كلام جميع الحيوانات وزيادة كلام الشجر والحجر والعصا وقد تقدم كل ذلك
لقد دعته امراة يهودية مع بعض صحبه الى شاه مشوية وما كاد ياكل حتى خاطبته الشاه تقول يا رسول الله لا تاكل منى فانى مسمومة (مقارنة بسيدنا سليمان)
٥-الملك سليمان يقول
قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥)ص
اما الحبيب العبودية المجردة لله والرسول حين يخيره الله بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا دون ما طلب منه يقول بل اكون نبيا عبدا اجوع يوما فاصبر واشبع يوما فاشكر
خيره الله بين الخلد فى الدنيا ولقاء ربه والجنة فآثر لقاء ربه والجنة

<u>الرابع عشر: باب فيما أوتي يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام</u>

١- قال أبو نعيم أوتي الحكم صبيا وكان يبكي من غير ذنب وكان يواصل الصوم وأعطي نبينا {صلى الله عليه وسلم} أفضل من هذا فأن يحي لم يكن في عصر الأوثان والأصنام والجاهلية

ونبينا {صلى الله عليه وسلم} كان في عصر أوثان وجاهلية ومع ذلك أوتي الفهم والحكم صبيا بين عبدة الأوثان وحزب الشيطان فما رغب لهم في صنم قط ولا شهد معهم عيدا ولم يسمع منه قط كذب ولا عرفت له صبوة وكان يواصل الأسبوع صوما ويقول إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني وكان يبكي حتى يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل

٢- قال فإن قيل كان يحيى حصورا والحصور الذي لا يأتي النساء قيل نبينا {صلى الله عليه وسلم} بعث رسولا إلى الخلق كافة فأمر بالنكاح ليقتدي به الخلق جميعا فيه لما جبلت عليه النفوس من التوقان إليه

<u>الخامس عشر: باب فيما أوتي عيسى عليه الصلاة والسلام</u>

قال تعالى ورسولا إلى بني إسرائيل إني قد جئتكم بآية من ربكم إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرى ء الأكمة والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم

وقد تقدم نظير ذلك لنبينا {صلى الله عليه وسلم} في

١- باب إحياء الموتى وباب إبراء المرضى وذوي العاهات وفي غزوة بدر وأحد رد عين قتادة وفي غزوة خيبر تفله في عيني علي

اكرم عيسى فابرأ الاكمه والابرص ،

تم الشفاء لامراة معاذ من البرص بعد ان مسح الرسول عليها ، ورفع حدقة رجل فى غزوة احد وردها الى مكانها

٢- وفي أبواب أخباره بالمغيبات وجعل أبو نعيم نظير خلق الطين طيرا جعل العسيب سيفا من حديد كما تقدم في غزوة بدر

٣- وقال تعالى إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء الآية وقد تقدم نظير ذلك لنبينا {صلى الله عليه وسلم} أنه أتي بطعام من السماء في عدة أحاديث

٤- وقال تعالى ويكلم الناس في المهد وقد تقدم ذلك لنبينا {صلى الله عليه وسلم} في باب عقب ولادته

فلئن تكلم عيسى عليه السلام فى المهد فقد تكلم رسول الله (ص) وهو فى بطن امه

٥- وأخرج الحاكم عن ابن مسعود قال لما ولد عيسى لم يبقى في الأرض صنم إلا خر لوجهه وقد تقدم في باب ولادة نبينا {صلى الله عليه وسلم} نظير ذلك

٦- وأوتي عيسى الرفع إلى السماء قال أبو نعيم وقد وقع ذلك لجماعة من أمة نبينا {صلى الله عليه وسلم} منهم عامر بن فهيرة وخبيب والعلاء ابن الحضرمي كما تقدم في أبواب

٧- الرفع الى السماء

<u>آدم وعيسى</u>

لقد نزل بادم عليه السلام من السماء الى الارض باذن ربه

ولقد صعد بعيسى من الارض الى السماء باذن ربه

<u>اما الحبيب</u> فلا غرابة ان يرفع محمد من الارض الى السماء ثم يعود

السادس عشر: ما اوتى ايوب عليه السلام
البلاء : كان اشد الانبياء بلاء حتى ايوب كان لصبره حد
وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) الأنبياء
اما الحبيب (ص)
لكن رسول الله كان يقول (ان لم يكن بك على غضب فلا ابالى ولكن عافيتك هى اوسع لى)

السابع عشر: ما اوتى يونس عليه السلام
خرج يونس مُغاضِباً لا غاضباً؛ لأن قومه شاركوه ، وكانوا سبب غضبه ، كما حدث في مسألة هجرة النبي صلى الله عليه وسلم هاجر من مكة لكنه لم يهْجرهَا ، فسُمِّيَتْ هجرة؛ لأن أهل مكة هجروا رسول الله أولاً ، وهجروا دعوته وألجئوه أيضاً إلى الهجرة وتَرْك مكة ، فهم طرفٌ في الهجرة وسببٌ لها .
اجتهاد : كذلك هاجر النبي(ص) ليستمر فى دعوته

الفصل السادس

خصائص المصطفى
معنى الخَصِيْصة يدور على الآتي:
١- الانفراد.
٢- الفضل.
٣- التميز.
التعريف بالخصائص النبوية:
بناء على الاستنتاجات السابقة فالخصائص النبوية: (هي الفضائل والأمور التي انفرد بها النبي صلى الله عليه وسلم وامتاز بها إما عن إخوانه الأنبياء وإمّا عن سائر البشر).
المصطفى:
المصطفى اسم مفعول مشتق من الصفو، والصفو ضد الكَدَر، وصفوة الشيء ما صفا منه، واصطفاه: اختاره، والمصطفى هو المختار.
قال تعالى: ((اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)) [الحج:٧٥].
والمقصود بالمصطفى هنا هو رسولنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم قوله: {إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم}.

الغلو:

قال صاحب القاموس: (غلا في الأمر غلواً جاوز حدّه).
والمقصود بالغلو هنا تجاوز الحد فيما يجب أن يعتقده المسلم في حق الرسول صلى الله عليه وسلم.
والغلو هنا أمر تختلف درجته من شخص لآخر يدور بين الشرك والبدعة؛ لذا يُحكم على الشخص أنه غالٍ بحسب درجة غلوه. وأكثر من يتصف بهذا النوع من الغلو هم الصوفية أصحاب الطرق ذات العهود والمواثيق التي يلتزم بها أتباعها. وأيضاً يكثر في القبوريين الذين لا ينتسبون إلى طرق معينة لكن غلوا في الأنبياء والصالحين عموماً وتعلقوا بهم وبقبورهم التعلق الذي لا يكون إلا لله تعالى من الاستغاثة بهم في الشدائد وطلب كشف الضر منهم فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

الجفاء:

قال صاحب القاموس: (جفا جفاءً وتجافى: لم يلزم مكانه. ورجل جافي الخِلقة والخُلُق: غليظ. والجفاء نقيض الصلة).

١-والمقصود بالجفاء هنا رد ما ثبت للنبي صلى الله عليه وسلم من الخصائص والفضائل أورد بعضها.

وفي هذا معنى الجفاء الذي يقطع الصلة المتولدة في القلب من المحبة والتعظيم نتيجة اعتقاد عدم ثبوت تلك الخصيصة للنبي صلى الله عليه وسلم أو جعل تلك الخصيصة لعامة الناس.

٢-وأيضاً يدخل في معنى الجفاء ما جعله الأتباع لمشايخهم وأئمتهم من الفضائل والمناقب ما لم يكن له صلى الله عليه وسلم فهذا من الجفاء إذ إن النبي صلى الله عليه وسلم فاق في فضله جميع الأنبياء والمرسلين بل هو سيدهم وإمامهم

فلا شك أن تقديم غيره عليه صلى الله عليه وسلم في الفضائل من أعظم الجفاء؛ لأن بذلك التقديم والتعظيم للغير تنشأ المحبة التي تفوق محبة النبي صلى الله عليه وسلم التي لا يبقى منها إلا الادعاءات التي يُعبرون عنها بالموالد والاحتفالات.

٣- ويدخل في الجفاء أيضاً ترك التأسي به صلى الله عليه وسلم في هديه والتأسي بغيره.

والجفاء في كل ذلك تختلف درجته، فمنه ما يكون كفراً والعياذ بالله، ومنه ما هو دون ذلك، وأكثر من يتصف بالجفاء هم الفلاسفة المنتسبون إلى الإسلام ومدعو النبوة عموماً والصوفية.

الاختصاص الاول

خصائص النبى (ص) دون جميع الأنبياء عليهم السلام فى الحياة الدنيا

(١)-اختصاص النبى صلى الله عليه وسلم بأن آيته العظمى في كتابه:

القرآن كلام الله تعالى، المُنزّل على رسوله الأمين؛ ليكون نذيراً للعالمين، وهو الذي سمّاه الله تعالى نوراً مبيناً
((يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً)) [النساء:١٧٤]،
وهو الوحي الذي أوحاه الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: {ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ؛ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة} متفق عليه

وفي هذا يقول الماوردي رحمه الله: (والقرآن أوّل معجز دعا به محمد صلى الله عليه وسلم إلى نبوته، فصدع فيه برسالته، وخُصّ بإعجازه من جميع رسله، وإن كان كلاماً ملفوظاً وقولاً محفوظاً، لثلاثة أسباب صار بهنَّ من أخصِّ إعجازه، وأظهر آياته:
أحدها: أنّ معجز كل رسول موافق للأغلب من أحوال عصره، والشائع المنتشر من ناس دهره؛
لأنَّ موسى عليه السلام حين بُعث في عصر السحرة خُصَّ من فلق البحر يبساً، وقلب العصا حية، ما بهر كلَّ ساحرٍ، وأذلَّ كلَّ كافرٍ،
وبُعث عيسى عليه السلام في عصر الطّب، فخُصَّ من إبراء الزمنى، وإحياء الموتى ما أدهش كلَّ طبيبٍ، وأذهل كلَّ لبيبٍ،
ولمّا بُعث محمّد صلى الله عليه وسلم في عصر الفصاحة، والبلاغة، خُصَّ بالقرآن في إيجازه، وإعجازه بما عجز عنه الفصحاء، وأذعن له البلغاء، وتبلّد فيه الشعراء؛ ليكون العجز فيه أقهر، والتقصير فيه أظهر.
الثاني: أنّ المعجز في كل قوم بحسب أفهامهم، وعلى قدر عقولهم وأذهانهم،
وكان من قوم موسى وعيسى عليهما السلام بلادةٌ وغباوةٌ؛ لأنّه لم ينقل عنهم ما يدرون به من كلام مستحسنٍ، أو يستفاد من معنى مبتكرٍ، وقالوا لنبيهم حين مرّوا بقوم يعكفون على أصنامٍ لهم: ((اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ)) [الأعراف:١٣٨]، فخُصُّوا من الإعجاز بما يصلون إليه ببداية حواسهم،
والعرب أصح النَّاس أفهاماً، وأحدهم أذهاناً؛ قد ابتكروا من الفصاحة أبلغها، ومن المعاني أغربها، ومن الآداب أحسنها؛ فخُصُّوا من معجزة القرآن بما تجول فيه أفهامهم، وتصل إليه أذهانهم؛ فيدركوه بالفطنة دون البديهة، وبالرّوية دون المبادرة؛ لتكون كل أمَّة مخصوصة بما يشاكل طبعها، ويوافق فهمها.
الثالث: أنّ معجزة القرآن أبقى على الأعصار، وأنشر في الأقطار من معجزة يختص بحاضره ويندرس بانقراض عصره، وما دام إعجازه أحج؛ فهو بالاختصاص أحق).

وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ و (الكتاب) هو التوراة ، فلو اقترن بعيسى فهو الإنجيل ، وإنْ أُطلِق دون أن يقترنَ بأحد ينصرف إلى القرآن الكريم .

والوَحْي قد يكون بمعاني الأشياء ، ثم يُعبّر عنها الرسول بألفاظه ، أو يعبر عنها رجاله وحواريوه بألفاظهم .
قوله : { وَآتَيْنَآ } أي : أوحينا إليه معانيه ومثال ذلك : الحديث النبوي الشريف ، فالمعنى فيه من الحق سبحانه ، واللفظ من عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهكذا كان الأمر في التوراة والإنجيل .
فإن قال قائل : ولماذا نزل القرآن بلفظه ومعناه ، في حين نزلت التوراة والإنجيل بالمعنى فقط؟
نقول : لأن القرآن نزل كتاب منهج مثل التوراة والإنجيل ، ولكنه نزل أيضاً كتاب معجزة لا يستطيع أحد أنْ يأتيَ بمثله ، فلا دَخْلَ لأحد فيه ، ولا بُدَّ أنْ يظلَّ لفظه كما نزل من عند الله سبحانه وتعالى

فالحق سبحانه وتعالى حَصَّن رسوله صلى الله عليه وسلم ضد ما سيأتي من أحداث؛ لكي يكون على توقُّع لها ، ولا تحدث له المفاجأة التي ربما ولدتْ الانهيار ، وأعطاه الطُّعْم المناسب للداء قبل حدوثه؛ لتكون لديه المناعة الكافية عند وقوع الأحداث ، واليقين الثابت في نصر الله له مهما ادْلهَمتْ الخطوب ،

(٢)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بتعهد الله تعالى بحفظ الكتاب المنزل عليه:
خصَّ الله تعالى القرآن الكريم دون سائر الكتب السماوية الأخرى بالحفظ.
قال تعالى: **((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ))** [الحجر:٩]،
وقال تعالى: **((وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ))** [فصلت: ٤١-٤٢] وقال تعالى: **((قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا))** [الإسراء:٨٨].
وأمّا الكتب الأخرى فقد وكل الله تعالى أمر حفظها إلى أهلها،
قال تعالى: **((إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ))** [المائدة:٤٤].
يقول الآلوسي رحمه الله: (بما استحفظوا) أي بالذي استحفظوه من جهة النبيين وهو التوراة حيث سألوهم أن يحفظوها من التغيير والتبديل على الإطلاق،
وقوله: (وكانوا عليه شهداء) عطف على (استحفظوا) ومعنى (شهداء) رقباء يحمونه من أن يحوم حول حماه التغيير والتبديل بوجه من الوجوه).
وقال تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء
قال تعالى إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون
وقال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
وقال تعالى وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث وقال تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لتثبت به فؤادك الآتين

اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بأن كتابه معجز ومحفوظ من التبديل والتحريف على ممر الدهور

وجامع لكل شيء ومستغن عن غيره

ومشتمل على ما اشتملت عليه جميع الكتب وزيادة

وميسر للحفظ ونزل منجما ونزل على سبعة أحرف ومن سبعة أبواب وبكل لغة

عظمة القرآن في السنة

١-وأخرج البخاري عن أبي هريرة {صلى الله عليه وسلم} (ما من الأنبياء نبي إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا)

٢-وأخرج البيهقي عن الحسن في قوله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه الآية قال حفظه الله تعالى من الشيطان فلا يزيد فيه باطلا ولا ينقص منه حقا

٣-وأخرج البيهقي عن يحيى بن أكثم قال دخل يهودي على المأمون فتكلم فأحسن الكلام فدعاه المأمون إلى الإسلام فأبى فلما كان بعد سنة جاءنا مسلما فتكلم على الفقه فأحسن الكلام فقال له المأمون ما كان سبب إسلامك قال انصرفت من حضرتك

فأحببت أن أمتحن هذه الأديان

فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها ونقصت وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني

وعمدت إلى الانجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها البيعة فاشتريت مني

وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الوراقين فتصفحوها فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصات رموا بها فلم يشتروها فعلمت أن هذا كتاب محفوظ فكان هذا سبب إسلامي

قال يحيى ابن أكثم فحججت تلك السنة فلقيت سفيان بن عيينة فذكرت له الحديث فقال لي مصداق هذا في كتاب الله تعالى قلت في أي موضع قال في قول الله تعالى في التوراة والأنجيل بما استحفظوا من كتاب الله فجعل حفظة إليهم فضاع وقال إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون فحفظه الله تعالى علينا فلم يضع

٤-وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن الحسن البصري قال أنزل الله مائة وأربعة كتب أودع علومها أربعة منها التوراة والانجيل والزبور والفرقان ثم أودع علوم التوراة والانجيل والزبور في الفرقان

٥-وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين

٦-وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال أنزل الله في هذا القرآن كل علم وبين لنا فيه كل شيء ولكن علمنا يقصر عما بين لنا في القرآن

٧-وأخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال (إن الله لو أغفل شيئا لأغفل الذرة والخردلة والبعوضة)

٨-وأخرج الحاكم والبيهقي عن ابن مسعود عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال (كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال)
٩-وأخرج الشيخان عن ابن عباس أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال (أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف)
١٠-واخرج مسلم عن أبي بن كعب أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال (إن ربي أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمتي فأرسل إلي أن أقرأ على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتي فأرسل إلي أن أقرأه على سبعت أحرف)
١١-وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وابن جرير عن أبي ميسرة قال نزل القرآن بكل لسان وأخرج ابن أبي شيبة عن الضحاك مثله
١٢-وأخرج ابن المنذر في تفسيره عن وهب بن منبه قال ما من اللغة شيء إلا منها في القرآن شيء قيل وما فيه من الرومية قال فصرهن يقول قطعهن قال الإمام الرازي فضل القرآن على سائر الكتب المنزلة بثلاثين خصلة لم تكن في غيره

<u>معجزته مستمرة إلى يوم القيامة</u>

واختص بأن معجزته مستمرة إلى يوم القيامة وهي القرآن ومعجزات سائر الأنبياء انقرضت لوقتها عد هذه الشيخ عز الدين ابن عبد السلام وبأنه أكثر الأنبياء معجزات فقد قيل إنها تبلغ ألف وقيل ثلاثة آلاف ذكر ذلك البيهقي

<u>(٣)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بأن كتابه مشتمل على ما اشتملت عليه الكتب السابقة وفُضِّل بالمفصل:</u>

لحديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {أعطيت مكان التوراة السبع(٢)، وأعطيت مكان الزّبور المئين(٣)، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني(٤)، وفُضِّلت بالمفصل(٥).

(٢) السبع الطوال هي من البقرة إلى التوبة.

(٣) هي السور التي بلغ عدد آياتها المائة أو قاربها.

(٤) هي السور التي بعد المئين إلى المفصل.

(٥) ويبدأ المفصل على الأرجح من سورة (ق) إلى آخر السور القرآنية. انظر في ذلك الإتقان في علوم القرآن للسيوطي

<u>اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بخواتيم سورة البقرة:</u>

روى الإمام أحمد من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إني أوتيتهما من كنز من بيت تحت العرش ولم يؤتهما نبي قبلي}. يعني الآيتين من سورة البقرة.

والآيتان هما قوله تعالى: **((آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ))** [البقرة: ٢٨٥-٢٨٦].

(٤)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بأن في كتابه الناسخ والمنسوخ:

قال تعالى: **((مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))** [البقرة:١٠٦] الآية.
قال ابن جرير(١): (ما نغير من حكم آية فنبدله، أو نتركه فلا نبدله، نأت بخير لكم أيها المؤمنون حكماً منها أو مثل حكمها في الخفة والثقل والثواب والأجر).
وقال السيوطي: (وليس في سائر الكتب مثل ذلك؛
ولذا كان اليهود ينكرون النسخ، والسر في ذلك أنّ سائر الكتب نزلت دفعة واحدة فلا يتصور فيها الناسخ والمنسوخ، لأنّ شرط الناسخ أن يتأخر نزوله عن المنسوخ).

(٥)باب أعطى كنز العرش كيف صار محمد {صلى الله عليه وسلم} يتقدم الأنبياء وهو آخر من بعث

قال إن الله تعالى لما اخذ من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم كان محمد {صلى الله عليه وسلم} أول من قال بلى ولذلك صار يتقدم الأنبياء وهو آخر من بعث
عن ميسرة الفجر قال قلت يا رسول الله متى كنت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد
عن أبي هريرة رضي الله عنه قيل للنبي {صلى الله عليه وسلم} متى وجبت لك النبوة قال بين خلق آدم ونفخ الروح فيه
ان اعرابيا قال للنبي {صلى الله عليه وسلم} أي شيء كان اول نبوتك قال اخذ الله مني الميثاق كما أخذ من النبيين ميثاقهم ودعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى ورأت امي في منامها انه خرج من بين رجليها سراج اضاءت له قصور الشام

كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وأن من فسره بعلم الله بأنه سيصير نبيا لم يصل إلى هذا المعنى لأن علم الله محيط بجميع الأشياء
ووصف النبي {صلى الله عليه وسلم} بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي ان يفهم منه أنه امر ثابت له في ذلك الوقت ولهذا رأى آدم اسمه مكتوبا على العرش محمد رسول الله فلا بد أن يكون ذلك معنى ثابتا في ذلك الوقت

ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير في المستقبل لم يكن له خصوصية بأنه نبي وآدم بين الروح والجسد لأن جميع الأنبياء يعلم الله نبوتهم في ذلك الوقت وقبله فلا بد من خصوصية للنبي {صلى الله عليه وسلم} لأجلها أخبر بهذا الخبر إعلاما لأمته ليعرفوا قدره عند الله تعالى فيحصل لهم الخير بذلك

قلت قد جاء ان الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد فقد تكون الإشارة بقوله كنت نبيا إلى روحه الشريفة او إلى حقيقته والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعلمها خالقها ومن امده بنور الهي ثم ان تلك الحقائق يؤتي الله كل حقيقة منها ما يشاء في الوقت الذي يشاء

فحقيقة النبي {صلى الله عليه وسلم} قد تكون من قبل خلق آدم آتاه الله ذلك الوصف بأن يكون خلقها متهيئة لذلك وأفاضه عليها من ذلك الوقت فصار نبيا وكتب اسمه على العرش وأخبر عنه بالرسالة ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وإن تأخر جسده الشريف المتصف بها واتصاف حقيقته بالاوصاف الشريفة المفاضة عليه من الحضرة الالهية وانما يتأخر البعث والتبليغ وكل ما له من جهة الله تعالى ومن جهة تأهل ذاته الشريفة وحقيقته معجل لا تأخير فيه وكذلك استنباؤه وايتاؤه الكتاب والحكم والنبوة وإنما المتأخر تكونه

والنبي {صلى الله عليه وسلم} خير الخلق فلا كما لمخلوق اعظم من كماله ولا محل أشرف من محله فعرفنا بالخبر الصحيح حصول ذلك الكمال من قبل خلق آدم لنبينا {صلى الله عليه وسلم} من ربه سبحانه وانه أعطاه النبوة من ذلك الوقت ثم اخذ له المواثيق على الانبياء ليعلموا انه المقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم وفي اخذ المواثيق وهي في معنى الاستخلاف ولذلك دخلت لام القسم في لتؤمنن به ولتنصرنه الآية

<u>١-لطيفة أخرى في أن اخذ الميثاق من النبيين لنبينا {صلى الله عليه وسلم} وعليهم كإيمان البيعة التي تؤخذ للخلفاء</u>

وهي كأنها إيمان البيعة التي تؤخذ للخلفاء ولعل ايمان الخلفاء اخذت من هنا فانظر هذا التعظيم العظيم للنبي {صلى الله عليه وسلم} من ربه سبحانه وتعالى فاذا عرفت ذلك فالنبي {صلى الله عليه وسلم} هو نبي الأنبياء ولهذا ظهر ذلك في الآخرة جميع الأنبياء تحت لوائه وفي الدنيا كذلك ليلة الاسراء صلى بهم

<u>٢-ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم وعلى أممهم فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك ولهذا يأتي عيسى في آخر الزمان على شريعته</u>

وهو نبي كريم على حاله لا كما يظن بعض الناس أنه يأتي واحدا من هذه الامة نعم هو واحد من هذه الامة لما قلناه من اتباعه للنبي {صلى الله عليه وسلم} وإنما يحكم بشريعة نبينا محمد {صلى الله عليه وسلم} بالقرآن والسنة وكل ما فيهما من أمر أو نهي فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الأمة وهو نبي كريم على حاله لم ينقص منه شيء وكذلك لو بعث النبي {صلى الله عليه وسلم} في زمانه أو في زمان موسى وابراهيم ونوح وآدم كانوا مستمرين على نبوتهم

ورسالتهم إلى أممهم والنبي {صلى الله عليه وسلم} نبي عليهم ورسول إلى جميعهم فنبوته ورسالته أعم وأشمل وأعظم ومتفق مع شرائعهم في الأصول لأنها لا تختلف

٣-باب خصوصيته {صلى الله عليه وسلم} بكتابة اسمه الشريف مع اسم الله تعالى على العرش وسائر ما في الملكوت

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب بحق محمد لما غفرت لي قال وكيف عرفت محمدا قال لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف إلى اسمك إلا احب الخلق إليك قال صدقت يا آدم ولولا محمد ما خلقتك

٤-واخرج ابن عساكر عن كعب الاحبار قال ان الله انزل على آدم عصيا بعدد الأنبياء والمرسلين ثم اقبل على ابنه شيث فقال أي بني انت خليفتي من بعدي فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى فكلما ذكرت الله فاذكر الى جنبه اسم محمد {صلى الله عليه وسلم}

فإني رأيت اسمه مكتوبا على ساق العرش وأنا بين الروح والطين
ثم إني طفت السموات فلم أر في السموات موضعا إلا رأيت اسم محمد مكتوبا عليه
وأن ربي اسكنني الجنة فلم ار في الجنة قصرا ولا غرفة إلا اسم محمد مكتوبا عليه
ولقد رأيت اسم محمد مكتوبا على نحور الحور العين
وعلى ورق قصب آجام الجنة وعلى ورق شجرة طوبى وعلى ورق سدرة المنتهى
وعلى أطراف الحجب وبين اعين الملائكة فأكثر ذكره فان الملائكة تذكره في كل ساعاتها

٥-عن انس قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما عرج بي رأيت على ساق العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله

واخرج البزار عن ابن عمر قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما عرج بي إلى السماء ما مررت بسماء إلا وجدت اسمي فيها مكتوبا محمد رسول الله

واخرج ابن عساكر عن جابر قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مكتوب على باب الجنة لا اله إلا الله محمد رسول الله

(٦)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بكونه خاتم النبيين:

قال تعالى: **((مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا))** [الأحزاب:٤٠].

وقال تعالى وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه
وقال تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله

قال ابن كثير: (فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بطريق الأولى والأحرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي ولا ينعكس).

أورد ابن سبع هاتين الآيتين إستدلالا على أن شرعه ناسخ لكل شرع قبله
وأخرج أبو نعيم عن عمر بن الخطاب قال أتيت النبي {صلى الله عليه وسلم} ومعي كتاب أصبته من بعض أهل الكتب فقال (والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا اليوم ما وسعه إلا أن يتبعني)
بل قد نصَّ النبي صلى الله عليه وسلم على ختم النبوة به،
وذلك في المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **{مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلاَّ وضعت هذه اللبنة؟! قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين}** واللفظ للبخاري.

<u>(٧)اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بأنه أول النبيين وتقدم نبوته</u>
فكان نبيا وآدم منجدل في طينته
وتقدم أخذ الميثاق وأنه أول من قال بلى يوم ألست بربكم

<u>(٨)-اختصاص النبى صلى الله عليه وسلم بإرساله إلى الثقلين:</u>
وهذه من خصائصه الكبرى صلى الله عليه وسلم، حيث كان النبي يرسل إلى قومه خاصَّة،
قال تعالى: (وَمَا **((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ))** [إبراهيم:٤]
وقال تعالى: **((وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلا فِيهَا نَذِيرٌ))** [فاطر:٢٤]،
وأمّا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
فقد قال الله له: **((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا))** [الأعراف:١٥٨] الآية،
وقال تعالى: **((وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ))** [آل عمران:٢٠].
فنبينا صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى الناس عامة، قال صلى الله عليه وسلم: {أعطيت خمساً لم يُعطهنَّ أحد من الناس -وذكر منها- وكان النبي يرسل إلى قومه خاصَّة وبُعثت إلى الناس عامة} متفق عليه.
وكما أنه صلى الله عليه وسلم مرسل إلى الناس عامة فهو أيضاً مرسل إلى الجن قال تعالى: **((تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا))** [الفرقان:١] حيث يدخل في العالمين عالم الجن مع الإنس.
قال القرطبي: (والمراد بالعالمين هنا الإنس والجن؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان رسولاً إليهما ونذيراً لهما).
وقال تعالى: **((قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا))** [الجن: ١-٢].

<u>اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بعموم الدعوة للناس كافة</u>
أكثر الأنبياء تابعا

وبإرسال إلى الجن بالإجماع وإلى الملائكة في قول
وبإتيانه الكتاب وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب
وقال تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس وقال تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا

فصل الإجماع على أنه {صلى الله عليه وسلم} مبعوث إلى جميع الإنس والجن وأما بعثته إلى الملائكة فاختلف فيها والذي رجحه السبكي أنه مبعوث إليهم

ويستدل له بما أخرجه عبد الرزاق عن عكرمة قال صفوف أهل الأرض على صفوف أهل السماء فإذا وافق آمين في الأرض آمين في السماء غفر للعبد
وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله ألا تدعو على المشركين قال (إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذابا)
وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي عن ابن عباس في قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قال من آمن تمت له الرحمة على الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن عوفي مما كان يصيب الأمم في عاجل الدنيا من العذاب من الخسف والمسخ والقذف

بعثه الله إلى الناس كَافَّة

{ وإلى عَادٍ أخَاهُمْ هُوداً . . . } [الأعراف : ٦٥] .
وقوله الحق : **{ وإلى مَدْيَنَ أخَاهُمْ شُعَيْباً . . . }** [الأعراف : ٨٥] .
وكذلك قوله سبحانه لموسى : **{ وَرَسُولاً إلى بني إسْرَائِيلَ . . . }** [آل عمران : ٤٩] .
وهكذا كان كُلُّ رسول إنما يبعثه الله إلى بُقْعة خاصة ، وإلى أُنَاسٍ بعينهم ، وفي زمن خاصٍّ ، إلا محمداً صلى الله عليه وسلم ؛ فقد بعثه الله إلى الناس كَافَّة
إن الرسول يتحمّل من مشقة الرسالة وعناء الدعوة على قَدْر رسالته ، فكلُّ رسل الله قبل محمد كان الرسول يُرْسَل إلى قومه خاصة ، وفي مدة محدودة ، وزمان محدود ، ومع ذلك تعبوا كثيراً في سبيل دعوتهم ، فما بالك برسول بُعِثَ إلى الناس كافة في كل زمان وفي كل مكان ، لا شَكَّ أنه سيتحمل من التعب والعناء أضعاف ما تحمَّله إخوانه من الرسل السابقين

(٩)فضل محمدا على أهل السماء وعلى الأنبياء

١-قالوا يا ابن عباس ما فضله على أهل السماء
قال إن الله تعالى قال لأهل السماء ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم وقال لمحمد (إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) فقد كتب له براءة
٢- قالوا فما فضله على الأنبياء قال إن الله تعالى قال وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه وقال لمحمد وما أرسلناك إلا كافة للناس فأرسله إلى الإنس والجن
٣-وأخرج ابن سعد عن الحسن قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (أنا رسول من أدركت حيا ومن يولد بعدي)

وأخرج ابن سعد عن خالد بن معدان قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (بعثت إلى الناس كافة فإن لم يستجيبوا إلي فإلى العرب فإن لم يستجيبوا إلي فإلى قريش فإن لم يستجيبوا إلي فإلى بني هاشم فإن لم يستجيبوا فإلي وحدي)
٤-وأخرج مسلم عن أنس قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (أنا اكثر الأنبياء تابعا)
٥-وأخرج البزار عن أبي هريرة عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال (يأتي معي من أمتي يوم القيامة مثل السيل والليل فيحطم الناس حطمة فتقول الملائكة لما جاء مع محمد أكثر مما جاء مع سائر الأمم والأنبياء)
٦-وأخرج مسلم عن أنس قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (ما صدق نبي من الأنبياء ما صدقت إن من الأنبياء من لم يصدقه من أمته إلا الرجل الواحد)

<u>(١٠)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بالنصر بالرعب مسيرة شهر وجعلت له الأرض مسجداً وطهوراً وأحلت له الغنائم:</u>

١-عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال: {أعطيت خمساً لم يُعطهن أحد قبلي:
نُصرت بالرعب مسيرة شهر،
وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ،
وأُحلت لي الغنائم ولم تحل لأحدٍ قبلي،
وأُعطيت الشفاعة،
وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصّة وبُعثت إلى الناس عامة}.

<u>٢-وروى الإمام احمد</u>
-وذكر منها:- وأحلت لي الغنائم آكلها، وكان من قبلي يعظمون أكلها، كانوا يحرقونها، وجعلت لي الأرض مساجد وطهوراً، أينما أدركتني الصلاة تمسحت وصليت وكان مَن قبلي يعظمون ذلك، إنما كانوا يصلون في كنائسهم وبيعهم...}
ومادام الله تبارك وتعالى أنعم على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى أمته بأن جعل لهم الأرض مسجدا طهورا فإنما يريد أن يوسع دائرة التقاء العباد بربهم .

٣-وأخرج ابن أبي حاتم وعثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الرد على الجهمية عن عبادة بن الصامت أن النبي {صلى الله عليه وسلم} خرج فقال (إن جبريل أتاني فقال أخرج فحدث بنعمة الله التي أنعم بها عليك **<u>فبشرني بعشر لم يؤتها نبي قبلي</u>**
إن الله بعثني إلى الناس جميعا
وأمرني أن أنذر الجن ولقاني كلامه وأنا أمي
قد أوتي داود الزبور وموسى الألواح وعيسى الانجيل
وغفرلي ما تقدم من ذنبي وما تأخر
وأعطاني الكوثر

وأمدني بالملائكة
وأتاني النصر وجعل بين يدي الرعب
وجعل حوضي أعظم الحياض
ورفع لي ذكري في التأذين
ويبعثني يوم القيامة مقاما محمودا والناس مهطعين مقنعي رؤسهم
ويبعثني في أول زمرة تخرج من الناس
وأدخل الجنة بشفاعتي سبعين ألفا من أمتي لا يحاسبون
ويرفعني في أعلى غرفة من جنات النعيم ليس فوقي إلا الملائكة الذين يحملون العرش
وأتاني السلطان وطيب الغنيمة لي ولأمتي ولم تكن لأحد قبلنا

٤-وأخرج الطبراني عن ابن عمر سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول لقد هبط علي ملك من السماء ما هبط على نبي قبلي ولا يهبط على أحد بعدي وهو إسرافيل فقال أنا رسول ربك إليك أمرني أن أخيرك إن شئت نبيا عبدا وإن شئت نبيا ملكا فنظرت إلى جبريل فأوما إلي أن تواضع فلو أني قلت نبيا ملكا لسارت الجبال معي ذهبا

٥-وأخرج أحمد وابن حبان في صحيحه وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (أتيت بمقاليد الدنيا على فرس أبلق جاءني بها جبريل عليه قطيفة من سندس)

٦-أخرج ابن سعد وأبو نعيم عن أبي أمامة عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال (عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكني أشبع يوما وأجوع يوما فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك)

٧-وأخرج ابن سعد والبيهقي عن عائشة قالت دخلت علي امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عباءة مثنية فانطلقت فبعثت إلي بفراش حشوه الصوف فدخل علي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال ما هذا يا عائشة قلت يا رسول الله فلانة الأنصارية دخلت علي فرأت فراشك فذهبت فبعثت إلي بهذا فقال رديه فلم أرده وأعجبني أن يكون في بيتي حتى قال ذلك ثلاث مرات فقال رديه يا عائشة فوالله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة

٨-وأخرج أحمد والطبراني بسند صحيح عن ابن عمر عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال (أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس) إن الله عنده علم الساعة الآية

<u>(١١)- اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بالجمعة والتأمين واستقبال الكعبة والصف في الصلاة كصف الملائكة وتحية السلام</u>

١-أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له قال: يوم الجمعة فاليوم لنا وغداً لليهود وبعد غد للنصارى} وهذا لفظ مسلم.

٢-قال ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: ((فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ)) [البقرة:٢١٣] الآية:
(كان اختلافهم الذي خذلهم الله فيه، وهدى الذين آمنوا بمحمد لإصابة يوم الجمعة، ضلوا عنها وقد فرضت عليهم كالذي فرض علينا فجعلوها السبت).

٣-أخرج مسلم عن حذيفة وأبي هريرة أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال (أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الاخرون من أهل الدنيا الأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق)

٤-وأخرج ابن عساكر من طريق الربيع بن أنس قال ذكر لنا عن أصحاب النبي {صلى الله عليه وسلم} فيما سعوا من علماء بني إسرائيل أن يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام أرسل بخمس كلمات وأنه من يعمل بهن حتى يموت فإنه لا حساب عليه يوم القيامة أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا والصلاة والصدقة والصيام وذكر الله وأن الله أعطى محمدا هؤلاء الخمس وزاد معه خمسا أخر الجمعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد

٥-وأخرج أحمد والبيهقي في سننه عن عائشة أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال (أنهم لا يحسدونا على شيء كما حسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى القبلة التي هدانا الله لنا وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الإمام آمين)

٦-وأخرج ابن ماجة عن ابن عباس قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتامين)
٧-وأخرج الطبراني في الأوسط عن معاذ بن جبل أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال (إن اليهود لم يحسدوا المسلمين على أفضل من ثلاث رد السلام وإقامة الصفوف وقولهم خلف إمامهم في المكتوبة آمين)
٨-وأخرج الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن أنس قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (أعطيت ثلاث خصال أعطيت صلاة في الصفوف وأعطيت السلام وهي تحية أهل الجنة وأعطيت آمين
ولم يعطها أحد ممن كان قبلكم إلا أن يكون الله أعطاها هارون فإن موسى كان يدعو ويؤمن هارون

(١٢)اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بمجموع الصلوات الخمس ولم تجمع لأحد وبأنه أول من صلى العشاء ولم يصلها نبي قبله

١-أخرج الطحاوي عن عبيد الله بن محمد بن عائشة قال
إن آدم لما تيب عليه عند الفجر صلى ركعتين فصارت الصبح
وفدى إسحاق عند الظهر فصلى إبراهيم أربعا فصارت الظهر
وبعث عزير فقيل له كم لبثت قال يوما فرأى الشمس فقال أو بعض يوم فصلى أربع ركعات فصارت العصر
وغفر لداود عند المغرب فقام فصلى أربع ركعات فجهد فجلس في الثالثة فصارت المغرب ثلاثا وأول من صلى العشاء الآخرة نبينا {صلى الله عليه وسلم}

٢-واخرج البخاري عن أبي موسى قال أعتم النبي {صلى الله عليه وسلم} ليلة بالعشاء حتى ابهار الليل ثم خرج فصلى فلما قضى صلاته قال لمن حضره (ابشروا فإن من نعمة الله عليكم أنه ليس أحد من الناس يصلي هذه الساعة غيركم أو قال ما صلى هذه الساعة أحد غيركم

٣-وأخرج أحمد والنسائي عن ابن مسعود قال أخر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال (أما أنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم)

٤-وأخرج أبو داود وابن أبي شيبة في المصنف والبيهقي في سننه عن معاذ بن جبل قال أخر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} صلاة العتمة ليلة حتى ظن الظان أن قد صلى ثم خرج فقال (أعتموا بهذه الصلاة فإنكم فضلتم بها على سائر الأمم ولم تصلها أمة قبلكم)

(١٣) اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بالآذان والإقامة

أخرج سعيد بن منصور عن أبي عمير بن أنس قال أخبرني عمومة لي من الأنصار قالو اهتم النبي {صلى الله عليه وسلم} بالصلاة كيف يجمع الناس لها فقيل له أنصب راية عند حضور الصلاة فلم يعجبه ذلك فذكر له القنع فلم يعجبه ذلك وقال هو من أمر اليهود وذكر له الناقوس فلم يعجبه ذلك وقال هو من امر النصارى فانصرف عبد الله بن زيد وهو مهتم فأري الآذان في منامه

(١٤)اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بالركوع فى الصلاة وبالجماعة فيها

ذكر جماعة من المفسرين في قوله تعالى واركعوا مع الراكعين أن مشروعية الركوع في الصلاة خاص بهذه الملة وأنه لا ركوع في صلاة بني إسرائيل ولذا أمرهم بالركوع مع أمة محمد {صلى الله عليه وسلم}

قلت وقد يستدل له بما أخرجه البزار والطبراني في الأوسط عن علي قال أول صلاة ركعنا فيها صلاة العصر فقلت يا رسول الله ما هذا قال (بهذا أمرت)
ووجه الإستدلال أنه صلى قبل ذلك صلاة الظهر وصلى قبل فرض الصلوات الخمس قيام الليل وغير ذلك فكون الصلاة السابقة بلا ركوع قرينة لخلو صلاة الأمم السابقة منه
وذكر ابن فرشته في شرح المجمع في قوله {صلى الله عليه وسلم} (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا فهو منا) أراد بقوله اللهم صلاتنا الصلاة بالجماعة لأن الصلاة منفردا موجودة فيمن قبلنا

(١٥)اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بقوله ربنا ولك الحمد

أخرج البيهقي في سننه عن عائشة قالت قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (لم تحسدنا اليهود بشيء حسدنا بثلاث التسليم والتأمين واللهم ربنا لك الحمد

(١٦)اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بالصلاة في النعلين

أخرج سعيد بن منصور عن شداد بن أوس قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (صلوا في نعالكم ولا تشبهوا باليهود)
وأخرجه أبو داود والبيهقي في سننهما بلفظ خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في خفافهم لا ونعالهم)

(١٧)اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بكراهة الصلاة في المحراب

وقد كان لمن قبلنا قال تعالى فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب
أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن موسى الجهني قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (لا تزال أمتي بخير ما لم يتخذوا في مساجدهم مذابح كمذابح النصارى)
وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن مسعود قال اتقو هذه المحاريب
وأخرج الطبراني والبيهقي في سننه عن ابن عمرو مرفوعا اتقوا هذه المذابح يعني المحاريب

(١٨)اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بالحوقلة والإسترجاع عند المصيبة وافتتاح الصلاة بالتكبير

(١٩)اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بساعة الإجابة وبليلة القدر وبشهر رمضان وبالخصال الخمس المكفرة فيه وبعيد الأضحى
وبالنحر وكان لأهل الكتاب الذبح وباللحد وكان لأهل الكتاب الشق
وبالسحور وبتعجيل الفطر وبإباحة الأكل والشرب والجماع ليلا إلى الفجر وبيوم عرفة
وبجعل صوم عرفة كفارة سنتين

١-قال مالك في الموطأ بلغني أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أرى أعمار الناس قبله او ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذي بلغه غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر وله شواهد بينتها في التفسير المسند

٢-وأخرج الديلمي عن أنس قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إن الله وهب لأمتي ليلة القدر ولم يعطها من كان قبلهم)
٣-وأخرج ابن جرير عن عطاء في قوله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات قال كتب عليكم الصيام ثلاثة أيام من كل شهر وكان هذا صيام الناس قبل ذلك ثم فرض الله شهر رمضان

٤-وأخرج ابن جرير عن السدى في قوله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم قال الذين من قبلنا هم النصارى كتب عليهم رمضان وكتب عليهم أن لا يأكلوا ولا يشربوا بعد النوم ولا ينكحوا النساء شهر رمضان فاشتد على النصارى صيام رمضان فاجتمعوا فجعلوا صياما في الفصل بين الشتاء والصيف وقالوا نزيد عشرين يوما نكفر بها ما صنعنا فلم يزل المسلمون يصنعون كما تصنع النصارى حتى كان كان من امر أبي قيس بن صرمة وعمر بن الخطاب ما كان فأحل الله تعالى لهم الأكل والشرب والجماع إلى طلوع الفجر

٥-وأخرج الأصبهاني في الترغيب عن أبي هريرة قال قال رسول {صلى الله عليه وسلم} (أعطيت أمتي في رمضان خمس خصال لم يعطهن أمة كانت قبلهم خلوف فم الصائم أطيب عند الله من رائحة المسك وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا وتصفد مرده الشياطين فلا يصلون فيه إلى ما كانوا يصلون إليه ويزين الله جنته في كل يوم فيقول يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤنة ويصيروا إليك ويغفر لهم في آخر ليلة من رمضان فقالوا يا رسول الله هي ليلة القدر قال لا ولكن العامل إنما يوفي أجره عند إنقضاء عمله

٦-وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عمرو وأن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال (أمرت بعيد الأضحى جعله الله لهذه الأمة)

٧-وأخرج أبو داود وابن ماجة عن أبي هريرة قال قال رسول الله {ص} (لا يزال هذا الدين ظاهرا ما عجل الناس الفطر أن اليهود والنصارى يؤخرون)

٨-وأخرج ابن أبي حاتم وابن المنذر في تفسيرهما عن مجاهد وعكرمة قالا كان لبني إسرائيل الذبح وأنتم لكم النحر ثم قرأ فذبحوها فصل لربك وانحر

٩-وأخرج الأربعة عن ابن عباس أن النبي {ص} قال (اللحد لنا والشق لغيرنا)
وأخرج أحمد عن جرير بن عبد الله البجلي ان النبي {ص}قال(اللحد لنا والشق لأهل الكتاب)

١٠-وأخرج مسلم عن أبي قتادة أن النبي {ص} سئل عن صوم يوم عاشوراء فقال يكفر السنة الماضية وسئل عن صوم يوم عرفة قال يكفر السنة الماضية والباقية
قال العلماء وإنما كان كذلك لأن يوم عرفه سنة النبي {ص} ويوم عاشوراء سنة موسى عليه السلام فجعل سنة نبينا تضاعف على سنة موسى في الأجر

١١-ويقرب من ذلك ما أخرجه الحاكم عن سليمان قال قلت يا رسول الله قرأت في التوراة بركة الطعام الوضوء قبله فقال بركة الطعام الوضوء قبله وبعده وقد روى الحاكم في تاريخ نيسابور عن عائشة مرفوعا الوضوء قبل الطعام حسنة وبعده حسنتان

<u>(٢٠)اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بتحريم الكلام في الصلاة وبإباحة الكلام في الصوم على العكس مما كان من قبلنا</u>

أخرج سعيد بن منصور في سننه عن محمد بن كعب القرظي قال قدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المدينة والناس يتكلمون في الصلاة في حوائجهم كما يتكلم أهل الكتاب في الصلاة في حوائجهم حتى نزلت هذه الآية وقوموا لله قانتين

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى وقوموا لله قانتين قال كل أهل دين يقومون فيها يعني يتكلمون فقوموا أنتم لله مطيعين

وقال ابن العربي في شرح الترمذي كان من قبلنا من الأمم صومهم الإمساك عن الكلام مع الطعام والشراب فكانو في حرج فأرخص الله لهذه الأمة بحذف نصف زمانها وهو الليل وحذف نصف صومها وهو الإمساك عن الكلام ورخص لها فيه

<u>(٢١)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بنداء الله تعالى له بأعزّ أوصافه:</u>

<u>فناداه ربه بأحب أوصافه وأسنى كمالاته،</u>

قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ)) [الأنفال: ٦٤]،
و((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ)) [المائدة: ٤١].
يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) المزمل
يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) المدثر

<u>قال العز بن عبد السلام: (وهذه الخَصِيصة لم تثبت لغيره بل إن كلاً منهم نودي باسمه</u>

فقال تعالى: ((وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ)) [البقرة:٣٥]،
وقال تعالى: ((يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ)) [المائدة: ١١٠]،

وقال تعالى: ((يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ)) [القصص:٣٠]،
وقال تعالى: ((يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا)) [هود: ٤٨]،
وقال تعالى: ((يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا)) [الصافات: ١٠٤-١٠٥].
يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) مريم
وقال تعالى : { ياداوود إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأرض } [ص : ٢٦] .

ولا يخفى على أحد أن السيد إذا دعى أحد عبيده بأفضل ما وجد فيه من الأوصاف العلية والأخلاق السنية ودعا الآخرين بأسمائهم الأعلام لا يشعر بوصف من الأوصاف ولا بخلق من الأخلاق،
إن منزلة من دعاه بأفضل الأسماء والأوصاف أعز عليه وأقرب إليه ممن دعاه باسمه العلم).

وأما الآيات التي ورد فيها ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم إنما كان ذلك من باب الإخبار كقوله تعالى: ((مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ)) [الأحزاب: ٤٠]، وكقوله تعالى: ((مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ)) [الفتح:٢٩] الآية.

(٢٢)التفرقة بينه {صلى الله عليه وسلم} وبين الأنبياء فى الخطاب

قال أبو نعيم ومن خصائصه التفرقه بينه وبين الأنبياء في الخطاب فإن الله تعالى
قال لداود ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال لنبينا {صلى الله عليه وسلم} وما ينطق عن الهوى منزها له عن ذلك بعد الإقسام عليه

وقال عن موسى ففرت منكم لما خفتكم وقال عن نبينا {صلى الله عليه وسلم} وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية فكنى عن خروجه وهجرته بأحسن العبارات
وكذا نسب الإخراج إلى عدوه في قوله إذ أخرجه الذين كفروا من قريتك التي أخرجتك ولم يذكره بالفرار الذي فيه نوع غضاضة انتهى

قال أبو نعيم ومن خصائصه أن الله فصل مخاطبته من مخاطبة الأنبياء قبله تشريفا له وإجلالا وذلك أن الأمم كانوا يقولون لأنبيائهم راعنا سمعك فنهى الله تعالى هذه الأمة أن يخاطبوا نبيهم بهذه المخاطبة فقال يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم

(٢٣)-اختصاص النبى صلى الله عليه وسلم بأن الله تعالى نهى الناس أن ينادوه باسمه العلم:

قال تعالى: **((لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا))** [النور: ٦٣].
فندبهم سبحانه وتعالى إلى تكنيته بالنبوة والرسالة تشريفاً ورفعاً لمنزلته.

وأخرج أبو نعيم من طريق الضحاك عن ابن عباس في الآية قالوا كانوا يقولون يا محمد يا أبا القاسم فنهاهما الله عن ذلك إعظاما لنبيه فقالوا يا نبي الله يا رسول الله
وأخرج البيهقي عن علقمة الأسود في الآية قال لا تقولوا يا محمد ولكن قولوا يا رسول الله يا نبي الله
وأخرج عن قتادة في الآية قال أمر الله تعالى أن يهاب نبيه وأن يعظم ويفخم ويسود
ولا يليق أن نناديه صلى الله عليه وسلم باسمه : يا محمد . لأن الجامع بين الرسول وأمته ليس أنه محمد ، إنما الجامع أنه رسول الله ، فلا بُدَّ أنْ نناديه بهذا الوصف . ولِمَ لا وربه عز وجل وهو خالقه ومصطفيه قد ميّزه عن سائر إخوانه من الرسل ، ومن أولي العزم ، فناداهم بأسمائهم .
لكن لم يُنَادِ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم باسمه أبداً ، إنما يناديه ب « يأأيها » الرسول ، يأأيها النبي . فإذا كان الحق تبارك وتعالى لم يجعل دعاءه للرسول كدعائه لباقي رسله ، أفندعوه نحن باسمه؟ ينبغي أن نقول : يا أيها الرسول ، يا أيها النبي ، يا رسول الله ، يا نبي الله ، فهذا هو الوصف اللائق المشرِّف .
وكما نُميِّز دعاء رسول الله حين نناديه ، كذلك حين ينادينا نحن يجب أن نُقدِّر هذا النداء ، ونعلم أن هذا النداء لخير عام يعود نفعه على الجميع .
قال أبو نعيم الأصبهاني: (فخصه الله تعالى بهذه الفضيلة من بين رسله وأنبيائه وأخبر سبحانه عن سائر الأمم أنهم كانوا يخاطبون رسلهم وأنبياءهم بأسمائهم)

كقول قوم موسى له: ((يَا مُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ)) [الأعراف:١٣٨]،
وقول قوم عيسى له: ((يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ)) [المائدة: ١١٢]،
وقول قوم هود له: ((يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ)) [هود: ٥٣].

(٢٤)اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بتحريم التكنى بكنيته قيل والتسمي باسمه ولم يثبت ذلك لأحد من الأنبياء

أخرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (لا تجمعوا بين إسمي وكنيتي أنا أبو القاسم الله يعطي وأنا أقسم)

وأخرج أحمد عن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري عن عمه قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (لا تجمعوا بين أسمي بكنيتي)

وأخرج عن أنس أن النبي {صلى الله عليه وسلم} كان في البقيع فنادى رجل يا أبا القاسم فالتفت إليه النبي {ص} فقال (لم أعنك فقال **(سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي)**

وأخرج الحاكم عن جابر قال ولد لرجل من الأنصار غلام فسماه محمدا فغضبت الأنصار وقالوا حتى نستأمر النبي {صلى الله عليه وسلم} فذكروا ذلك له فقال (قد أحسنت الأنصار ثم قال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي فإنما أنا قاسم أقسم بينكم)

قال الشافعي وليس لأحد أن يكتني بأبي القاسم سواء كان إسمه محمدا أم لا

قال الرافعي ومنهم من حمله على كراهية الجمع بين الإسم والكنية وجوز الإفراد

وذهب مالك إلى جواز التكني بعده وإن النهي مختص بحياته لزوال المعنى وهو الإيذاء بالالتفات عند ظن المنادى

(٢٥)اختصاصه انه المذكور فى السماء نغمة الاهية وملائكية قبل ان يقوم ادم فى هذا الوجود

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) الأحزاب

(٢٦)-اختصاص النبى صلى الله عليه وسلم بأن السماء حُرست بمبعثه:

قال تعالى حكاية عن الجن: **((وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا))** [الجن: ٨-٩].
قال القرطبي: (أي طلبنا خبرها كما جرت العادة: (فوجدناها) قد (مُلئت حرساً شديداً) أي حفظة، يعني الملائكة. (وشهباً) جمع شهاب، وهو انقضاض الكواكب المحرقة لهم عن استراق السمع).
فحفظ الله كتابه ورحم عباده حتى لا يلتبس الحق عليهم بمبعثه صلى الله عليه وسلم.

(٢٧)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله تعالى أقسم بحياته:
قال تعالى: **((لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ))** [الحجر:٧٢].
قال ابن كثير: (أقسم تعالى بحياة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه عريض).
وقال العز بن عبد السلام: (والإقسام بحياة المُقسَم بحياته يدل على شرف حياته وعزتها عند المُقسِم بها، ولم يثبت هذا لغيره صلى الله عليه وسلم).
في القَسَم يختارون كلمة « عَمْرك » ، وهذا يماثل قولنا في الحياة اليومية « وحياتك »
وفي هذا تكريمٌ عظيم ، وهنا في هذه الآية نجد تكريماً آخر ، فسبحانه يُقسِم بحياة رسوله صلى الله عليه وسلم . ونعلم أن الحق سبحانه يُقسِم بما شاء على ما شاء ، أقسم بالشمس وبمواقع النجوم وبالنجم إذا هَوَى .

فهو الخالق العليم بكل ما خلق؛ ولا يعرف عظمة المخلوق إلا خالقه ، وهو العالم بمُهمة كل كائن خلقه ، لكنه أمرنا ألاّ نُقسِم إلاّ به؛ لأننا نجل حقائق الأشياء مُكْتملةً .

وقد أقسم سبحانه بكل شيء في الوجود ، إلا أنه لم يُقسِم أبداً بأيِّ إنسان إلا بمحمد صلى الله عليه وسلم ؛ فقال هنا :

{ لَعَمْرُكَ } بحياتك يا محمد إنهم في سَكْرة يعمهون .

والسكرة هي التخديرة العقلية التي تحدث لمن يختلّ إدراكهم بفعل عقيدة فاسدة ، أو عادة شاذة ، أو بتناول مادة تثير الاضطراب في الوعي .

و { يَعْمَهُونَ . . } أي : يضطربون باختيارهم .

(٢٨)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بأن أدلّه تعالى تولى الدفاع عنه مما رماه به قومه:

كان الأنبياء السابقون عليهم السلام يتولون الدفاع عن أنفسهم مما رماهم به المكذبون من أقوامهم من السفه والضلال.

قال تعالى فيما أخبر عن قوم نوح عليه السلام أنهم قالوا له: **((إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ))** [الأعراف:٦٠]، فقال عليه السلام دفاعاً عن نفسه: **((يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ))** [الأعراف: ٦١]،

وقول قوم هود عليه السلام له: **((إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ))** [الأعراف:٦٦]، فقال نافياً عن نفسه ما نسبوه إليه: **((يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ))** [الأعراف: ٦٧]،

وأما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد تولى ربه الرد عنه حين رماه المشركون بالجنون والضلال وقول الشعر،

ونبينا {صلى الله عليه وسلم} تولى الله تبريته عما نسبه إليه اعداؤه ورد عليهم بنفسه

قال تعالى: **((فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ * قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ * أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ * أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ))** [الطور: ٢٩-٣٤].

- **وقال ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى**
- **وقال وما علمناه الشعر**
- **الله تعالى أقسم على رسالته فقال يس والقرآن الحكيم أنك لمن المرسلين**

وفي هذا من التشريف لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ما تحار فيه العقول وتزداد به محبة الرسول صلى الله عليه وسلم.

(٢٩)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله تعالى قدّمه على جميع أنبيائه في الذكر في أغلب آيات القرآن:

قال تعالى: **((إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا * وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا))** [النساء: ١٦٣-١٦٤].

وقال تعالى: **((وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا))** [الأحزاب: ٧].

قال ابن كثير: (فبدأ بالخاتم لشرفه صلوات الله عليه ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم).

(٣٠)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بإمامة الأنبياء في بيت المقدس:

لم تقتصر فضائل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالنسبة لإخوانه الأنبياء على تَقَدُّمه عليهم في الذكر، بل قد جمع الله تعالى له جماعة منهم فصلى بهم إماماً؛ تأكيداً لفضله وشرفه عليهم،

أخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط، قال: فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به

وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء

فإذا موسى قائم يصلي فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة

وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي

وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه

فحانت الصلاة فأممتهم، فلما فرغت من الصلاة قال قائل: يا محمد! هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت إليه فبدأني بالسلام}.

(٣١)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بانشقاق القمر آية له:

قال تعالى: **((اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ))** [القمر: ١].

أخرج الشيخان من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: {انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اشهدوا}

(٣٢)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بأن من معجزاتة ما هو أظهر في الإعجاز من معجزات غيره

كتفجير الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم، فإنه أبلغ في خرق العادة من تفجيره من الحجر؛ لأن جنس الحجر مما يتفجر منه الأنهار

قال تعالى: **((وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا))** [البقرة:٦٠] الآية.

وقال تعالى في شأن بني إسرائيل: **((ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ))** [البقرة: ٧٤]

وأما ما جاء في شأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: {رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوَضُوء فلم يجدوه فأتِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بوَضُوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء يده وأمر الناس أن يتوضؤوا منه. قال: فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه حتى توضؤوا من عند آخرهم}، واللفظ للبخاري. وفي رواية لمسلم: {كانوا زهاء الثلاثمائة}،

فكان انفجار الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم أبلغَ في الإعجاز من انفجار الماء من الحجر لموسى عليه السلام.

<u>(٣٣)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بحنين الجذع إليه:</u>

أخرج البخاري من حديث ابن عمر(١) رضي الله عنهما: {كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه، فحنَّ الجذع، فأتاه فمسح يده عليه}.

قال العز بن عبد السلام: (ولم يثبت لواحد من الأنبياء مثل ذلك).

<u>(٣٤)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بتسليم الحجر عليه قبل البعثة:</u>

أخرج مسلم من حديث جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن}.

قال العز بن عبد السلام: (ولم يثبت لواحد من الأنبياء مثل ذلك).

<u>(٣٥)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بأنه بعث رحمة للعالمين:</u>

قال الله تعالى: **<u>((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ))</u>** [الأنبياء:١٠٧]،

وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: {ادع على المشركين، قال: إني لم أبعث لعَّاناً وإنما بُعِثت رحمة}،

وروى الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسيرالاية

قال: [[من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف]].

وفي بيان هذه الرحمة يقول القاضي عياض: (للمؤمن رحمة بالهداية، ورحمة للمنافقين بالأمان من القتل، ورحمة للكافرين بتأخير العذاب)

قال أبو نعيم الأصبهاني:
(فأمن أعداؤه من العذاب مدة حياته عليه السلام فيهم وذلك قوله تعالى: **((وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ))** [الأنفال: ٣٣]
فلم يعذبهم مع استعجالهم إيَّاه تحقيقاً لما نعته به).

وأمَّا الأمم الماضية فقد أخبرنا الله تعالى بما حلَّ بهم من العذاب
قال تعالى في شأن نوح عليه السلام وقومه: ((**فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ**)) [الأعراف:٦٤]،
وقال تعالى في شأن هود عليه السلام وقومه: **((فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ))** [الأعراف:٧٢]،
وقال تعالى في شأن صالح عليه السلام وقومه: **((فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ * فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ))** [الأعراف: ٧٨-٧٩].
وقال تعالى في شأن لوط عليه السلام وقومه: **((فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ))** [الأعراف: ٨٣-٨٤].
فكان بذا صلى الله عليه وسلم هو الرحمة المهداة والنعمة المسداة للعالمين.
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
وما دام صلى الله عليه وسلم خاتَم الرسل ، وبعثته للناس كافة ، وللزمن كله إلى أنْ تقوم الساعة . وقد جاء الرسل السابقون عليه لفترة زمنية محددة ، ولقوم بعينهم ، أما رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فجاءتْ رحمةً للعالمين جميعاً؛ لذلك لا بُدَّ لها أنْ تتسعَ لك أقضية الحياة التي تعاصرها أنت ، والتي يعاصرها خَلَفُك ، وإلى يوم القيامة .
ومعنى : العالمين ، كُلُّ ما سوى الله عز وجل : عالم الملائكة ، وعالم الجن ، وعالم الإنس ، وعالم الجماد ، وعالم الحيوان ، وعالم النبات . لكن كيف تكون رسالة محمد صلى الله عليه وسلم رحمةً لهم جميعاً؟
رحمة للملائكة
، فجبريل - عليه السلام - كان يخشى العاقبة حتى نزل على محمد قوله تعالى : { ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي العرش مَكِينٍ } [التكوير : ٢٠] فاطمأن جبريل عليه السلام وأَمِن

رحمته للانس:
اخرج الناس من الظلمات الى النور
لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨) التوبة

رحمته للجن:

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠) الأحقاف

رحمة للجماد

١-لأنه أمرنا بإماطة الأذى عن الطريق .

٢-فلقد حن اليه الجذع الذى كان يرتقيه قبل المنبر ، تاوه الجذع وتالم بصوت سمعه كل من فى المسجد فاقبلا عليه النبى (ص) فمسح عليه بيده حتى سكن

٣-عندما مر النبى(ص) على عمار بن ياسر وكان المشركون يحرقون جسده ، فقال النبى (ص) يا نار كونى بردا وسلاما على عمار كما كنت بردا وسلاما على ابراهيم فكانت كذلك ، فوصف بالسحر لاول مرة

٤-كان النبى يسير على جبل ثبير ومعه ابى بكر وعمر فتزلزل الجبل حنينا اليه ، فقال النبى (ص) اسكن ثبير فما عليك الا نبى وصديق وشهيد .فسكن

رحمة بالحيوان

١-وفي الحديث الشريف : « ما من مسلم يزرع زَرْعاً ، أو يغرس غَرْساً فيأكلَ منه طيْرٌ أو إنسان أو بهيمة ، إلا كان له به صدقة » .

٢-وحديث المرأة التي دخلتْ النار في هِرَّة حبستْها ، فلا هي أطعمتْها وسقتْها ، ولا هي تركتها تأكل من خَشَاش الأرض .

٣-وحديث الرجل الذي دخل الجنة؛ لأنه سقى كلباً كان يلهث يأكل الثرى من شدة العطش ، فنزل الرجل البئر وملأ خُفَّه فسقى الكلب ، فشكر الله له وغفر له ، لأنه نزل البئر وليس معه إناء يملأ به الماء ، فاحتال للأمر ، واجتهد ليسقي الكلب .

٤-عندما راى جملا صاح وذرفت عيناه فاتاه النبى(ص) فمسح سنامه فسكن ، فسال النبى عن صاحب الجمل فقال له الا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله اياها فانه يشكو انك تجيعه وتدئبه(تتعبه)

وهكذا نالتْ رحمة الإسلام الحيوان والطير والإنسان ، ففي الدين مبدأ ومنهج يُنظِّم كل شيء ولا يترك صغيرة ولا كبيرة في حياة الناس؛ لذلك فهو رحمة للعالمين .

جميع الانبياء خلقوا من الرحمة ونبينا (ص) عين الرحمة ، ومن ر حم به غير ه فهو افضل من غيره

ولكنه كان يحرص - صلى الله عليه وسلم - على أن يؤمن الناس جميعاً ليذوقوا حلاوة ما جاء به ، هذا الحرص هو الذي يدفع الحُزن إلى قلب الرسول ، وعندما يرى واحداً لا يتذوق حلاوة المنهج ، فالرسول يأمل أن يذوق الناس كلهم حلاوة الإيمان؛ لأنه صلى الله عليه وسلم رءوف رحيم بالمؤمنين ، بل وبالناس جميعا { وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }

فالرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم كانوا رحمة لأممهم ، أمّا محمد فرحمة لجميع العالمين

(٣٦)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله تعالى جمع له من مراتب الوحي مراتب عديدة:

الأولى: الرؤيا الصالحة،

وكانت مبدأ وحيه صلى الله عليه وسلم وكان لا يرى الرؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، أخرج البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: {كان أول ما بُدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح} الحديث.

الثانية: ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه،

أخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إنَّ روح القدس نفث في روعي أنَّ نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها، فأجملوا في الطلب، ولا يحملنَّ أحدَكم استبطاءُ الرزق أن يطلبه بمعصية الله فإنَّ الله لا يُنال ما عنده إلا بطاعته}.

الثالثة: أنه صلى الله عليه وسلم كان يتمثل له الملك رجلاً فيخاطبه،

وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحياناً، أخرج مسلم من حديث عمر رضي الله عنه الطويل وفيه: {يا عمر أتدري من السائل؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم}.

الرابعة: أنه كان يأتيه مثل صلصلة الجرس

أخرج البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أنَّ الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: {كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدّ عليَّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال...} الحديث.

الخامسة: أنه كان يرى الملك في صورته التي خُلق عليها

أخرج الشيخان من حديث ابن مسعود رضي الله عنه لما سُئل عن تفسير قوله تعالى: ((فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى)) [النجم: ٩-١٠] قال رضي الله عنه: {إنه رأى جبريل له ستمائة جناح}

وأخرج البخاري من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: {من زعم أنَّ محمداً رأى ربه فقد أعظم ولكن رأى جبريل في صورته وخَلقه ساداً ما بين الأفق}.

السادسة: ما أوحاه الله إليه وهو فوق السموات ليلة المعراج.

السابعة: كلام الله منه إليه بلا واسطة ملك كلما كلّم الله تعالى موسى بن عمران عليه السلام،

أخرج مسلم من حديث أنس بن مالك الطويل وفيه: {...ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت ما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إليَّ ما أوحى...} الحديث.

كلامه {صلى الله عليه وسلم} لله عز وجل عند سدرة المنتهى

قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام ومن خصائصه أن الله وكلم موسى بالطور وبالوادي المقدس وكلم نبينا {صلى الله عليه وسلم} عند سدرة المنتهى وجمع له بين الكلام والرؤية وبين المحبة والخلة

أخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (قال لي ربي عز وجل نحلت إبراهيم خلتي وكلمت موسى تكليما وأعطيتك يا محمد خلتي ومحبتي وكلمتك كفاحا)

وأخرج ابن عساكر عن سلمان قال قيل للنبي {صلى الله عليه وسلم} كلم الله موسى تكليما وخلق عيسى من روح القدس واتخذ إبراهيم خليلا واصطفى آدم فما أعطيت من الفضل

فهبط جبريل فقال إن ربك يقول إن كنت اتخذت إبراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا وإن كنت كلمت موسى في الأرض تكليما فقد كلمتك في السماء وإن كنت خلقت عيسى من روح القدس فقد خلقت إسمك من قبل أن أخلق الخلق بألفي سنة ولقد وطئت في السماء موطأ لم يطأه أحد قبلك ولا يطأه أحد بعدك وإن كنت اصطفيت آدم فقد ختمت بك النبياء وما خلقت خلقا اكرم على منك وقد أعطيتك الحوض والشفاعة والناقة والقضيب والتاج والهرواة والحج والعمرة وشهر رمضان والشفاعة كلها لك

حتى ظل عرشي في القيامة عليك ممدود وتاج الحمد على رأسك معقود وقرنت إسمك مع إسمي فلا أذكر في موضع حتى تذكر معي ولقد خلقت الدنيا وأهلها لعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا

وأخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إن الله أعطى موسى الكلام وأعطاني الرؤية وفضلني بالمقام المحمود والحوض المورود)

وأخرج ابن عساكر عن أنس قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} **(لما أسري بي قربني ربي حتى كان بيني وبينه كقاب قوسين أو أدنى وقال لي يا محمد هل غمك أن جعلتك آخر النبيين قلت لا قال فهل غم أمتك إن جعلتهم آخر الأمم قلت لا قال أخبر أمتك إني جعلتهم آخر الأمم لأفضح الأمم عندهم ولا أفضحهم عند المم)**

(٣٧)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بأخذ الميثاق له من جميع الأنبياء بالإيمان به ونصرته:

قال تعالى: **((وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ))** [آل عمران:٨١].

قال ابن كثير: (يقول تعالى مهما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول بعد هذا كله، فعليكم الإيمان به ونصرته، وإذا كان هذا الميثاق شاملاً لكل منهم تضمن أخذه لمحمد صلى الله عليه وسلم من جميعهم، وهذه خصوصية ليست لأحدٍ منهم سواه).

(٣٨)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بأن أهل الكتاب لهم علم به:

قال تعالى: **((الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ))** [الأعراف: ١٥٧]الآية،

وقال تعالى: **((وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ))** [الصف:٦].

(٣٩)الوضوء

وأخرج الطبراني عن أبي الدرداء أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال (فضلت بأربع جعلت أنا وأمتي نصف في الصلاة كما تصف الملائكة وجعل الصعيد لي وضوءا وجعلت لي الأرض مسجدا وأحلت لي الغنائم)

قال الحليمي يستدل لأن الوضوء من خصائص هذه الأمة بحديث الصحيحين إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء)

ورد بأن الذي اختصت به الغرة والتحجيل لا أصل الوضوء كيف وفي الحديث هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي

قال ابن حجر والجواب ان هذا حديث ضعيف وعلى تقدير ثبوته يحتمل أن يكون الوضوء من خصائص الأنبياء دون أممهم إلا هذه الأمة

ذكر في التوراة والانجيل في صفة أمته {صلى الله عليه وسلم} يوضئون أطرافهم رواه أبو نعيم افترضت عليهم أن يتطهروا في كل صلاة كما افترضت على الأنبياء

ثم رأيت الطبراني أخرج قال دعا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بوضوء فتوضأ واحدة واحدة فقال هذا الوضوء الذي لا يقبل الله الصلاة إلا به ثم توضأ إثنتين إثنتين فقال هذا وضوء الأمم قبلكم ثم

توضأ ثلاثا ثلاثا فقال هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي وفي هذا تصريح بكون الوضوء للأمم السابقة ثم فيه خصوصية لنا عنهم وهو التثليث كما كان للأنبياء

(٤٠)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بكونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب:

قال تعالى: **((الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ))** [الأعراف: ١٥٧] الآية.

وقال تعالى: **((وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ))** [العنكبوت:٤٨].

وأخرج الشيخان من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: {إنَّا أمة أمِيَّة لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين}.

قال ابن حجر: (المراد بقوله صلى الله عليه وسلم: (إنَّا) أي العرب، وقيل أراد نفسه، وقيل أمية بلفظ النسب إلى الأم أراد أمة العرب؛ لأنها لا تكتب، أو منسوب إلى الأمهات أي أنهم إلى أصل ولادة أمهم، قوله: (لا نكتب ولا نحسب) المراد أهل الإسلام الذين بحضرته عند تلك المقالة وهو محمول على أكثرهم أو المراد نفسه وقيل للعرب أميون؛ لأنَّ الكتابة كانت فيهم عزيزة

قال تعالى: ((**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ**)) [الجمعة: ١].

(٤١)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أوتي مفاتيح خزائن الأرض:

أخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {بُعثت بجوامع الكلم، ونُصرت بالرعب، وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي. قال أبو هريرة: فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم تنتثلونها}.

قال النووي: (قوله (تنتثلونها) يعني تستخرجون ما فيها، يعني خزائن الأرض وما فتح الله على المسلمين من الدنيا).

(٤٢)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله تعالى جمع له بين القبلتين:

قال تعالى: ((**سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ للهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُّ وَمَا كَانَ اللهُّ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَّ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ**)) [البقرة:١٤٣].

((**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ**)) [البقرة:١٤٢-١٤٤].

قال ابن كثير: قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس فكان بمكة يصلي بين الركنين وهو مستقبل صخرة بيت المقدس فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس، قاله ابن عباس والجمهور... قال: والمقصود أن التوجه إلى بيت المقدس كان بعد مقدمه صلى الله عليه وسلم إلى المدينة واستمر على ذلك بضعة أشهر وكان يكثر الدعاء والابتهال أن يوجه إلى الكعبة التي هي قبلة إبراهيم فأجيب إلى ذلك).

(٤٣)ومن خصائصه أنه جمع بين القبلتين والهجرتين وأنه جمعت له الشريعة والحقيقة

ولم يكن للأنبياء إلا إحداهما بدليل قصة موسى مع الخضر وقوله إني على علم من علم الله لا ينبغي لك أن تعلمه وأنت على علم من علم الله لا ينبغي لي أن أعلمه

استنباطا من حديث السارق الذي أمر بقتله والمصلي الذي أمر بقتله

فقد أشكل فهمه على قوم ولو تأملوا لاتضح لهم المراد بالشريعة الحكم بالظاهر وبالحقيقة الحكم الباطن

وقد نص العلماء على أن غالب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعثوا ليحكموا بالظاهر دون ما اطلعوا عليه من بواطن الأمور وحقائقها

وبعث الخضر عليه السلام ليحكم بما اطلع عليه من بواطن الأمور وحقائقها ولكن الأنبياء لم يبعثوا بذلك

أنكر موسى عليه قتله الغلام وقال له لقد جئت شيئا نكرا لأن ذلك خلاف الشرع فأجابه بأنه أمر بذلك وبعث فقال وما فعلته عن أمري وهذا معنى قوله له إنك على علم إلى أخره
قال الشيخ سراج الدين البلقيني في شرح البخاري المراد بالعلم التنفيذ والمعنى لا ينبغي لك أن تعلمه لتعمل به لان العمل به مناف لمقتضى الشرع ولا ينبغي أن اعلمه فاعمل بمقتضاه لأنه مناف لمقتضى الحقيقة
قال فعلى هذا لا يجوز للولي التابع للنبي {صلى الله عليه وسلم} إذا اطلع على حقيقة أن ينفذ ذلك بمقتضى الحقيقة وإنما أن ينفذ الحكم الظاهر انتهى
وقد قال الشيخ تقي الدين السبكي إن الذي بعث به الخضر شريعة له فالكل شريعة
وأما نبينا {صلى الله عليه وسلم} فإنه أمر أولا أن يحكم بالظاهر دون ما اطلع عليه من الباطن والحقيقة كغالب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولهذا قال نحن نحكم بالظاهر وفي لفظ إنما اقضي بالظاهر والله يتولى السرائر وقال عندما أقضي بنحو ما اسمع فمن قضيته له بحق آخر فإنما هي قطعة من النار وقال للعباس أما ظاهرك فكان علينا وأما سريرتك فإلى الله
وكان يقبل عذر المتخلفين عن غزوة تبوك ويكل سرائرهم إلى الله وقال في تلك المرأة لو كنت راجما أحدا من غير بينة لرجمتها وقال أيضا لولا القرآن لكان لي ولها شأن فهذا كله صريح في أنه يحكم بظاهر الشرع بالبينة أو الإعتراف دون ما اطلعه الله عليه من بواطن الأمور وحقائقها
ثم أن الله تعالى زاده شرفا وأذن له أن يحكم بالباطن وما اطلع عليه من حقائق الامور فجمع له بين ما كان للأنبياء وما كان للخضر خصوصية خصه الله بها ولم يجمع الأمران لغيره
وقد قال القرطبي في تفسيره أجمع العلماء على بكرة أبيهم أنه ليس لأحد أن يقتل بعلمه إلا النبي {صلى الله عليه وسلم} وشاهد ذلك حديث المصلي والسارق الذين أمر بقتلهما فإنه اطلع على باطن أمرهما وعلم منهما ما يوجب

(٤٤)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله تعالى أحلّ له مكة ساعة من نهار:
أخرج مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فتح مكة: {لا هجرة ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا}،
وقال يوم الفتح فتح مكة: {إنَّ هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار} الحديث.
(٤٥)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بأنَّ الدجال لا يدخل بلدتيه:
أخرج مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {ليس من بلد إلا سيطؤه الدَّجال إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين تحرسها فينزل بالسبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج إليه كل كافر ومنافق}.
(٤٦)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بأن الطاعون لا يدخل مدينته:
أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {على المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال}.

الطاعون لأمته رحمة وشهادة وكان عذابا على من قبلها

(٤٧)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بأن الصلاة في مسجده أفضل من ألف صلاة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: {إنَّ امرأة اشتكت شكوى فقالت إنْ شفاني الله لأخرجنَّ فلأصلينَّ في بيت المقدس، فبرأت ثم تجهزت تريد الخروج، فجاءت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تسلم عليها فأخبرتها ذلك فقالت: اجلسي فكلي ما صنعت وصل في مسجد الرسول الله صلى الله عليه وسلم فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا مسجد الكعبة}.

(٤٨)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بأن ما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة وأنَّ منبره على حوضه:

أخرج الشيخان من حديث عبد الله بن زيد المازني رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة}.

وفي رواية للبخاري: {ومنبري على حوضي}.

قال ابن حجر في قوله صلى الله عليه وسلم: (روضة من رياض الجنة):

أي كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة والسعادة بما يحصل من ملازمة حلق الذكر لا سيما في عهده صلى الله عليه وسلم فيكون تشبيهاً بغير أداة،

أو أن المعنى أن العبادة فيها تؤدي إلى الجنة فيكون مجازاً،

أو هو على ظاهره وأن المراد أنه روضة حقيقة بأن يُنقل ذلك الموضع في الآخرة إلى الجنة).

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: (ومنبري على حوضي)

أي يُنقل يوم القيامة فينصب على الحوض،

قال الأكثر المراد منبره بعينه الذي قال فيه هذه المقالة وهو فوقه،

وقيل المراد المنبر الذي يوضع له يوم القيامة.

الاختصاص الثاني

خصائص النبي (ص) دون جميع الأنبياء عليهم السلام في الحياة الآخرة

(١)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أول من تنشق عنه الأرض وبإعطائه لواء الحمد وأول من يدخل الجنة يوم القيامة:

روى الإمام أحمد من حديث أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {إني لأول من تنشق الأرض عن جمجمتي يوم القيامة ولا فخر، وأعطى لواء الحمد ولا فخر، وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يدخل الجنة ولا فخر، وإني آتي باب الجنة فآخذ بحلقها فيقولون من هذا فأقول أنا محمد فيفتحون لي فأدخل فإذا الجبار مستقبلي فأسجد له فيقول: ارفع رأسك يا محمد، وتكلم يُسمع منك...} الحديث.

(٢)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله تعالى يبعثه يوم القيامة مقاماً محموداً:
قال الله تعالى لصفيه وخليله محمّد صلى الله عليه وسلم: **((وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقامًا مَحْمُودًا))** [الإسراء:٧٩].
أخرج البخاري رحمه الله في تفسير هذه الآية من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه يقول: {إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود}.
وأخرج أيضاً من حديث ابن عمر: {إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم}.
ثم ذكر البخاري رحمه الله طريقاً آخر فيه زيادة: {فيشفع ليقضى بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم}.
اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بالمقام المحمود وبأن بيده لواء الحمد وبأن آدم فمن دونه تحت لوائه وبأنه أمام النبيين يومئذ وخطيبهم وقائدهم وبأنه أول شافع وأول مشفع وأول من ينظر إلى الله تعالى وأول من يؤمر له بالسجود وأول من يرفع رأسه ولا يطلب منه شهيد على التبليغ ويطلب من سائر الأنبياء وبالشفاعة العظمى في فصل القضاء وبالشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب وبالشفاعة فيمن استحق النار من الموحدين أن لا يدخلها وبالشفاعة في رفع درجات ناس في الجنة وبالشفاعة فيمن خلد من الكفار في النار أن يخفف عنهم العذاب وبالشفاعة في أطفال المشركين ان لا يعذبوا
قال تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا

(٣)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بأنه سيد ولد آدم يوم القيامة ويفتح الله عليه من المحامد ما لا يفتحه على غيره وأن الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر:
أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: {أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع إليه الذراع -وكانت تعجبه- فنهس منها نهسة ثم قال: أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الناس -الأولين والآخرين- في صعيد واحد يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟
فيقول بعض الناس لبعض: **عليكم بآدم**، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وأنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح. **فيأتون نوحاً** فيقولون: يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سمّاك الله عبداً شكوراً، اشْفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وأنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات -فذكرهن أبو حيان في الحديث- نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى فيقولون: أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟

فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى.

فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وكلمت الناس في المهد، اشفع لنا، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله -ولم يذكر ذنباً- اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم.

فيأتون محمداً صلى الله عليه وسلم، فيقولون: يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق، فآتي العرش فأقع ساجداً لربي عزّ وجلّ، ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي. ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سلْ تُعطه، واشفع تُشَفع، فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا ربِّ، أمتي يا ربِّ. فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء للناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثُمَّ قال: والذي نفسي بيده إنَّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبُصْرى.

(٤)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أول شفيع في الجنة وأول من يقرع بابها:

روى مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تابعاً}. وفي لفظ آخر: {أنا أكثر الأنبياء تابعاً يوم القيامة وأول من يقرع باب الجنة}. ولنفس الصحابي رضي الله عنه أخرج مسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك}.

(٥)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أكثر الأنبياء تابعاً يوم القيامة ويدخل من أمته الجنة سبعون ألفاً بغير حساب:

أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: {ما من الأنبياء نبي إلا أُعطِيَ من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وأما الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة}. وأخرج أيضاً من حديث عمران بن حصين وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {عُرِضت عليَّ الأمم، فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط والنبي ليس معه أحد حتى رُفِعَ لي سواد عظيم قلت: ما هذا؟! أمتي هذه؟ قيل هذا

موسى وقومه، قيل انظر إلى الأفق فإذا سواد عظيم قد ملأ الأفق، ثُمَّ قيل انظر هاهنا وهاهنا في آفاق السماء فإذا سواد قد ملأ الأفق قيل هذه أمتك ويدخل الجنَّة من هؤلاء سبعون ألفاً بغير حساب..} الحديث.

وفي مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {يدخل من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر.

قال أبو هريرة: فقام عُكّاشة بن محصن الأسدي يجُر نمرة عليه فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم اجعله منهم. ثم قام رجل آخر من الأنصار فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سبقك بها عُكاشة}.

قال العز بن عبد السلام: (من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه يدخل إلى الجنة من أمته سبعون ألفاً بغير حساب ولم يثبت ذلك لغيره صلى الله عليه وسلم}.

(٦)-قوله {صلى الله عليه وسلم} فيمن يدخل الجنة

أخرج أبو يعلى عن عائشة قالت قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إن الأمم السالفة المائة أمة إذا شهدوا لعبد بخير وجبت له الجنة وأن أمتي الخمسون منه أمة فإذا شهدوا لعبد بخير وجبت له الجنة)

وأخرج البخاري والترمذي والنسائي عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (أيما مسلم يشهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة فقلنا وثلاثة قال وثلاثة فقلنا واثنان قال واثنان ثم لم نسأله عن الواحد

(٧)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة أمته على الأمم يوم القيامة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {يُجاء بنوح يوم القيامة فيقال له: هل بلّغت الرسالة؟ فيقول نعم. فتُسأل أمته: هل بلّغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير. فيقول: من شهودك؟ فيقول: محمد وأمته، فيجاء بكم فتشهدون، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)) قال عدلاً: ((لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)) [البقرة: ١٤٣]}.

قال العز بن عبد السلام: (نزّل الله تعالى أمته منزل العدول من الحكام، فإن الله تعالى إذا حكم بين العباد فجحدت الأمم بتبليغ الرسالة أحضر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون على الناس بأن رسلهم أبلغتهم، وهذه الخصيصة لم تثبت لأحد من الأنبياء).

(٨)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بالشهادة على أمته بإبلاغ الرسالة:

قال تعالى: **((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا))** [الأحزاب:٤٦].

قال القاضي عياض: (وهي -أي الشهادة لنفسه- من خصائصه صلى الله عليه وسلم، هذا بالإضافة إلى ما تضمنته الآية من ضروب المدح والثناء حيث جعله الله مبشراً لأهل طاعته ونذيراً لأهل معصيته وداعياً إلى توحيده وعبادته وسراجاً منيراً يُهتدى به إلى الحق).

(٩)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أول من يجوز الصراط من الرسل بأمته:

أخرج البخاري من حديث أبي هريرة الطويل وفيه: {... يُحشر الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبع: فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته...}.

(١٠)اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بأنه أول من يقرع باب الجنة

وأول من يدخلها وبعده إبنته وأن له في كل شعرة من رأسه ووجهه نورا ويؤمر أهل الجمع بغض أبصارهم حتى تمر إبنته على الصراط

وأخرج أبو نعيم عن أبي هريرة قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (أنا أول من يدخل الجنة ولا فخر وأول من يدخل علي الجنة فاطمة ومثلها في هذه الأمة مثل مريم في بني إسرائيل)

باب اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بالكوثر والوسيلة وبأن قوائم منبره رواتب في الجنة ومنبره على ترعة من ترع الجنة وما بين قبره ومنبره روضة من رياض الجنة

قال تعالى إنا أعطيناك الكوثر

(١١)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة الوسيلة:

أخرج مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: {إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليَّ فإنه من صلّى عليَّ صلاة صلّى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة}.

(١٢)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بإعطائه الكوثر:

قال سبحانه وتعالى: **((إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ))** [الكوثر:١].

القول الاول

روى الإمام البخاري رحمه الله في تفسير هذه الآية: (أنّ عائشة رضي الله تعالى عنها سألها أبو عبيدة عن قوله تعالى: ((إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)) [الكوثر:١] قالت: {هو نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم}.

قال ابن حجر: (الكوثر فوعل من الكثرة سمي بها النهر لكثرة مائه وآنيته وعظم قدره وخيره،

وهذا هو أحد الأقوال في معنى الكوثر أنه نهر في الجنة
يؤيده حديث أنس رضي الله عنه قال: {لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء قال: أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر}. وهو قول عائشة رضي الله عنها وغيرها من الصحابة.
والقول الثاني في معنى الكوثر أنه الخير الكثير، روى الإمام البخاري في صحيحه تفسير ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر: [[هو الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه]].
وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير.
والقول الثالث: أن المراد بالكوثر الحوض وذلك لحديث المختار بن فلفل عن أنس بن مالك وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: {أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عزّ وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة...} الحديث.
ولِمَا جاء في صحيح مسلم في الحوض: {يشخب فيه ميزابان من الجنة}. وغاية ما يقال على الحوض كوثر لكونه يمد منه).

٨-الكوثر
إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١)

أما الكوثر فهو فى اللغة فوعل من الكثرة وهو المفرط فى الكثرة ، قيل : لأعرابية رجع ابنها من السفر ، بم آب ابنك؟ قالت : آب بكوثر ، أي بالعدد الكثير ، ويقال للرجل الكثير العطاء : كوثر ، قال الكميت :
وأنت كثير يا ابن مروان طيب ... وكان أبوك ابن الفضائل كوثراً
ويقال للغبار إذا سطع وكثر كوثر هذا معنى الكوثر في اللغة ،
واختلف المفسرون فيه على وجوه
١- نهر فى الجنة: وهو المشهور والمستفيض عند السلف والخلف أنه نهر في الجنة ، روى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت نهراً في الجنة حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فضربت بيدي إلى مجرى الماء فإذا أنا بمسك أذفر ، فقلت : ما هذا؟ قيل : الكوثر الذي أعطاك الله » وفي رواية أنس : « أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، فيه طيور خضر لها أعناق كأعناق البخت من أكل من ذلك الطير وشرب من ذلك الماء فاز بالرضوان »
ولعله إنما سمي ذلك النهر كوثراً
إما لأنه أكثر أنهار الجنة ماء وخيراً
أو لأنه انفجر منه أنهار الجنة ، كما روي أنه ما في الجنة بستان إلا وفيه من الكوثر نهر جار ، أو لكثر الذين يشربون منها ،
أو لكثرة ما فيها من المنافع على ما قال عليه السلام : « إنه نهر وعدنيه ربي فيه خير كثير

٢- أنه حوض والأخبار فيه مشهورة ووجه التوفيق بين هذا القول ، والقول الأول أن يقال : لعل النهر ينصب في الحوض أو لعل الأنهار إنما تسيل من ذلك الحوض فيكون ذلك الحوض كالمنبع

٣- الكوثر أولاده قالوا : لأن هذه السورة إنما نزلت رداً على من عابه عليه السلام بعدم الأولاد ، فالمعنى أنه يعطيه نسلاً يبقون على مر الزمان ، فانظر كم قتل من أهل البيت ، ثم العالم ممتلىء منهم ، ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يعبأ به ، ثم أنظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام والنفس الزكية وأمثالهم

٤- الكوثر علماء أمته وهو لعمري الخير الكثير لأنهم كأنبياء بني إسرائيل ، وهم يحبون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشرون آثار دينه وأعلام شرعه ، ووجه التشبيه أن الأنبياء كانوا متفقين على أصول معرفة الله مختلفين في الشريعة رحمة على الخلق ليصل كل أحد إلى ما هو صلاحه ، كذا علماء أمته متفقون بأسرهم على أصول شرعه ، لكنهم مختلفون في فروع الشريعة رحمة على الخلق ، ثم الفضيلة من وجهين أحدهما : أنه يروى أنه يجاء يوم القيامة بكل نبي ويتبعه أمته فربما يجيء الرسول ومعه الرجل والرجلان ، ويجاء بكل عالم من علماء أمته ومعه الألوف الكثيرة فيجتمعون عند الرسول فربما يزيد عدد متبعي بعض العلماء على عدد متبعي ألف من الأنبياء الوجه الثاني : أنهم كانوا مصيبين لأتباعهم النصوص المأخوذة من الوحي ، وعلماء هذه الأمة يكونون مصيبين مع كد الاستنباط والاجتهاد ، أو على قول البعض : إن كان بعضهم مخطئاً لكن المخطىء يكون أيضاً مأجوراً
٥- الكوثر هو النبوة ، ولا شك أنها الخير الكثير لأنها المنزلة التي هي ثانية الربوبية ولهذا قال :
{ مَّنْ يُطِعِ الرسول فَقَدْ أَطَاعَ الله } [النساء : ٨] وهو شطر الإيمان بل هي كالغصن في معرفة الله تعالى ، لأن معرفة النبوة لا بد وأن يتقدمها معرفة ذات الله وعلمه وقدرته وحكمته ، ثم إذا حصلت معرفة النبوة فحينئذ يستفاد منها معرفة بقية الصفات كالسمع والبصر والصفات الخيرية والوجدانية على قول بعضهم ، ثم لرسولنا الحظ الأوفر من هذه المنقبة ، لأنه المذكور قبل سائر الأنبياء والمبعوث بعدهم ، ثم هو مبعوث إلى الثقلين ، وهو الذي يحشر قبل كل الأنبياء ، ولا يجوز ورود الشرع على نسخه وفضائله أكثر من أن تعد وتحصى .

ولنذكر ههنا قليلاً منها ، فنقول :
إن كتاب آدم عليه السلام كان كلمات على ما قال تعالى : { فَتَلَقَّى ءادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ } [البقرة : ٣٧]
وكتاب إبراهيم أيضاً كان كلمات على ما قال : { وَإِذِ ابتلى إبراهيم رَبُّهُ بكلمات } [البقرة : ١٢٤]
وكتاب موسى كان صحفاً ، كما قال { صُحُفِ إبراهيم وموسى } [الأعلى : ١٩]

أما كتاب محمد عليه السلام ، فإنه هو الكتاب المهيمن على الكل ، قال : { وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ } [المائدة : ٤٨]
وأيضاً فإن آدم عليه السلام إنما تحدى بالأسماء المنثورة { فقال أنبِئُونِى بِأَسْمَاء هَؤُلاء } [البقرة : ٣٥] ومحمد عليه الصلاة والسلام إنما تحدى بالمنظوم : { قُل لَّئِنِ اجتمعت الإنس والجن } [الإسراء : ٨٨]

وأما نوح عليه السلام ، فإن الله أكرمه بأن أمسك سفينته على الماء ، وفعل في محمد صلى الله عليه وسلم ما هو أعظم منه . روي أن النبي عليه الصلاة والسلام : « كان على شط ماء ومعه عكرمة بن أبي جهل ، فقال : لئن كنت صادقاً فادع ذلك الحجر الذي هو في الجانب الآخر فليسبح ولا يغرق ، فأشار الرسول إليه ، فانقلع الحجر الذي أشار إليه من مكانه ، وسبح حتى صار بين يدي الرسول عليه السلام وسلم عليه ، وشهد له بالرسالة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم يكفيك هذا؟ قال : حتى يرجع إلى مكانه ، فأمره النبي عليه الصلاة والسلام ، فرجع إلى مكانه
، وأكرم إبراهيم فجعل النار عليه برداً وسلاماً ، وفعل في حق محمد أعظم من ذلك . عن محمد بن حاطب قال : « كنت طفلاً فانصب القدر علي من النار ، فاحترق جلدي كله فحملتني أمي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقالت : هذا ابن حاطب احترق كما ترى فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم على جلدي ومسح بيده على المحترق منه ، وقال : أذهب البأس رب الناس ، فصرت صحيحاً لا بأس بي »
وأكرم موسى ففلق له البحر في الأرض ، وكرم محمداً ففلق له القمر في السماء ، ثم أنظر إلى فرق ما بين السماء والأرض ، وفجر له الماء من الحجر ، وفجر لمحمد أصابعه عيوناً ،
وأكرم موسى بأن ظلل عليه الغمام ، وكذا أكرم محمداً بذلك فكان الغمام يظلله ،
وأكرم موسى باليد البيضاء ، وأكرم محمداً بأعظم من ذلك وهو القرآن العظيم ، الذي وصل نوره إلى الشرق والغرب ،
وقلب الله عصا موسى ثعباناً ، ولما أراد أبو جهل أن يرميه بالحجر رأى على كتفيه ثعبانين ، فانصرف مرعوباً ،
وسبحت الجبال مع داود وسبحت الأحجار في يده ويد أصحابه ،
وكان داود إذا مسك الحديد لان ، وكان هو لما مسح الشاة الجرباء درت ،
وأكرم داود بالطير المحشورة ومحمداً بالبراق ،
وأكرم عيسى عليه السلام بإحياء الموتى ، وأكرمه بجنس ذلك حين أضافه اليهود بالشاة المسمومة ، فلما وضع اللقمة في فمه أخبرته ،
وأبرأ الأكمه والأبرص ، روي أن امرأة معاذ بن عفراء أتته وكانت برصاء ، وشكت ذلك إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فمسح عليها رسول الله بغصن فأذهب الله البرص ،
وحين سقطت حدقة الرجل يوم أحد فرفعها وجاء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فردها إلى مكانها ،

وكان عيسى يعرف ما يخفيه الناس في بيوتهم ، والرسول عرف ما أخفاه عمه مع أم الفضل ، فأخبره فأسلم العباس لذلك ،

وأما سليمان فإن الله تعالى رد له الشمس مرة ، وفعل ذلك أيضاً للرسول حين نام ورأسه في حجر علي فانتبه وقد غربت الشمس ، فردها حتى صلى ، وردها مرة أخرى لعلي فصلى العصر في وقته ،

وعلم سليمان منطق الطير ، وفعل ذلك في حق محمد ، روي أن طيراً فجع بولده فجعل يرفرف على رأسه ويكلمه فقال : أيكم فجع هذه بولدها؟ فقال رجل : أنا ، فقال : أردد إليها ولدها

وكلام الذئب معه مشهور ،

وأكرم سليمان بمسيرة غدوة شهراً وأكرمه بالمسير إلى بيت المقدس في ساعة ،

وكان حماره يعفور يرسله إلى من يريد فيجيء به ،

وقد شكوا إليه من ناقة أنها أغيلت ، وأنهم لا يقدرون عليها فذهب إليها ، فلما رأته خضعت له ، وأرسل معاذاً إلى بعض النواحي ، فلما وصل إلى المفازة ، فإذا أسد جاثم فهاله ذلك ولم يستجر أن يرجع ، فتقدم وقال : إني رسول رسول الله فتبصبص ،

وكما انقاد الجن لسليمان ، فكذلك انقادوا لمحمد عليه الصلاة والسلام ،

وحين جاء الأعرابي بالضب ، وقال لا أؤمن بك حتى يؤمن بك هذا الضب ، فتكلم الضب معترفاً برسالته ،

وحين كفل الظبية حين أرسلها الأعرابي رجعت تعدو حتى أخرجته من الكفالة وحنت الحنانة لفراقه ،

وحين لسعت الحية عقب الصديق في الغار ، قالت : كنت مشتاقة إليه منذ كذا سنين فلم حجبتني عنه!

وأطعم الخلق الكثير ، من الطعام القليل ومعجزاته أكثر من أن تحصى وتعد ، فلهذا قدمه الله على الذين اصطفاهم ، فقال :

{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النبيين مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِن نُّوحٍ } [الأحزاب : ٧] فلما كانت رسالته كذلك جاز أن يسميها الله تعالى كوثراً ، فقال : { إِنَّا أعطيناك الكوثر }

٦- **الكوثر هو القرآن** ، وفضائله لا تحصى ، { وَلَوْ أَنَّ مَّا فِى الأرض مِن شَجَرَةٍ أَقلام } [لقمان : ٢٧] { قُل لَّوْ كَانَ البحر مِدَاداً لكلمات رَبّى } [الكهف : ١٠٩]

٧- **الكوثر الإسلام** ، وهو لعمري الخير الكثير ، فإن به يحصل خير الدنيا والآخرة . وبفواته يفوت خير الدنيا وخير الآخرة ، وكيف لا والإسلام عبارة عن المعرفة ، أو مالا بد فيه من المعرفة ، قال : { وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } وإذا كان الإسلام خيراً كثيراً فهو الكوثر ، فإن قيل : لم خصه بالإسلام ، مع أن نعمه عمت الكل؟ قلنا : لأن الإسلام وصل منه إلى غيره ، فكان عليه السلام كالأصل فيه

٨- الكوثر كثرة الأتباع والأشياع ، ولا شك أن له من الأتباع مالا يحصيهم إلا الله ، وروي أنه عليه الصلاة والسلام ، قال : « أنا دعوة خليل الله إبراهيم ، وأنا بشرى عيسى ، وأنا مقبول الشفاعة يوم القيامة ، فبيناً أكون مع الأنبياء ، إذ تظهر لنا أمة من الناس فنبتدرهم بأبصارنا ما منا من نبي إلا وهو يرجو أن تكون أمته ، فإذا هم غر محجلون من آثار الوضوء ، فأقول : أمتي ورب الكعبة فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يظهر لنا مثلاً ما ظهر أولاً فنبتدرهم بأبصارنا ما من نبي إلا ويرجو أن تكون أمته فإذا هم غر محجلون من آثار الوضوء فأقول : أمتي ورب الكعبة ، فيدخلون الجنة بغير حساب ، ثم يرفع لنا ثلاثة أمثال ما قد رفع فنبتدرهم ، وذكر كما ذكر في المرة الأولى والثانية ، ثم قال : { ليدخلن } ثلاث فرق من أمتي الجنة قبل أن يدخلها أحد من الناس » ولقد قال عليه الصلاة والسلام : « تناكحوا تناسلوا تكثروا ، فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة ، ولو بالسقط » فإذا كان يباهي بمن لم يبلغ حد التكليف ، فكيف بمثل هذا الجم الغفير ، فلا جرم حسن منه تعالى أن يذكره هذه النعمة الجسيمة فقال : { إِنَّا أعطيناك الكوثر }

٩- الكوثر الفضائل الكثيرة التى فيه ، فإنه باتفاق الأمة أفضل من جميع الأنبياء ، قال المفضل بن سلمة : يقال رجل كوثر إذا كان سخياً كثير الخير ، وفي « صحاح اللغة » : الكوثر السيد الكثير الخير ، فلما رزق الله تعالى محمداً هذه الفضائل العظيمه حسن منه تعالى أن يذكره تلك النعمة الجسيمة فيقول : { إِنَّا أعطيناك الكوثر }

١٠- الكوثر رفعة الذكر

{ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } [الشرح : ٤]

١١- أنه العلم قالوا : وحمل الكوثر على هذا أولى لوجوه

أحدها : أن العلم هو الخير الكثير قال : { وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ الله عَلَيْكَ عَظِيماً } [النساء : ١١٣] وأمره بطلب العلم ، فقال : { وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْماً } [طه : ١١٤] وسمى الحكمة خيراً كثيراً ، فقال { وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا } [البقرة ٢٦٩]

وثانيها : أنا إما أن نحمل الكوثر على نعم الآخرة ، أو على نعم الدنيا ، والأول غير جائز لأنه قال : أعطينا ، ونعم الجنة سيعطيها لا أنه أعطاها ، فوجب حمل الكوثر على ما وصل إليه في الدنيا ، وأشرف الأمور الواصلة إليه في الدنيا هو العلم والنبوة داخلة في العلم ، فوجب حمل اللفظ على العلم

وثالثها : أنه لما قال : { أعطيناك الكوثر } قال عقيبه : { فَصَلِّ لِرَبِّك وانحر } والشيء الذي يكون متقدماً على العبادة هو المعرفة ، ولذلك قال في سورة النحل (٢) : { أَنْ أَنْذِرُواْ أَنَّهُ لا إله إلا أَنَاْ فاتقون } وقال في طه (١٤) : { إِنَّنِى أَنَا الله لا إله إلا أَنَاْ فاعبدنى } فقدم في السورتين المعرفة على العبادة ، ولأن فاء التعقيب في قوله { فصل } تدل على أن إعطاء الكوثر كالموجب لهذه العبادة ، ومعلوم أن الموجب للعبادة ليس إلا العلم ،

١٢- أن الكوثر هو الخلق الحسن ، قالوا : الانتفاع بالخلق الحسن عام ينتفع به العالم والجاهل والبهيمة والعاقل ، فأما الانتفاع بالعلم ، فهو مختص بالعقلاء ، فكان نفع الخلق الحسن أعم ، فوجب حمل الكوثر عليه ، ولقد كان عليه السلام كذلك كان للأجانب كالوالد يحل عقدهم ويكفي مهمهم ، وبلغ حسن خلقه إلى أنهم لما كسروا سنه ، قال : « اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون »

١٣- الكوثر هو المقام المحمود الذي هو الشفاعة ، فقال في الدنيا : { وَمَا كَانَ الله لِيُعَذّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ } [الأنفال : ٣٣] وقال في الآخرة : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » وعن أبي هريرة قال عليه السلام : « إن لكل نبي دعوة مستجابة وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة »

١٤- أن المراد من الكوثر هو هذه السورة ، قال : وذلك لأنها مع قصرها وافية بجميع منافع الدنيا والآخرة ، وذلك لأنها مشتملة على المعجز من وجوه
أولها : أنا إذا حملنا الكوثر على كثرة الأتباع ، أو على كثرة الأولاد ، وعدم انقطاع النسل كان هذا إخباراً عن الغيب ، وقد وقع مطابقاً له ، فكان معجزاً
وثانيها : أنه قال : { فَصَلّ لِرَبّكَ وانحر } وهو إشارة إلى زوال الفقر حتى يقدر على النحر ، وقد وقع فيكون هذا أيضاً إخباراً عن الغيب
وثالثها : قوله : { إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأبتر } وكان الأمر على ما أخبر فكان معجزاً
ورابعها : أنهم عجزوا عن معارضتها مع صغرها ، فثبت أن وجه الإعجاز في كمال القرآن ، إنما تقرر بها لأنهم لما عجزوا عن معارضتها مع صغرها فبأن يعجزوا عن معارضة كل القرآن أولى ، ولما ظهر وجه الإعجاز فيها من هذه الوجوه فقد تقررت النبوة وإذا تقررت النبوة فقد تقرر التوحيد ومعرفة الصانع ، وتقرر الدين والإسلام ، وتقرر أن القرآن كلام الله وإذا تقررت هذه الأشياء تقرر جميع خيرات الدنيا والآخرة
فهذه السورة جارية مجرى النكتة المختصرة القوية الوافية بإثبات جميع المقاصد فكانت صغيرة في الصورة كبيرة في المعنى ، ثم لها خاصية ليست لغيرها وهي أنها ثلاث آيات ، وقد بينا أن كل واحدة منها معجز فهي بكل واحدة من آياتها معجز وبمجموعها معجز وهذه الخاصية لا توجد في سائر السور فيحتمل أن يكون المراد من الكوثر هو هذه السورة

١٥- أن المراد من الكوثر جميع نعم الله على محمد عليه السلام ، وهو المنقول عن ابن عباس لأن لفظ الكوثر يتناول الكثرة الكثيرة ، فليس حمل الآية على بعض هذه النعم أولى من حملها على الباقي فوجب حملها على الكل ، وروي أن سعيد بن جبير ، لما روى هذا القول عن ابن عباس قال له بعضهم : إنا ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة ، فقال سعيد : النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه ، وقال بعض العلماء ظاهر قوله : { إِنَّا أعطيناك الكوثر } يقتضي أنه تعالى قد أعطاه ذلك الكوثر فيجب أن يكون الأقرب حمله على

ما آتاه الله تعالى من النبوة والقرآن والذكر الحكيم والنصرة على الأعداء ، وأما الحوض وسائر ما أعد له من الثواب فهو وإن جاز أن يقال : إنه داخل فيه لأن ما ثبت بحكم وعد الله فهو كالواقع إلا أن الحقيقة ما قدمناه لأن ذلك وإن أعد له فلا يصح أن يقال : على الحقيقة إنه أعطاه في حال نزول هذه السورة بمكة ، ويمكن أن يجاب عنه بأن من أقر لولده الصغير بضيعة له يصح أن يقال : إنه أعطاه تلك الضيعة مع أن الصبي في تلك الحال لا يكون أهلاً للتصرف ، والله أعلم .

لمسات في سورة الكوثر للسمرائي

فلماذا قدم الضمير إنا؟ أهم أغراض التقديم هو الاهتمام والاختصاص.

في الآية إنا أعطيناك الكوثر يوجد الأمران: الاختصاص والاهتمام ؛ فالله تعالى أعطى نبيه الكوثر اختصاصاً له وليس لأحد سواه وللإهتمام أيضاً وإذا كان ربه هو الذي أعطاه حصرا فلا يمكن لأي أحد أن ينزع ما أعطاه الله من حيث التأكيد في تركيب الجملة.

إنا: ضمير التعظيم ومؤكد

أعطيناك: لماذا لم يقل آتيناك؟

تقارب من حيث المعنى أيضاً لكن آتى تستعمل لما هو أوسع من أعطى

آتى تستعمل لأعطى وما لا يصح لأعطى

(يؤتي الحكمة من يشاء) (ولقد آتينا موسى تسع آيات) (وآتيناهم ملكاً عظيماً). آتى تستعمل للرحمة، للحكمة،

للأموال (وآتى المال على حبه)

وتستعمل للرشد (وآتينا إبراهيم رشده). آتى تستعمل عادة للأمور المعنوية (لقد آتيناك من لدنا ذكرا) وقد تستعمل للأمور المادية أيضاً.

أما أعطى فهي تستعمل في الأمور المادية فقط (وأعطى قليلاً وأكدى)

(فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى)

إذن آتى تستعمل للأموال وغير الأموال وأكثر استعمالها للأمور الواسعة والعظيمة كالملك والرشد والحكمة.

وأعطى للتخصيص على الأغلب وهناك أمور لا يصح فيها استعمال أعطى أصلا كالحكمة والرشد.

وما دامت كلمة آتى أوسع استعمالا فلماذا إذن لم يستعمل آتى بدل أعطى؟

الإيتاء يشمله النزع بمعنى انه ليس تمليكا إنما العطاء تمليك. والإيتاء ليس بالضرورة تمليكا (تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) (وآتيناه من الكنوز....ثم خسفنا به وبداره الأرض)

إذن الإيتاء يشمله النزع أما العطاء فهو تمليك. وبما انه تمليك للشخص فله حق التصرف فيه وليس له ذلك في الإيتاء.

(رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي. هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) أي بما انه عطاء من الله تعالى لسيدنا سليمان فله حق التصرف في عطاء الله له.

وقد يكون الإيتاء آية فليس للنبي حق التصرف بها بل عليه تبليغها ورب العالمين ملك رسوله - صلى الله عليه وسلم –

<u>لماذا قال تعالى الكوثر ولم يقل الكثير؟</u>

والكوثر يدل على الكثرة المفرطة في الشيء والفرق بين الكوثر والكثير ان الكوثر قد تكون صفة وقد تكون ذاتاً أما الكثير فهي صفة فقط. وكون الكوثر صفة يدل على الخير الكثير. وقد تكون الكوثر الذات الموصوفة بالخير. النهر عادة هو ذات ولكنه ذات موصوف بكثرة الخير. فالكوثر أولى من الكثير لما فيه من الكثرة المفرطة مع الخير

فلم يقل تعالى ماءً كوثراً ولا مالاً كوثراً وإنما قال الكوثر فقط لإطلاق الخير كله.

وعندما عرف الكوثر بأل التعريف دخل في معناها النهر ولو قال كوثر لما دخل النهر فيه لكن حذف الموصوف أفاد الإطلاق وجمع كل الخير.

- قوله (فصل لربك وانحر)

وقدم الله تعالى الصلاة على النحر لأن الصلاة أهم من النحر وهي ركن من أركان الإسلام وأول ما يسأل العبد عنه يوم الحساب والمفروض أن تكون خمس مرات في اليوم والليلة ولهذا فهي أعم من النحر لأن النحر يكون مع التمكن المادي فقط في حين أن الصلاة لا تسقط عن العباد في أي حال من الأحوال من مرض أو فقر أو غيره.

وقد وردت الصلاة في القرآن على عدة صور فهي إن كانت من الله تعالى فهي رحمة ، ومن الرسول - صلى الله عليه وسلم - دعاء ، ومن العباد عبادة وقول وفعل وحركة الصلاة. وكلما ورد ذكر الصلاة والزكاة في القرآن تتقدم الصلاة على الزكاة لأنها أعم وأهم.

فصل لربك: لماذا لم يقل فصل لله أو فصل لنا؟

اللام في (لربك) تفيد الاختصاص والقصد أن الصلاة لا تكون إلا لله وحده فجاءت فصل لربك أي داوم على الصلاة لربك وليس كالمرائين.

<u>واختيار كلمة الرب بدل كلمة الله</u> (فصل لربك ولم يقل فصل لله) هذه الآية انجاز لما وعد الله تعالى رسوله - صلى الله عليه وسلم - في سورة الضحى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) ومعناها صل لربك الذي أنجز الوعد الذي وعدك إياه. والعطاء من الرعاية

ولم يرد في القرآن كله لفظ العطاء إلا مع لفظ الرب (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) (ولسوف يعطيك ربك فترضى) (كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محذورا) (جزاء من ربك عطاء حسابا) لم تقترن كلمة العطاء في القرآن كله بغير لفظ الرب، والرب هو المربي والمعطي والقيم.

<u>لماذا قال : (وانحر) ولم يقل واذبح؟</u>

النحر في اللغة : يتعلق بنحر الإبل فقط ولا تستعمل مع غير الإبل. يقال ذبح الشاة وقد يستعمل الذبح للجميع وللبقر والطيور والشاة والإبل لكن النحر خاص بالإبل لأنها تنحر من نحرها فأراد الله تعالى أن يتصدق بأعز الأشياء عند العرب

لماذا لم يقل وتصدق؟
الصدقة تشمل القليل والكثير فلو تصدق احدهم بدرهم أو بطير لكفى المعنى ولكن الله تعالى أراد التصدق بخير الأموال ليتناسب مع العطاء الكثير.
لماذا لم يقل وزكي؟
الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يكن يملك النصاب للزكاة أصلاً فهي غير واردة على الإطلاق ثم إن الزكاة تجب مرة واحدة في العام وبنسبة ٢,٥ % فقط ولن تكون شكراً خاصاً لله تعالى على عطائه الكثير ألا وهو الكوثر.
لماذا لم يقل وضحى؟
الأضحية هي كل ما تصح به الأضحية الشرعية فلو ضحى بشاة لكفت ، والأضحية لها وقتها وهو أربعة أيام يوم النحر و أيام التشريق فقط والله تعالى لم يرد أن يحصر الشكر له على عطائه الكثير بأيام محددة.
اختلف المفسرون بالصلاة والنحر أهي صلاة العيد أو عامة الصلاة أو خاصة والمعنى في الآية (فصل لربك وانحر) تشمل كل هذه الحالات ففي العيد يكون النحر بعد الصلاة ولكن الكثير من المفسرين قالوا إنها عامة ويدخل فيها صلاة العيد والأضحية.
لماذا لم يقل فصل لربك وانحر لربك؟ أو انحر له؟
الصلاة أهم من النحر لأنها لا تسقط بأي حال من الأحوال فجعل المتعلق بما هو أهم والنحر لا يكون إلا مع الاستطاعة .
الصلاة لا تكون إلا عبادة ولا تكون غير ذلك أما النحر فقد يكون إما للعبادة وقد يكون للأكل فقط وليست بهدف العبادة لذا النحر يختلف عن الصلاة. وإذا كان النحر عبادة فلا يكون إلا لله تعالى وملعون من ذبح لغير الله فلو قال وانحر لربك لألزم أن يكون النحر فقط عبادة ولما جاز لغير العبادة أبداً .
- قوله (إن شانئك هو الأبتر)
نزلت هذه الآية لما مات ابني الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقالت قريش بتر محمد وإذا مات أبناء الشخص المذكور يقال له أبتر.
ما هو تعريف كلمة الأبتر وما معناها؟
الأبتر في اللغة لها عدة معاني:
١. كل أمر انقطع من الخير أثره فهو أبتر
٢. إذا مات أولاد الشخص الذكور أو ليس له أولاد ذكور أصلاً
٣. الخاسر يسمى أبتر
أراد الله تعالى أن يخصص الشانئ بالأبتر

شنئان: بغض.
جعل الله تعالى مجرد بغض الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو خسارة وهذه خاصة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -.
لم يقل عدوك هو الأبتر لأن مجرد الشنئان للرسول - صلى الله عليه وسلم - هو بغض وخسارة ولو لم يعلن عداوته علناً

الخير الكثير هو الذي يعطيه الله تعالى والعطاء يقاس بقدر العطاء وقيمته وبقدر المعطي فاذا كان المعطي عظيما كان العطاء عظيماً. من ناحية المعطي ليس هناك
الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يخسر لا في الدنيا ولا في الآخرة وهو ليس بالأبتر
فالرسول - صلى الله عليه وسلم - يذكر اسمه في كل ثانية وهذا خاص بسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - إنما الشانيء فهو الأبتر في الدنيا والآخرة وهو الخاسر مادياً ومعنوياً.
لما أمر الله تعالى رسوله - صلى الله عليه وسلم - بالنحر (فصل لربك وانحر) مكنه من مئة من الإبل نحرها بعد نزول الآية شكراً لله تعالى على نعمه الكثيرة.

<u>قال الرازى</u>

<u>فوائد</u>

(١) أن قوله تعالى : { إِنَّا أعطيناك الكوثر } يفيد أن الله تعالى تكلم معه لا بواسطة ، فهذا يقوم مقام قوله : { وَكَلَّمَ الله موسى تَكْلِيماً } [النساء : ١٦٤] بل هذا أشرف لأن المولى إذا شافه عبده بالتزام التربية والإحسان كان ذلك أعلى مما إذا شافهه في غير هذا المعنى ، بل يفيده قوة في القلب ويزيل الجبن عنه
وقد ثبت في العلوم العقلية أن طريق الخلق في معرفة الصانع على وجهين : منهم من عرف الصانع ، ثم توسل بمعرفته إلى معرفة مخلوقاته ، وهذا هو الطريق الأشرف الأعلى ، ومنهم من عكس وهو طريق الجمهور .

(٢)الفائدة الثانية : في قوله : { إِنَّا أعطيناك الكوثر } هي أن كلمة : { إنّا } تارة يراد بها الجمع وتارة يراد بها التعظيم .
<u>أما الأول</u> : فقد دل على أن الإله واحد ، فلا يمكن حمله على الجمع ، إلا إذا أريد أن هذه العطية مما سعى في تحصيلها الملائكة وجبريل وميكائيل والأنبياء المتقدمون ،
حين سأل إبراهيم إرسالك ، فقال : { رَبَّنَا وابعث فِيهِمْ رَسُولاً مّنْهُمْ} [البقرة : ١٢٩]
وقال موسى : رب اجعلني من أمة أحمد . وهو المراد من قوله : { وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الغربى إِذْ قَضَيْنَا إِلى مُوسَى الامر } [القصص : ٤٤]
وبشر بك المسيح في قوله : { وَمُبَشِّرا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِن بَعْدِى اسمه أَحْمَدُ }[الصف : ٦]
<u>وأما الثاني</u>: وهو أن يكون ذلك محمولاً على التعظيم ، ففيه تنبيه على عظمة العطية لأن الواهب هو جبار السموات والأرض والموهوب منه ، هو المشار إليه بكاف الخطاب في قوله تعالى : { إِنَّا أعطيناك } والهبة هي الشيء المسمى بالكوثر ، وهو ما يفيد المبالغة في الكثرة ، ولما أشعر اللفظ بعظم الواهب والموهوب منه والموهوب ، فيالها من نعمة ما أعظمها ، وما أجلها ، وياله من تشريف ما أعلاه .
الثالث: اجتهاد :اى عطاء من اسماء الله الحسنى كلها

(٣)الفائدة الثالثة : أن الهدية وإن كانت قليلة لكنها بسبب كونها واصلة من المهدي العظيم تصير عظيمة ، ولذلك فإن الملك العظيم إذا رمى تفاحة لبعض عبيده على سبيل الإكرام يعد ذلك إكراماً عظيماً ، لا لأن لذة الهدية في نفسها ، بل لأن صدورها من المهدي العظيم يوجب

كونها عظيمة ، فههنا الكوثر وإن كان في نفسه في غاية الكثرة ، لكنه بسبب صدوره من ملك الخلائق يزداد عظمة وكمالاً .

(٤)الفائدة الرابعة : أنه لما قال : { أعطيناك } قرن به قرينة دالة على أنه لا يسترجعها ، وذلك لأن من مذهب أبي حنيفة أنه يجوز للأجنبي أن يسترجع موهوبه ، فإن أخذ عوضاً وإن قل لم يجز له ذلك الرجوع ، لأن من وهب شيئاً يساوي ألف دينار إنساناً ، ثم طلب منه مشطاً يساوي فلساً فأعطاه ، سقط حق الرجوع فههنا لما قال : { إنَّا أعطيناك الكوثر } طلب منه الصلاة والنحر وفائدته إسقاط حق الرجوع

(٥) أنا أعطيك ، أنا أكفيك ، أنا أقوم بأمرك . وذلك إذا كان الموعود به أمراً عظيماً فلما قدم المبتدأ ، وهو قوله : { إنا } صار ذلك الإسناد مزيلاً لذلك الشك وهو اليقين

(٦)الفائدة السادسه : قال : { أعطيناك } ولم يقل : سنعطيك لأن قوله : { أعطيناك } يدل على أن هذا الإعطاء كان حاصلاً في الماضي ، وهذا فيه أنواع من الفوائد
إحداها : أن من كان في الزمان الماضي أبداً عزيزاً مرعي الجانب مقضي الحاجة أشرف ممن سيصير كذلك ، ولهذا قال عليه السلام : « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين »
وثانيها : أنها إشارة إلى أن حكم الله بالإسعاد والإشقاء والإغناء والإفقار ، ليس أمراً يحدث الآن ، بل كان حاصلاً في الأزل
وثالثها : كأنه يقول : إنا قد هيأنا أسباب سعادتك قبل دخولك في الوجود فكيف نهمل أمرك بعد وجودك واشتغالك بالعبودية!
ورابعها : كأنه تعالى يقول : نحن ما اخترناك وما فضلناك ، لأجل طاعتك ، وإلا كان يجب أن لا نعطيك إلا بعد إقدامك على الطاعة ، بل إنما اخترناك بمجرد الفضل والإحسان منا إليك من غير موجب ، وهو إشارة إلى قوله عليه الصلاة والسلام : « قبل من قبل لا لعلة ، ورد من رد لا لعلة »

(٧)الفائدة السابعة : قال : { أعطيناك } ولم يقل أعطينا الرسول أو النبي أو العالم أو المطيع ، لأنه لو قال ذلك لأشعر أن تلك العطية وقعت معللة بذلك الوصف ، فلما قال : { أعطيناك } علم أن تلك العطية غير معللة بعلة أصلاً بل هي محض الاختيار والمشيئة

(٨)الفائدة الثامنه : قال أولاً : { إنَّا أعطيناك } ثم قال ثانياً : { فَصَلِّ لِرَبِّك وانحر } وهذا يدل على أن إعطاؤه للتوفيق والإرشاد سابق على طاعاتنا ، وكيف لا يكون كذلك وإعطاؤه إيانا صفته وطاعتنا له صفتنا ، وصفة الخلق لا تكون مؤثرة في صفة الخالق إنما المؤثر هو صفة الخالق في صفة الخلق ، ولهذا نقل عن الواسطي أنه قال : لا أعبد رباً يرضيه طاعتي ويسخطه معصيتي . ومعناه أن رضاه وسخطه قديمان وطاعتي ومعصيتي محدثتان والمحدث

لا أثر له في قديم ، بل رضاه عن العبد هو الذي حمله على طاعته فيما لا يزال ، وكذا القول في السخط والمعصية .

(٩)الفائدة التاسعة : قال : { أعطيناك الكوثر } ولم يقل : آتيناك الكوثر ، والسبب فيه أمران
الأول : أن الإيتاء يحتمل أن يكون واجباً وأن يكون تفضلاً ، وأما الإعطاء فإنه بالتفضل أشبه
فقوله : { إِنَّا أعطيناك الكوثر } يعني هذه الخيرات الكثيرة وهي الإسلام والقرآن والنبوة والذكر الجميل في الدنيا والآخرة ، محض التفضل منا إليك وليس منه شيء على سبيل الاستحقاق والوجوب ، وفيه بشارة من وجهين
أحدهما : أن الكريم إذا شرع في التربية على سبيل التفضل ، فالظاهر أنه لا يبطلها ، بل كان كل يوم يزيد فيها
الثاني : أن ما يكون سبب الاستحقاق ، فإنه يتقدر بقدر الاستحقاق ، وفعل العبد متناه ، فيكون الاستحقاق الحاصل بسببه متناهياً ، أما التفضل فإنه نتيجة كرم الله غير متناه ، فيكون تفضله أيضاً غير متناه ، فلما دل قوله : { أعطيناك } على أنه تفضل لا استحقاق أشعر ذلك بالدوام والتزايد أبداً .
فإن قيل : أليس قال : { آتيناك سَبْعًا مِّن المثاني } ؟ قلنا : الجواب من وجهين
الأول : أن الإعطاء يوجب التمليك ، والملك سبب الاختصاص ، والدليل عليه أنه لما قال سليمان : { هَبْ لِى مَلَكًا } فقال [ص : ٣٥] : { هذا عَطَاؤُنَا فامنن أَوْ أَمْسِكْ } [ص : ٣٩] ولهذا السبب من حمل الكوثر على الحوض قال : الأمة تكون أضيافاً له ، أما الإيتاء فإنه لا يفيد الملك ، فلهذا قال في القرآن : { ءاتيناك } فإنه لا يجوز للنبي أن يكتم شيئاً منه
الثاني : أن الشركة في القرآن شركة في العلوم ولا عيب فيها ، أما الشركة في النهر ، فهي شركة في الأعيان وهي عيب
الوجه الثاني : في بيان أن الإعطاء أليق بهذا المقام من الإيتاء ، هو أن الإعطاء يستعمل في القليل والكثير ، قال الله تعالى : { وأعطى قَلِيلاً وأكدى } [النجم : ٣٤] أما الإيتاء ، فلا يستعمل إلا في الشيء العظيم ، قال الله تعالى : { وآتاه الله الملك } [البقرة : ٢٥١] { وَلَقَدْ ءاتَيْنَا دَاوُودُ مِنَّا فَضْلاً } [سبأ : ١٠] والأتي السيل المنصب ،
إذا ثبت هذا فقوله : { إِنَّا أعطيناك الكوثر } يفيد تعظيم حال محمد صلى الله عليه وسلم من وجوه
أحدها : يعني هذا الحوض كالشيء القليل الحقير بالنسبة إلى ما هو مدخر لك من الدرجات العالية والمراتب الشريفة ، فهو يتضمن البشارة بأشياء هي أعظم من هذا المذكور
وثانيها : أن الكوثر إشارة إلى الماء ، كأنه تعالى يقول : الماء في الدنيا دون الطعام ، فإذا كان نعيم الماء كوثراً ، فكيف سائر النعيم
وثالثها : أن نعيم الماء إعطاء ونعيم الجنة إيتاء
ورابعها : كأنه تعالى يقول : هذا الذي أعطيتك ، وإن كان كوثراً لكنه في حقك إعطاء لا إيتاء لأنه دون حقك

وخامسها : أن نقول : إنما قال فيما أعطاه من الكوثر أعطيناك لأنه دنيا ، والقرآن إيتاء لأنه دين وسادسها : كأنه يقول : جميع ما نلت مني عطية وإن كانت كوثراً إلا أن الأعظم من ذلك الكوثر أن تبقى مظفراً وخصمك أبتر ، فإنا أعطيناك بالتقدمة هذا الكوثر ، أما الذكر الباقي والظفر على العدو فلا يحسن إعطاؤه إلا بعد التقدمة بطاعة تحصل منك : { فَصَلّ لِرَبَّك وانحر } أي فاعبد لي وسل الظفر بعد العبادة فإني أوجبت على كرمي أن بعد كل فريضة دعوة مستجابة ، كذا روى في الحديث المسند ، فحينئذ أستجيب فيصير خصمك أبتر وهو الإيتاء ، فهذا ما يخطر بالبال في تفسير قوله تعالى : { إِنَّا أعطيناك }

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١)

اعلم أن هذه السورة على اختصارها فيها لطائف

أن هذه السورة كالمقابلة للسورة المتقدمة ، وذلك لأن في السورة المتقدمة وصف الله تعالى المنافق بأمور أربعة :

أولها : البخل وهو المراد من قوله : { يَدُعُّ اليتيم وَلاَ يَحُضُّ على طَعَامِ المسكين }[الماعون ٢، ٣]

الثاني : ترك الصلاة وهو المراد من قوله { الذين هُمْ عَن صلاتهم سَاهُونَ }[الماعون ٥]

والثالث : المراءاة في الصلاة هو المراد من قوله : { الذين هُمْ يُرَاءونَ } [الماعون : ٦]

والرابع : المنع من الزكاة وهو المراد من قوله : { وَيَمْنَعُونَ الماعون } [الماعون : ٧]

فذكر في هذه السورة في مقابلة تلك الصفات الأربع صفات أربعة ، فذكر في مقابلة البخل قوله : { إِنَّا أعطيناك الكوثر } أي إنا أعطيناك الكثير ، فأعط أنت الكثير ولا تبخل ،

وذكر في مقابلة : { الذين هُمْ عَن صلاتهم سَاهُونَ } قوله : { فَصَلِّ } أي دم على الصلاة

وذكر في مقابلة : { الذين هُمْ يُرَاءونَ } قوله : { لِرَبِّك } أي ائت بالصلاة لرضا ربك ، لا لمراءاة الناس ،

وذكر في مقابلة : { وَيَمْنَعُونَ الماعون } قوله : { وانحر } وأراد به التصدق بلحم الأضاحي ، فاعتبر هذه المناسبة العجيبة ،

ثم ختم السورة بقوله : { إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأبتر } أي المنافق الذي يأتي بتلك الأفعال القبيحة المذكورة في تلك السورة سيموت ولا يبقى من دناه أثر ولا خبر ، وأما أنت فيبقى لك في الدنيا الذكر الجميل ، وفي الآخرة الثواب الجزيل .

{ إِنَّا أعطيناك الكوثر } اعلم أن فيه فوائد :

(١)أن هذه السورة كالتتمة لما قبلها من السور ، وكالأصل لما بعدها من السور . أما أنها كالتتمة لما قبلها من السور ،

فلأن الله تعالى جعل سورة والضحى في مدح محمد عليه الصلاة والسلام وتفصيل أحواله ، فذكر في أول السورة ثلاثة أشياء تتعلق بنبوته

أولها : قوله : { مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قلى } ،

وثانيها : قوله : { وَلَلأَخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأولى } [الضحى : ٤]
وثالثها : { وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فترضى }
ثم ختم هذه السورة بذكر ثلاثة أحوال من أحواله عليه السلام فيما يتعلق بالدنيا وهي قوله : { أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فاوى وَوَجَدَكَ ضَالاً فهدى وَوَجَدَكَ عَائِلاً فأغنى }[الضحى : ٦-٨]

ثم ذكر في سورة : { أَلَمْ نَشْرَحْ } أنه شرفه بثلاثة أشياء
أولها : { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ }
وثانيها : { وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الذى أَنقَضَ ظَهْرَكَ } ،
وثالثها : { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } .

ثم إنه تعالى شرفه في سورة : التين بثلاثة أنواع من التشريف
أولها : أنه أقسم ببلده وهو قوله : { وهذا البلد الأمين } ،
وثانيها : أنه أخبر عن خلاص أمته عن النار وهو قوله : { إِلاَّ الذين ءامَنُواْ } ،
وثالثها : وصولهم إلى الثواب وهو قوله : { فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ } .
ثم شرفه في سورة اقرأ بثلاثة أنواع من التشريفات
أولها : { اقرأ باسم رَبِّك } أي اقرأ القرآن على الحق مستعيناً باسم ربك
وثانيها : أنه قهر خصمه بقوله : { فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزبانية } ،
وثالثها : أنه خصه بالقربة التامة وهو : { واسجد واقترب } .

وشرفه في سورة القدر بليلة القدر التي لها ثلاثة أنواع من الفضيلة
أولها : كونها : خَيْرًا مّن أَلْفِ شَهْرٍ ،
وثانيها : نزول : الملائكة والروح فِيهَا
وثالثها : كونها : سَلاَماً حتى مَطْلَعِ الفجر .

وشرفه في سورة البينة: لَمْ يَكُنِ بأن شرف أمته بثلاثة تشريفات
أولها : أنهم : خَيْرُ البرية
وثانيها : أن جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبّهِمْ جنات ،
وثالثها : رضا الله عنهم .

وشرفه في سورة إذا زلزلت بثلاث تشريفات :
أولها : قوله : { يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا } وذلك يقتضي أن الأرض تشهد يوم القيامة لأمته بالطاعة والعبودية
والثاني : قوله : { يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ الناس أَشْتَاتاً لّيُرَوْاْ أعمالهم } وذلك يدل على أنه تعرض عليهم طاعاتهم فيحصل لهم الفرح والسرور ،

وثالثها : قوله : { فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ } ومعرفة الله لا شك أنها أعظم من كل عظيم فلا بد وأن يصلوا إلى ثوابها

ثم شرفه في سورة العاديات بأن أقسم بخيل الغزاة من أمته فوصف تلك الخيل بصفات ثلاث : { والعاديات ضَبْحاً فالموريات قَدْحاً فالمغيرات صُبْحاً } .

ثم شرف أمته في سورة القارعة بأمور ثلاثة أولها : فمن ثقلت موازينه وثانيها : أنهم في عيشة راضية وثالثها : أنهم يرون أعداءهم في نار حامية .

في شرفه ثم سورة الهاكم بأن بين أن المعرضين عن دينه وشرعه يصيرون معذبين من ثلاثة أوجه أولها : أنهم يرون الجحيم وثانيها : أنهم يرونها عين اليقين وثالثها : أنهم يسألون عن النعيم .

ثم شرف أمته في سورة والعصر بأمور ثلاثة
أولها : الإيمان : { إلاَّ الذين ءامَنُواْ } ،
وثانيها : { وعملوا الصالحات }
وثالثها : إرشاد الخلق إلى الأعمال الصالحة ، وهو التواصي بالحق ، والتواصي بالصبر .

ثم شرفه في سورة الهمزة بأن ذكر أن من همز ولمز ، فله ثلاثة أنواع من العذاب
أولها : أنه لا ينتفع بدنياه البتة ، وهو قوله : { يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ كَلاَّ }
وثانيها : أنه ينبذ في الحطمة ،
وثالثها : أنه يغلق عليه تلك الأبواب حتى لا يبقى له رجاء في الخروج ، وهو قوله : { إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ } .
ثم شرف في سورة الفيل بأن رد كيد أعدائه في نحرهم من ثلاثة أوجه
أولها : جعل كيدهم في تضليل
وثانيها : أرسل عليهم طير أبابيل
وثالثها : جعلهم كعصف مأكول .

ثم شرفه في سورة قريش بأنه راعى مصلحة أسلافه من ثلاثة أوجه
أولها : جعلهم مؤتلفين متوافقين لإيلاف قريش
وثانيها : أطعمهم من جوع
وثالثها : أنه آمنهم من خوف .

وشرفه في سورة الماعون ، بأن وصف المكذبين بدينه بثلاثة أنواع من الصفات المذمومة
أولها : الدناءة واللؤم ، وهو قوله : { يَدُعُّ اليتيم وَلاَ يَحُضُّ على طَعَامِ المسكين }

وثانيها : ترك تعظيم الخالق ، وهو قوله : { عَن صلاتهم سَاهُونَ *الذين هُمْ يُرَاءونَ }
وثالثها : ترك انتفاع الخلق ، وهو قوله : { وَيَمْنَعُونَ الماعون } .

ثم إنه سبحانه وتعالى لما شرفه في هذه السور من هذه الوجوه العظيمة ، قال بعدها : { إِنَّا أعطيناك الكوثر } أي إنا أعطيناك هذه المناقب المتكاثرة المذكورة في السوره المتقدمة التي كل واحدة منها أعظم من ملك الدنيا بحذافيرها ، فاشتغل أنت بعبادة هذا الرب ، وبإرشاد عباده إلى ما هو الأصلح لهم ، أما عبادة الرب فإما بالنفس ، وهو قوله : { فَصَلِّ لِرَبِّكَ } وإما بالمال ، وهو قوله : { وانحر)

(١٣)اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بأن كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة الا سببه ونسبه

وأخرج الحاكم والبيهقي عن عمر سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول (كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي) قيل معنى الحديث أن أمته ينسبون إليه يوم القيامة وامم سائر الأنبياء لا ينسبون إليهم وقيل ينتفع يومئذ بالنسبة إليه ولا ينتفع بسائر الأنساب

الاختصاص الثالث

خصائص النبى (ص) دون أمته وقد يشاركه فيها الأنبياء أو بعضهم

(١)-اختصاص النبى صلى الله عليه وسلم دون أمته بوجوب محبته:

قال تعالى: (**(قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**)) [التوبة:٢٤]..

قال القرطبي: (وفي الآية دليل على وجوب حب الله ورسوله).

وأخرج الشيخان من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده}. وزاد مسلم: {والناس أجمعين}.

قال ابن حجر في تعليقه على ترجمة الباب: (باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان). قال: (اللام فيه للعهد، والمراد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرينة قوله: (حتى أكون أحب)، وإن كانت محبة جميع الرسل من الإيمان، لكنَّ الأحبية مختصة بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢)اختصاصه بفرض طاعته {صلى الله عليه وسلم} على العالم

قال أبو نعيم ومن خصائصه أن الله تعالى فرض طاعته على العالم فرضا مطلقا لا شرط فيه ولا إستثناء

فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا

وقال من يطع الرسول فقد أطاع الله

وإن الله تعالى أوجب على الناس التأسي به قولا وفعلا مطلقا بلا إستثناء

فقال لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة واستثنى في التأسي بخليله فقال لقد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم إلى أن قال إلا قول إبراهيم لأبيه قال

ومن خصائصه أن الله تعالى قرن إسمه باسمه في كتابه عند ذكر طاعته ومعصيته وفرائضه وأحكامه ووعده ووعيده تشريفا وتعظيما

فقال تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول

وأطيعو الله ورسوله إن كنتم مؤمنين

ويطيعون الله ورسوله- أغناهم الله ورسوله من فضله

إنما المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله

براءة من الله ورسوله- وآذان من الله ورسوله- استجيبوا لله ولرسوله

ومن يعص الله ورسوله- شاقوا الله ورسوله- ومن يشاقق الله ورسوله

ومن يحادد الله ورسوله - ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله- كذبوا الله ورسوله

يحاربون الله ورسوله- ما حرم الله ورسوله- ما آتاهم الله ورسوله

سيؤتينا الله من فضله ورسوله- أنعم الله عليه وأنعمت عليه

(٣)من خصائصه {صلى الله عليه وسلم} أن الأرض كانت تطوى له

قال ابن سبع من خصائصه أنه كان يبيت جائعا ويصبح طاعما وأنه لم يكن أحد يغلبه بالقوة وأنه كان إذا أراد الطهور ولم يجد الماء مد أصابعه فتنفجر منها الماء حتى يقضي طهوره

وأن الله جمع له بين المحبة والخله والكلام وكلمه بموضع لم يطأه ملك مقرب ولا نبي مرسل وأن الأرض كانت تطوى له

(٤)اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر

وهو إقتران إسمه باسم الله تعالى وبوعده بالمغفرة وهو يمشي حيا صحيحا وبأنه حبيب الرحمن وسيد ولد آدم وأكرام الخلق على الله فهو أفضل من سائر المرسلين والملائكة وعرض أمته عليه بأسرهم حتى رآهم وعرض عليه ما هو كائن في أمته حتى تقوم الساعة وخص بالبسملة والفاتحة وآية الكرسي وخواتيم سورة البقرة والمفصل والسبع الطول

(٥)قال تعالى ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك

١- وقال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام من خصائصه أنه أخبره الله بالمغفرة ولم ينقل أنه أخبر أحدا من الأنبياء بمثل ذلك بل الظاهر أنه لم يخبرهم بدليل قولهم في الموقف نفسي نفسي

٢-إنا فتحنا لك فتحا مبينا

وقال ابن كثير في تفسيره في آية الفتح هذا من خصائصه {صلى الله عليه وسلم} التي لا يشاركه فيها غيره

وأخرج ابن سعد عن مجمع بن جارية رأيت الناس يركضون وإذ هم يقولون أنزل على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فركضت مع الناس حتى توافينا عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فإذا هو يقرأ إنا فتحنا لك فتحا مبينا فلما نزل بها جبريل قال يهنيك يا رسول الله فلما هناه جبريل هناه المسلمون

٣-رفع الذكر

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله

٤-وفي حديث الإسراء

وفيه فقال تبارك وتعالى له سل فقال إنك اتخذت إبراهيم خليلا وأعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما وأعطيت داود ملكا عظيما وألنت له الحديد وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الإنس والجن والشيطان والرياح وأعطيته ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبرى ء الأكمه والأبرص وأعذته وأمه من االشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تبارك وتعالى قد اتخذتك خليلا وهو مكتوب في التوراة حبيب الرحمن وأرسلتك إلى الناس كافة وجعلت أمتك هم الآخرون وهم الأولون وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا وأخرهم بعثا وأعطيتك سبعا من المثاني ولم أعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا خاتما

٥-سؤال النبى (ص) ما جعله له

فما جعلت لي قال أو ليس قد أعطيتك أفضل من ذلك له أن لا أذكر إلا ذكرت معي وجعلت صدور أمتك أناجيل يقرؤن القرآن ظاهرا ولم أعطها أمة وأنزلت إليك كلمة من كنوز عرشي لا حول ولا قوة إلا بالله

٦-بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (أنزل علي آية لم تنزل على نبي بعد سليمان غيري) (بسم الله الرحمن الرحيم)

(٦)باب فرض الصدقة على من ناجاه {صلى الله عليه وسلم}

ومن خصائصه أن الله فرض على من ناجاه أن يقدم بين يدي نجواه صدقة ولم يعهد ذلك لأحد من الأنبياء

قال تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة

وأخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس في الآية قال إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن نبيه فلما قال ذلك ضن كثيرا من الناس وكفوا عن المسألة فأنزل الله بعد هذا (أأشفقتم) الآية فوسع الله عليهم ولم يضيق

وأخرج سعيد بن منصور عن مجاهد قال كان من ناجى النبي {صلى الله عليه وسلم} تصدق بدينار وكان أول من صنع ذلك علي بن أبي طالب ثم نزلت الرخصة فإذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم

(٧)وصفه {صلى الله عليه وسلم} عضوا عضوا قال ابن سبع ومن خصائصه إن الله سبحانه وتعالى وصفه في كتابه عضوا عضوا

فقال تعالى في وجهه قد نرى تقلب وجهك في السماء

وقال تعالى في عينيه لا تمدن عينيك

وفي لسانه فإنما يسرناه بلسانك

وفي يده وعنقه ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك

وفي صدره وظهره ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك)

وفي قلبه نزله على قلبك

وفي خلقه وأنك لعلى خلق عظيم

زكاه في عقله فقال سبحانه ((مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى))

زكاه في صدقه فقال سبحانه ((وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى))

وزكاه في علمه فقال سبحانه ((عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى))

وزكاه في بصره فقال سبحانه ((مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى))

وزكاه في فؤاده فقال سبحانه ((مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى))

وزكاه في صدره فقال سبحانه ((أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ))

وزكاه في ذكره فقال سبحانه ((وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ))

وزكاه كله فقال سبحانه ((إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ))

وزكاه في عمره فأسمه بها ((لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون))
فهو حبيب الله وهو خليل الله وهو أكرم الخلق على الله عز وجل .

(٨)باب تأييده {صلى الله عليه وسلم} بأربعة وزراء

ومن خصائصه ما أخرجه البزار والطبراني عن ابن عباس قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} **(إن الله أيدني بأربعة وزراء إثنين من أهل السماء جبريل وميكائيل وإثنين من أهل الأرض أبي بكر وعمر)**

وما أخرجه ابن ماجة وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله قال كان النبي {صلى الله عليه وسلم} إذا مشى مشى أصحابه أمامه وتركوا ظهره للملائكة

وما أخرجه الحاكم وابن عساكر **عن علي أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال (كل نبي أعطي سبعة رفقاء وأعطيت أربعة عشر) قيل لعلي من هم قال أنا وحمزة وإبناي وجعفر وعقيل وأبو بكر وعمر وعثمان والمقداد وسلمان وعمار وطلحة والزبير**

(٩)دعاء قضاء الحوائج ودعاء زوال الشدائد

وأخرج الدارقطني في المؤتلف عن جعفر بن محمد قال ما من نبي إلا وخلف في أهل بيته دعوة مستجابة وقد خلف فينا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} دعوتين مجابتين أما واحدة فلشدائدنا وأما الآخرى فلحوائجنا

فأما التي لشدائدنا يا دائما لم يزل يا إلهي ويا إله آبائي يا حي يا قيوم

وأما التي لحوائجنا يا من يكفي من كل شيء ولا يكفى منه شيء يا الله يا رب محمد أقض عني الدين

(١٠)اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بجواز أن يقسم على الله به

أخرج البخاري في تاريخه وصححه وأبو نعيم في المعرفة عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضريرا أتى النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال ادع الله تعالى لي أن يعافيني قال إن شئت أخرت ذلك وهو خير لك وإن شئت دعوت الله قال فادعه فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد {صلى الله عليه وسلم} نبي الرحمة يا
محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه فيقضيها لي اللهم شفعه في ففعل الرجل فقام وقد أبصر

<u>وفي قول آخر</u>

يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فيجلي لي عن بصري اللهم شفعه في وشفعني في نفسي
قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ينبغي ان يكون هذا مقصورا على النبي {صلى الله عليه وسلم} لأنه سيد ولد آدم وأن لا يقسم على الله تعالى بغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء لأنهم ليسوا في درجته وأن درجته وأن يكون هذا مما خص به {صلى الله عليه وسلم} تنبيها على علو درجته ومرتبته انتهى

(١١)اختصاصه بعدم جواز الخطأ عليه

قال الماوردي في تفسيره قال ابن أبي هريرة كان {صلى الله عليه وسلم} لا يجوز عليه الخطأ ويجوز على غيره من الأنبياء لأنه خاتم النبيين فليس بعده من يستدرك خطأه بخلافهم فلذلك عصمه الله تعالى منه قال الامام الحق أنه لا يخطى ء اجتهاده

(١٢)اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بفضل التسمي باسمه ووجوب توقيره وتعظيمه واحترامه

أخرج البزار وابن عدي وأبو يعلى والحاكم عن أنس أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال (تسمون أولادكم محمدا ثم تلعنونهم)

وأخرج البزار عن ابي رافع سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول (إذا سميتم محمدا فلا تضربوه ولا تحرموه)

وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (من ولد له ثلاثة فلم يسم أحدهم محمدا فقد جهل) وأخرج مثل من حديث واثلة

وأخرج ابن أبي عاصم من طريق ابن أبي فديك عن جهم بن عثمان عن ابن جشيب عن أبيه عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال (من تسمى بإسمي يرجو بركتي غدت عليه البركة وراحت إلى يوم القيامة)

(١٣)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم دون أمته بأن الله تعالى عصمه من الناس:

قال الله تعالى: **((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ))** [المائدة:٦٧].

قال القرطبي: (قيل معناه أظهر التبليغ؛ لأنه كان في أول الإسلام يخفيه خوفاً من المشركين)، ثم أمر بإظهاره في هذه الآية، وأعلمه الله أنه يعصمه من الناس).

وأخرج الشيخان من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: {غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة قِبَل نجد، فأدْركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في وادٍ في العِضاة، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلّق سيفه بغصن من أغصانها، وتفرَّق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنّ رجلاً أتاني وأنا نائم، فأخذ السيف، فاستيقظت وهو قائم على رأسي فلم أشعر إلا والسيف صَلَتاً في يده، فقال لي: من يمنعك مني؟ قال: قلت الله، ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟ قلت: الله. قال: فشام السيف...} الحديث واللفظ لمسلم.

قرأت امرأة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان له حراس من المؤمنين يقومون بحراسته من الكافرين . وبعد ذلك جاء يوم وصرف الرسول صلى الله عليه وسلم هؤلاء الحراس ، وقال لهم ما معناه : إن الله عصمني من الناس فاذهبوا أنتم . قالت المرأة : والله لو خَدع الناس جميعا ما خَدع نفسه في حياته ، أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله

(١٤)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم دون أمته بإسلام قرينه:

أخرج مسلم من حديث عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي، إلاّ أنّ الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير}.
قال النووي: (فأسلم برفع الميم وفتحها، وهما روايتان مشهورتان،
فمن رفع قال: معناه أسلم أنا من شره وفتنته.
ومن فتح قال: إنَّ القرين أسلم من الإسلام، وصار مؤمناً لا يأمرني إلاّ بخير.
واختلفوا في الأرجح منهما، فقال الخطابي: الصحيح المختار الرفع، ورجح القاضي عياض الفتح، وهو المختار؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (فلا يأمرني إلا بخير) واختلفوا في رواية الفتح، فقيل أسلم بمعنى استسلم وانقاد وقد جاء هكذا في غير صحيح مسلم (فاستسلم) وقيل: معناه صار مسلماً مؤمناً وهذا هو الظاهر).

اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بإسلام قرينه وبأن أزواجه عون له

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن ابن عمر قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (فضلت على آدم بخصلتين كان شيطاني كافرا فأعانني الله عليه حتى أسلم وكن أزواجي عونا لي وكان شيطان آدم كافرا وزوجته عونا على خطيئته)
وأخرج مسلم عن ابن مسعود قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (ما منكم من أحد إلا ومعه قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله قال وإياي ولكن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير) وأخرج الطبراني من حديث المغيرة بن شعبة مثله

(١٥)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم دون أمته بأن من رآه في المنام فقد رآه حقاً ولا يتمثل الشيطان به:

أخرج البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {من رآني في المنام فقد رآني فإنَّ الشيطان لا يتمثل بي، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة}.
ولمسلم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {من رآني في المنام فقد رآني ولا يتمثل الشيطان بي}.
وزاد البخاري من رواية أبي هريرة أيضاً: {ولا يتمثل الشيطان صورتي، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار}.
نصت هذه الأحاديث المتفق عليها على أنَّ الرؤيا تكون في المنام لا كما يزعم الصوفية من دعوى رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناماً والتلقي منه. والله اعلم

(١٦)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم دون أمته بأن من كذب عليه متعمداً مختلف في كفره:

أخرج الشيخان من حديث أنس رضي الله عنه قال: {إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثاً كثيراً أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: من تعمَّد عليَّ كذباً فليتبوأ مقعده من النار}.

فلهذا أجمع العلماء على كفر من كذب متعمداً مستجيزاً لذلك
وقالوا: ومعلوم أنَّ من كذب على غيره فقد أثم وفسق، وكذلك الكذب عليه، لكن من تاب من الكذب على غيره يقبل بالإجماع، فينبغي أن لا تقبل رواية من كذب عليه؛ فرقاً بين الكذب عليه والكذب على غيره، وأما الجمهور فقالوا: تقبل روايته؛ لأنَّ قصارى ذلك أنه كفر، ومن تاب من الكفر قُبلت توبته وروايته، وهذا هو الصحيح).

(١٧)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم دون أمته بأنه لا يحل لأحد أن يرفع صوته فوق صوته صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى: **((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ))** [الحجرات: ٢-٤].
قال القرطبي: (معنى الآيات الأمر بتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوقيره، وخفض الصوت بحضرته، وعند مخاطبته، أي إذا نطق ونطقتم فعليكم ألاَّ تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذي يبلغه صوته، وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه غالباً لكلامكم، وجهره باهراً لجهركم؛ حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته واضحة).

(١٨)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم دون أمته بأنه تنام عينه ولا ينام قلبه:

روى البخاري من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة رضي الله عنها: {كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان؟ قالت: ما كان يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربع ركعات فلا تسأل عن حُسنهنَّ وطولهنَّ، ثم أربعاً فلا تسأل عن حُسنهنَّ وطولهنَّ، ثم يصلي ثلاثاً. فقلت: يا رسول الله تنام قبل أن توتر؟ قال: تنام عيني ولا ينام قلبي}.
وفي رواية أنس بن مالك: {والنبي نائمة عيناه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم}.

(١٩)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم دون أمته بأنه يرى من وراء ظهره كما يرى أمامه:

أخرج الشيخان من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: {أتموا الركوع والسجود، فوالله إني أراكم من بعد ظهري، إذا ما ركعتم وإذا ما سجدتم} واللفظ لمسلم.
ولمسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: {صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ثمَّ انصرف، فقال: يا فلان ألا تحسن صلاتك؟ ألا ينظر المصلي إذا صلى كيف يصلي، فإنما يصلي لنفسه، إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي}.

قال النووي: (قال العلماء: معناه أن الله تعالى خلق له صلى الله عليه وسلم إدراكاً في قفاه يبصر به من ورائه، وقد انخرقت العادة له صلى الله عليه وسلم بأكثر من هذا وليس يمنع من هذا عقل ولا شرع، بل ورد الشرع بظاهره فوجب القول به).

(٢٠)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم دون أمته بأنه يسمع ما لا يسمعه الناس:

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، إنَّ السماء أطَّت وحق لها أن تئطَّ، ما فيها موضع أربع أصابع إلاَّ وملك واضع جبهته ساجداً لله. والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذَّذتم بالنساء على الفرشات، ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله} رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجة واللفظ له.

(٢١)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم دون أمته بطيب عرقه وريحه ولين مسه:

روى مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: {دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عندنا، فَعَرِق، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا أمَّ سليم ما هذا الذي تصنعين؟! قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب}.

وروى له أيضاً قوله: {كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون كأنَّ عَرَقَهُ اللؤلُؤ إذا مشى تكفَّأ ولا مسستُ ديباجة ولا حريرة ألين من كفِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممتُ مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم}.

(٢٢)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم دون أمته بتفضيل نسائه على سائر النساء:

قال تعالى: **((يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا))** [الأحزاب:٣٠-٣١].

يقول ابن كثير: (يقول تعالى واعظاً نساء النبي صلى الله عليه وسلم اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، واستقرَّ أمرهنَّ تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم. فناسب أن يخبرهنَّ بحكمهنَّ وتخصيصهنَّ دون سائر النساء بأنَّ من يأت منهن بفاحشة مبينة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: [[النشوز وسوء الخلق]]، وعلى كل تقدير فهو شرط والشرط لا يقتضي الوقوع كقوله تعالى: ((وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ)) [الزمر:٦٥].

فلمَّا كانت محلتهنَّ رفيعة ناسب أن يجعل الذنب لو وقع منهنَّ مغلظاً صيانة لجنابهنَّ وحجابهنَّ الرفيع؛ ولهذا قال تعالى: ((مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ)) [الأحزاب: ٣٠].

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (أربعة يؤتون أجرهم مرتين أزواج رسول {صلى الله عليه وسلم}) الحديث

قال العلماء الأجر مرتين في الآخرة وقيل أحدهما في الدنيا والاخر في الآخرة
واختلف في مضاعفة العذاب فقيل عذاب في الدنيا وعذاب في الآخرة وغيرهن إذا عوقب في الدنيا لم يعاقب في الآخرة لأن الحدود كفارات وقال مقاتل حدان في الدنيا
قال سعيد بن جبير وكذا عذاب من فذقهن يضاعف في الدنيا فيجلد مائة وستين
قال مالك عن زيد بن أسلم: أي في الدنيا والآخرة. ثم ذكر سبحانه وتعالى عدله وفضله في قوله: ((وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ)) [الأحزاب: ٣١] أي تطع الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم.
وتستجب ((نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا)) [الأحزاب:٣١] أي في الجنة، فإنهنَّ في منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعلى عليين فوق منازل جميع الخلائق في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش).

(٢٣)اختصاصه بتفضيل بناته على سائر نساء العالمين
قال تعال يا نساء النبي لستن كأحد من النساء وقال تعالى يا نساء النبي من يأت منكن الآيتين
وأخرج الحارث بن أبي أسامة عن عروة قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (مريم خير نساء عالمها وفاطمة خير نساء عالمها)
وأخرج أبو نعيم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران)
وأخرج أبو نعيم عن علي عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال (يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك)
وأخرج أبو نعيم عن ابن مسعود قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إن فاطمة حصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار)

(٢٤)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم دون أمته بأن أزواجه اللاتي توفي عنهنّ محرمات على غيره أبداً:
قال تعالى: **((وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ))** [الأحزاب: ٥٣] الآية.
ولأنهنَّ أمهات المؤمنين لقوله تعالى: **((النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ..))** [الأحزاب:٦] الآية
قال ابن الملقن: (أي مثل أمهاتهم في وجوب احترامهن، وطاعتهن وتحريم نكاحهنَّ لما في إحلالهنَّ لغيره من النقص لمنصبه)صلى الله عليه وسلم.
ولم يثبت ذلك لأحد من الأنبياء بل قصة سارة مع الجبار وقول إبراهيم له هذه أختي وأنه هم أن يطلقها ليتزوجها الجبار قد يستدل به أن ذلك لم يكن لسائر الأنبياء
وأخرج الحاكم والبيهقي عن حذيفة أنه قال لزوجته إن سرك أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تزوجي بعدي فإن المرأة لآخر أزواجها في الدنيا فلذلك حرم على أزواج النبي {صلى الله عليه وسلم} أن ينكحن بعده لأنهن أزواجه في الجنة
<u>ومما قيل في تعليل ذلك</u>

١-أنهن أمهات المؤمنين وأن في ذلك غضاضة ينزه عنها منصبه الشريف
٢- وأنه {صلى الله عليه وسلم} حي في قبره ولهذا حكي الماوردي وجها أنه لا يجب عليهن عدة الوفاة وليس المراد بمن بعده بعدية الموت بل بعدية النكاح وقيل لا
وفي أمة فارقها بعد وطيها تحرم إن فارقها بالموت كمارية ولا تحرم إن باعها في الحياة

(٢٥)اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بتفضيل أصحابه على جميع العالمين سوى النبيين

أخرج ابن جرير في كتاب السنة عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار من أصحابي أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير أصحابي وفي أصحابي كلهم خير واختار أمتي على سائر الأمم وأختار من امتي أربعة قرون القرن الأول والثاني والثالث تترى والقرن الرابع فردا)
قال الجمهور كل من الصحابة أفضل من كل من بعده وإن رقي في العلم والعمل

(٢٦)اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بتفضيل بلديه على سائر البلاد وبأن الدجال والطاعون لا يدخلها وبفضل مسجده على سائر المساجد وبأن البقعة التي دفن فيها أفضل من الكعبة والعرش

أخرج احمد عن عبد الله بن الزبير قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة من غيره من المساجد إلا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام افضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة)
وأخرج الترمذي عن عبد الله بن عدي أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال لمكة (والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله)
وأخرج الحاكم عن أبي هريرة قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (اللهم إنك أخرجتني من أحب البقاع إلى فاسكني في أحب البقاع إليك)
وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة على كل نقب منها ملك لا يدخلها الطاعون ولا الدجال)
قال العلماء محل الخلاف في التفضيل بين مكة والمدينة في غير قبره {صلى الله عليه وسلم} أما هو وأفضل البقاع بالإجماع بل أفضل من الكعبة بل ذكر ابن عقيل الحنبلي أنه أفضل من العرش

(٢٧)-اختصاص النبى صلى الله عليه وسلم دون أمته بأنه يوعك فى مرضه كما يوعك الرجلان من أمته:

أخرج الشيخان من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: {دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فقلت: يا رسول الله، إنك توعك وعكاً شديداً! قال: أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم. قلت: ذلك بأنَّ لك أجرين. قال: أجل، ذلك كذلك، ما من مسلم

يصيبه أذى -شوكة فما فوقها- إلاً كفَّر الله بها سيئاته، كما تحطُ الشجرة ورقها}. واللفظ للبخاري.
وأخرج أيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: {ما رأيت أحداً أشدَّ عليه الوجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم}.

(٢٨)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم دون أمته بتخييره قبل قبضه بين الدنيا والآخرة:

أخرج الشيخان من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {ما من نبي يمرض إلاً خيِّر بين الدنيا والآخرة. وكان في شكواه الذي قبض فيه أخذته بحَّة شديدة، فسمعته يقول: مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فعلمت أنه خيِّر} واللفظ للبخاري.

(٢٩)اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} باستئذان ملك الموت عليه

وقد أوردت في البرزخ أحاديث دخول ملك الموت على إبراهيم وموسى وداود عليهم الصلاة والسلام بغير إستئذان

(٣٠)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم دون أمته بدفنه في المكان الذي قبض فيه:

أخرج الترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: {لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في دفنه فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ما نسيته قال: ما قبض الله نبياً إلاً في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه. فدفنوه في موضع فراشه}.
قال الألباني: (صحيح).

(٣١)-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم دون أمته بأن الأرض لا تأكل جسده وعرض صلاة أمته عليه في قبره:

أخرج النسائي من حديث أوس بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {إنَّ أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم عليه السلام وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة. فأكثروا عليَّ من الصلاة، فإنَّ صلاتكم معروضة عليَّ. قالوا: يا رسول الله وكيف تُعْرض صلاتُنا عليك وقد أرمت؟ أي يقولون قد بليت. قال: إنَّ الله عز وجل قد حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام}.

(٣٢)اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بأن الميت يسأل عنه في قبره

أخرج أحمد والبيهقي عن عائشة أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال (أما فتنة القبر في تفتنون وعني تسألون فإذا كان الرجل الصالح اجلس فيقال له ما هذا الرجل الذي كان فيكم فيقول محمد رسول الله الحديث قال الحكيم الترمذي سؤال المقبور خاص بهذه الأمة وكذا قال ابن عبد البر والمسألة مبسوطة في كتاب البرزخ

وسيأتي حديثه في أبواب الوفاة

<u>الاختصاص الرابع</u>
<u>خصائص امته</u>

<u>(١)اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بأن أمته خير الأمم وآخر الأمم</u>

ففضحت الأمم عندهم ولم يفضحوا وأنهم ميسرون لحفظ كتابهم في صدورهم وأنهم أشتق لهم إسمان من أسماء الله تعالى المسلمون والمؤمنون وسمى دينهم الإسلام ولم يوصف بهذا الوصف إلا الأنبياء دون أممهم

قال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وقال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وقال عز وجل هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا

أخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجة والحاكم عن معاوية بن حيدة أنه سمع النبي {صلى الله عليه وسلم} في قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس قال إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها واكرمها على الله تعالى

(٢)وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال قال النبي {صلى الله عليه وسلم} **(<u>أعطيت أمتي شيئا لم يعطه أحد من الأمم أن يقولو عند المصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون</u>)**

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير في تفسيرهما عن سعيد بن جبير قال لم يعط أحد الإسترجاع غير هذه الأمة ألا تسمعون إلى قول يعقوب عليه الصلاة والسلام يا أسفا على يوسف

وأخرج عبد الرزاق في المصنف إنا معمر عن أبان قال لم يعط التكبير أحد إلا هذه الأمة

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن أبي العالية أنه سئل بأي شيء كان الأنبياء يستفتحون الصلاة قال بالتوحيد والتسبيح والتهليل

<u>(٣)اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بأن أن أمته تغفر لهم الذنوب بالإستغفار وبأن الندم لهم توبة</u>

ويأكلون صدقاتهم في بطونهم ويثابون عليها

ويعجل لهم الثواب في الدنيا مع إدخاره في الآخرة وما دعوا الله استجيب لهم

وأخرج الفريابي عن كعب قال **<u>أعطيت هذه الأمة ثلاث خصال لم يعطها إلا الأنبياء</u>**

كان النبي {صلى الله عليه وسلم} يقال له بلغ ولا حرج وأنت شهيد على قومك وادع أجبك

وقال لهذه الأمة وما جعل عليكم في الدين من حرج وقال لتكونوا شهداء على الناس وقال ادعوني استجب لكم

وأخرج أبو نعيم عن عمرو بن عبسة قال سألت النبي {صلى الله عليه وسلم} عن قوله تعالى:
وما كنت بجانب الطور إذ نادينا .ما كان النداء وما كانت الرحمة

قال كتاب الله كتبه الله قبل أن يخلق خلقه بألفي عام ثم نادى يا أمة محمد سبقت رحمتي غضبي أعطيتكم قبل ان تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني فمن لقيني منكم يشهد منكم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبدي ورسولي أدخلته الجنة

وأخرج أحمد والحاكم عن ابن مسعود مرفوعا الندم والتوبة قال بعضهم كون الندم توبة من خصائص هذه الأمة

(٤)اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بالعذبة في العمامة والإئتزار في الأوساط وكلاهما سيماء الملائكة

وأخرج الديلمي من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إئتزروا كما رأيت الملائكة تأتزر عند ربها إلى أنصاف سوقها)
وأخرج الطبراني عن ابن عمر قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عليكم بالعمائم وأرخوها خلف ظهوركم فإنها سيماء الملائكة
وأخرج ابن عساكر عن عائشة قالت عمم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عبد الرحمن بن عوف وترك من عمامته مثل ورق العشر ثم قال (رأيت الملائكة معتمين)
وذكر ابن تيمية أن أصل العذبة أنه {صلى الله عليه وسلم} لما رأى ربه واضعا يده بين كتفيه أكرم ذلك الموضع بالعذبة لكن قال العراقي لم نجد لذلك أصلا

(٥)قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الخير فيَّ وفي أمتي إلى يوم القيامة » .

والمعنى : الخير فِيَّ حصراً وفي أمتي نَثْراً ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم جمع خصال الخير كله ، وخَصه الله بالكمال ، لكن مَنْ يُطيق الكمال المحمدي من أمته؟ لذلك نثر الله خصال الخير في جميع أمة محمد ، فأخذ كلّ واحد منهم صفةً من صفاته ، فكماله صلى الله عليه وسلم منثور في أمته : هذا كريم ، وهذا شجاع ، وهذا حليم . . إلخ .
ولما كان لأمة محمد هذا الدور كان هو خاتم الأنبياء؛ لأن أمته ستؤدي رسالته من بعده ، فلا حاجة - إذن - لتدخل السماء برسالة جديدة إلى أن تقوم الساعة
قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) يوسف

- ادعو الله على بصيرة اى معاينة يعاين سبيل كل واحد من الاتباع فيحمله عليها
- فقال لكل صاحب من اصحابه وحثهم على حسب اختلاف سبلهم
- قال لبلالا انفق بلال ولا تخشى من ذى العرش اقلالا
- قال لآخرامسك عليك مالك فانك ان تدعوا ورثتك اغنياء خير لك من ان تدعهم يتكففون الناس
- قال له صحابى اوصنى: قال لا تغضب
- قال له آخر اوصنى:قال استحى من الله كما تستحى من رجل صالح من قومك
- من اتبعنى : اى من يدعو الله على بصيرة

- الرسول يدعو لله على بصيرة الرسالة والاولياء يدعون الله على حسب بصائرهم
- قال الرسول: علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل ولم يقل كرسل بنى اسرائيل لان الرسول يجيئ بشريعة والنبى مقر ر لشريعة ما قبله

(٦)اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بأن أمته وضع عنهم الأصر الذي كان على الأمم قبلهم وأحل لهم كثيرا مما شدد على من قبلهم

ولم يجعل عليهم في الدين من حرج
ورفع عنهم المؤاخذة بالخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه
وحديث النفس وأن من هم منهم بسيئة لم تكتب سيئة بل تكتب حسنة ومن هم بحسنة كتبت حسنة فإن عملها كتبت عشرا
ووضع عنهم قتل النفس في التوبة
وقرض موضع النجاسة
وربع المال في الزكاة
وما دعوا به استجيب لهم
وشرع لهم التخيير بين القصاص والدية
ونكاح أربع ورخص لهم في نكاح غير ملتهم وفي نكاح الأمة
وفي مخالطة الحائض سوى الوطىء
وفي آتيان المراة على أي شق شاؤا
وحرم عليهم كشف العورة والتصوير وشرب المسكر
قال تعال وما جعل عليكم في الدين من حرج
وقال تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
وقال عز وجل ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا
وقال تعالى ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم
وقال تعالى (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) الآية
قال أبو هريرة لابن عباس إن الله تعالى يقول ما جعل عليكم في الدين من حرج إما علينا من حرج أن نزني أو نسرق قال بلى ولكن الإصر الذي على بني إسرائيل وضع عنكم
وأخرج الفرياني في تفسيره عن محمد بن كعب قال ما بعث الله تعالى من نبي ولا أرسل من رسول أنزل عليهم الكتاب إلا أنزل الله عليه هذه الآية وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية فكانت الأمم تأتي على أنبيائها ورسلها ويقولون نؤاخذ بما تحدث به أنفسنا ولم تعمله جوارحنا فيكفرون ويضلون
فلما نزلت على النبي {صلى الله عليه وسلم} اشتد على المسلمين ما اشتد على الأمم قبلهم فقالوا يا رسول الله أنؤاخذ بما تحدث به أنفسنا ولم تعمله جوارحنا قال (نعم فاسمعوا وأطيعوا واطلبوا إلى ربكم فذلك قوله تعالى آمن الرسول الآية فوضع الله عنهم حديث النفس إلا ما عملت الجوارح لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر

وأخرج مسلم والترمذي عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله دخل في قلوبهم منه شيء لم يدخل من شيء فقالوا للنبي {صلى الله عليه وسلم} فقال (قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا) فألقى الله الإيمان في قلوبهم فأنزل الله آمن الرسول إلى آخر السورة

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} **(إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به)**

وأخرج أحمد وابن حبان والحاكم وابن ماجة عن ابن عباس قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} **(إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)**

وأخرج ابن ماجة عن أبي ذر قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ وما استكرهوا عليه)

كفارة الذنوب

وأخرج ابن جرير عن أبي العالية قال قال رجل يا رسول الله لو كانت كفارتنا ككفارات بني إسرائيل فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} (ما أعطاكم الله خير كانت بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم الخطيئة وجدها مكتوبة على بابه وكفارتها فإن كفرها كان له خزي في الدنيا وإن لم يكفرها كانت له خزي في الآخرة

وقد أعطاكم الله خبرا من ذلك قال ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه والصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن)

وجعلت كفارة ذنوبكم قولا تقولونه تستغفرون الله تعالى فيغفر لكم والذي نفسي بيده لقد أعطانا الله آية لهي أحب إلي من الدنيا وما فيها والذين إذا فعلو فاحشة الآية

التوبة

وأخرج ابن أبي حاتم عن علي بن أبي طالب في قصة الذين عبدوا العجل قال قال لموسى ما توبتنا قال يقتل بعضكم بعضا فأخذوا السكاكين فجعل الرجل يقتل أخاه وأباه وأمه لا يبالي من قتل

البول

وأخرج الحاكم وصححه عن أبي موسى أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال (إن بني إسرائيل كان إذا أصاب أحدهم البول قرضه بالمقراض)

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن عائشة قالت دخلت على امرأة من اليهود الآية فقالت إن عذاب القبر من البول قلت كذبت قالت بلى إنه ليقرض منه الجلد والثوب فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} صدقت)

المرأة الحائض

وأخرج أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يواكلوها ولم يجامعوها في البيوت فسأل أصحاب النبي {صلى الله عليه وسلم} فأنزل الله تعالى ويسئلونك عن المحيض فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (اصنعوا كل شيء إلا النكاح) فقال اليهود ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه

وفي كتب التفسير كانت النصارى يجامعون الحيض ولا يبالون الحيض وكانت اليهود يعتزلونهن في كل شيء فأمر الله بالقصد بين الأمرين

الجماع

وأخرج أبو داود والحاكم عن ابن عباس قال كان أهل الكتاب لا يأتون النساء إلا على حرف وذلك أستر ما تكون المرأة وكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم كانوا يرون أن لهم فضلا على غيرهم من العلم فأنزل الله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم مقبلات ومدبرات ومستلقيات

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن مرة الهمداني قال كان اليهود يكرهون الأبراك فنزلت (نساؤكم حرث لكم) الآية فرخص الله للمسلمين أن يأتوا النساء في الفروج كيف شاءوا أني شاءوا من بين أيديهن أو من خلفهن

الرهبانية

وأخرج أبو نعيم في المعرفة عن أنس أن النبي **{صلى الله عليه وسلم} قال لعثمان بن مظعون إنها لم تكتب علينا الرهبانية وإن رهبانية أمتي الجلوس في المساجد انتظارا للصلوات والحج والعمرة**

وأخرج أحمد وأبو يعلى عن أنس أن النبي **{صلى الله عليه وسلم} قال (لكل نبي رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله)**

وأخرج أبو داود عن أبي أمامة أن رجلا قال يا رسول الله ائذن لي في السياحة فقال (سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله)

وأخرج ابن المبارك عن عمارة بن غزية أن السياحة ذكرت عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال (أبدلنا الله بذلك الجهاد في سبيل الله والتكبير على كل شرف)

وأخرج ابن جرير عن عن عائشة قالت سياحة هذه الأمة الصيام

القصاص والدية

وأخرج البخاري عن ابن عباس قال كان في بني إسرائيل القصاص في القتلى ولم يكن فيهم الدية فقال الله تعالى لهذه الأمة كتب عليكم القصاص في القتلى فمن عفي له من أخيه شيء فالعفوان يقبل الدية في العمد ذلك تخفيف من ربك ورحمة مما كتب على من كان قبلكم

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال كان على بني إسرائيل اقتصاص ليس بينهم دية في نفس ولا جرح وذلك قوله تعالى وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس الآية وخفف الله تعالى عن أمة محمد فقبل منهم الدية في النفس وفي الجراحة وذلك قوله تعالى تخفيف من ربكم ورحمة

وأخرج ابن جرير عن قتادة قال كان على أهل التوراة إنما هو القصاص أو البفو ليس بينها أرش وكان على أهل الانجيل إنما هو عفو أمروا به وجعل الله لهذه الأمة القتل والعفو والديه إن شاؤا أحلها لهم ولم تكن لأمة قبلهم

نكاح النصرانية والأمة

وقال ابن أبي شيبة في المصنف حدثنا وكيع عن سفيان عن ليث عن مجاهد قال أنه مما وسع الله به على هذه الأمة نكاح النصرانية والأمة

وأخرج البيهقي عن وهب بن منبه

قال إن الله تعالي لما قرب موسي نجيا

قال يا رب إني أجد في التوراة أمة خير أمة أخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد

قال رب إني أجد في التورراة أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤنها وكان من قبلهم يقرأون كتبهم نظرا ولا يحفظونها فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد

قال رب إني أجد في التوراة أمة يؤمنون بالكتاب الأول والاخر يقاتلون رؤوس الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الكذاب فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد

قال رب إني أجد في التوراة أمة يأكلون صدقاتهم في بطونهم وكان من قبلهم إذا أخرج صدقته بعث الله عليها نارا فأكلتها فإن لم تقبل لم تأكلها النار فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد

قال رب إني أجد في التوراة أمة إذا هم أحدهم بسيئة لم تكتب عليه فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة وإذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا مثالها إلى سبعمائة ضعف فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد

قال رب إني أجد في التوراة أمة هم المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد

قال وذكر وهب بن منبه في قصة داود النبي عليه السلام وما أوحى الله إليه في الزبور

يا داود إنه سيأتي من بعدك نبي إسمه أحمد ومحمد صادقا نبيا لا أغضب عليه أبدا ولا يعصيني أبدا

وقد غفرت له قبل أن يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تأخر

وأمته مرحومة أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء

وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء والرسل حتى يأتوني يوم القيامة ونورهم مثل نور

وذلك إني افترضت عليهم أن يتطهروا لي لكل صلاة كما افترضت على الأنبياء قبلهم

وامرتهم بالغسل من الجنابة كما امرت الرسل قبلهم

وامرتهم بالحج كما أمرت الأنبياء قبلهم

وامرتهم بالجهاد كما امرت الأنبياء قبلهم

يا داود إني فضلت محمدا وأمته على الأمم كلهم أعطيتهم ست خصال لم أعطها غيرهم من الأمم

لا آخذهم بالخطأ والنسيان

وكل ذنب ركبوه على غير عمد إذا استغفروني منه غفرته

وما قدموا لآخرتهم من شيء طيبة به أنفسهم عجلته لهم اضعافا مضاعفة

ولهم عندي أضعافا مضاعفة وأفضل من ذلك

وأعطيتهم على المصائب في البلايا إذا صبروا وقالوا إنا لله وإنا إليه راجعون الصلاة والرحمة والهدى إلى جنات النعيم

وإن دعوني أستجب لهم فأما أن يروه عاجلا وأما أن أصرف عنهم سوء وأما أدخره لهم في الاخرة

(٧)اختصاصه {صلى الله عليه وسلم} بأن أمته لا تهلك بجوع ولا بغرق ولا يعذبون بعذاب عذب به من قبلهم ولا يسلط عليهم عدو غيرهم يستبيح بيضتهم ولا تجتمع على ضلالة ونشأ من ذلك أن إجماعهم حجة وبإن اختلافهم رحمة فكان اختلاف من قبلهم عذابا

أخرج مسلم عن ثوبان قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وأن ملك أمتي سيبلخ ما لي زوى منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وأني سالت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة ولا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم فأعطاني)

وأخرج ابن أبي شيبة عن سعد أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال (سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالنسة فأعطانيها وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألت أن لا يجعل بأسهم بينهم فردت علي)

وأخرج أحمد والطبراني عن أبي بصرة الغفاري عن الرسول {صلى الله عليه وسلم} قال (سألت الله أن لا يجمع هذه الأمة على الضلالة فأعطانيها وسألته وسألت أن لا يهلكهم بالسنين كما اهلك الأمم قبلهم فاعطانيها وسألته أن لا يظهر عليهم عدوا فأعطانيها وسألته أن لا يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها

وأخرج الحاكم عن ابن عباس عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال (لا يجمع الله أمتي على الضلالة أبدا)

وأخرج الشيخ نصر المقدسي في كتاب الحجة قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (اختلاف أمتي رحمة)

قال هارون الرشيد لمالك بن أنس يا أبا عبد الله نكتب هذه الكتب ونفرقها في آفاق الإسلام لنحمل عليها الأمة قال يا أمير المؤمنين إن اختلاف العلماء رحمة عن الله على هذه الأمة كان يتبع ما صح عنده وكل على هدى وكل يريد الله تعالى

ليس بوسع أحد منا أن يجمع الكمال المحمدي في أخلاقه ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « الخير فيَّ حقاً وفي أمتي إلى يوم القيامة » .

ففي كل فرد من أفراد الأمة خصلة من خصال الخير ، بحيث إذا تجمعت خصال الكمال في الخلق أعطتنا الكمال المحمدي .

الفصل السابع
خصائص النبي صلى الله عليه وسلم عند العاشقين

وفيه أربعة مباحث:

١-محمد **أول النبيين في الخلق** وأنه مرسل إلى الأنبياء وأممهم.
٢-محمد **مخلوق من نور الله تعالى** وأن الوجود كله مخلوق من نوره صلى الله عليه وسلم.
٣-محمد **توسل الأنبياء به قبل وجوده.**
٤-محمد استفتح **أهل الكتاب بحقه قبل وجوده.**

١- أول النبيين في الخلق وأنه مرسل إلى جميع الأنبياء وأممهم:

يعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم خُلق قبل الأنبياء، وأنَّه نُبي منذ ذلك الوقت، وأنه مرسل إلى جميع الأنبياء وأممهم، فممن قال بذلك منهم: ابن عربي، وأبو الحسن السُبكي، والسيوطي، ومحمد بن عبد الباري الأهدل.

واستدلوا لذلك بالأدلة الآتية:

١-الأول: أخرج أبو نعيم في الدلائل بسنده من رواية أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ((وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ)) [الأحزاب: ٧] الآية.

قال: {كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث}.

٢-دليلهم الثاني:

حديث ميسرة الفجر رضي الله عنه قال: قلت: {يا رسول الله متى كُتبت نبياً؟ قال: وآدم عليه السلام بين الروح والجسد. يقول السُّبكي في كتابه التعظيم والمِنَّة في: **(لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ)** [آل عمران: ٨١]

(في هذه الآية من التنويه بالنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم قدره العلي ما لا يخفى، وفيه مع ذلك أنه على تقدير مجيئه صلى الله عليه وسلم في زمانهم يكون الأمر مرسلاً إليهم؛ فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة، وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته،

قلتُ: قد جاء أنَّ الله خلق الأرواح قبل الأجساد، فقد تكون الإشارة بقوله كنت نبياً إلى روحه الشريفة، أو إلى حقيقته والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها، وإنما يعلمها خالقها، ومن أمده الله بنور إلهي

ثم إن تلك الحقائق يؤتي الله كل حقيقة منها ما يشاء في الوقت الذي يشاء، فحقيقة النبي صلى الله عليه وسلم قد تكون من قبل خلق آدم، آتاه الله ذلك الوصف بأن خلقها متهيئة لذلك، وأفاض عليها من ذلك الوقت فصار نبياً، وكتب اسمه على العرش، وأخبر عنه بالرسالة ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده

فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وإن تأخر جسده الشريف المتصف بها، واتصاف حقيقته بالأوصاف الشريفة المفاضة من الحضرة الإلهية. وإنما يتأخر البعث والتبليغ وكل ماله من جهة الله تعالى، ومن جهة تأهل ذاته الشريفة وحقيقته معجل لا تأخير فيه، وكذلك استنباؤه، وإيتاؤه الكتاب والحكم والنبوة، وإنما المتأخر تكونه وتنقله إلى أن ظهر صلى الله عليه وسلم.

٢-محمد مخلوق من نور الله تعالى وأن الوجود كله مخلوق من نوره صلى الله عليه وسلم:

استدل بالحديث المنسوب إلى جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قلت: {يا رسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء؟ قال: يا جابر إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار، ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا إنس،

فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسّم ذلك النور أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش،

ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأول حملة العرش، ومن الثاني الكرسي، ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأول السموات، ومن الجزء الثاني الأراضين، ومن الثالث الجنة والنار،

ثم قسم الجزء الرابع إلى أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأول نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم، وهي المعرفة بالله، ومن الثالث نور أنسهم، وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله. ثم نظر إليه فترشح النور عرقاً، فتقطرت منه مائة ألف قطرة وعشرين ألفاً وأربعة آلاف قطرة، فخلق الله من كل قطرة روح نبي رسول، ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم أرواح الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة،

فالعرش والكرسي من نوري، والكروبيون من نوري، والروحانيون من نوري، والجنة وما فيها من النعيم من نوري والشمس والكواكب من نوري، والعقل والعلم والتوفيق من نوري، وأرواح الأنبياء والرسل من نوري، والسعداء والصالحون من نتائج نوري، ثم خلق الله آدم من الأرض

وركّب فيه النور وهو الجزء الرابع، ثم انتقل منه إلى شيث وكان ينتقل من طاهر إلى طيب إلى أن وصل إلى صلب عبد الله ومنه إلى وجه أمي آمنة ثم أخرجني إلى الدنيا فجعلني سيد المرسلين وخاتم النبيين وقائد الغر المحجلين. هكذا بدأ خلق نبيك يا جابر}.

٣-اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بتوسل الأنبياء به قبل وجوده:

من الأحاديث ما أورده السبكي ثم ساق السند إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {لمَّا اقترف آدم الخطيئة قال: يا ربِّ أسألك بحق محمدٍ لمَّا غفرت لي، فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يا ربِّ لأنك لمَّا خلقتني بيدك، ونفخت فيَّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله. فعلمتُ أنك لم تُضف إلى اسمك إلاَّ أحبَّ الخلق إليك. فقال الله: صدقت يا آدم إنَّه لأحبُّ الخلق إليَّ، ادعني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك}.

٤- اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم باستفتاح أهل الكتاب بحقه قبل وجوده:

فقد أورد السيوطي في الخصائص الكبرى للنبي صلى الله عليه وسلم حديثاً يبين استفتاح أهل الكتاب بحق النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يُخلق.

موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فكلما التقوا هزمتْ يهود خيبر. فعاذت بهذا الدعاء، اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلاَّ نصرتنا عليهم، قال: فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان،

فلما بعث الله النبي صلى الله عليه وسم كفروا به، فأنزل الله: **((وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا)) [البقرة: ٨٩]** الآية

الفصل الثامن
محمد ، النبى ، الرسول

ذكر اسم (محمد) (ص) في القرآن الكريم اربعة مرات وهي

(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ) (آل عمران : ١٤٤

مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً (الأحزاب : ٤٠)

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ(محمد : ٢)

(مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) (الفتح : ٢٩)

أن رسول الله صلى الله عليه و سلم خطب الناس فقال في خطبته : [أيها الناس إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه واختصر لي اختصارا وقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تتهوكوا ولم يغرنكم المتهوكون]

النبى فى القرآن٢٨آية

إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨)ال عمران

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧)الاعراف

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨)الاعراف

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ (٦٥)الانفال

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٠)الانفال

وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦١) التوبة

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣)التوبة

لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١١٧) التوبة

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١)الاحزاب

النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٦)الاحزاب

وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا (١٣)

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً (٢٨)

يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠)

يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفًا (٣٢)

مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (٣٨)

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥)

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاَتِكَ اللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلاَ يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٠)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣)

إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٩)الاحزاب
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ (٢)الحجرات

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لاَ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢)الممتحنة
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لاَ تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١)الطلاق
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١)التحريم
وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣)
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٩)التحريم

<u>الرسول فى القرآن٤٣ آية</u> ليست كلها تخص سيدنا محمد

●وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٤٣)البقرة

●أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤)

●آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)

●رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣)

●آل عمرانكَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦)

●يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا (٤٢)النساء

●يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٥٩)

●وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١)

●وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (٦٤)

●مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (٨٠) وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً (٨١)

●وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً (٨٣)

●وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥)

●يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧٠)

●يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١) المائدة

●يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧)

●وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣)

●وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٩٢)

●مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٩٩)

●وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٠٤)

●الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧)الاعراف

●أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣)التوبة

●لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨)

●وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٩)

●وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨) الحج

●قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٥٤)النور

●وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٥٦)

●لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)

●وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (٧)الفرقان

●وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨)

●وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٣٠)

●وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٨)العنكبوت

●إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (٣٢)محمد

●يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣)

●بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا (١٢)الفتح

●أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلاَ يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٨)المجادله

●يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلاَ تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩)

●يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢)

●مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧)الحشر

●يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١)الممتحنة

●وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ (١٢)التغابن

التداخل بين مفهومى النبى والرسول

أحمد صبحى منصور

الفرق بين الرسول والنبى:

يخطئ الناس فى فهم الأمر بطاعة الرسول واتباع الرسول، وذلك لأنهم يخطئون فى فهم الفارق بين مدلول النبى ومدلول الرسول..

"النبى" هو شخص محمد بن عبد الله فى حياته وشئونه الخاصة وعلاقاته الإنسانية بمن حوله، وتصرفاته البشرية.

ومن تصرفاته البشرية ما كان مستوجباً عتاب الله تعالى، لذا كان العتاب يأتى له بوصفه النبى، كقوله تعالى ﴿**يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك؟ تبتغى مرضات أزواجك؟!..**﴾ (التحريم ١) .

ويقول تعالى فى موضوع أسرى بدر

﴿**ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة**﴾ (الأنفال ٦٧).

ويقول له ﴿**وما كان لنبى أن يغل ومن يغلل يأتى بما غل يوم القيامة**﴾ (آل عمران ١٦١).

وحين استغفر لبعض أقاربه قال له ربه تعالى

﴿**ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم**﴾ (التوبة ١١٣).

وعن غزوة ذات العسرة

قال تعالى ﴿**لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم..**﴾ (التوبة ١١٧).

وقال تعالى يأمره بالتقوى واتباع الوحى والتوكل على الله وينهاه عن طاعة المشركين

﴿**يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليماً حكيماً. واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا .وتوكل على الله..**﴾ (الأحزاب ١: ٣).

كل ذلك جاء بوصفه النبى.

وكان الحديث القرآنى عن علاقة محمد عليه السلام بأزواجه أمهات المؤمنين يأتى أيضاً بوصفه النبى

يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلا﴾ (الأحزاب ٢٨).

﴿**وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثاً..**﴾ (التحريم ٣).

وكان القرآن يخاطب أمهات المؤمنين، فلا يقول يا نساء الرسول وإنما

﴿**يا نساء النبى لستن كأحد من النساء.. يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين**﴾) الأحزاب ٣٢، ٣٠.(

وكان الحديث عن علاقته بالناس حوله يأتى أيضاً بوصفه النبى

﴿**يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن**﴾ (الأحزاب ٥٩) ﴿**النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم**﴾ (الأحزاب ٦)

﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم**﴾ (الأحزاب ٥٣)

﴿**ويستأذن فريق منهم النبى يقولون إن بيوتنا عورة**﴾ (الأحزاب ١٣).

وهكذا فالنبى هو شخص محمد البشرى فى سلوكياته وعلاقاته الخاصة والعامة، لذا كان مأموراً بصفته النبى باتباع الوحى.

الرسول

أما حين ينطق النبى بالقرآن فهو الرسول الذى تكون طاعته طاعة لله

﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله..، .. وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله**﴾) النساء ٨٠، ٦٤)

والنبى محمد بصفته البشرية أول من يطيع الوحى القرآنى وأول من يطبقه على نفسه.. وهكذا ففى الوقت الذى كان فيه (النبى) مأموراً باتباع الوحى جاءت الأوامر بطاعة (الرسول) أى طاعة النبى حين ينطق بالرسالة أى القرآن

﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول..﴾ (النور ٥٤).

ولم يأت مطلقاً فى القرآن "أطيعوا الله وأطيعوا النبى" لأن الطاعة ليست لشخص النبى وإنما للرسالة أى للرسول. أى لكلام الله تعالى الذى نزل على النبى والذى يكون فيه شخص النبى أول من يطيع..

كما لم يأت مطلقا في القرآن عتاب له عليه السلام بوصفه الرسول.

ولكلمة النبى معنى محدد هو ذلك الرجل الذى اختاره الله من بين البشر لينبئه بالوحى ليكون رسولاً.

أما كلمة الرسول فلها في القرآن معان كثيرة هي:

١ •الرسول بمعنى النبى: ﴿**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين**﴾ (الأحزاب ٤٠)

٢ •الرسول بمعنى جبريل ﴿**إنه لقول رسول كريم. ذى قوة عند ذى العرش مكين .مطاع ثم أمين. وما صاحبكم بمجنون. ولقد رآه بالأفق المبين**﴾ (التكوير ١٩.23)

٣ •الرسول بمعنى الملائكة: ملائكة تسجيل الأعمال ﴿**أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم؟ بلى ورسلنا لديهم يكتبون**﴾ (الزخرف ٨٠). ملائكة الموت ﴿**حتى إذا جاءت رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله**﴾ (الأعراف.37)

٤ •الرسول بمعنى ذلك الذى يحمل رسالة من شخص إلى شخص آخر، كقول يوسف لرسول الملك "ارجع إلى ربك" فى قوله تعالى: ﴿**وقال الملك ائتونى به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك..**﴾ (يوسف ٥٠)

٥ •الرسول بمعنى القرآن أو الرسالة،

وبهذا المعنى تتداخل معنى الرسالة مع النبى الذى ينطلق بالوحى وينطبق ذلك على كل الأوامر التى تحث على طاعة الله ورسوله.. فكلها تدل على طاعة كلام الله الذى أنزله الله على رسوله وكان الرسول أول من نطق به وأول من ينفذه ويطيعه.

والرسول بمعنى القرآن يعنى أن رسول الله قائم بيننا حتى الآن ، وهو كتاب الله الذى حفظه الله إلى يوم القيامة، نفهم هذا من

قوله تعالى ﴿**وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله؟ ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم**﴾ (آل عمران ١٠١)

أى أنه طالما يتلى كتاب الله فالرسول قائم بيننا ومن يعتصم بالله وكتابه فقد هداه الله إلى الصراط المستقيم . ينطبق ذلك على كل زمان ومكان طالما ظل القرآن محفوظا ، وسيظل محفوظا وحجة على الخلق الى قيام الساعة..

وكلمة الرسول فى بعض الآيات القرآنية تعنى القرآن بوضوح شديد كقوله تعالى ﴿**ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله**﴾ (النساء ١٠٠).

فالآية تقرر حكماً عاماً مستمراً إلى قيام الساعة بعد وفاة محمد عليه السلام. فالهجرة فى سبيل الله وفى سبيل رسوله- أى القرآن- قائمة ومستمرة بعد وفاة النبى محمد وبقاء القرآن أو الرسالة.

وأحياناً تعنى كلمة "الرسول" القرآن فقط وبالتحديد دون معنى آخر. كقوله تعالى (**لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا**) (الفتح ٩)

فكلمة "ورسوله" هنا تدل على كلام الله فقط ولا تدل مطلقاً على معنى الرسول محمد. والدليل أن الضمير فى كلمة "ورسوله" جاء مفرداً فقال تعالى (وتعزروه وتقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا) والضمير المفرد يعنى أن الله ورسوله أو كلامه ليسا اثنين وإنما واحد فلم يقل

"وتعزروهما وتوقروهما وتسبحوهما بكرة وأصيلا". والتسبيح لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى وحده . ولا فارق بين الله وتعالى وكلامه، فالله تعالى أحد فى ذاته وفى صفاته (قل هو الله أحد).

ويقول تعالى **(يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه)** (التوبة ٦٢)

ولو كان الرسول فى الآية يعنى شخص النبى محمد لقال تعالى "أحق أن يرضوهما "ولكن الرسول هنا يعنى فقط كلام الله لذا جاء التعبير بالمفرد الذى يدل على الله تعالى وكلامه.

إذن فالنبى هو شخص محمد فى حياته الخاصة والعامة، أما الرسول فهو النبى حين ينطق القرآن وحين يبلغ الوحى ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك**﴾) المائدة ٦٧)

وفى الوقت الذى يأمر الله فيه النبى باتباع الوحى فإن الله تعالى يأمرنا جميعاً وفينا النبى- بطاعة الله والرسول، أى الرسالة.

ولم يأت مطلقاً "ما على النبى إلا البلاغ"، وإنما جاء ﴿**ما على الرسول إلا البلاغ**﴾ (المائدة ٩٩) فالبلاغ مرتبط بالرسالة كما أن معنى "النبى" مرتبط ببشرية الرسول وظروفه وعصره وعلاقاته .

ذلك التداخل بين مصطلحى (النبى والرسول) من حيث إجتماعهما فى شخص واحد ، وبه يتميز رسل الله وأنبياؤه عن بقية البشر، فكل منا له شخصية واحدة ،

ولكن للنبى شخصية مزدوجة فهو النبى المختار والمصطفى لتبليغ الرسالة ، وهو الناطق بهذه الرسالة عن ربه جلّ وعلا ، وحين ينطق بها فهو الرسول الواجب إتباعه ، ويكون هو نفسه أول من يتبع هذه الرسالة التى ينطق بها.

الالتفات : ونعنى به الانتقال من تعبير النبى الى تعبير الرسول لتوضيح المراد فى القصص وفى التشريع المرتبط به

١-هل كان المنافقون فى المدينة يكرهون النبى محمدا ويؤذونه لشخصه (محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشى) أم كانوا يكرهونه ويؤذونه بسبب دعوته ورسالته أى القرآن الكريم ؟ الاجابة : لم تكن الكراهية شخصية ولكن كانت موضوعية ،أى بسبب القرآن الكريم

ولكنه فى الحقيقة كان كراهية وإيذاء للرسول أو الرسالة(وهى ممتدة وسارية بعد موت النبى) **(وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ)** ،

ولكن يأتى الالتفات الى تعميم التشريع ليمتدّ الى كل من يؤذى (النبى)بعد موته ـ كراهية فى الرسالة القرآنية ، هنا يأتى مصطلح الرسول ، فيقول جل وعلا : **(وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).**

(يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ).

ولأن الرسالة تعنى القرآن ولأن الرسول يعنى أحيانا القرآن ، ولأن طاعة الرسول ليست طاعة لشخص محمد ولكنها طاعة لصاحب الرسالة وصاحب الدين والقرآن وهو الله جل وعلا فإن الآية الكريمة تقول : **(وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ)**. لم يقل (والله ورسوله أحق أن يرضوهما) لأن الرسول هنا هوالقرآن الكريم ، رسالة رب العالمين ، ولا فارق بين الله جل

وعلا وكتابه وكلامه ، لذا عاد الضمير بالمفرد ، لله جل وعلا وحده ليدل على الله ورسالته أو كتابه. وليس لمحمد نصيب هنا .

ومن هنا نفهم وجوب الطاعة لله تعالى ورسوله على أنها طاعة للواحد الأحد جل وعلا فى كتابه أو رسالته التى كان ينطق بها محمد رسوله ، فحين كان ينطق بالقرآن وحين كان يعظ بالقرآن وحين كان يذكّر بالقرآن من يخاف وعيد فطاعته هى طاعة لكلام الله جل وعلا أى لله جل وعلا ،

(أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ)

(يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ)(التوبة ٦١)

(إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا)(الأحزاب ٥٧).

٢-الالتفات فى التشريع من النبى الى الرسول لبيان سبب التشريع ، وهو فيما يخصّ الرسول أو الرسالة، فمثلا يقول جل وعلا : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا)** (الأحزاب ٥٣).

تبدو (المحلية) محددة هنا ببيوت النبى وقتها فى المدينة حيث كان يتوافد عليها الصحابة بإذن وبدون إذن ، يأكلون ويتسامرون مما كان يؤذى النبى عليه السلام . وبسبب خلقه الرفيع كان يستحى من نصحهم وجرح مشاعرهم وهم فى بيته.هذه المحلية فى الزمان والمكان والأشخاص وتصرفاتهم ترتبط بقضية عامة فوق الزمان والمكان ، وهى خصوصية بيت النبى لأنه مهبط الرسالة،ولأن صاحب هذا البيت لا بد أن يجد وقتا للراحة والخصوصية ولأنه صاحب مهمة عظمى أو رسالة. نسى الصحابة الطفيليون هذا كله ، وهو حق .ولأن الله جل وعلا لا يستحيى من الحق

فقد أنزل فى هذا الموضوع قرآنا ، بدأت الآية بالنبى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ) (إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ)

ثم جاء التعليل بالالتفات الى مصطلح الرسول لتوضيح حرمته ومكانته وخصوصيته :

(وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا.

٣- **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ)**

هنا صوت مسموع للنبى بجسده،

ولكنه بالقرآن يكون صوت رسول الله حسبما توضح الآية التالية :

(**إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ**)(الحجرات ٢ " ٣)

٤-يقول جلّ وعلا :(**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**) (المجادلة ٨ : ١٣)

اللغو والتشويش الذى كان يمارسه المشركون فى مكة أعاده المنافقون بصورة أشدّ مكرا وأضل سبيلا ،

وهى المناجاة وتحويل إهتمام المؤمنين فى المدينة الى إشاعات وتهامسات ونجوى بالإثم والزور لصرف المؤمنين عن القرآن أو الرسول ،

أى لمنع المؤمنين من التركيز فى الاستماع للرسول ،أى للنبى حين كان يعظ ويذكّر ويقرأ القرآن .هنا نجد التشريع الخاص بوقته ومكانه بالنسبة للرسول أى النبى حين يقرأ القرآن ويحكم بالقرآن ،

٥-(**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**)،

ثم جاء تفصيل تشريع الغنائم :

(**وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) (الأنفال ٤١).

(**مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**) (الحشر ٧).

فخمس الغنائم لله جل وعلا ولرسوله ـ أى كتابه ورسالته ودينه ـ ويتم توزيع هذا الخمس على خمس هم الرسول محمد وذوى قربى المؤمنين واليتامى والمساكين وابن السبيل . وبعد موته عليه السلام يكون نصيبه فى الغنائم الى الدعوة بالقرآن ، أى الرسالة ، فالرسول قائم بيننا طالما بيننا كتاب الله جل وعلا نتلوه. نفس الحال فى توزيع الفىء أو ما يفىء الى بيت المال

هنا حكم الله جل وعلا ، كان يطبقه رسول الله محمد عليه السلام فى حياته ، وبعد موته يجب تطبيقه وفق ما جاء فى الرسالة أو القرآن القائم مقام الرسول بيننا.

٦-يوجد تشريع خاص بالنبى وزمانه ومكانه ، وينزل الوحى يعلّق ويعقّب على ما حدث ويعطى توجيهات ، كقوله جل وعلا عقب معركة بدر :

٦-(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)(الانفال ٦٤ : ٧١)

ومثله تشريع آخر عن الزىّ للمؤمنات خاص بمكانه وزمانه ولا شأن له بعصرنا وهو قوله جل وعلا لخاتم النبيين:

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)

هناك الكثير من الناس يختلط عليهم الفرق بين صفة الرسول وصفة النبي والكثير منهم يرجع العصمة لصفة النبي بينما العصمة تكون للرسول فقط

(أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)

محمد عليه الصلاة والسلام كان إنسانا يتمشى في الأسواق ويتزاوج ويغضب ويأكل ويمرض شأن أي شخص عادي جدا

(وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا) لم تكن له أي معجزة مادية سوى القرآن

الا أننا يجب أن نميز بين الفرق بين صفة الرسول التي تعني المنهج أو الدستور (إفعل ولا تفعل) وصفة النبوة الأقرب الى الجانب البشري في تطبيقة لأوامر الرسالة ، بمعنى أوضح النبي مطالب بإتباع أوامر الرسول (المنهج) (وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ويمكن للنبي أن يخرج عن أوامر الرسول في بعض الأحيان ويأتيه التبيه للنبي وليس للرسول من الله تعالى**(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ..)**

لذلك كان أمر الطاعة للرسول (المنهج = القرآن) على مجمل النص القرآني) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ , (ولن تجد آية واحدة تأمر بإطاعة النبي ذلك الجانب البشري من صفته صلى الله عليه وسلم . عكس ما تروج له الفرق الإسلامية بضرورة

اتباع واطاعة ولي الأمر (البشر..

مات محمد عليه الصلاة والسلام لكن لايزال الرسول موجود بيننا مادام المنهج = القرآن محفوض من لدن رب العالمين
(**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**) لذلك نجد آيات كثيرة صالحة لك زمان تخاطب الرسول بيننا
(**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**) و (**وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم**)
بمعنى مادامت تتلى علينا آيات الله (القرآن = المنهج = الرسالة) فسيكون فينا رسوله في أي عصر لانه وكما قلنا صفة الرسالة مرتبطة بالمنهج..
ما الفرق بين النبي و الرسول ومن هو اول نبي ومن هو أول رسول؟ ؟
معنى النبي والرسول شرعا قال ابن تيمية:
فالنبي :هو الذي ينبئه الله وهو ينبئ بما أنبأ الله به فإن أرسل مع ذلك الى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله اليه فهو رسول وأما اذا كان انما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو الى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول قال تعالى:" **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى** ....(٥٢) الحج وقوله "من رسول ولا نبي"

وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة فان يوسف كان رسولا وكان على ملة ابراهيم وداود وسليمان كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة

قال تعالى عن مؤمن آل فرعون:" **وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ**(٣٤) غافر...

وقال تعالى:" **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا(١٦٣)وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**(١٦٤) النساء...

والإرسال اسم عام يتناول إرسال الملائكة وإرسال الرياح وإرسال الشياطين وإرسال النار قال تعالى:" **يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ**(٣٥) الرحمن..

وقال تعالى:" **الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ**...... فاطر...فهنا جعل الملائكة كلهم رسلا والملك في اللغة هو حامل الألوكة وهي الرسالة

وقد قال في موضع آخر:" **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**(٧٥) الحج
...فهؤلاء الذين يرسلهم بالوحي كما قال:" **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**(٥١) الشورى...

وقال تعالى:" **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ**....(٥٧) الأعراف....

وقال تعالى:" **أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**(٨٣) مريم.....

لكن الرسول المضاف الى الله اذا قيل رسول الله فهم من يأتي برسالة الله من الملائكة والبشر كما قال تعالى:" **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**(٧٥) الحج....

وقالت الملائكة:" **يَالُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ**....(٨١ هود...)
وأما عموم الملائكة والرياح والجن فإن إرسالها لتفعل فعلا لا لتبلغ رسالة
قال تعالى:" **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا**(٩) الأحزاب
فرسل الله الذين يبلغون عن الله أمره ونهيه هم رسل الله عند الاطلاق وأما من أرسله الله ليفعل فعلا بمشيئة الله وقدرته فهذا عام يتناول كل الخلق.

الأنبياء هم المذكورون بالقرآن الكريم ٢٥ هم:

آدم عليه السلام
إدريس عليه السلام
نوح عليه السلام
هود عليه السلام
صالح عليه السلام
إبراهيم عليه السلام
لوط عليه السلام
إسماعيل عليه السلام
إسحاق عليه السلام
يعقوب عليه السلام
يوسف عليه السلام
أيوب عليه السلام
ذو الكفل عليه السلام
يونس عليه السلام

شعيب عليه السلام
موسى عليه السلام
هارون عليه السلام
داود عليه السلام
سليمان عليه السلام
إلياس عليه السلام
اليسع عليه السلام
زكريا عليه السلام
يحيى عليه السلام
عيسى عليه السلام
محمد عليه الصلاة والسلام

منهم ثمانية عشر نبياً ورسولا ذكرت أسماؤهم في موضع واحد من القرآن في سورة الأنعام، في قوله تعالى: **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاً هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوب وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاً فَضّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ** (الأنعام: ٨٢-٨٦)

ويبقى بعدهم سبعة وهم: إدريس وهود وشعيب وصالح وذو الكفل وآدم ونبينا محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين.

<u>وأيضا من الأنبياء الذين لم يذكروا بالقرآن صراحة بأسمائهم أو ذكروا بالحديث الشريف:</u>

١- نبي الله شيث : لما مات آدم عليه السلام قام بأعباء الأمر بعده ولده شيث عليه السلام
٢- نبي الله يوشع بن نون : ورد أنه الفتى الذي صاحب موسى للقاء الخضر .وهو النبي الذي أخرج الله على يديه بني إسرائيل من صحراء سيناء، وحاربوا أهل فلسطين وانتصروا عليهم.
٣- أنبياء أهل القرية:
أرسل الله رسولين لإحدى القرى لكن أهلا كذبوهما، فأرسل الله تعالى رسولا ثالثا يصدقهما. ولا يذكر ويذكر لنا القرآن الكريم قصة رجل آمن بهم ودعى قومه للإيمان بما جاؤوا بهن لكنهم قتلوه، فأدخله الله الجنة.
يحكي الحق تبارك وتعالى قصة أنبياء ثلاثة بغير أن يذكر أسمائهم. كل ما يذكره السياق أن القوم كذبوا رسولين فأرسل الله ثالثا يعزرهما. ولم يذكر القرآن من هم أصحاب القرية ولا ما هي القرية. وقد اختلفت فيها الروايات. وعدم إفصاح القرآن عنها دليل على أن تحديد اسمها أو موضعها لا يزيد شيئاً في دلالة القصة وإيحائها. لكن الناس ظلوا على إنكارهم للرسل وتكذيبهم، وقالوا) **قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلاّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزلَ الرّحْمَن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاّ تَكْذِبُونَ.**

سورة يس
٤-نبي الله عزير : من أنبياء بني إسرائيل، أماته الله مئة عام ثم بعثه، جدد الدين لبني إسرائيل وعلمهم التوراة بعد أن نسوها.
أول نبى سيدنا أدم وأول رسول نوح أظن الاجابة واضحة
إن كل رسول نبي وكل نبي رسول إن معنى كلمة النبي هي ذاتها معنى كلمة الرسول. فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسول ونبي، أي أن الله أرسله إلى البشر، وأنبأه بوحي من لدنه سبحانه. وهكذا آدم ونوح وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، وغيرهم من الرسل الأنبياء.
فالرسول من أرسله الله تعالى برسالة إلى البشر، سواء أكان معه كتاب جديد من عنده سبحانه، أم كان عاملا بكتاب رسول سبقه.
والنبي من أنبأه الله تعالى بكثرة، وجاء قومه بنبوءات كثيرة، حيث إن كلمة النبي هي من صيغ المبالغة. سواء أجاء بكتاب جديد من عنده سبحانه، أم كان عاملا بكتاب نبي سبقه.
لذا فإن كل رسول نبي وكل نبي رسول، لكن أصل التسمية مختلفة. ولكل لفظة معناها الخاص. فالآية تقول: وما أرسلنا من رسول برسالة إلى البشر، ولا نبي أنبأناه بوحي من عندنا إلا إذا تمنى تحقيق إنجاز،
أما المستدلون على أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا، فنقول لهم: على هذا المعنى فإن في الآية كلمة زائدة، وهي كلمة رسول، إذ إن كل رسول نبي حسب قولكم، فكان يكفي أن تقول الآية: وما أرسلنا من نبي إلا إذا تمنى..
على أن هؤلاء القائلين بذلك أغفلوا عددا من الآيات القرآنية القاطعة في دلالتها على أن كل رسول نبي وكل نبي رسول، ولم يتحدثوا إلا عن هذه الآية رغم أنها تعارض مفهومهم من غير أن يتنبهوا لذلك.
<u>أما أدلتنا على أن كل رسول نبي وكل نبي رسول، فهي:</u>
١-قولـه تعالى **(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللـه النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ)** (سورة البقرة: ٢١٤)
وقولـه تعالى **(وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)** (سورة الأنعام: ٤٩)
وجه الاستدلال:
لقد بعث اللـه تعالى النبيين ليبشروا الناس ولينذروهم، كما بعث الرسل للغاية ذاتـها، حيث استعملت الألفاظ نفسها مع النبيين ومع المرسلين. لذا فإنَّ الرسول الذي أرسلـه اللـه إلى الناس لا يمكن إلا أنْ يكون نبيًّا. ومتى كان نبيًّا فلا بد أنْ يكون رسولاً، وإلا فما معنى أنْ يكون نبيًّا أنبأه اللـه تعالى؟ أليس عليه واجب التبليغ والإنذار؟
٢-قولـه تعالى **(رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللـه حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)** (سورة النساء: ١٦٦)
لقد جاءت هذه الآية مباشرة بعد ذكر مجموعة من أنبياء بني إسرائيل وغيرهم، وقد كان بعض هؤلاء أنبياء تشريعيين، وكان بعضهم أنبياء تابعين. وبعضهم أوتي كتابًا، وبعضهم لم ينـزل

عليه كتاب .وسمي هؤلاء جميعًا رسلاً.
أمّا الآيات التي سبقت هذه الآية فهي قولـه تعالى **(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا * وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللـه مُوسَى تَكْلِيمًا * رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللـه حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللـه عَزِيزًا حَكِيمًا)** (سورة النساء.(166-164 :
٣-قوله تعالى **(وَلَقَد آتَيْنا موسى الكِتابَ وَقَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ بالرُّسُلِ)** (سورة البقرة: ٨٨). ولا خلاف في أن الأنبياء الذين أرسلوا إلى بني إسرائيل من بعد موسى لم تكن معهم شريعة، بل كانوا تابعين لشريعة موسى عليه السلام، وحيث إن الله تعالى سمّاهم رسلاً، فلا بدّ أن يكون المبعوث من عند الله رسولاً حتى لو كان تابعًا، لذا فكل نبي رسول.
٤-وصف الله تعالى نبيّه إسماعيل عليه السلام بأنه رسول نبيّ رغم أنه لم يؤت شريعة من عنده سبحانه وتعالى. قال تعالى **(وَاذْكُر في الكِتابِ إِسْماعيلَ إِنَّهُ كانَ صادِقَ الوَعْدِ وَكانَ رسولاً نَبيًّا)** (سورة مريم: ٥٥).
٥-وصف الله تعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام بأنه صديق نبي، ولو كان النبي هو من لم يُؤت شريعة، لما صحّ هذا الوصف. بل لوجب أن يقال: صديق رسول.. قال تعالى **(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا)**
٦-وصف الله تعالى سيدنا موسى عليه السلام بأنه رسول نبي، قال تعالى **(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا)**. وحيث إن سيدنا موسى عليه السلام قد بعثه الله بشريعة جديدة، فإن وصفه بنبي بعد وصفه برسول لا قيمة له حسب التفسير التقليدي، إذ ما دام كل رسول نبيا والعكس ليس بصحيح، فما قيمة أن تُتبع كلمة رسول بكلمة نبي؟
أما حسب قولنا فإن الآية تصف موسى عليه السلام بأنه رسول من الله، وأن الله تعالى قد آتاه نبوءات من عنده. كما يمكن أن يستنتج منها أن الأنبياء يبلغون مرتبة الرسالة أولا ثم مرتبة النبوة ..والنبوة مرتبة لا بدّ أن يصلها الرسول، لذا كان كل رسول نبيا، وكان كل نبي رسولا.

<u>من أين أتوْا بهذا التفريق؟</u>

لو تتبعت الآيات القرآنية التي ذكرَت الأنبياء والرسل لن تلحظ أن النبي هو مَن ليس معه شريعة وأن الرسول هو مَن معه شريعة.. هذا لا تمكن ملاحظته من خلال الآيات القرآنية.
ويبدو أنه لمّا لاحظ القائلون بالتفريق بين النبي والرسول أن بعض الرسل معه شريعة، وأن بعضهم ليس معه شريعة، قالوا أنه لا بدّ مِن أن يُطلق على هذا النوع اصطلاح مختلف عن الاصطلاح الذي يطلق على ذلك النوع.. فمنطلق هؤلاء صحيح، وهو أنه لا بدّ من اصطلاح خاص بكل نوع، لكن تحديد هذا الاصطلاح كان خطأً، فلو تمعنوا في الآيات القرآنية لعلموا أن كلمة (رسول) أُطلقت على النبي التشريعي وغير التشريعي، ومثلها كلمة (النبي) فقد أطلقت على كليهما، لذا لا بدّ من البحث عن اصطلاح آخر للتفريق. ولا مشاحة في الاصطلاح. ونحن قلنا: إن مَن بعثه الله بكتاب جديد وشريعة جديدة، فيمكن أن نسميه رسولا ونبيا تشريعيا أو رسولا صاحب كتاب أو أي اصطلاح آخر يعبِّر عن هذا التفريق .وأن من جاء تابعا لنبي سبقه، فيمكن أن نسميه نبيا تابعا أو رسولا تابعا أو نبيا غير تشريعي أو رسولا

غير تشريعي أو أي اصطلاح آخر يعبر عن ذلك.
على زيدان الاحمدى

يقول الشعراوى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤)

يقول العلماء : إن نوحاً - عليه السلام - هو أول رسل الله إلى البشر ، أما مَنْ سبقه مثل آدم وإدريس عليهما السلام ، فكانوا أنبياء أوحي الله إليهم بشرع يعملون به ، فيكونون نموذجاً إيمانياً ، وقدوة سلوك طيب ، يُقلِّدهم مَنْ رآهم ، لكن لا يُعَدُّ كافراً مَنْ لم يقتَدِ بهم ، أما إن اقتدى بهم ثم نكث عن سبيلهم فهو كافر .

لذلك نُفرِّق بين النبي والرسول ،

بأن النبي أوحي إليه بشرع يعمل به ولم يُؤْمر بتبليغه ،
أما الرسول فقد أوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه
فكلٌّ منهما مُرسَل ، لذلك يقول تعالى : { وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ } [الحج : ٥٢]
إذن : فالنبي أيضاً مُرسَل ، لكنه مُرسَل لذاته .
لكن لماذا كان هذا قبل نوح بالذات؟ قالوا : لأن الرقعة الإنسانية كانت ضيقة قبل نوح ، وكان الناس حديثي عهد ، لم تنتشر بينهم الانحرافات ، فلما اتسعت الرقعة ، وتداخلت أمور الحياة احتاجت الخليقة لأنْ يرسل الله إليهم الرسل .

الفرق بين محمد العابد ومحمد النبى

(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) الأحزاب)

الرسول عليه الصلاة السلام هو من ضمن الذين آمنوا، فهل الرسول يصلي على نفسه كما نحن مأمورون أن نصلي عليه؟
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ) هل هو مأمور أن يصلي على نفسه؟ الرسول صلى الله عليه وسلم في الصلاة في التحيات يقول (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد) هو صلّى ففي الحالتين صلى سواء كان مأمورًا أو لا، داخل أو غير داخل.
الوارد قول "اللهم صل على محمد" وليس على سيدنا محمد، هذا ما ورد. وفي الدعاء بعد الأذان يقول "آت محمدا الوسيلة" وليس سيدنا محمد.
اجتهاد:محمد يصلى على النبى ،محمد العابد يصلى على النبى كما امره الله تعالى
كذلك هو من حقه ان يدعو لنفسه ومن واجبه ان يطيع الله تعالى
- من مطلوبات الرسول صلى الله عليه وسلم أن يشهد أنه رسول الله؟
لقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال في صلاته : « أشهد أن محمدا رسول الله » . ولو لم يشهد بهذه لنفسه فكيف يجازف بالأشياء التي يقولها؟

الفصل التاسع:تفسير بعض آيات القرآن فى حقه

آيات من القرآن

١- طه

أحدهما : أنه من حروف التهجي والآخر أنه كلمة مفيدة

1-طا شجرة طوبى والهاء الهاوية فكأنه أقسم بالجنة والنار .

2- يحكى عن جعفر الصادق عليه السلام الطاء طهارة أهل البيت والهاء هدايتهم

3- يا مطمع الشفاعة للأمة ويا هادي الخلق إلى الملة .

4- هو افتتاح اسمه الطيب الطاهر الهادي .

5- الطاء من الطهارة والهاء من الهداية كأنه قيل يا طاهراً من الذنوب ويا هادياً إلى علام الغيوب .

6- الطاء طول القراء والهاء هيبتهم في قلوب الكفار . قال الله تعالى :

{ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الذين كَفَرُواْ الرعب } [آل عمران : 151] .

7- الطاء تسعة في الحساب والهاء خمسة تكون أربعة عشر ومعناه يا أيها البدر وقد عرفت فيما تقدم أن أمثال هذه الأقوال لا يجب أن يعتمد عليها .

القول الثاني : قول من قال : إنها كلمة مفيدة وعلى هذا القول ذكروا وجهين : معناه يا رجل بلسان النبطية او السريانية او بلسان الحبشة

أما قوله تعالى : { **مَآ أَنَزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لتشقى** }

سبب نزول الآية وجوهاً :

1- قيل إن أبا جهل وآخرين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك لتشقى حيث تركت دين آبائك فقال عليه السلام : " بل بعثت رحمة للعالمين " قالوا : بل أنت تشقى فأنزل الله تعالى هذه الآية رداً عليهم وتعريفاً لمحمد صلى الله عليه وسلم بأن دين الإسلام هو السلام وهذا القرآن هو السلام إلى نيل كل فوز والسبب في إدراك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها .

٢- أنه عليه السلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل عليه السلام : " أبق على نفسك فإن لها عليك حقاً " أي ما أنزلناه لتهلك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة العظيمة وما بعثت إلا بالحنيفية السمحة ،

وروي أيضاً أنه عليه السلام : " كان إذا قام من الليل ربط صدره بحبل حتى لا ينام "

وقال بعضهم كان يقوم على رجل واحدة ، وقال بعضهم كان يسهر طول الليل فأراد بقوله : { لتشقى } ذلك

3- قال بعضهم يحتمل أن يكون المراد لا تشق على نفسك ولا تعذبها بالأسف على كفر هؤلاء فإنا إنما أنزلنا عليك القرآن لتذكر به ، فمن آمن وأصلح فلنفسه ومن كفر فلا يحزنك كفره فما عليك إلا البلاغ وهو كقوله تعالى : { لَعَلَّكَ باخع نَّفْسَكَ } [الكهف : 6] الآية ، { وَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ } يونس : 65.

4- أنك لا تلام على كفر قومك كقوله تعالى : { لَّسْتَ عَلَيْهِم بمصيطر } [الغاشية : 22] ، { وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ } [الأنعام : 107] أي ليس عليك كفرهم إذا بلغت ولا تؤاخذ بذنبهم .

٥- أن هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة وفي ذلك الوقت كان عليه السلام مقهوراً تحت ذل أعدائه فكأنه سبحانه قال له لا تظن أنك تبقى على هذه الحالة أبداً بل يعلو أمرك ويظهر قدرك فإنا ما أنزلنا عليك مثل هذا القرآن لتبقى شقياً فيما بينهم بل تصير معظماً مكرماً .

وأما قوله تعالى : { **إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يخشى** }

1-في كلمة إلا: أنه استثناء منقطع بمعنى لكن .

٢- التقدير ما أنزلنا عليك القرآن لتحمل متاعب التبليغ إلا ليكون تذكرة كما يقال ما شافهناك بهذا الكلام لتتأذى إلا ليعتبر بك غيرك .

2-إنما خص من يخشى بالتذكرة لأنهم المنتفعون بها وإن كان ذلك عاماً في الجميع وهو كقوله : { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } [البقرة : 2]

وقال:{ تَبَارَكَ الذي نَزَّلَ الفرقان على عَبْدِهِ لِيَكُونَ للعالمين نَذِيراً}الفرقان1

وقال : { لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أُنذِرَ ءَابَاؤُهُمْ فَهُمْ غافلون } [يس : 6]

وقال : { وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً } [مريم : 97]

وقال : { وَذَكّرْ فَإِنَّ الذكرى تَنفَعُ المؤمنين } [الذاريات : 55] .

3- وجه كون القرآن تذكرة أنه عليه السلام كان يعظمهم به وببيانه فيدخل تحت قوله لمن يخشى الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه في الخشية والتذكرة بالقرآن كان فوق الكل .

الشعراوي

ـ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى

الشقاء : هو التعب والنَّصَب والكدّ ،

فالحق سبحانه ينفي عن رسوله صلى الله عليه وسلم التعب بسبب إنزال القرآن عليه ، إذن : فما المقابل؟ المقابل : أنزلنا عليك القرآن لتسعد ، تسعد أولاً بأن اصطفاك لأن تكون أَهْلاً لنزول القرآن عليك ، وتسعد بأن تحمل نفسك أولاً على منهج الله وفِعْل الخير كل الخير

فلماذا إذن جاءتْ كلمة { لتشقى } [طه : ٢] ؟ .

هذا كلام الكفار أمثال أبي جهل ، ومُطعِم بن عدي ، والنضر بن الحارث ، والوليد بن المغيرة حينما ذهبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا له : لقد أشقيتَ نفسك بهذه الدعوة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله بعثني رحمة للعالمين » .

١-فقد بعث رسول الله ليسعد ويسعد معه قومه والناس أجمعين لا ليشقى ويُشقِي معه الناس . لكن من أين جاء الكفار بمسألة الشقاء هذه؟ المؤمن لو نظر إلى منهج الله الذي نزل به القرآن لوجده يتدخل في إراداته واختياراته ، ويقف أمام شهواته ، فيأمره بما يكره وما يشقُّ على نفسه ، ويمنعه مما يألف ومما يحب .

من هنا رأى هؤلاء الكفار في منهج الله مشقة وتعباً ، لأنهم عزلوا الوسيلة عن غايتها؛ لذلك شعروا بالمشقة ، في حين شعر المؤمنون بلذة العبادة ومتعة التكليف من الله ، وهذه المسألة هي التي جعلتهم يتخذون آلهةً لا مطالبَ لها ، ولا منهج ، ولا تكليف ، آلهة يعبدونها على هواهم ، ويسيرون في ظلها على حَلِّ شعورهم .

لذلك أوضح القرآن أنهم مغفلون في هذه المسألة ، فقال : { مَآ أَنَزَلْنَا عَلَيْكَ القرآن لتشقى } طه : ٢

٢-أو يكون الشقاء : تعرُّضه لِعُتاة قريش وصناديدها الذين سخروا منه ، وآذوه وسلَّطوا عليه سفهاءهم وصبيانهم ، يشتمونه ويرمونه بالحجارة ، وهو صلى الله عليه وسلم يُشقِي نفسه بدعوتهم والحرص على هدايتهم .

والحق تبارك وتعالى ينفي الشقاء بهذا المعنى أيضاً : { مَآ أَنَزَلْنَا عَلَيْكَ القرآن لتشقى } [طه : ٢] أي : لتُشقي نفسك معهم ، إنما أنزلناه لتبليغهم فحسب ، وقد تكرر هذا المعنى في القرآن كثيراً **في مثل قوله تعالى : { فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ على آثارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بهذا الحديث أَسَفاً }** [الكهف : ٦

٢- سورة يس

وقد سميت بهذا الاسم الذي قيل إنه من أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم بدليل توجيه الخطاب إليه في جواب القسم بالقرآن الحكيم مباشرة علي صدق نبوته ورسالته، وذلك بقول الحق تبارك وتعالى :(يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين علي صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون)يس: ١- ٦.

وقيل إن يس لقب من ألقاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن معناها ياسيد البشر، والله تعالى أعلم.

٣-{ والضحى * والليل إذا سجى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قلى * وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأولى * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فترضى }الضحى : 1-5

فالتقطها رسول الله من ربه وجعلها لأمته ، فقال : « إذن : لا أرضى وواحد من أمتي في النار » .

فإذا كان رسول الله حريصاً عليكم بهذا الشكل ، فهو يستحق منكم أنْ تُصلُّوا عليه؛ لأن كل خير يناله يعُمُّ عليكم ، ويعود إليكم

-تفسير الضحى والليل

1-فسر الضحى بوجه محمد والليل بشعره؟

2-والضحى ذكور أهل بيته ، والليل إناثهم ،

3-ويحتمل الضحى رسالته والليل زمان احتباس الوحي ، لأن في حال النزول حصل الاستئناس وفي زمن الاحتباس حصل الاستيحاش

4- ويحتمل والضحى نور علمه الذي به يعرف المستور من الغيوب : والليل عفوه الذي به يستر جميع الغيوب .

5- ويحتمل أن الضحى إقبال الإسلام بعد أن كل غريباً والليل إشارة إلى أنه سيعود غريباً ، ويحتمل والضحى كمال العقل ، والليل حال الموت ،

6- ويحتمل أقسم بعلانيتك التي لا يرى عليها الخلق عيباً ، وبسرك الذي لا يعلم عليه عالم الغيب عيباً .

مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3)

1-ودعك من التوديع كما يودع المفارق ، ، والتوديع مبالغة في الوداع ، لأن من ودعك مفارقاً فقد بالغ في تركك

والقلى البغض . يقال : قلاه يقليه قلى ومقلية إذا أبغضه

2- فائدة الإطلاق أنه ما قلاك ولا (قلا) أحد من أصحابك . ولا أحداً ممن أحبك إلى قيام القيامة ، تقريراً لقوله : «المرء مع من أحب» .

اسباب النزول

1-أبطأ جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم .

فقال المشركون : قد قلاه الله وودعه

2-وقيل : إن أم جميل امرأة أبي لهب قالت له : يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك

3-وروي عن الحسن أنه قال : أبطأ على الرسول صلى الله عليه وسلم الوحي ، فقال لخديجة : «إن ربي ودعني وقلاني ، يشكو إليها ، فقالت : كلا والذي بعثك بالحق ما ابتدأك الله بهذه الكرامة إلا وهو يريد أن يتمها لك» فنزل : { مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قلى }

مدة الانقطاع :قيل 12وقيل15وقيل25 وقيل 40يوما

سبب احتباس جبريل

واختلفوا في سبب احتباس جبريل عليه السلام ،

فذكر أكثر المفسرين أن اليهود سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف ، فقال : " سأخبركم غداً ولم يقل إن شاء الله " فاحتبس عنه الوحي

وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأولَى (4)

1- أن يكون المعنى أن انقطاع الوحي لا يجوز أن يكون لأنه عزل عن النبوة ، بل أقصى ما في الباب ، أن يكون ذلك لأنه حصل الاستغناء عن الرسالة ، وذلك أمارة الموت

فكأنه يقال : انقطاع الوحي متى حصل دل على الموت ، لكن الموت خير لك . فإن مالك عند الله في الآخرة خير وأفضل مما لك في الدنيا

2- لما نزل : { مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ } [الضحى : 3] حصل له بهذا تشريف عظيم ، هذا التشريف وإن كان عظيماً إلا أن مالك عند الله في الآخرة خير وأعظم

3- المعنى وللأحوال الآتية خير لك من الماضية

بأي طريق يعرف أن الآخرة كانت له خيراً من الأولى؟

1- كأنه تعالى يقول له إنك في الدنيا على خير لأنك تفعل فيها ما تريد ، ولكن الآخرة خير لك لأنا نفعل فيها ما نريد

2- الآخرة خير لك يجتمع عندك أمتك إذ الأمة له كالأولاد قال تعالى :

{ وأزواجه أمهاتهم } [الأحزاب : 6] وهو أب لهم ، وأمته في الجنة فيكون كأن أولاده في الجنة ، ثم سمى الولد قرة أعين

3- الآخرة خير لك لأنك اشتريتها ، أما هذه ليست لك ولا نسبة للآخرة إلى الدنيا في الفضل

4- الآخرة خير لك من الأولى لأن في الدنيا الكفار يطعنون فيك أما في الآخرة فأجعل أمتك شهداء على الأمم ، وأجعلك شهيداً على الأنبياء ، ثم أجعل ذاتي شهيداً لك كما قال : { وكفى بالله شَهِيداً * مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ الله } [الفتح : 29 28]

5- أن خيرات الدنيا قليلة مشوبة منقطعة ، ولذات الآخرة كثيرة خالصة دائمة

لم قال : { وَلَلأَخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ } ولم يقل خير لكم؟

لأنه كان في جماعته من كانت الآخرة شراً له ، فلو أنه سبحانه عمم لكان كذباً ، ولو خصص المطيعين بالذكر لافتضح المذنبون والمنافقون .

ولهذا السبب قال موسى عليه السلام : { كَلاَّ إِنَّ مَعِىَ رَبّى سَيَهْدِينِ } [الشعراء : 62] وأما محمد صلى الله عليه وسلم فالذي كان معه لما كان من أهل السعادة قطعاً ، لا جرم قال : { إِنَّ الله مَعَنَا }[التوبة : 40] إذ لم يكن ثم إلا نبي وصديق

وروي أن موسى عليه السلام خرج للاستسقاء ، ومعه الألوف ثلاثة أيام فلم يجدوا الإجابة ، فسأل موسى عليه السلام عن السبب الموجب لعدم الإجابة . فقال : لا أجيبكم ما دام معكم ساع بالنميمة

فسأل موسى من هو؟ فقال : (إني) أبغضه فكيف أعمل عمله

فما مضت مدة قليلة حتى نزل الوحي بأن ذلك النمام قد مات ، وهذه جنازته في مصلى ، كذا فذهب موسى عليه السلام إلى تلك المصلى ، فإذا فيها سبعون من الجنائز ، فهذا ستره على أعدائه فكيف على أوليائه .

ثم تأمل فإن فيه لطيفة ، وهي أنه عليه السلام قال:« لولا شيوخ ركع » وفيه إشارة إلى زيادة فضيلة هذه الأمة فإنه تعالى هنا يرحم المذنبين لمطيع واحد .

وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (5)
واعلم اتصاله بما تقدم من وجهين
1- هو أنه تعالى لما بين أن الآخرة : خير له من الأولى ، وهو أنه ينتهي إلى غاية ما يتمناه الرسول ويرتضيه
أنه يعطيه كل ما يريده وذلك مما لا تتسع الدنيا له ، فثبت أن الآخرة خير له من الأولى ،-2
قال ابن عباس : ألف قصر في الجنة من لؤلؤ أبيض ترابه المسك وفيها ما يليق بها
وأما التعظيم هو الشفاعة في الأمة
ولما نزلت هذه الآية قال : إذاً لا أرضى وواحد من أمتي في النار
واعلم أن الحمل على الشفاعة متعين ، ويدل عليه وجوه
1-أنه تعالى أمره في الدنيا بالاستغفار فقال : { أَسْتَغْفِرُ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ والمؤمنات } [محمد : 19] فأمره بالاستغفار وأن هذه الآية دالة على الشفاعة في حق المذنبين
2- وعن جعفر الصادق عليه السلام أنه قال : رضاء جدي أن لا يدخل النار موحد
لم لم يقل : يعطيكم مع أن هذه السعادات حصلت للمؤمنين أيضاً؟
2- أني إذا أكرمت أصحابك فذاك في الحقيقة إكرام لك ، لأني أعلم أنك بلغت في الشفقة عليهم إلى حيث تفرح بإكرامهم فوق ما تفرح بإكرام نفسك ، ومن ذلك حيث تقول الأنبياء : نفسي نفسي ، وأنت تقول : أمتي أمتي
3- أنك عاملتني معاملة حسنة ، فإنهم حين شجوا وجهك ، قلت : " اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون " وحين شغلوك يوم الخندق عن الصلاة ، قلت : " اللهم املأ بطونهم ناراً " فتحملت الشجة الحاصلة في وجه جسدك ، وما تحملت الشجة الحاصلة في وجه دينك ، فإن وجه الدين هو الصلاة ، فرجحت حقي على حقك ، لا جرم فضلتك ، فقلت من ترك الصلاة سنين ، أو حبس غيره عن الصلاة سنين لا أكفره ، ومن آذى شعرة من شعراتك ، أو جزء من نعلك أكفره .
ما الفائدة في قوله : { وَلَسَوْفَ } ولم لم يقل : وسيعطيك ربك؟
الجواب : فيه فوائد
1- أنه يدل على أنه ما قرب أجله ، بل يعيش بعد ذلك زماناً
2- قال المشركون : سوف يموت محمد ، فرد الله عليهم ذلك بهذه اللفظة فقال : { وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فترضى } .
أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (6)
فيه مسائل :
1- يقول الله : حين كنت صبياً ضعيفاً ما تركناك بل ربيناك ورقيناك إلى حيث صرت مشرفاً على شرفات العرش وقلنا لك : لولاك ما خلقنا الأفلاك ، أتظن أنا بعد هذه الحالة نهجرك ونتركك
وذكروا في تفسير اليتيم أمرين
1- أن عبد الله بن عبد المطلب فيما ذكره أهل الأخبار توفي وأم رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل به ، ثم ولد رسول الله فكان مع جده عبد المطلب ومع أمه آمنة ، فهلكت أمه آمنة

وهو ابن ست سنين فكان مع جده ، ثم هلك جده بعد أمه بسنتين ورسول الله ابن ثمان سنين . وكان عبد المطلب يوصي أبا طالب به لأن عبد الله وأبا طالب كانا من أم واحدة ، فكان أبو طالب هو الذي يكفل رسول الله بعد جده إلى أن بعثه الله للنبوة ، فقام بنصرته مدة مديدة ، ثم توفي أبو طالب بعد ذلك فلم يظهر على رسول الله يتم ألبتة فأذكره الله تعالى هذه النعمة ، روى أنه قال أبو طالب يوماً لأخيه العباس : ألا أخبرك عن محمد بما رأيت منه؟ فقال : بلى فقال : إني ضممته إلي فكيف لا أفارقه ساعة من ليل ولا نهار؛ ولا أأتمن عليه أحداً حتى أني كنت أنومه في فراشي ، فأمرته ليلة أن يخلع ثيابه وينام معي ، فرأيت الكراهة في وجهه لكنه كره أن يخالفني ، وقال : يا عماه اصرف بوجهك عني حتى أخلع ثيابي إذ لا ينبغي لأحد أن ينظر إلى جسدي ، فتعجبت من قوله وصرفت بصري حتى دخل الفراش فلما دخلت معه الفراش إذا بيني وبينه ثوب والله ما أدخلته فراشي فإذا هو في غاية اللين وطيب الرائحة كأنه غمس في المسك ، فجهدت لأنظر إلى جسده فما كنت أرى شيئاً وكثيراً ما كنت أفتقده من فراشي فإذا قمت لأطلبه ناداني ها أنا يا عم فارجع ، ولقد كنت كثيراً ما أسمع منه كلاماً يعجبني وذلك عند مضي الليل وكنا لا نسمي على الطعام والشراب ولا نحمده بعده ، وكان يقول في أول الطعام : بسم الله الأحد . فإذا فرغ من طعامه قال : الحمدلله ، فتعجبت منه ، ثم لم أر منه كذبة ولا ضحكاً ولا جاهلية ولا وقف مع صبيان يلعبون .

واعلم أن العجائب المروية في حقه من حديث بحيرى الراهب وغيره مشهورة .

2-التفسير الثاني لليتيم : أنه من قولهم درة يتيمة ، والمعنى ألم يجدك واحداً في قريش عديم النظير فآواك؟ أي جعل لك من تأوي إليه وهو أبو طالب

وقرىء فأوى وهو على معنيين :

إما من أواه بمعنى آواه ، وإما من أوى له إذا رحمه

وههنا سؤالان :

1- كيف يحسن من الجود أن يمن بنعمة ، فيقول : { أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فاوى } ؟ والذي يؤكد هذا السؤال أن الله تعالى حكى عن فرعون أنه قال : { أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً } [الشعراء : 18] في معرض الذم لفرعون ، فما كان مذموماً من فرعون كيف يحسن من الله؟

الجواب لأن امتنان فرعون محبط ، لأن الغرض فما بالك لا تخدمني

وامتنان الله بزيادة نعمه ، كما قال: { وَلأُتِمَّ نِعْمَتِى } البقرة : 150

فما أعظم الفرق بين مان هو الله ، وبين مان هو فرعون ، (مان من المن)

ونظيره ما قاله بعضهم : { ثلاثة رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ } [الكهف : 22] في تلك الأمة

وفي أمة محمد : { مَا يَكُونُ مِن نجوى ثلاثة إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ } [المجادلة : 7] فشتان بين أمة رابعهم كلبهم ، وبين أمة رابعهم ربهم

2- أنه تعالى منّ عليه بثلاثة أشياء ، ثم أمره بأن يذكر نعمة ربه ، فما وجه المناسبة بين هذه الأشياء؟ الجواب :

وجه المناسبة أن نقول : قضاء الدين واجب

ثم الدين نوعان مالي وإنعامي والثاني : أقوى وجوباً ، لأن المالي قد يسقط بالإبراء والثاني : يتأكد بالإبراء

والمالي يقضي مرة فينجو الإنسان منه والثاني : يجب عليك قضاؤه طول عمرك ثم إذا تعذر قضاء النعمة القليلة من منعم هو مملوك ، فكيف حال النعمة العظيمة من المنعم العظيم ،

فكأن العبد يقول : إلهي أخرجتني من العدم إلى الوجود بشراً سوياً ، طاهر الظاهر نجس الباطن ، بشارة منك أن تستر على ذنوبي بستر عفوك ، كما سترت نجاستي بالجلد الظاهر ، فكيف يمكنني قضاء نعمتك التي لا حد لها ولا حصر؟

فيقول تعالى الطريق إلى ذلك أن تفعل في حق عبيدي ما فعلته في حقك ، كنت يتيماً فآويتك فافعل في حق الأيتام ذلك ، وكنت ضالاً فهديتك فافعل في حق عبيدي ذلك ، وكنت عائلاً فأغنيتك فافعل في حق عبيدي ذلك ثم إن فعلت كل ذلك فاعلم أنك إنما فعلتها بتوفيقي لك ولطفي وإرشادي ، فكن أبداً ذاكراً لهذه النعم والألطاف .

وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى (7)

فاعلم أن بعض الناس ذهب إلى أنه كان كافراً في أول الأمر ، ثم هداه الله وجعله نبياً ، قال الكلبي : { وجدك ضالاً } يعني كافراً في قوم ضلال فهداك للتوحيد ،

وقال السدي : كان على دين قومه أربعين سنة

وقال مجاهد : وجدك ضالاً عن الهدى لدينه واحتجوا على ذلك بآيات أخر

منها قوله : { مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الكتاب وَلاَ الإيمان }الشورى : 52

وقوله : { وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الغافلين } [يوسف : 3]

وقوله : { لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ } [الزمر : 65]

فهذا يقتضي صحة ذلك منه ، وإذا دلت هذه الآية على الصحة وجب حمل قوله : { وَوَجَدَكَ ضَالاًّ } عليه

وأما الجمهور من العلماء فقد اتفقوا على أنه عليه السلام ما كفر بالله لحظة واحدة و الدليل السمعي قام على أن هذا الجائز لم يقع

وهو قوله تعالى : { مَا ضَلَّ صاحبكم وَمَا غوى } [النجم : 2]

ثم ذكروا في تفسير هذه الآية وجوهاً كثيرة

1- ما روي عن ابن عباس: ووجدك ضالاً عن معالم النعمة وأحكام الشريعة غافلاً عنها فهداك إليها ، وهو المراد من قوله : { مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الكتاب وَلاَ الإيمان } [الشورى : 52] وقوله : { وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الغافلين } [يوسف : 3]

2- ضل عن مرضعته حليمة حين أرادت أن ترده إلى جده حتى دخلت إلى هبل وشكت ذلك إليه فتساقطت الأصنام ، وسمعت صوتاً يقول : إنما هلاكنا بيد هذا الصبي

3- ما روي مرفوعاً أنه عليه الصلاة والسلام قال : « ضللت عن جدي عبد المطلب وأنا صبي ضائع ، كاد الجوع يقتلني ، فهداني الله » ، وذكر تعلقه بأستار الكعبة ، وقوله :

يا رب رد ولدي محمدا ... اردده ربي واصطنع عندي يداً

فما زال يردد هذا عند البيت حتى أتاه أبو جهل على ناقة وبين يديه محمد وهو يقول : لا ندري ماذا نرى من ابنك ، فقال عبد المطلب ولم؟ قال : إني أنخت الناقة وأركبته من خلفي

فأبت الناقة أن تقوم ، فلما أركبته أمامي قامت الناقة ، كأن الناقة تقول : يا أحمق هو الإمام فكيف يقوم خلف المقتدى!
وقال ابن عباس : رده الله إلى جده بيد عدوه كما فعل بموسى حين حفظه على يد عدوه
4- أنه عليه السلام لما خرج مع غلام خديجة ميسرة أخذ كافر بزمام بعيره حتى ضل ، فأنزل الله تعالى جبريل عليه السلام في صورة آدمي ، فهداه إلى القافلة
وقيل : إن أبا طالب خرج به إلى الشأم فضل عن الطريق فهداه الله تعالى
5- يقال : ضل الماء في الليل إذا صار مغموراً ، فمعنى الآية كنت مغموراً بين الكفار بمكة فقواك الله تعالى حتى أظهرت دينه
6- العرب تسمي الشجرة الفريدة في الفلاة ضالة ، كأنه تعالى يقول : كانت تلك البلاد كالمفازة ليس فيها شجرة تحمل ثمر الإيمان بالله ومعرفته إلا أنت ، فأنت ، شجرة فريدة في مفازة الجهل فوجدتك ضالاً فهديت بك الخلق ، ونظيره قوله عليه السلام :
« الحكمة ضالة المؤمن »
7- ووجدك ضالاً عن معرفة الله تعالى حين كنت طفلاً صبياً ، كما قال : { والله أَخْرَجَكُم مّن بُطُونِ أمهاتكم لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا } [النحل : 78] فخلق فيك العقل والهداية والمعرفة ، والمراد من الضال الخالي عن العلم لا الموصوف بالاعتقاد الخطأ
8- كنت ضالاً عن النبوة ما كنت تطمع في ذلك ولا خطر شيء من ذلك في قلبك ، فإن اليهود والنصارى كانوا يزعمون أن النبوة في بني إسرائيل فهديتك إلى النبوة التي ما كنت تطمع فيها ألبتة
9- أنه قد يخاطب السيد ، ويكون المراد قومه فقوله : { وَوَجَدَكَ ضَالاًّ } أي وجد قومك ضلالاً ، فهداهم بك وبشرعك
10- وجدك ضالاً عن الضالين منفرداً عنهم مجانباً لدينهم ، فكلما كان بعدك عنهم أشد كان ضلالهم أشد ، فهداك إلى أن اختلطت بهم ودعوتهم إلى الدين المبين
11- وجدك ضالاً عن الهجرة ، متحيراً في يد قريش متمنياً فراقهم وكان لا يمكنك الخروج بدون إذنه تعالى ، فلما أذن له ووافقه الصديق عليه وهداه إلى خيمة أم معبد ، وكان ما كان من حديث سراقه ، وظهور القوة في الدين كان ذلك المراد بقوله : { فهدى } ،
12- ضالاً عن القبلة ، فإنه كان يتمنى أن تجعل الكعبة قبلة له وما كان يعرف أن ذلك هل يحصل له أم لا ، فهداه الله بقوله : { فَلَنُوَلّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا } [البقرة : 144] فكأنه سمى ذلك التحير بالضلال
13-أنه حين ظهرها له جبريل عليه السلام في أول أمره ما كان يعرف أهو جبريل أم لا ، وكان يخافه خوفاً شديداً ، وربما أراد أن يلقي نفسه من الجبل فهداه الله حتى عرف أنه جبريل عليه السلام
14- الضلال بمعنى المحبة كما في قوله : { إِنَّكَ لَفِى ضلالك القديم } [يوسف : 95] أي محبتك ، ومعناه أنك محب فهديتك إلى الشرائع التي بها تتقرب إلى خدمة محبوبك

15- ضالاً عن أمور الدنيا لا تعرف التجارة ونحوها ، ثم هديتك حتى ربحت تجارتك ، وعظم ربحت حتى رغبت خديجة فيك ، والمعنى أنه ما كان لك وقوف على الدنيا ، وما كنت تعرف سوى الدين ، فهديتك إلى مصالح الدنيا بعد ذلك
16- { وَوَجَدَكَ ضَالاًّ } أي ضائعاً في قومك؛ كانوا يؤذونك ، ولا يرضون بك رعية ، فقوي أمرك وهداك إلى أن صرت آمراً والياً عليهم
17- كنت ضالاً ما كنت تهتدي على طريق السموات فهديتك إذ عرجت بك إلى السموات ليلة المعراج
18- ووجدك ضالاً أي ناسياً لقوله تعالى :
{ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا } [البقرة : 282] فهديتك أي ذكرتك ، وذلك أنه ليلة المعراج نسي ما يجب أن يقال بسبب الهيبة ، فهداه الله تعالى إلى كيفية الثناء حتى قال : « لا أحصي ثناء عليك »
19- أنه وإن كان عارفاً بالله بقلبه إلا أنه كان في الظاهر لا يظهر لهم خلافاً ، فعبر عن ذلك بالضلال
20- روى علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين ، كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك ، ثم ما هممت بعدهما بسوء حتى أكرمني الله برسالته ، فإني قلت ليلة لغلام من قريش ، كان يرعى معي بأعلى مكة ، لو حفظت لي غنمي حتى أدخل مكة ، فأسمر بها كما يسمر الشبان ، فخرجت أريد ذلك حتى أتيت أول دار من دور مكة ، فسمعت عزفاً بالدفوف والمزامير ، فقالوا فلان ابن فلان يزوج بفلانة ، فجلست أنظر إليهم وضرب الله على أذني فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس ، قال فجئت صاحبي ، فقال ما فعلت؟ فقلت ما صنعت شيئاً ، ثم أخبرته الخبر ، قال : ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ، فضرب الله على أذني فما أيقظني إلا مس الشمس ، ثم ما هممت بعدهما بسوء حتى أكرمني الله تعالى برسالته » .

وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى (8)

ففيه مسائل :
المسألة الأولى : العائل هو ذو العيلة ، وذكرنا ذلك عند قوله : { أَن لاَ تَعُولُواْ } [النساء : 3] ويدل عليه قوله تعالى:{ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً } [التوبة : 28] ثم أطلق العائل على الفقير ، وإن لم يكن له عيال ، وههنا في تفسير العائل قولان :
الأول : وهو المشهور أن المراد هو الفقير ، ويدل عليه ما روى أنه في مصحف عبد الله : (ووجدك عديماً) وقرىء عيلاً كما قرىء سيحات ،
ثم في كيفية الإغناء وجوه
1- أن الله تعالى أغناه بتربية أبي طالب ، ولما اختلت أحوال أبي طالب أغناه (الله) بمال خديجة ، ولما اختل ذلك أغناه (الله) بمال أبي بكر ، ولما اختل ذلك أمره بالهجرة وأغناه بإعانة الأنصار ، ثم أمره بالجهاد ، وأغناه بالغنائم ، وإن كان إنما حصل بعد نزول هذه السورة ، لكن لما كان ذلك معلوم الوقوع كان كالواقع ، روي أنه عليه السلام : " دخل على خديجة وهو مغموم ، فقالت له مالك ، فقال : الزمان زمان قحط فإن أنا بذلت المال ينفذ مالك

فأستحي منك ، وإن لم أبذل أخاف الله ، فدعت قريشاً وفيهم الصديق ، قال الصديق : فأخرجت دنانير وصبتها حتى بلغت مبلغاً لم يقع بصري على من كان جالساً قدامي لكثرة المال ، ثم قالت : اشهدوا أن هذا المال ماله إن شاء فرقه ، وإن شاء أمسكه "

2- أغناه بأصحابه كانوا يعبدون الله سراً حتى قال عمر حين أسلم : أبرز أتعبد اللات جهراً ونعبد الله سراً! فقال عليه السلام : " حتى تكثر الأصحاب ، " فقال حسبك الله وأنا فقال تعالى : { حَسْبُكَ الله وَمَنِ اتبعك مِنَ المؤمنين } [الأنفال : 64] فأغناه الله بمال أبي بكر ، وبهيبة عمر »

3- أغناك بالقناعة فصرت بحال يستوي عندك الحجر والذهب ، لا تجد في قلبك سوى ربك ، فربك غني عن الأشياء لا بها ، وأنت بقناعتك استغنيت عن الأشياء ، وإن الغنى الأعلى الغنى عن الشيء لا به ، ومن ذلك أنه عليه السلام خير بين الغنى والفقر ، فاختار الفقر

4- كنت عائلاً عن البراهين والحجج ، فأنزل الله عليك القرآن ، وعلمك مالم تكن تعلم فأغناك .

القول الثاني في تفسير العائل : أنت كنت كثير العيال وهم الأمة ، فكفاك . وقيل فأغناهم بك لأنهم فقراء بسبب جهلهم ، وأنت صاحب العلم ، فهداهم على يدك ، وههنا سؤالات .

<u>ما الحكمة في أنه تعالى اختار له اليتم؟ قلنا فيه وجوه</u>

1- أن يعرف قدر اليتامى فيقوم بحقهم وصلاح أمرهم ، ومن ذلك كان يوسف عليه السلام لا يشبع . فقيل له في ذلك : فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجياع

2- ليكون اليتيم مشاركاً له في الاسم فيكرم لأجل ذلك ، ومن ذلك قال عليه السلام : " إذا سميتم الولد محمداً فأكرموه ، ووسعوا له في المجلس "

3- أن من كان له أب أو أم كان اعتماده عليهما ، فسلب عنه الولدان حتى لا يعتمد من أول صباه إلى آخر عمره على أحد سوى الله ،

فيصير في طفوليته متشبهاً بإبراهيم عليه السلام في قوله : حسبي من سؤالي ، علمه بحالي ، وكجواب مريم : { أنى لَكِ هذا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ الله } [آل عمران : 37]

4- أن العادة جارية بأن اليتيم لا تخفى عيوبه بل تظهر ، وربما زادوا على الموجود فاختار تعالى له اليتيم ، ليتأمل كل أحد في أحواله ، ثم لا يجدوا عليه عيباً فيتفقون على نزاهته ، فإذا اختاره الله للرسالة لم يجدوا عليه مطعناً

5- جعله يتيماً ليعلم كل أحد أن فضيلته من الله ابتداء لأن الذي له أب ، فإن أباه يسعى في تعليمه وتأديبه

6- أن اليتم والفقر نقص في حق الخلق ، فلما صار محمد عليه الصلاة والسلام ، مع هذين الوصفين أكرم الخلق ، كان ذلك قلباً للعادة ، فكان من جنس المعجزات .

<u>ما الحكمة في أن الله ذكر هذه الأشياء؟ الجواب :</u>

الحكمة أن لا ينسى نفسه فيقع في العجب .

روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سألت ربي مسألة وددت أني لم أسألها ، قلت : اتخذت إبراهيم خليلاً ، وكلمت موسى تكليماً ، وسخرت مع داود الجبال ، وأعطيت

سليمان كذا وكذا ، وأعطيت فلاناً كذا وكذا ، فقال : ألم أجدك يتيماً فآويتك؟ ألم أجدك ضالاً فهديتك؟ ألم أجدك عائلاً فأغنيتك؟ قلت : بلى . فقال : ألم أشرح لك صدرك؟ قلت : بلى ، قال : ألم أرفع لك ذكرك؟ قلت : بلى! قال : ألم أصرف عنك وزرك؟ قلت : بلى ، ألم أوتك مالم أوت نبياً قبلك وهي خواتيم سورة البقرة؟ أم أتخذك خليلاً كما اتخذت إبراهيم خليلاً؟ » فهل يصح هذا الحديث قلنا : طعن القاضي في هذا الخبر فقال : إن الأنبياء عليهم السلام لا يسألون مثل ذلك إلا عن إذن ، فكيف يصح أن يقع من الرسول مثل هذا السؤال . ويكون منه تعالى ما يجري مجرى المعاتبة .

فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ (9)

وقرىء فلا تكهر ، أي لا تعبس وجهك إليه ، والمعنى عامله بمثل ما عاملتك به ، ونظيره من وجه : { وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ الله إِلَيْكَ } [القصص : 77]

ومنه قوله عليه السلام : " الله الله فيمن ليس له إلا الله "

وروي : أنها نزلت حين صاح النبي صلى الله عليه وسلم على ولد خديجة ومنه حديث موسى عليه السلام حين : «قال : إلهي بم نلت ما نلت؟ قال : أتذكر حين هربت منك السخلة ، فلما قدرت عليها قلت : أتعبت نفسك ثم حملتها ، فلهذا السبب جعلتك ولياً على الخلق ، فلما نال موسى عليه السلام النبوة بالإحسان إلى الشاة فكيف بالإحسان إلى اليتيم ، وإذا كان هذا العتاب بمجرد الصياح أو العبوسية في الوجه ، فكيف إذا أذله أو أكل ماله ،

عن أنس عن النبي عليه الصلاة والسلام : " إذا بكى اليتيم وقعت دموعه في كف الرحمن ، ويقول تعالى : من أبكى هذا اليتيم الذي واريت والده التراب ، من أسكته فله الجنة " .

وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ (10)

يقال : نهره وانتهره إذا استقبله بكلام يزجره ،

وفي المراد من السائل قولان :

1- من يسأل العلم ونظيره من وجه : { عَبَسَ وتولى * أن جَاءهُ الأعمى } [عبس : 1 ، 2]

2- أن المراد مطلق السائل ولقد عاتب الله رسوله في القرآن في شأن الفقراء في ثلاثة مواضع أحدها : أنه كان جالساً وحوله صناديد قريش ، إذ جاء ابن أم مكتوم الضرير ، فتخطى رقاب الناس حتى جلس بين يديه ، وقال : علمني مما علمك الله ، فشق ذلك عليه فعبس وجهه فنزل { عَبَسَ وتولى }[عبس 1]

والثاني : حين قالت له قريش : لو جعلت لنا مجلساً وللفقراء مجلساً آخر فهم أن يفعل ذلك فنزل قوله : { واصبر نَفْسَكَ مَعَ الذين يَدْعُونَ رَبَّهُم } [الكهف : 28]

والثالث : كان جالساً فجاءه عثمان بعذق من ثمر فوضعه بين يديه فأراد أن يأكل فوقف سائل بالباب ، فقال : رحم الله عبداً يرحمنا ، فأمر بدفعه إلى السائل فكره عثمان ذلك ، وأراد أن يأكله النبي عليه السلام فخرج واشتراه من السائل ، ثم رجع السائل ففعل ذلك ثلاث مرات ، وكان يعطيه النبي عليه السلام إلى أن قال له النبي صلى الله عليه وسلم :« أسائل أنت أم بائع؟ » فنزل:{ وَأَمَّا السائل فَلاَ تَنْهَرْ} .

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11)

وفيه وجوه

1- تلك النعمة هي القرآن ، فإن القرآن أعظم ما أنعم الله به على محمد عليه السلام
3- إذا وفقك الله فراعيت حق اليتيم والسائل ، وذلك التوفيق نعمة من الله عليك فحدث بها ليقتدي بك غيرك

سئل أمير المؤمنين علي عليه السلام عن الصحابة فأثنى عليهم وذكر خصالهم ، فقالوا له : فحدثنا عن نفسك فقال : مهلاً ، فقد نهى الله عن التزكية فقيل له : أليس الله تعالى يقول : { وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ } فقال : فإني أحدث ، كنت إذا سئلت أعطيت وإذا سكت ابتديت ، وبين الجوانح علم جم فاسألوني

فإن قيل : فما الحكمة في أن أخر الله تعالى حق نفسه عن حق اليتيم والعائل؟ قلنا : فيه وجوه

1- كأنه يقول أنا غني وهما محتاجان وتقديم حق المحتاج أولى
2- أنه وضع في حظهما الفعل ورضي لنفسه بالقول
3- جعل خاتمة هذه الطاعات تحدث القلب واللسان بنعم الله تعالى حتى تكون ختم الطاعات على ذكر الله ، واختار قوله : { فَحَدِّثْ } على قوله فخبر ، ليكون ذلك حديثاً عند لا ينساه ، ويعيده مرة بعد أخرى

الفروق فى سورة الضحى

السمرائى

وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2)

<u>ما هي دلالة القسم في قوله تعالى (والضحى)</u>

يذكر أهل التفسير أن الوحي أبطأ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أياماً فشق ذلك عليه وقيل له : إن ربك قلاك

الضحى في اللغة : هو وقت ارتفاع الشمس بعد الشروق

سجى في اللغة : لها ثلاث معاني ، فهي بمعنى سكن، أو اشتد ظلامه أو غطى مثل تسجية الميت.

أقسم الله تعالى بالضحى والليل إذا سجى انه ما ودع رسوله وما قلاه، والضحى هنا يمثل نور الوحي وإشراقه كما قال المفسرون ، والليل يمثل انقطاع الوحي وسكونه والدنيا من غير نور الوحي ظلام ولذلك قدم سبحانه الضحى هنا لأنه ما سبق من نور الوحي وأخر الليل لما يمثل من انقطاع الوحي. وقال بعض المفسرين أن القسم يشير أن الانقطاع يمثل الاستجمام والسكون كما يرتاح الشخص المتعب في الليل ومن معاني سجى السكون وهو يمثل الراحة وهو نعمة.

استخدام كلمة (سجى) وليست في كلمتي غشي او يسر ؟

كما في قوله (والليل إذا يغشى) (والليل إذا يسر) أما كلمة يغشى أو يسر فهما تدلان على الحركة

<u>استخدام كلمة (والضحى) بدل والفجر او النهار؟</u>

الضحى هو وقت إشراق الشمس أما النهار فهو كل الوقت من أول النهار إلى آخره ،

والضحى يمثل وقت ابتداء حركة الناس يقابله الليل إذا سجى وهو وقت السكون والراحة.
والفجر هو أول دخول وقت

- قوله (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى)

في اللغة عند العرب التوديع عادة يكون بين المتحابين والأصحاب فقط ويكون عند فراق الأشخاص.
الذكر من باب التكريم والحذف من باب التكريم أيضاً. لم يقل الله تعالى قلاك لرسوله الكريم حتى لا ينسب الجفاء للرسول - صلى الله عليه وسلم
أما التوديع فالذكر فيه تكريم للمخاطب فيحسن ذكر المفعول مع أفعال التكريم وحذفه مع أفعال السوء ولو بالنفي.
ولقد جمعت هذه الآية التكريم للرسول من ربه مرتين مرة بذكر المفعول مع فعل التوديع ومرة بحذف المفعول مع الفعل قلى.
فلماذا قال تعالى " ربك " ولم يقل " الله " ؟
هنا تكريم آخر من الله تعالى لرسوله الكريم. فالرب هو المربي والموجه والقيم. وذكر الفاعل وهو الرب إكرام آخر فلم يقل لم تودع ولم تقلى. والرب هو القيم على الأمر فكيف يودعك وهو ربك لا يمكن أن يودع الرب

- قوله (وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى)

الآخرة في سورة الضحى جاءت مقابل الأولى
ولم تأت مقابل الدنيا فلم يقل وللآخرة خير لك من الدنيا. ومعنى الآية أن ما يأتي خير لك أيها الرسول مما مضى ؛
فلماذا لم يقل خير لك من الدنيا؟
لأنه لو قالها لما صحت إلا في الآخرة فكأنما حصر الخير في الآخرة فقط ونفى حصول الخير فيما يستقبل من حياته - صلى الله عليه وسلم
ولماذا قال تعالى (لك) ولم يقل وللآخرة خير من الأولى؟
هذه السورة وسورة الشرح هما خاصتان بالرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو المخاطب المباشر بهما

- قوله (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)

ولماذا لم يحدد العطاء بشيء ما وإنما قال ولسوف يعطيك ربك فترضى؟
لقد أطلق سبحانه العطاء ولم يحدده إنما شمل هذا العطاء كل شيء ولم يخصصه بشيء معين إكراماً للرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - وتوسيعاً للعطاء وكذلك أطلق فعل الرضى كما أطلق العطاء فجعل العطاء عاماً وجعل الرضى عاماً وذكر المعطي أيضاً وهو الرب وعلينا أن نتخيل كيف يكون عطاء الرب؟ والعطاء على قدر المعطي وهذا كله فيه تكريم للرسول كذلك في إضافة ضمير الخطاب " الكاف " في (ربك) تكريم آخر للرسول - صلى الله عليه وسلم -

<u>لماذا اختيار كلمة (فترضى) ؟</u>

اختيار هذه الكلمة بالذات في غاية الأهمية ؛ فالرضى هو من أجل النعم على الإنسان وهو

أساس الاستقرار والطمأنينة وراحة البال ولذا جعل الله تعالى الرضى صفة أهل الجنة (فهو في عيشة راضية) (فارجعي إلى ربك راضية مرضية). والتعب مع الرضى راحة والفقر مع الرضى غنى ، والحرمان معه عطاء.

لماذا قال يعطيك ولم يقل يؤتيك؟

الإيتاء يكون لأمور مادية وغيرها (الملك، الحكمة، الذكر)

أما العطاء فهو خاص بالمادة.

والإيتاء أوسع من العطاء واعم

والعطاء مخصص للمال.

والإيتاء قد يشمله النزع

والعطاء لا يشمله النزع. (آتيناه آياتنا فانسلخ منها) (يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء)

وقد لا يستوجب الإيتاء لشخص ما أن يتصرف بما أوتي ،

أما العطاء فلصاحبه حرية التصرف فيه بالوهب والمنح ولذا قال تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) لأن الكوثر أصبح ملكاً للرسول - صلى الله عليه وسلم - وكما قال الله تعالى لسيدنا سليمان - عليه السلام - (هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب) أي له الحق بالتصرف فيه كما يشاء.

- قوله (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى (6) وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى (8))

فالإيواء خير من اليتم ؛ والهداية خير من الضلالة ؛ والاغناء خير من العيلة فكلها مرتبطة بالآية (ما ودعك ربك وما قلى) وتؤكد معناها.

واليتم ظلمة والإيواء هو النور وكذلك الضلال ظلمة والهدى نور (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) سورة البقرة، والحاجة والعيلة ظلمة أيضاً والغنى نور وبهجة.

في هذه الآيات بدأ سبحانه وتعالى بالظلمة ثم النور (اليتم ثم الايواء، الضلال ثم الهدى، العيلة ثم الغنى وهذا ليناسب ويتوافق مع قوله تعالى (وللآخرة خير لك من الأولى) والأولى هي الظلمة أما الآخرة فهي النور وهي خير له من الأولى.

لماذا لم يقسم سبحانه بالليل إذا سجى أولاً ثم الضحى؟

الضحى هو نور الوحي وكان السكون بعد الوحي وكان القسم على أثر انقطاع الوحي فانقطاع الوحي هو الذي تأخر وليس العكس لذا جاء قسم الضحى أولاً ثم الليل.

لماذا تكررت كلمة ربك في هذه السورة؟

الرب معناه انه هو المعلم والمربي والمرشد والقيم

اليتيم يحتاج لمن يقوم بأمره ويرعاه ويعلمه ويوجهه ويصلح حاله وهذه من مهام الرب واليتيم يحتاج هذه الصفات في الرب أولاً

ثم إن الضال يحتاج لمن يهديه والرب هو الهادي

والعائل أيضاً يحتاج لمن يقوم على أمره ويصلحه ويرزقه

فكلمة الرب تناسب كل هذه الأشياء ، وكثيراً ما ارتبطت الهداية في القرآن الكريم بكلمة الرب (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) (يهديهم ربهم بإيمانهم) (الحمد لله رب

العالمين....اهدنا الصراط المستقيم)

لماذا حذف المفعول للأفعال: فآوى ، فأغني ، فهدى مثلما حذف في فعل قلي؟

ذكر المفسرون هنا عدة آراء منها :

أن الحذف هو لظهور المراد لأنه تعالى كان يخاطب الرسول - صلى الله عليه وسلم - والمعنى واضح

فآوى بمعنى فآواك وآوى لك وآوى بك وأغناك وأغنى لك وأغنى بك وهداك وهدى لك وهدى بك ،

فلو قال سبحانه وتعالى فوجدك عائلا فأغناك لكان الغنى محصوراً بالرسول - صلى الله عليه وسلم - فقط لكن عندما أفاد الإطلاق دل ذلك على انه سبحانه أغنى رسوله وأغنى به وبتعليماته فيما خص الإنفاق وغيره خلقاً كثيراً وأغنى له خلقاً كثيراً

وكذلك آوى الرسول - صلى الله عليه وسلم - وآوى به خلقا كثيراً بتعاليمه الكثيرين وتعاليمه كانت تحض على رعاية اليتامى وحسن معاملتهم واللطف بهم وآوى لأجله الكثير من الناس لان من الناس من يؤوى اليتامى حبا برسول الله وطمعا في صحبة الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الجنة كما ورد في الحديث: أنا وكافل اليتيم كهاتين وأشار إلى إصبعيه.

وكذلك بالنسبة للهداية فالله تعالى هدى رسوله الكريم وهدى به خلقاً كثيراً (وانك لتهدي إلى صراط مستقيم) وهدى له ولأجله من أراد سبحانه وتعالى ،

لماذا ترتيب الآيات على هذا النحو؟ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى (6) وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى (8)

هذا هو الترتيب الطبيعي في الحياة.

اليتم يقال لمن فقد والديه أو احدهما وهو دون سن البلوغ فإذا بلغ انتفت عنه صفة اليتم ، وإذا بلغ دخل في سن التكليف الشرعي فهو يحتاج إلى الهداية ليتعلم كيف يسير في الحياة قبل أن يكون فقيراً أو غنياً وكيف يجمع المال الحلال لأن كل مال جمع من غير طريق الهداية هو سحت

ثم تأتي العيلة وهي أمر آخر بعد البلوغ ؛ من الناس من يكون فقيراً أو غنياً وعلى الاثنين أن يسيرا وفق التعاليم التي تعلماها بعد البلوغ مباشرة وهذا طبيعي ويمر به كل الخلق

- قوله (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ (10) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11)

القهر في اللغة : هو التسلط بما يؤذي ولا تقهره بمعنى لا تظلمه بتضييع حقه ولا تتسلط عليه أو لا تحتقره أو تغلب على ماله ،كل هذه المعاني تدخل تحت كلمة القهر.

السائل اختلف المفسرون فيها فقال بعضهم :

1-هو سائل المال والمعروف والصدقة

2-ومنهم من قال : انه سائل العلم والدين والمعرفة

3-وقسم قال انه مطلق ويشمل المعنيين

أما النعمة فقال بعض المفسرين

1- إنها النبوة وتعاليمها

2-وقال آخرون إنها كل ما أصاب الإنسان من خير سواء كان في الدنيا أو الآخرة.

3-وقال آخرون إنها نعمة الدين (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) (ما أنت بنعمة ربك بمجنون)

والواقع أن النعمة هنا أيضاً تشمل كل هذه المعاني فهي نعمة الدين يجب أن يتحدث بها ويبلغ عنها وهي نعمة الدنيا والله سبحانه يحب أن يرى اثر نعمته على عباده وان يتحدث الإنسان بنعم الله عليه وان يظهرها والنعمة عامة في الدنيا والدين وعلى الإنسان أن يحدث بهذه النعمة.

(النعمة بفتح النون وردت في القرآن بمعنى العقوبات والسوء كما في قوله (ونعمة كانوا فيها فاكهين) (الكافرين أولي النعمة)

<u>لماذا اختيار كلمة (فحدث) ولم يقل (فأخبر)؟</u>

الإخبار لا يقتضي التكرار يكفي أن تقول الخبر مرة واحدة فيكون إخباراً أما التحديث فهو يقتضي التكرار والإشاعة أكثر من مرة،

ولهذا سمى الله تعالى القرآن حديثا (فليأتوا بحديث مثله). فمعنى (فحدث) في هذه الآية هو المداومة على التبليغ وتكرارها وليس الإخبار فقط فيمكن أن يتم الإخبار مرة واحدة وينتهي الأمر.

وفي تسلسل الأحاديث في كتب السنة نلاحظ أنهم يقولون: حدثنا فلان عن فلان ويكررون ذلك مرة أو مرات عديدة حتى يصلوا إلى أخبرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فالرسول الكريم يخبر بالحديث ثم يتناقله الصحابة فيما بينهم ويستمر تناقل الحديث حتى يعم وينتشر.

لماذا جاء ترتيب الآيات على هذا النحو؟ (فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر، وأما بنعمة ربك فحدث).

أثار هذا الترتيب الكثير من الأسئلة عند المفسرين لماذا رتبت الآيات على هذه الصورة لأنه لا يرد بنفس تسلسل الآيات السابقة (الم يجدك يتيما فآوى، ووجدك ضالا فهدى، ووجدك عائلاً فأغنى).

لنستعرض الآيات واحدة واحدة : أما اليتيم فلا تقهر جاءت بنفس تسلسل الآية (ألم يجدك يتيما فآوى) نفس النسق.

، أما السائل فلا تنهر كان من المفروض أن تأتي مقابلة للآية (ووجدك عائلا فأغنى) لكنها جاءت في مقابل الآية (ووجدك ضالاً فهدى)

(وأما بنعمة ربك فحدث)، كان يجب أن تقدم باعتبار النعمة دين ويجب أن تكون مقابل (ووجدك ضالاً فهدى)

لكن الواقع أن ترتيب الآيات كما ورد في السورة هو الترتيب الأمثل، كيف؟

اليتيم ذكر أولا مقابل اليتيم ،

ثم ذكر (وأما السائل فلا تنهر) قلنا سابقا أن السائل يشمل سائل العلم والمال وهنا اخذ بعين الاعتبار السائل عن المال والسائل عن العلم فهي إذن تكون مقابل (ووجدك ضالاً فهدى)

وأيضاً (ووجدك عائلا فأغنى) لان السائل عن المال يجب أن لا ينهر والسائل عن العلم يجب أن لا ينهر أيضاً وعليه فان الآية جاءت في المكان المناسب لتشمل الحالتين ومرتبطة بالاثنين تماما.

(وأما بنعمة ربك فحدث) ، والآيات السابقة تذكر نعم الله على الرسول فاقتضى السياق أن يكون التحدث بالنعمة آخراً أي بعد حدوث كل النعم على الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

سؤال: في قوله تعالى (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (6) وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى (8) الضحى)

لم لم يقل فآواك وهداك وأغناك؟ وهل الفعل آوى وهدى وأغنى هل يتعدى بنفسه؟

آوى فعل متعدي بذاته (فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ (26) الأنفال)

(وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (13) المعارج)

(وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ (69) يوسف).

آوى متعدي وهدى متعدي (بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (17) الحجرات) لكن الحذف للإطلاق. يعني ألم يجدك يتيماً فآوى أي فآواك وآوى بك وآوى لك، وهذا الإطلاق لإكرام الرسول صلى الله عليه وسلم.

آواك أنت (آوى بمعنى احتضن ونصر وساعد)، آواك أنت وآوى بك بالتعليم، بسببك، بما تقدمه، بما جاء به في الإسلام، آوى بك خلقاً كثيراً من اليتامى والمحتاجين بسببه، وآوى لأجله ناس يفعلون لأجل رسول الله صلى الله عليه وسلم. آواه وآوى به بما جاء في التعليمات التي جاء بها في الكتاب والسُنّة وآوى له، لأجله. ولو قال آواك تكون معنى واحداً وهذا يسمى الإطلاق والإطلاق هذا من أمور التوسع في المعنى واحد من أسبابه. والآية تحتمل المعاني الثلاثة آواك وآوى بك وآوى لك، وهداك وهدى بك خلقاً كثيراً وهدى لك.

4- لمسات في سورة البلد للأستاذ السامرائي

لا أقسم بهذا البلد وأنت حلّ بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الإنسان في كبد

في سورة البلد على العموم استوفت كل عناصر البلاغ والإرسال:

موطن الرسالة (لا أقسم بهذا البلد)

والرسول (وأنت حل بهذا البلد)

والمرسل إليه وهو الإنسان (ووالد وما ولد)

والرسالة وهي الإيمان والعمل الصالح (ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة)

وأصناف الخلق بالنسبة للإستجابة للرسالة (أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة).

لا أقسم بهذا البلد

ما دلالة (لا) في القسم؟: أولاً لم يرد في القرآن كلّه (أقسم بـ) أبداً، كل القسم في القرآن ورد باستخدام (لا) كقوله تعالى: (لا أقسم بمواقع النجوم) (ولا أقسم بالخنّس) (فلا وربّك لا يؤمنون) وهكذا في القرآن كله.

فما هي (لا)؟ (لا) زائدة لتوكيد القسم بمعنى (أقسم)

وقسم يقولون هي للنفي (أي نفي القسم) والغرض منه أن الأمر لا يحتاج للقسم لوضوحه فلا داعي للقسم،

وقسم قال أنها تنفي لغرض الإهتمام كأن تقول لا أوصيك بفلان (بمعنى لا أحتاج لأن أوصيك).

وفي السورة (لا أقسم بهذا البلد) تدور (لا) في كل هذه الأمور على أنها توكيد للقسم بمعنى (أقسم بهذا البلد)، إذن الغرض للتوكيد لأن الأمر فيه عناية واهتمام.

وأنت حل بهذا البلد

قوله تعالى (حِلّ) عوضاً عن كلمة حالّ أو مقيم

بداية السورة (لا أقسم بهذا البلد وأنت حلّ بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الإنسان في كبد المعنى العام أنه أقسم أو لم يقسم بهذا البلد في وقت حلول الرسول في البلد أنه خلق الإنسان في الشدائد

(وأنت حل) ما معنى حل؟

الرأي الأشهر أنه الحالّ والمقيم أي بمعنى وأنت حالٌ في البلد تبلّغ دعوة ربك وتلقى من الأذى ما تلقى.

(حل) تأتي بمعنى اسم المفعول أي بمعنى (مُستحِل)

لا أقسم بهذا البلد وأنت مستحلٌ قتلك لا تراعى حرمتك في بلد آمن يأمن فيه الطير والوحش (إذا كانت لهذا المعنى فلا تكون نافية).

وتأتي (حِل) بمعنى حلال (حل، حلال، حلة) أي بمعنى حلال أن تقتل وتأسر من تشاء في ذلك البلد وذلك في يوم الفتح لأن أهل البلد جاءوا بما يستحلون به حرمتهم فرفعت الحرمة عنهم فأصبح حِلاً فتكون لا للنفي.

لا أقسم بهذا البلد وأنت حالٌ في هذا البلد تلاقي ما تلاقي وأنت مستحلٌ لا تُراعى حرمتك وأنت حلال بهذا البلد تقتل من تشاء وتأسر من تشاء في وقت من الأوقات (هذه كلها تشير إلى معاني كلمة حِل) ومرتبطة بمعاني (لقد خلقنا الإنسان في كبد).

قال تعالى في آية أخرى في القرآن (وهذا البلد الأمين) فما الحكمة في أن يرد القسم في سورة البلد (لا أقسم بهذا البلد) بدون استخدام كلمة الأمين؟

لا يوجد أمن في البلد ولا الجو العام في السورة فيه أمن.

5- إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3)

<u>يقول الرازي</u>

<u>إن نصرتك فسبح ، وإن فتحت مكة فاحمد وإن أسلموا فاستغفر</u>

يا محمد لا تخف فإني لا أذهب بك إلى النصر بل أجيء بالنصر إليك :

{ إِذَا جَاء نَصْرُ الله } نظيره : «زويت لي الأرض» يعني لا تذهب إلى الأرض بل تجيء الأرض إليك ،

فإن سئمت المقام وأردت الرحلة ، فمثلك لا يرتحل إلا إلى قاب قوسين :

قال : أبشر فقد جاء نصر الله فلما استبشر قال : الرحيل الرحيل أما علمت أنه لا بد بعد الكمال من الزوال

<u>ما الفرق بين النصر والفتح:</u>

1-النصر هو الإعانة على تحصيل المطلوب ، والفتح هو تحصيل المطلوب الذي كان متعلقاً

2- وظاهر أن النصر كالسبب الفتح ، فلهذا بدأ بذكر النصر وعطف الفتح عليه
3-النصر كمال الدين ، والفتح الإقبال الدنيوي الذي هو تمام النعمة ، ونظير هذه الآية قوله :
{ اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى }
[المائدة : 3]
4- النصر هو الظفر في الدنيا على المنى ، والفتح بالجنة ، كماقال :
{ وَفُتِحَتْ أبوابها } [الزمر : 73]

<u>وأظهر الأقوال في النصر</u>

1- أنه الغلبة على قريش أو على جميع العرب .
2-أن النصر كان كالمشتاق إلى محمد صلى الله عليه وسلم ،

<u>الفرق بين نصر الله ونصر الرب</u>

كلمة : { إذَا } للمستقبل ، فههنا لما ذكر وعداً مستقبلاً بالنصر ، قال : { إِذَا جَاء نَصْرُ الله }
فذكر ذاته باسم الله ، ولما ذكر النصر الماضي حين قال : { وَلَئِنْ جَاء نَصْرٌ مّن رَّبِّك لَيَقُولُنَّ }
[العنكبوت : 10] فذكره بلفظ الرب
السبب في ذلك؟ الجواب : لأنه تعالى بعد وجود الفعل صار رباً ، وقبله ما كان رباً لكن كان إلهاً .
أن للسائرين طريقين فمنهم من قال : ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله بعده ، ومنهم من قال : ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله ، ولا شك أن هذا الطريق أكمل ، فلأن النزول من المؤثر(الله) إلى الأثر(النصر) أجل مرتبة من الصعود من الأثر إلى المؤثر

<u>التسبيح ثم التحميد ثم الاستغفار</u>

فذكر أولاً التسبيح والثاني : التحميد ، ثم ذكروا في المرتبة الثالثة الاستغفار وهو حالة ممزوجة من الالتفات إلى الخالق وإلى الخلق .
واعلم أن صفات الحق محصورة في السلب والإيجاب والنفي والإثبات ، والسلوب مقدمة على الإيجابات
فالتسبيح إشارة إلى التعرض للصفات السلبية التي لواجب الوجود وهي صفات الجلال
والتحميد إشارة إلى الصفات الثبوتية له ، وهي صفات الإكرام ، ولذلك فإن القرآن يدل على تقدم الجلال على الإكرام
ثم الاستغفار لأن الاستغفار فيه رؤية قصور النفس ، وفيه رؤية جود الحق
{ وَنَحْنُ نُسَبِّح بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّس لَكَ } [البقرة : 30] فقوله ههنا : { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّك } إشارة إلى التشبه بالملائكة في قولهم:{ وَنَحْنُ نُسَبِّح بِحَمْدِكَ }
وقوله ههنا : { واستغفره } إشارة إلى قوله تعالى : { وَنُقَدِّس لَكَ }
فسبح بحمدي واستغفر من أن ترى تلك الطاعة من نفسك بل يجب أن تراها من توفيقي وإحساني
كأنه تعالى يقول يا محمد إما أن تكون معصوماً أو لم تكن معصوماً فإن كنت معصوماً فاشتغل بالتسبيح والتحميد ، وإن لم تكن معصوماً فاشتغل بالاستغفار
اجتهاد:مثل لا اله الا الله (نفى واثبات)

التسبيح ثم التحميد
التسبيج ثم التقديس{ وَنَحْنُ نُسَبِّح بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّس لَكَ }
سبوح قدوس
التسبيح
تنزيه الله عن كل سوء وأصله من سبح فإن السابح يسبح في الماء كالطير في الهواء ويضبط نفسه من أن يرسب فيه فيهلك أو يتلوث من مقر الماء ومجراه والتشديد للتبعيد لأنك تسبحه أي تبعده عما لا يجوز عليه فاللفظ يفيد التنزيه في الذات والصفات والأفعال
روت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة يكثر أن يقول : " سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك وأتوب إليك " ،
وقالت أيضاً : كان الرسول يقول كثيرا في ركوعه " سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي "
وعنها أيضاً كان نبي الله في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء إلا قال " سبحان الله وبحمده فقلت يا رسول الله إنك تكثر من قولة سبحان الله وبحمده قال : إني أمرت بها " ، وقرأ : { إِذَا جَاء نَصْرُ اللهِ }
معنى التَّسْبِيح بالحَمْد : عَلِمْنَا أن التَّسْبِيحَ تَعْظِيمٌ وتَنْزِيه ،
فإذا اقترن به ذكرُ الحمد (ذكر لصفات الكمال والجمال و ذكر الأفْعَال المُقَدَّسَة الدالة على الكمال)
، فإنَّ ذلك الاقتران يفيد ثلاثة أمُورْ :
1- تأكيد معنى التعظيم المتضمَّن في التَّسْبِيح مع ذكر بَيَانِه وتَفْصِيله . فَيذِلُّ المُسْلِم غاية الذل لما ذُكِرَ من العظمة .
2- ذكر المَحَاسن والمحامد التي يستحق بها سبحانه أن يُحَبَّ بغاية الحُبّ
فبذلك(1+2) يجتمع غاية الحب بغاية الذل ، وهما أصْلاَ العبادة .
3- أنَّ الحَمْد إثبات الكمالات ، والتَّسْبيحَ يتضمن التنزيه وهو نَفْي ما يناقض تلك الكمالات ، وذلك هو الثناء الذي يحبُّه الله عز وجل ،
فهو تسبيح مُلَبَّس بالحمد لِيُعْلَم ثُبُوتُ الكمالِ له نَفْيا وإثْباتاً .
وحَقِيقةُ الأمر أن التسبيح من تمام الحمد
اذن تفيدُ معَني المُلاَبَسة ،كما تَجْمَع معني المصاحبة والاسْتِعَانَة
أن قوله : { واستغفره }
1-واستغفر الله لنفسك أو لأمتك
الاحتمال الاول الاستغفار لنفسه
هل صدرت عنه معصية أم لا فمن قال :
أ- صدرت المعصية عنه ذكر في فائدة الاستغفار وجوهاً
أنه لا يمتنع أن تكون كثرة الاستغفار منه تؤثر في جعل ذنبه صغيرة
لزمه الإستغفار لينجو عن ذنب الإصرار ،
لزمه الاستغفار ليصير الاستغفار جابراً للذنب الصغير فلا ينتقص من ثوابه شيء أصلاً ،
ب-وأما من قال:ما صدرت المعصية عنه فذكر في هذا الاستغفار وجوهاً :

1-أن استغفار النبي جار مجرى التسبيح وذلك لأنه وصف الله بأنه غفار
2- تعبده الله بذلك ليقتدي به غيره إذ لا يأمن كل مكلف عن تقصير يقع منه في عبادته ، وفيه تنبيه على أنه مع شدة اجتهاده وعصمته ما كان يستغني عن الاستغفار فكيف من دونه
3- أن الاستغفار كان عن ترك الأفضل
4- أن الاستغفار كان بسبب أن كل طاعة أتى بها العبد فإذا قابلها بإحسان الرب وجدها قاصرة عن الوفاء بأداء شكر تلك النعمة ، فليستغفر الله لأجل ذلك
5-الاستغفار بسبب التقصير الواقع في السلوك لأن السائر إلى الله إذا وصل إلى مقام في العبودية ، ثم تجاوز عنه فبعد تجاوزه عنه يرى ذلك المقام قاصراً فيستغفر الله عنه ، ولما كانت مراتب السير إلى الله غير متناهية لا جرم كانت مراتب هذا الاستغفار غير متناهية
6- وهو أن يكون المراد واستغفره لذنب أمتك فهو أيضاً ظاهر ، لأنه تعالى أمره بالاستغفار لذنب أمته في قوله :
{ واستغفر لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ والمؤمنات } [محمد : 19] فههنا لما كثرت الأمة صار ذلك الاستغفار أوجب وأهم

<u>مسألة: في الآية إشكال</u> ، وهو أن التوبة مقدمة على جميع الطاعات ، ثم الحمد مقدم على التسبيح ، لأن الحمد يكون بسبب الإنعام ، والإنعام كما يصدر عن المنزه فقد يصدر عن غيره ، فكان ينبغي أن يقع الابتداء بالاستغفار ، ثم بعده يذكر الحمد ، ثم بعده يذكر التسبيح ، فما السبب في أن صار مذكوراً على العكس من هذا الترتيب؟ وجوابه :
لعله ابتدأ بالأشرف ، فالأشرف نازلاً إلى الأخس فالأخس ، تنبيهاً على أن النزول من الخالق إلى الخلق أشرف من الصعود من الخلق إلى الخالق
فيه تنبيه على أن التسبيح والحمد الصادر عن العبد إذا صار مقابلاً بجلال الله وعزته صار عين الذنب ، فوجب الاستغفار منه
للتسبيح والحمد إشارة إلى التعظيم لأمر الله ، والاستغفار إشارة إلى الشفقة على خلق (الله) ، والأول كالصلاة ، والثاني كالزكاة ، وكما أن الصلاة مقدمة على الزكاة ، فكذا ههنا .

<u>(انه كان توابا)</u>
1-هو أنه تعالى يقبل التوبة كثيراً فنبه على أنه يجب على العبد أن يكون إتيانه كثيراً
2- إنما قيل : تواباً لأن القائل قد يقول : أستغفر الله وليس بتائب ، ومنه قوله : « المستغفر بلسانه المصر بقلبه كالمستهزىء بربه » إن قيل : فقد يقول : أتوب ، وليس بتائب ، قلنا : فإذاً يكون كاذباً ، لأن التوبة اسم للرجوع والندم ، بخلاف الاستغفار فإنه لا يكون كاذباً فيه ، فصار تقدير الكلام ، واستغفره بالتوبة ، وفيه تنبيه على أن خواتيم الأعمال يجب أن تكون بالتوبة والاستغفار

<u>نعي لرسول الله صلى الله عليه وسلم</u>
اتفقوا على أن هذه السورة دلت على أنه نعي لرسول الله صلى الله عليه وسلم روي أن العباس عرف ذلك وبكى فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك فقال : نعيت إليك نفسك فقال : الأمر كما تقول ، وقيل : إن ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال عليه الصلاة والسلام:« لقد أوتي هذا الغلام علماً كثيراً »

روي أن عمر كان يعظم ابن عباس ويقربه ويأذن له مع أهل بدر ، فقال عبدالرحمن : أتأذن لهذا الفتى معنا ، وفي أبنائنا من هو مثله؟ فقال : لأنه ممن قد علمتم قال ابن عباس : فأذن لهم ذات يوم وأذن لي معهم فسألهم عن قول الله :
{ إِذَا جَاء نَصْرُ الله } وكأنه ما سألهم إلا من أجلي
فقال بعضهم : أمر الله نبيه إذا فتح أن يستغفره ويتوب إليه ، فقلت : ليس كذلك ولكن نعيت إليه نفسه فقال عمر : ما أعلم منها إلا مثل ما تعلم ، ثم قال : كيف تلومونني عليه بعدما ترون وروي أنه لما نزلت هذه السورة خطب وقال :
قوله : { واستغفره } تنبيه على قرب الأجل كأنه يقول قرب الوقت ودنا الرحيل فتأهب للأمر
- فذكر الماوردي أنه عليه السلام لم يلبث بعد نزول هذه السورة إلا ستين يوماً مستديماً للتسبيح والاستغفار ، وقال مقاتل : عاش بعدها حولاً
- ونزل : { اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ } [المائدة : 3] فعاش بعده ثمانين يوماً
- ثم نزل آية الكلالة ، فعاش بعدها خمسين يوماً ،
- ثم نزل : { لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ } [التوبة : 128] فعاش بعدها خمسة وثلاثين يوماً
- ثم نزل : { واتقوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى الله } [البقرة : 281] فعاش بعدها أحد عشر يوماً وفي رواية أخرى عاش بعدها سبعة أيام ، والله أعلم كيف كان ذلك .

<u>٦- { لِّيَغْفِرَ لَكَ الله مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً } [الفتح : 2] .</u>
ونعلم أن طلب الغُفْران من المعصوم إيذانٌ بطلاقة قدرة الله في الكون ، ذلك أن اختيار الحق سبحانه للرسول أيّ رسول لا يُعفى الرسول المختار من الحذر وطلب المغفرة ، وها هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إني استغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة » .
وطلب المغفرة من الله إن لم يَكُنْ لذنب كما في حال الرُّسل المعصومين فهو من الأدب مع الله؛ لأن الخالق سبحانه وتعالى يستحق منّا فوق ما كلّفنا به ، فإذا لم نقدر على المندوبات وعلى التطوّعات؛ فَلْندعُ الحق سبحانه أنْ يغفرَ لنا .
ومِنّا مَنْ لا يقدر على الفرائض؛ فليَدْعُ الله أنْ يغفرَ له؛ ولذلك يُقال : « حسنات الأبرار سيئات المقربين » .
<u>٧- فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ (آل عمران) 159</u>

{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ الله لِنتَ لَهُمْ } أي بأي رحمة أودعت فيك . ساعة تقول : بأي رحمة فأنت تبهم الأمر ، وعندما تُبهم الشيء فكأنه شيء عظيم
إذن فقول الحق : { فَبِمَا رَحْمَةٍ } أصلها هو
برحمة من الله طُبعت عليها لِنْتَ لهم ، و « ما » لماذا جاءت هنا؟
إنك إما أن تأخذها إبهامية . . يعني بأي رحمة فوق مستوى الإدراك ، رحمة عظيمة .

أو تقول : « فبما رحمة » أي أن « ما » تكون اسما موصولا . وكأن الحق يقول له :
فبالرحمة المُودعة من خالقك فيك والتي تُناسب مُهمتك في الأمة لِنْت لهم ، وما دامت تلك طبيعتك فَلِنْ لهم في هذا الأمر واعفُ عنهم واستغفر لهم .

{وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القلب لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ} إذن فبالرحمة لِنت لهم وبلين القول تبعوك وألفوك وأحبوك. و «الفظُّ» هو: ماء الكرش، والإبل عندما تجد ماءً فهي تشرب ما يكفيها مدة طويلة، ثم بعد ذلك عندما لا تجد ماء فهي تجتر من الماء المخزون في كرشها وتشرب منه، في موقعة من المواقع لم يجدوا ماء فذبحوا الإبل وأخذوا الماء من كرشها، الماء من كرش الإبل يكون غير مستساغ الطعم، هذا معنى «الفَظّ» ، ونظرا لأن هذا يورث غضاضة فسموا: «خشونة القول» فظاظة، والغلظ في القلب هو ما ينشأ عنه الخشونة في الألفاظ.

٨- وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (٨٩)

وبذلك يكون الحق سبحانه في الآيتين السابقتين قد امتنَّ على رسوله صلى الله عليه وسلم بأنه قد آتاه السبع المثاني والقرآن العظيم؛

1- ولذلك يوصيه ألاَّ تطمح نفسه إلى ما أوتي بعضٌ من الكفار من جاه ومال ، فالقرآن عزُّ الدنيا والآخرة .

2- ويوصيه كذلك بألا يحزنَ عليهم نتيجة انصرافهم عن دعوته ، فليس عليه إلا البلاغ

3- وأن يتواضعَ صلى الله عليه وسلم للمؤمنين ليزداد ارتباطهم به ، فهم خير من كل الكافرين برسالته صلى الله عليه وسلم .

4- ثم يُوصيه الحق سبحانه أن يُبلغ الجميع أنه نذير وبشير ، يوضح ما جاء في القرآن من خير يعُمَّ على المؤمنين ، وعقاب ينزل على الكافرين .

9- إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨) لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٩)الفتح

فتح القدير

{ لّتُؤْمِنُواْ بالله وَرَسُولِهِ } قرأ الجمهور { لتؤمنوا } بالفوقية . وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو بالتحتية ،

فعلى القراءة الأولى : الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمته ،

وعلى القراءة الثانية المراد : المبشرين والمنذرين

ومعنى تعزروه : تعظموه وتفخموه؛ قاله الحسن ، والكلبي ، والتعزير : التعظيم والتوقير .

وقال قتادة : تنصروه وتمنعوا منه . وقال عكرمة : تقاتلون معه بالسيف

ومعنى توقروه : تعظموه . وقال السديّ : تسوّدوه ، قيل : والضميران في الفعلين للنبي صلى الله عليه وسلم وهنا وقف تام

ثم يبتدىء : وتسبحوه أي : تسبحوا الله عزّ وجل { بُكْرَةً وَأَصِيلاً } أي : غدوة وعشية

وقيل : الضمائر كلها في الأفعال الثلاثة لله عزّ وجلّ ،

فيكون معنى تعزروه وتوقروه : تثبتون له التوحيد ، وتنفون عنه الشركاء وقيل : تنصروا دينه وتجاهدوا مع رسوله .
وفي التسبيح وجهان ، أحدهما : التنزيه له سبحانه من كل قبيح ، والثاني : الصلاة .

ابن عجيبه

{ وتُسبِّحوه } تُنزِّهوه ، أو تُصلوا له ، من : السبحة ، { بكرةً وأصيلاً } غدوة وعشية ، قيل : غدوة : صلاة الفجر ، وعشية : الظهر والعصر والمغرب والعشاء . والضمائر لله تعالى . ومَن فرّق؛ فجعل الأولين للنبي صلى الله عليه وسلم والأخير لله تعالى ، فقد أبعد . وقرأ المكي والبصري بالغيب في الأربعة ، والضمائر للناس ، وقرأ ابن السميفع : « وتُعززوه » بزاءين ، أي : تنصروه وتُعزُّوا دينه .
وقوله تعالى : { إنَّ الذين يُبايعونك } الآية ، قال الورتجبي : ثم صرَّح بأنه عليه السلام مرآة لظهور ذاته وصفاته ، وهو مقام الاتصاف بأنوار الذات والصفات في نور الفعل ، فصار هو هو ، إذا غاب الفعل في الصفة ، وغابت الصفة في الذات . فقال : { إن الذين يُبايعونك . . . } الآية . وإلى ذلك يُشير الحلاّج وغيره . وقال في القوت : هذه أمدح آية في كتاب الله عزّ وجل ، وأبلغ فضيلة فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه جعله في اللفظ بدلاً عنه ، فيقول : لله ، وليس هذا من الربوبية للخلق سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وقال الحسن بن منصور الحلاج : لم يُظهر الحق تعالى مقام الجمع على أحد بالتصريح إلا على أخص نسَمِهِ وأشرفه ، فقال : { إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله } .

الرازى

{ لِّتؤْمِنُواْ بالله وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً } وهذا يحتمل وجهين :
1- أن تكون الأمور الأربعة المذكورة مرتبة على الأمور المذكورة من قبل
فقوله **{ لِّتؤْمِنُواْ بالله وَرَسُولِهِ }** مرتب على قوله **{ إِنَّا أرسلناك }** لأن كونه مرسلاً من الله يقتضي أن يؤمن المكلف بالله والمرسل وبالمرسل
وقوله **{ شاهدا }** يقتضي أن يعزر الله ويقوي دينه لأن قوله { شاهدا } على ما بينا معناه أنه يشهد أنه لا إله إلا هو فدينه هو الحق وأحق أن يتبع
وقوله **{ مُبَشِّرًا }** يقتضي أن يوقر الله لأن تعظيم الله عنده على شبه تعظيم الله إياه .
وقوله **{ نَذِيراً }** يقتضي أن ينزه عن السوء والفحشاء مخافة عذابه الأليم وعقابه الشديد ، وأصل الإرسال مرتب على أصل الإيمان ووصف الرسول يترتب عليه وصف المؤمن
2- أن يكون كل واحد مقتضياً للأمور الأربعة فكونه مرسلاً يقتضي أن يؤمن المكلف بالله ورسوله ويعزره ويوقره ويسبحه ، وكذلك كونه { شاهدا } بالوحدانية يقتضي الأمور المذكورة
اجتهاد:الواو :عطف وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ
قال في الأحزاب **{ إِنَّا أرسلناك شَاهِداً وَمُبَشِّرا وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى الله بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً }** [الأحزاب : 45 ، 46] وههنا اقتصر على الثلاثة من الخمسة فما الحكمة فيه؟
الثلاثه **شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**
نقول الجواب عنه من وجهين

1- أن ذلك المقام كان مقام ذكره لأن أكثر السورة في ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وأحواله وما تقدمه من المبايعة والوعد والدخول ففصل هنالك فى الاحزاب ، ولم يفصل ههنا فى الفتح

2- أن نقول الكلام مذكور ههنا لأن قوله { شاهدا } لما لم يقتض أن يكون داعياً لجواز أن يقول مع نفسه أشهد أن لا إله إلا الله ، ولا يدعو الناس قال هناك وداعياً لذلك ، وههنا لما لم يكن كونه { شاهدا } منبئاً عن كونه داعياً

قال : **{ لِّتُؤْمِنُواْ بالله وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ }** دليل على كونه سراجاً لأنه أتى بما يجب من التعظيم والاجتناب عما يحرم من السوء والفحشاء بالتنزيه وهو التسبيح .

<u>اختيار البكرة والأصيل</u>

يحتمل أن يكون إشارة إلى المداومة

ويحتمل أن يكون أمراً بخلاف ما كان المشركون يعملونه فإنهم كانوا يجتمعون على عبادة الأصنام في الكعبة بكرةً وعشيةً فأمروا بالتسبيح في أوقات كانوا يذكرون فيها الفحشاء والمنكر .

الكنايات المذكور في قوله تعالى : { وَتُعَزِّروهُ وَتُوَقِّروهُ وَتُسَبِّحوهُ } راجعة إلى الله تعالى أو إلى الرسول عليه الصلاة والسلام؟ والأصح هو الأول .

<u>ابن كثير</u>

يقول تعالى لنبيه محمد -صلوات الله وسلامه عليه

{ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا } أي: على الخلق

{ وَمُبَشِّرًا } أي: للمؤمنين

{ وَنَذِيرًا } أي: للكافرين.

{ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ } ، يعظموه

{ وَتُوَقِّرُوهُ } من التوقير وهو الاحترام والإجلال والإعظام

{ وَتُسَبِّحُوهُ } أي: يسبحون الله، { بُكْرَةً وَأَصِيلا } أي: أول النهار وآخره.

ثم قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم تشريفا له وتعظيما وتكريما:

{ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ } كقوله { مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ } [النساء : 80]، { يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ } أي: هو حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانهم، ويعلم ضمائرهم وظواهرهم، فهو تعالى هو المبايع بواسطة رسوله

<u>السمرائي</u>

على ماذا تعود الضمائر في آية رقم 9 من سورة الفتح؟

قال تعالى في سورة الفتح **(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً {8} لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً {9})**

الإيمان جاء مستغرقاً بالله ورسوله (لتؤمنوا بالله ورسوله)

ثم جاء العطف (وتعزروه وتوقروه) وهذا للرسول ثم (تسبحوه بكرة وأصيلا) يعود الضمير على الله فلماذا هذه الصيغة؟

والجواب أن المفسرين رجّحوا أن " تعزّروه وتوقروه " تأتي بمعنى التعظيم والضمير فيهما يعود على الله تعالى والضمائر في الآية كلها عائدة على الله تعالى. وهناك قسم من المفسرين قالوا أن الضمير في (تعزّروه وتوقّروه) تعود على الرسول وباقي الضمائر كل منها عائد على ما يخصّها.

١٠- يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (46) الاحزاب

شاهِداً يحتمل وجوها:

١-أَنَّهُ شَاهِدٌ عَلَى الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً [الْبَقَرَةِ: ١٤٣] وَعَلَى هَذَا فَالنَّبِيُّ بُعِثَ شَاهِدًا أَيْ مُتَحَمِّلاً لِلشَّهَادَةِ وَيَكُونُ فِي الْآخِرَةِ شَهِيدًا أَيْ مُؤَدِّيًا لِمَا تَحَمَّلَهُ

٢- أَنَّهُ شَاهِدٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَعَلَى هَذَا لَطِيفَةٌ وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ النَّبِيَّ شَاهِدًا عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ وَالشَّاهِدُ لَا يَكُونُ مُدَّعِيًا فَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَجْعَلِ النَّبِيَّ فِي مَسْأَلَةِ الْوَحْدَانِيَّةِ مُدَّعِيًا لَهَا لِأَنَّ الْمُدَّعِيَ مَنْ يَقُولُ شَيْئًا عَلَى خِلَافِ الظَّاهِرِ وَالْوَحْدَانِيَّةُ أَظْهَرُ مِنَ الشَّمْسِ وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ ادَّعَى النُّبُوَّةَ فَجَعَلَ اللَّهُ نَفْسَهُ شَاهِدًا لَهُ فِي مُجَازَاةِ كَوْنِهِ شَاهِدًا لِلَّهِ فقال تعالى: وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ [المنافقون: ١]

٣- أَنَّهُ شَاهِدٌ فِي الدُّنْيَا بِأَحْوَالِ الْآخِرَةِ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْمِيزَانِ وَالصِّرَاطِ وَشَاهِدٌ فِي الْآخِرَةِ بِأَحْوَالِ الدُّنْيَا بِالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ

وَقَوْلُهُ: وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَداعِياً

فِيهِ تَرْتِيبٌ حَسَنٌ وَذَلِكَ مِنْ حَيْثُ إِنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُرْسِلَ شَاهِدًا بِقَوْلِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيُرَغِّبُ فِي ذَلِكَ بِالْبِشَارَةِ فَإِنْ لَمْ يَكْفِ/ ذلك يرهب بالإنذار ثُمَّ لَا يَكْتَفِي بِقَوْلِهِمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بَلْ يَدْعُوهُمْ إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ [النَّحْلِ: ١٢٥]

الرازى

قَوْلُهُ تَعَالَى: وَداعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ

حَيْثُ لَمْ يَقُلْ وَشَاهِدًا بِإِذْنِهِ وَمُبَشِّرًا وَعِنْدَ الدُّعَاءِ قَالَ وَدَاعِيًا بِإِذْنِهِ

وَداعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَوَجْهٌ آخَرُ وَهُوَ أَنَّ النَّبِيَّ يَقُولُ إِنِّي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَالْوَلِيُّ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ، وَالْأَوَّلُ لَا إِذْنَ لَهُ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ، وَالثَّانِي مَأْذُونٌ مِنْ جِهَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي

وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الْمَأْذُونُ مِنَ اللَّهِ فِي الدُّعَاءِ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ.

فاطلق الاذن وأريد به التيسير مجازا بعلاقة السببية

الدعوة إيذانا بانها امر صعب لا يتأتى الا بمعونة وامداد من جانب قدسه كيف لا وهى صرف الوجوه عن سمت الخلق الى الخلاق وإدخال قلادة غير معهودة فى الأعناق قال بعض الكبار باذنه اى بامره لا بطبعك ورأيك

وَداعِياً إِلَى اللَّهِ

لَمَّا بَيَّنَ مِنْ حَالِ النَّبِيِّ أَنَّهُ دَاعٍ إِلَى الله بقوله: وَداعِياً إِلَى اللَّهِ قال هاهنا لَا تَدْخُلُوا إِلَّا إِذَا دُعِيتُمْ يَعْنِي كَمَا أَنَّكُمْ مَا دَخَلْتُمُ الدِّينَ إِلَّا بِدُعَائِهِ فَكَذَلِكَ لَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ دُعَائِهِ

وَقَوْلُهُ: غَيْرَ ناظِرِينَ يَعْنِي أَنْتُمْ لَا تَنْتَظِرُوا وَقْتَ الطَّعَامِ فَإِنَّهُ رُبَّمَا لَا يَتَهَيَّأُ.

وَإِنَاهُ قِيلَ وَقْتُهُ وَقِيلَ اسْتِوَاؤُهُ

اعلم ان الله تعالى شبه نبينا عليه السلام بالسراج لوجوه

١- انه يستضاء به فى ظلمات الجهل والغواية ويهتدى بانواره الى مناهج الرشد والهداية كما يهتدى بالسراج المنير فى الظلام الى سمت المرام

٢- ان السراج الواحد يوقد منه الف سراج ولا ينقص من نوره شىء وقد اتفق اهل الظاهر والشهود على ان الله تعالى خلق جميع الأشياء من نور محمد ولم ينقص من نوره شىء وهذا كما روى ان موسى عليه السلام قال يا رب أريد ان اعرف خزائنك فقال له اجعل على باب خيمتك نارا يأخذ كل انسان سراجا من نارك ففعل فقال هل نقص من نارك قال لا يا رب قال فكذلك خزائنى.

أنوار المعرفة واسرار الحقيقة قد ظهرت فى علماء أمته وهى بحالها فى نفسه عليه السلام ألا ترى ان نور القمر مستفاد من الشمس ونور الشمس بحاله

٣- انه عليه السلام يضيىء من جميع الجهات الكونية الى جميع العوالم كما ان السراج يضيىء من كل جانب وايضا يضيىء لامته كلهم كالسراج لجميع الجهات الا من عمى مثل ابى جهل ومن تبعه على صفته فانه لا يستضيىء بنوره ولا يراه حقيقة كما قال تعالى (وَتَراهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ) –

حكى- ان السلطان محمود الغزنوي دخل على الشيخ ابى الحسن الخرقاني قدس سره وجلس ساعة ثم قال يا شيخ ما تقول فى حق ابى يزيد البسطامي فقال الشيخ هو رجل من رآه اهتدى فقال السلطان وكيف ذلك وان أبا جهل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يخلص من الضلالة قال الشيخ فى جوابه انه ما رأى رسول الله وانما رأى محمد بن عبد الله يتيم ابى طالب حتى لو كان رأى رسول الله لدخل فى السعادة اى لو رآه عليه السلام من حيث انه رسول معلم هاد لا من حيث انه بشر يتيم.

٤- انه عليه السلام عرج به من العالم السفلى الى العالم العلوي ومن الملك الى الملكوت ومن الملكوت الى الجبروت والعظموت بجذبة (ادن منى) الى مقام (قابَ قَوْسَيْنِ) وقرب (أَوْ أَدْنى) الى ان نوّر سراج قلبه بنور الله

الى سدرة المنتهى فعبر عنه مع جبرائيل الى أقصى السدرة وبقي جبرائيل فى السدرة فادلى اليه الرفرف فركب عليه فاداه الى قاب قوسين او ادنى فهو الذي جعل الله له نورا فارسله الى الخلق وقال (قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ) ووصفه تعالى بالانارة حيث قال (مُنِيراً) لزيادة نوره وكماله فيه فان بعض السراج له فتور لا ينير قال الكاشفى (مُنِيراً)

٥- المراد بالسراج الشمس وبالمنير القمر جمع له الوصف بين الشمس والقمر دل على ذلك قوله تعالى (تَبارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّماءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيها سِراجاً وَقَمَراً مُنِيراً) وانما حمل على ذلك لان نور الشمس والقمر أتم من نور السراج

٦-ويقال سماه سراجا ولم يسمه شمسا ولا قمرا ولا كوكبا لانه لا يوجد يوم القيامة شمس ولا قمر ولا كوكب ولان الشمس والقمر لا ينقلان من موضع الى موضع بخلاف السراج ألا ترى ان الله تعالى نقله عليه السلام من مكة الى المدينة

٧- وَسِراجاً مُنِيراً أَيْ مُبَرْهِنًا عَلَى مَا يَقُولُ مُظْهِرًا لَهُ بِأَوْضَحِ الْحُجَجِ وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ [النَّحْلِ: ١٢٥] .
٨- قال في حق النبي عليه السلام سراجا وَلَمْ يَقُلْ إِنَّهُ شَمْسٌ مَعَ أَنَّهُ أَشَدُّ إِضَاءَةً مِنَ السِّرَاجِ لِفَوَائِدَ مِنْهَا، أَنَّ الشَّمْسَ نُورُهَا لَا يُؤْخَذُ مِنْهُ شَيْءٌ وَالسِّرَاجُ يُؤْخَذُ مِنْهُ أَنْوَارٌ كَثِيرَةٌ فَإِذَا انْطَفَأَ الْأَوَّلُ يَبْقَى الَّذِي أُخِذَ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ إِنْ غَابَ وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ كَذَلِكَ إِذْ كُلُّ صَحَابِيٍّ أَخَذَ مِنْهُ نُورَ الْهِدَايَةِ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ» فَأَنْوَارُ الْمُجْتَهِدِينَ كُلِّهِمْ مِنَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ولم جَعَلَهُمْ كَالسُّرُجِ
٩-وَفِي تَفْسِيرِ السِّرَاجِ وَجْهٌ آخَرُ وَهُوَ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ الْقُرْآنُ وَتَقْدِيرُهُ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا عَطْفًا عَلَى مَحَلِّ الْكَافِ أَيْ وَأَرْسَلْنَا سِرَاجًا مُنِيرًا فقوله سراجا أَيْ هَادِيًا مُبَيِّنًا كَالسِّرَاجِ يُرِي الطَّرِيقَ وَيُبَيِّنُ الأمر.

١١- وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٥٦)

صحيح أن الله تعالى قال لرسوله صلى الله عليه وسلم : **{ ياأيها النبي جَاهِدِ الكفار والمنافقين واغلظ عَلَيْهِمْ }** [التوبة : ٧٣] لكن لا يعني هذا أن يهلك رسول الله نفسه في دعوتهم ، ويألم أشد الألم لعدم إيمانهم؛ لأن مهمة الرسول البلاغ وما أمره الله بجهاد الكفار والمنافقين إلا ليحفزه ، فلا يترك جُهْداً إلا بذله معهم ، وإلاّ فأنت عندي مُبشِّر ومُنذر **{ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً }** أي : بالخير قبل أوانه ليتلفت الناس إلى وسائله **{ وَنَذِيراً }** أي : بالشر قبل أوانه ليحذره الناس ، ويجتنبوا أسبابه ووسائله .

١٢- وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ (٢١٤)

وهكذا نقل الأمر من رسول الله إلى أهله وعشيرته الأقربين ، ذلك ليطمئن الآخرون من قومه ، فهو يأمرهم بأمر ليس بنجْوة عنه ، فأول ما ألزم به ألزم نفسه ثم عشيرته ، وهذا أدْعى للطاعة وللقبول ، فأنت تردُّ أمري إذا كنتُ آمرك به ولا أفعله ، لكني آمرك وأسبقك إلى الفعل .
لذلك أول ما وُجِّه التشريع والتكليف وُجِّه إلى رسول الله ، وإلى أقرب الناس إليه وهم عشيرته الأقربون؛ لأن الفساد يأتي أول ما يأتي من دوائر القُرْبى والحاشية التي تحيط بالإنسان
وتأمل { وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقربين } والإنذار كما ذكرنا التحذير من الشرِّ قبل أوانه ، فلم يقُلْ : بشِّر عشيرتك ، كأنه يقول له : إياك أنْ يأخذك به لين ورأفة ، أو عطف لقرابتهم لك ، بل بهم فابدأ .
وقد امتثل رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا التوجيه ، فكان صلى الله عليه وسلم يقول لقرابته : « يا عباس يا عم رسول الله ، يا صفية عمة رسول الله ، يا فاطمة بنت محمد ، اعملوا فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً ، ولا يأتيني الناس بأعمالهم ، وتأتوني بأنسابكم » .

١٣- وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥)

بعد أن أمره بالشدة على أهله وقرابته يأمره باللين ، وخَفْض الجناح لباقي المؤمنين به ، وخَفْض الجناح كناية عن اللُّطْف واللين في المعاملة ، وقد أُخِذ هذا المعنى من الطائر حين يحنو على فراخه ، ويضمهم بجناحه .
وخَفْض الجناح دليل الحنان ، لا الذلّة والانكسار ،
وفي المقابل نقول (فلان فارد أجنحته) إذا تكبَّر وتجبَّر ،

وتقول (فلان مجنح لي) إذا عصا أوامرك .
وفي موضع أخر : { واخفض جَنَاحَكَ لِلمُؤْمِنِينَ } [الحجر : ٨٨] .
وقال في حَقِّ الوالدين : { واخفض لَهُمَا جَنَاحَ الذل مِنَ الرحمة } [الإسراء : ٢٤] فلا نقول : كُنْ ذليلاً لهم ، إنما كُنْ رحيماً بهم ، حَنُوناً عليهم ، ففي هذا عِزّك ونجاتك .

١٤- الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩)

أي : توكل على الذي يحبك ، ويُقدِّر عملك وعبادتك حين تقوم ، والمعنى تقوم له سبحانه بالليل والناس نيام { وَتَقَلُّبَكَ فِي الساجدين } ونفهم من ذلك أنه يصح أن تقوم وحدك بالليل .
وقوله : { الذي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ } يرى حالك في هذا القيام ، وما أنت عليه من الفرح ، وسرعة الاستجابة لنداء الله في قوله : الله أكبر ، يراك حين تقوم على حالة انشراح القلب والإقبال على الله والنشاط للعبادة ، لا على حال الكسل والتراخي .
١- تعني : القعود والقيام والركوع والسجود ، فربُّك يراك في كل هذه الأحوال ، ويرى سرورك بمقامك بين يديه ، فإذا ما توكلتَ عليه فأنت تستحق أن يكون ربُّك عزيزاً رحيماً من أجلك
٢-أو : أن المعنى { وَتَقَلُّبَكَ فِي الساجدين } أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى صحابته وهم يُصلُّون خلفه ، فيرى مَنْ خلفه ، كما يرى مَنْ أمامه
لذلك كان يُحذِّرهم أنْ يسبقوه في الصلاة في ركوع أو سجود ، أو قيام أو قعود . ويحذرهم أنْ يفعلوا في الصلاة خلفه ما لا يصح من المصلي اعتماداً على أنه صلى الله عليه وسلم لا يراهم

الرازي

وَهُوَ قِيَامُهُ وَتَقَلُّبُهُ فِي السَّاجِدِينَ وَفِيهِ وُجُوهٌ:
١- الْمُرَادُ مَا كَانَ يَفْعَلُهُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ قِيَامِهِ لِلتَّهَجُّدِ وَتَقَلُّبِهِ فِي تَصَفُّحِ أَحْوَالِ (الْمُجْتَهِدِينَ) لِيَطَّلِعَ عَلَى أَسْرَارِهِمْ، كَمَا يُحْكَى أَنَّهُ حِينَ نُسِخَ فَرْضُ قِيَامِ اللَّيْلِ طَافَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ بِبُيُوتِ أَصْحَابِهِ لِيَنْظُرَ مَا يَصْنَعُونَ لِحِرْصِهِ عَلَى مَا يُوجَدُ مِنْهُمْ مِنَ الطَّاعَاتِ، فَوَجَدَهَا كَبُيُوتِ الزَّنَابِيرِ لِمَا يَسْمَعُ مِنْهَا مِنْ دَنْدَنَتِهِمْ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْمُرَادُ بِالسَّاجِدِينَ الْمُصَلِّينَ
٢- الْمَعْنَى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ لِلصَّلَاةِ بِالنَّاسِ جَمَاعَةً وَتَقَلُّبُهُ فِي السَّاجِدِينَ تَصَرُّفُهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِقِيَامِهِ وَرُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ وَقُعُودِهِ إِذْ كَانَ إِمَامًا لَهُمْ
٣- أَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ حَالُكَ كُلَّمَا قُمْتَ وَتَقَلَّبْتَ مَعَ السَّاجِدِينَ فِي
كِفَايَةِ أُمُورِ الدِّينِ
٤- الْمُرَادُ تَقَلُّبُ بَصَرِهِ فِيمَنْ يُصَلِّي خَلْفَهُ مِنْ
قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم: «أتموا الركوع والسجود فو اللَّهِ إِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ خَلْفِي»
ثم قال: إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ أَيْ لِمَا تَقُولُهُ الْعَلِيمُ أَيْ بِمَا تَنْوِيهِ وَتَعْمَلُهُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كَوْنَهُ سَمِيعًا أَمْرٌ مُغَايِرٌ لِعِلْمِهِ بِالْمَسْمُوعَاتِ وَإِلَّا لَكَانَ لَفْظُ الْعَلِيمِ مُفِيدًا فَائِدَتَهُ.
٥- وَاعْلَمْ أَنَّهُ قُرِئَ وَتُقَلِّبُكَ.
٦- الْمُرَادُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَقَلَ رُوحَهُ مِنْ سَاجِدٍ إِلَى سَاجِدٍ كَمَا نَقُولُهُ نَحْنُ،
فَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَمْ أَزَلْ أُنْقَلُ مِنْ أَصْلَابِ الطَّاهِرِينَ إِلَى أَرْحَامِ الطَّاهِرَاتِ»

القرطبى

(وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ)
قيل: فِي الْمُصَلِّينَ.
وقيل: أَيْ فِي أَصْلاَبِ الآبَاءِ، آدَمَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ حَتَّى أَخْرَجَهُ نَبِيًّا.
وقيل: يَرَاكَ قَائِمًا وَرَاكِعًا وَسَاجِدًا،
وَقِيلَ: إِنَّكَ تَرَى بِقَلْبِكَ فِي صَلاَتِكَ مَنْ خَلْفَكَ كَمَا تَرَى بِعَيْنِكَ مَنْ قُدَّامَكَ.

١٥ـ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً (٨٠)

الرازي
في تفسير قوله : { **وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأرض** } [الإسراء : 76] قولين :
أحدهما : المراد منه سعي كفار مكة في إخراجه منها .
والثاني : المراد منه أن اليهود قالوا له الأولى لك أن تخرج من المدينة إلى الشام
1- فإن فسرنا تلك الآية أن المراد منها أن كفار مكة أرادوا إخراجه من مكة كان معنى هذه الآية أنه تعالى أمره بالهجرة إلى المدينة وقال له : { رَّبّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ } وهو المدينة { وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ } وهو مكة .
2- وإن فسرنا تلك الآية بأن المراد منها أن اليهود حملوه على الخروج من المدينة والذهاب إلى الشام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ثم أمره الله بأن يرجع إليها كان المراد أنه عليه الصلاة والسلام عند العود إلى المدينة قال : { رَّبّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ } وهو المدينة { وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ } يعني أخرجني منها إلى مكة مخرج صدق أي افتحها لي .
3- { وَقُل رَّبّ أَدْخِلْنِى } في الصلاة { وَأَخْرِجْنِى } منها مع الصدق والإخلاص وحضور ذكرك والقيام بلوازم شكرك .
4- { وَقُل رَّبّ أَدْخِلْنِى } - في القيام بمهمات أداء دينك وشريعتك - { وَأَخْرِجْنِى } منها بعد الفراغ منها إخراجاً لا يبقى علي منها تبعة ربقية .
5- { وَقُل رَّبّ أَدْخِلْنِى } في بحار دلائل توحيدك وتنزيهك وقدسك ثم أخرجني من الاشتغال بالدليل إلى ضياء معرفة المدلول ومن التأمل في آثار حدوث المحدثات إلى الاستغراق في معرفة الأحد الفرد المنزه عن التكثيرات والتغيرات .
6- أدخلني في كل ما تدخلني فيه مع الصدق في عبوديتك والاستغراق بمعرفتك وأخرجني عن كل ما تخرجني عنه مع الصدق في العبودية والمعرفة والمحبة والمقصود منه أن يكون صدق العبودية حاصلاً في كل دخول وخروج وحركة وسكون .
7- أدخلني القبر مدخل صدق وأخرجني منه مخرج صدق .
مدخل بضم الميم مصدر كالإدخال يقال أدخلته مدخلاً كما قال : { وَقُل رَّبّ أَنزِلْنِى مُنزَلاً مُّبَارَكاً } [المؤمنون : 29] ومعنى إضافة المدخل والمخرج إلى الصدق مدحهما كأنه سأل الله تعالى إدخالاً حسناً وإخراجاً حسناً لا يرى فيهما ما يكره ثم قال تعالى : { واجعل لّى مِن لَّدُنْكَ سلطانا نَّصِيرًا } أي حجة بينة ظاهرة تنصرني بها على جميع من خالفني .

وبالجملة فقد سأل الله تعالى أن يرزقه التقوية على من خالفه بالحجة وبالقهر والقدرة ، وقد أجاب الله تعالى دعاءه وأعلمه بأنه يعصمه من الناس

فقال : { والله يَعْصِمُكَ مِنَ الناس } [المائدة : 67]

وقال : { أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الله هُمُ المفلحون } [المجادلة : 22]

وقال : { لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدين كُلِّهِ } [التوبة : 33]

ولما سأل الله النصرة بين الله له أنه أجاب دعاءه فقال : { وَقُلْ جَاء الحق } وهو دينه وشرعه { وَزَهَقَ الباطل } وهو كل ما سواه من الأديان والشرائع ، وزهق بطل واضمحل ، وأصله من زهقت نفسه تزهق أي هلكت ،

وعن ابن مسعود : « أنه دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل فجعل الصنم ينكب على وجهه » . وقوله : { إِنَّ الباطل كَانَ زَهُوقًا } يعني أن الباطل وإن اتفقت له دولة وصولة إلا أنها الا تبقى بل تزول على أسرع الوجوه ، والله أعلم .

القرطبي

وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً (80)

1- قِيلَ: الْمَعْنَى أَمِتْنِي إِمَاتَةَ صِدْقٍ، وَابْعَثْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَبْعَثَ صِدْقٍ، لِيَتَّصِلَ بِقَوْلِهِ:" عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً". كَأَنَّهُ لَمَّا وَعَدَهُ ذلك أمره أن يدعو لينجز له الْوَعْدَ.

2- وَقِيلَ: أَدْخِلْنِي فِي الْمَأْمُورِ وَأَخْرِجْنِي مِنَ الْمَنْهِيِّ.

3- وَقِيلَ: عَلَّمَهُ مَا يَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِهِ وَغَيْرِهَا مِنْ إِخْرَاجِهِ مِنْ بَيْنِ الْمُشْرِكِينَ وَإِدْخَالِهِ مَوْضِعَ الْأَمْنِ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ مَكَّةَ وَصَيَّرَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ. وَهَذَا الْمَعْنَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ فَنَزَلَتْ" وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً"

4- هُوَ خُرُوجُهُ مِنْ مَكَّةَ وَدُخُولُهُ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ آمِنًا.

5- حِينَ رَجَعَ مِنْ تَبُوكَ وَقَدْ قَالَ الْمُنَافِقُونَ:" لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ" يَعْنِي إِدْخَالَ عِزٍّ وَإِخْرَاجَ نَصْرٍ إِلَى مَكَّةَ.

6- وَقِيلَ: الْمَعْنَى أَدْخِلْنِي فِي الْأَمْرِ الَّذِي أَكْرَمْتَنِي بِهِ مِنَ النُّبُوَّةِ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مِنْهُ مُخْرَجَ صِدْقٍ إِذَا أَمَتَّنِي،

أ- وَالْمُدْخَلُ وَالْمُخْرَجُ (بِضَمِّ الْمِيمِ) بِمَعْنَى الْإِدْخَالِ وَالْإِخْرَاجِ، كَقَوْلِهِ:" أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبارَكاً " أَيْ إِنْزَالًا لَا أَرَى فِيهِ مَا أَكْرَهُ.

ب- " مدخل" و" مخرج". بِفَتْحِ الْمِيمَيْنِ بِمَعْنَى الدُّخُولِ وَالْخُرُوجِ

7- أَدْخِلْنِي الْقَبْرَ مُدْخَلَ صِدْقٍ عِنْدَ الْمَوْتِ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ عِنْدَ الْبَعْثِ.

8- وَقِيلَ: أَدْخِلْنِي حَيْثُمَا أَدْخَلْتَنِي بِالصِّدْقِ وَأَخْرِجْنِي بِالصِّدْقِ، أَيْ لَا تَجْعَلْنِي مِمَّنْ يَدْخُلُ بِوَجْهٍ وَيَخْرُجُ بِوَجْهٍ، فَإِنَّ ذَا الْوَجْهَيْنِ لَا يَكُونُ وَجِيهًا عِنْدَكَ.

9- وَقِيلَ: الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَا يُتَنَاوَلُ مِنَ الْأُمُورِ وَيُحَاوَلُ مِنَ الْأَسْفَارِ وَالْأَعْمَالِ، وَيُنْتَظَرُ مِنْ تَصَرُّفِ الْمَقَادِيرِ فِي الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ. فَهِيَ دُعَاءٌ، وَمَعْنَاهُ: رَبِّ أَصْلِحْ لِي وردي في كل الأمور

وقوله: (وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً) أَيْ حُجَّةً ثَابِتَةً. وَذَهَبَ الْحَسَنُ إِلَى أَنَّهُ الْعِزُّ وَالنَّصْرُ وَإِظْهَارُ دِينِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ.

الشعراوى

وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠)

قوله تعالى : { مُدْخَلَ صِدْقٍ . . }] أي : من حيث النظرة العامة؛ لأنك قبل أنْ تدخلَ اطلب الخروج أولاً؛ لأنك لن تدخلَ إلا بعد أنْ تخرجَ . وإنْ كان الترتيب الطبيعي أن تقول : أخرجني مُخْرَج صدق ، وأدخلني مُدْخَل صدق

نقول : لا ، لأن الدخول هو غاية الخروج ، ولأن الخروج متروك والدخول مستقبل لك ، إذن : الدخول هو الأهمّ فبدأ به . لذلك يقولون : إياك أنْ تخرجَ من أمر إلا إذا عرفتَ كيف تدخل .

ومعنى مخرجَ الصدق ، ومدخل الصدق ، أنك لا تدخل أو تخرج بدون هدف. إذن : **يكون دخولك لله وخروجك لله ، وهكذا خرج رسول الله من مكة ودخل المدينة**

16- معنى قوله تعالى (وأُمرت لأن أكون أول المسلمين)الزمر عن سيدنا محمد مع العلم أن الأنبياء قبله كانوا مسلمين

الإسلام هو دين الله وهو الدين من أول الأنبياء إلى يوم الدين وقد سبق في القرآن الكريم ذكر نوح وإبراهيم ولوط ومن اتبعهم بأنهم من المسلمين لكن دين الإسلام كإسلام أُطلق على ديننا وسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - هو أول من أسلم.

فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (72)يونس(قول نوح)

إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (91)النمل(قول محمد ص)

لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163)الانعام

وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (12)الزمر

وقوله تعالى : { وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ المسلمين } لا شبهة في أن المراد إني أول من تمسك بالعبادات التي أرسلت بها ، وفي هذه الآية فوائد

1- كأنه يقول إني لست من الملوك الجبابرة الذين يأمرون الناس بأشياء وهم لا يفعلون ذلك ، بل كل ما أمرتكم به فأنا أول الناس شروعاً فيه وأكثرهم مداومة عليه

2- أنه قال : { إِنّى أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ الله } والعبادة لها ركنان عمل القلب وعمل الجوارح ، وعمل القلب أشرف من عمل الجوارح ، فقدم ذكر الجزء الأشرف وهو قوله : { مُخْلِصاً لَّهُ الدين } ثم ذكر عقيبه الأدون وهو عمل الجوارح وهو الإسلام ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم فسر الإسلام في خبر جبريل عليه السلام بالأعمال الظاهرة ، وهو المراد بقوله في هذه الآية : { وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ المسلمين } وليس لقائل أن يقول ما الفائدة في تكرير لفظ { أُمِرْتُ } لأنا نقول ذكر لفظ { أُمِرْتُ } أولاً في عمل القلب وثانياً في عمل الجوارح ولا يكون هذا تكريراً .

٣- في قوله : { وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ المسلمين } التنبيه على كونه رسولاً من عند الله واجب الطاعة ، لأن أول المسلمين في شرائع الله لا يمكن أن يكون إلا رسول الله ، لأن أول من يعرف

تلك الشرائع والتكاليف هو الرسول المبلغ ، ولما بين الله تعالى أمره بالإخلاص بالقلب وبالأعمال المخصوصة ، وكان الأمر يحتمل الوجوب

الانعام

واعلم أنه تعالى قال : **{ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للَّهِ رَبّ العالمين }** فأثبت كون الكل لله ، والمحيا والممات كونهما لله أنهما حاصلان بخلق الله تعالى ، فكذلك أن يكون كون الصلاة والنسك لله مفسراً بكونهما واقعين بخلق الله ، وذلك من أدل الدلائل على أن طاعات العبد مخلوقة لله تعالى

أنه تعالى أمر رسوله أن يبين أن صلاته وسائر عباداته وحياته ومماته كلها واقعة بخلق الله تعالى ، وتقديره وقضاءه وحكمه ، ثم نص على أنه لا شريك له في الخلق ، والتقدير : ثم يقول وبذلك أمرت أي وبهذا التوحيد أمرت .

ثم يقول : { وَأَنَاْ أَوَّلُ المسلمين } أي المستسلمين لقضاء الله وقدره ، ومعلوم أنه ليس أولاً لكل مسلم ، فيجب أن يكون المراد كونه أولاً لمسلمي زمانه .

نوح ثم قال : { إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ عَلَى الله وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ المسلمين } وفيه قولان : الأول : أنكم سواء قبلتم دين الإسلام أو لم تقبلوا ، فأنا مأمور بأن أكون على دين الإسلام . والثاني : أني مأمور بالاستسلام لكل ما يصل إلي لأجل هذه الدعوة .

١٧- قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨١) الزخرف

قال الرازى

{ وَلَدَ } بضم الواو وإسكان اللام والباقون بفتحهما .

قوله { إِن كَانَ للرحمن وَلَدٌ فَأَنَاْ أَوَّلُ العابدين } قضية شرطية والقضية الشرطية مركبة من قضيتين خبريتين أدخل على إحداهما حرف الشرط وعلى الأخرى حرف الجزاء فحصل بمجموعها قضية واحدة ،

ومثاله هذه الآية فإن قوله { إِن كَانَ للرحمن وَلَدٌ فَأَنَاْ أَوَّلُ العابدين } قضية مركبة من قضيتين : إحداهما : قوله **{ قُلْ إِن كَانَ للرحمن وَلَدٌ }** ، والثانية : قوله **{ فَأَنَاْ أَوَّلُ * العابدين }**

1- ويكون المراد منه أنه إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين لذلك الولد وقد بينا أن هذا التركيب لا يدل على الاعتراف بإثبات ولد أم لا .

والمعنى أنه تعالى قال : { قُلْ } يا محمد { إِن كَانَ للرحمن وَلَدٌ فَأَنَاْ أَوَّلُ العابدين } لذلك الولد وأنا أول الخادمين له ، والمقصود من هذا الكلام بيان أنى لا أنكر ولده لأجل العناد والمنازعة بل الدليل القاطع قائم على عدمه فكيف أقول به وكيف أعترف بوجوده؟.

أما القائلون بأنه لا بد من التأويل فقد ذكروا وجوهاً

1- المعنى **{ إِن كَانَ للرحمن وَلَدٌ }** في زعمكم **{ فَأَنَاْ أَوَّلُ العابدين }** أي الموحدين لله المكذبين لقولكم بإضافة الولد إليه ، فأنا أول المنكرين له

2- إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين الآنفين من أن يكون له ولد

إن كان للرحمن ولد في نفس الأمر فأنا أول الآنفين من الإقرار به

3- إن كلمة(إن) ههنا هي النافية والتقدير ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولد له .

ثم قال سبحانه وتعالى : { سبحان رَبِّ السموات والأرض رَبِّ العرش عَمَّا يَصِفُونَ } والمعنى أن إله العالم يجب أن يكون واجب الوجود لذاته ، وكل ما كان كذلك فهو فرد مطلق لا يقبل التجزأ بوجه من الوجوه ، والولد عبارة عن أن ينفصل عن الشيء جزء من أجزائه فيتولد عن ذلك الجزء شخص مثله ، وهذا إنما يعقل فيما تكون ذاته قابلة للتجزىء والتبعيض ، وإذا كان ذلك محالاً في حق إله العالم امتنع إثبات الولد له ، ولما ذكر هذا البرهان القاطع قال : { **فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حتى يلاقوا يَوْمَهُمُ الذي يُوعَدُونَ** } والمقصود منه التهديد ، يعني قد ذكرت الحجة القاطعة على فساد ما ذكروا وهم لم يلتفتوا إليها لأجل كونهم مستغرقين في طلب المال والجاه والرياسة فاتركهم في ذلك الباطل واللعب حتى يصلوا إلى ذلك اليوم الذي وعدوا فيه بما وعدوا

ثم قال تعالى : { **وَهُوَ الذي فِي السماء إله وَفِي الأرض إله** } وفيه أبحاث

1- قال أبو علي نظرت فيما يرتفع به إله فوجدت ارتفاعه يصح بأن يكون خبر مبتدأ محذوف والتقدير وهو الذي في السماء هو إله .

2- هذه الآية من أدل الدلائل على أنه تعالى غير مستقر في السماء ، لأنه تعالى بيّن بهذه الآية أن نسبته إلى السماء بالإلهية كنسبته إلى الأرض ، فلما كان إلهاً للأرض مع أنه غير مستقر فيها فكذلك يجب أن يكون إلهاً للسماء مع أنه لا يكون مستقراً فيها ، فإن قيل وأي تعلق لهذا الكلام بنفي الولد عن الله تعالى؟ قلنا تعلقه به أنه تعالى خلق عيسى بمحض كن فيكون من غير واسطة النطفة والأب ، فكأنه قيل إن هذا القدر لا يوجب كون عيسى ولداً لله سبحانه ، لأن هذا المعنى حاصل في تخليق السموات والأرض وما بينهما من انتفاء حصول الولدية هناك .

ثم قال تعالى : { **وَهُوَ الحكيم العليم** } أن كونه تعالى حكيماً عليماً ينافي حصول الولد له .

ثم قال : { **وَتَبَارَكَ الذي لَهُ مُلْكُ السماوات والأرض وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ الساعة وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** } واعلم أن قوله تبارك إما أن يكون مشتقاً من الثبات والبقاء ، وإما أن يكون مشتقاً من كثرة الخير ، وعلى التقديرين فكل واحد من هذين الوجهين ينافي كون عيسى عليه السلام ولداً لله تعالى ،

لأنه إن كان المراد منه الثبات والبقاء فعيسى عليه السلام لم يكن واجب البقاء والدوام ، لأنه حدث بعد أن لم يكن ،

ثم عند النصارى أنه قتل ومات ومن كان كذلك لم يكن بينه وبين الباقي الدائم الأزلي مجانسة ومشابهة ، فامتنع كونه ولداً له ،

وإن كان المراد بالبركة كثرة الخيرات مثل كونه خالقاً للسموات والأرض وما بينهما فعيسى لم يكن كذلك بل كان محتاجاً إلى الطعام

وعند النصارى أنه كان خائفاً من اليهود وبالآخرة أخذوه وقتلوه ، فالذي هذا صفته كيف يكون ولدً لمن كان خالقاً للسموات والأرض وما بينهما!

<u>البقاعي</u>

{ قل إن كان للرحمن } أي العام الرحمة { ولد } على ما زعمتم ، والمراد به الجنس لادعائهم في الملائكة ، وغيرهم في غيرهم ، وقراءة حمزة والكسائي بضم ثم سكون على أنه جمع على إرادة الكثرة .

ولما كان المعنى : فأنا ما عبدت ذلك الولد ولا أعبده ، ولو شاء الرحمن ما تركت عبادته ، ولكنه شاء تركي لها وشاء فعلكم لها
أنه يعبد الله مخلصاً ولا يعبد غيره ، أنه لا يستحق اسم العبادة إلا ما كان له خالصاً ، فقال : { فأنا } أي في الرتبة { أول العابدين * } للرحمن ، العبادةَ التي هي العبادة ولا يستحق غيرها أن يسمى عبادة وهي الخالصة ، أي فأنا لا أعبد غيره لا ولداً ولا غيره ، ولم يشأ الرحمن لي أن أعبد الولد
أو يكون المعنى : أنا أول العابدين للرحمن على وجه الإخلاص ، لم أشرك به شيئاً أصلاً في وقت من الأوقات مما سميتموه ولداً أو شريكاً أو غيره ، ولو شاء ما عبدته على وجه الإخلاص ولولا أن عبادة غيره ممنوعة لشاءها لي ، ولو أن له ولداً لشاء لي عبادته ، فإن عموم رحمته لكافة خلقه لكونهم خلقه وخصوصها بي لكوني عبده خالصاً له يمنع على زعمكم من أن يشقيني وأنا أخلص له
وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن « أن » نافية بمعنى : ما ينبغي أي ما كان له ولد ، فإني أول من عبده رتبة وما علمت له ولداً ، ولو كان له ولد لعلمته فعبدته تقرباً إليه بعبادة ولده .

القشيري

قوله جل ذكره : { قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَاْ أَوَّلُ الْعَابِدِينَ } .
أي إن كان في ضميركم وفي حُكْمِكم وفي اعتقادكم أنَّ للرحمن ولداً فأنا أوَّلُ مَنْ يستنكِفُ من هذه القالة .

القرطبى

اخْتُلِفَ فِي مَعْنَاهُ،
فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْمَعْنَى مَا كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ "إِنْ" بِمَعْنَى مَا، وَيَكُونُ الْكَلَامُ عَلَى هَذَا تَامًّا، ثُمَّ تَبْتَدِئُ" فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ" أَيِ الْمُوَحِّدِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ عَلَى أَنَّهُ لَا وَلَدَ لَهُ. وَالْوَقْفُ عَلَى" الْعابِدِينَ" تَامٌّ.
وَقِيلَ: الْمَعْنَى قُلْ يَا مُحَمَّدُ إِنْ ثَبَتَ لِلَّهِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَعْبُدُ وَلَدَهُ، وَلَكِنْ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، وَهُوَ كَمَا تَقُولُ لِمَنْ تناظره: إن ثبت ما قلت بِالدَّلِيلِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَعْتَقِدُهُ، وَهَذَا مُبَالَغَةٌ فِي الِاسْتِبْعَادِ، أَيْ لَا سَبِيلَ إِلَى اعْتِقَادِهِ.
وَهَذَا تَرْقِيقٌ فِي الْكَلَامِ، كَقَوْلِهِ:" وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ" «2» [سبأ: 24].
وَالْمَعْنَى عَلَى هَذَا: فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ لِذَلِكَ الْوَلَدِ، لِأَنَّ تَعْظِيمَ الْوَلَدِ تَعْظِيمٌ لِلْوَالِدِ.
وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْمَعْنَى إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ عَبَدَهُ وَحْدَهُ، عَلَى أَنَّهُ لَا وَلَدَ لَهُ.
وَقَالَ السُّدِّيُّ أَيْضًا: الْمَعْنَى لَوْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ عَبَدَهُ، عَلَى أَنَّ لَهُ وَلَدًا وَلَكِنْ لَا يَنْبَغِي ذلك.
الطَّبَرِيِّ، لِأَنَّ كَوْنَهَا بِمَعْنَى مَا يُتَوَهَّمُ مَعَهُ أَنَّ الْمَعْنَى لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيمَا مَضَى. وَقِيلَ: إِنَّ مَعْنَى" الْعابِدِينَ" الْآنِفِينَ. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ الْعَبِدِينَ.
كَذَلِكَ قَرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَالْيَمَانِيُّ" فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِدِينَ" بِغَيْرِ أَلِفٍ، يُقَالُ، عَبِدَ يَعْبَدُ عبد ا (بِالتَّحْرِيكِ) إِذَا أَنِفَ وَغَضِبَ فَهُوَ عَبِدٌ، وَالِاسْمُ الْعَبَدَةُ مِثْلُ الْأَنَفَةِ،
قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو وَقَوْلُهُ تَعَالَى" فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ" مِنَ الْأَنَفِ وَالْغَضَبِ،

وَقَالَ الْهَرَوِيُّ: وَقَوْلُهُ تَعَالَى" فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ" قِيلَ هُوَ مِنْ عَبِدَ يَعْبَدُ، أَيْ مِنَ الْآنِفِينَ.
وَقَالَ ابْنُ عَرَفَةَ: إِنَّمَا يُقَالُ عَبِدَ يَعْبَدُ فَهُوَ عَبِدٌ، وَقَلَّمَا يُقَالُ عَابِدٌ، وَالْقُرْآنُ لَا يَأْتِي بِالْقَلِيلِ مِنَ اللُّغَةِ وَلَا الشَّاذِّ، وَلَكِنَّ الْمَعْنَى فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ لَا وَلَدَ لَهُ.
وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ:" فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ" أَيِ الْغِضَابُ الْآنِفِينَ. وَقِيلَ:" فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ" أَيْ أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَعْبُدُهُ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ مُخَالِفًا لَكُمْ. أَبُو عُبَيْدَةَ: مَعْنَاهُ الْجَاحِدِينَ، وَحَكَى: عَبَدَنِي حَقِّي أَيْ جَحَدَنِي «3».
وَقَرَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ إِلَّا عَاصِمًا" وُلْدٌ" بِضَمِّ الْوَاوِ وَإِسْكَانِ اللَّامِ
سُبْحانَ رَبِّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ" أَيْ تَنْزِيهًا لَهُ وَتَقْدِيسًا. نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْ كُلِّ مَا يَقْتَضِي الْحُدُوثَ، وَأَمَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالتَّنْزِيهِ." عَمَّا يَصِفُونَ" أَيْ عَمَّا يَقُولُونَ من الكذب.

١٨- { وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ } [التحريم : ٤]

{ لم تحرم ما أحل الله لك } : أي لم تحرم جاريتك مارية التي أحلها الله لك
{ تبتغي مرضات أزواجك } : أي بتحريمها .
{ قد فرض لكم تحلة أيمانكم } : أي شرع لكم تحليلها بالكفارة المذكورة في سورة المائدة .
{ وإذ أسر النبي الى بعض أزواجه } : هي حفصة بنت عمر رضي الله عنهما .
{ حديثا } : هو تحريم مارية وقوله لها لا تفشيه .
{ فلما نبأت به } : أي نبأت حفصة عائشة اي أختبرها به ظناً منها أنه لا حرج في ذلك باجتهادٍ
{ وأظهره الله عليه } : أي اطلعه عليه على المنبأ به .
{ عرف بعضه } : أي لحفصة .
{ وأعرض عن بعض } : أي تكرما منه صلى الله عليه وسلم .
{ إن تتوبا الى الله } : اي حفصة وعائشة رضي الله عنهما تقبل توبتكما .
{ فقد صغت قلوبكما } : أي مالت الى تحريم مارية أي سركما ذلك .
{ وإن تظاهرا عليه } : أي تتعاونا أي على النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكرهه .
{ فإن الله هو مولاه } : أي ناصره .
{ وصالح المؤمنين } : أي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما .
{ والملائكة بعد ذلك ظهير } : أي ظهراء وأعوان له .

من هداية الآيات :

1- تقرير نبوته صلى الله عليه وسلم وبشريته الكاملة .
2- أخذ الشافعي وأحمد رحمهما الله تعالى من هذه الآية أن من قال لزوجته أنت حرام أو حرمتك وهو لم ينو طلاقها أن عليه كفارة يمين لا غير
3- كرامة الرسول صلى الله عليه وسلم على ربه .
4- فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

19- إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَّ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦)

هذا خطاب لسيدنا رسول الله ، خاصٌّ بدعوته لعمه أبي طالب الذي ظلَّ على دين قومه ، ولكنه كان يحمي رسول الله حماية عصبية قربى وأهل ، لا محبة في الإسلام ، ولله تعالى حكمة في أنْ يظلَّ أبو طالب على الكفر؛ لأنه بذلك كسب قريشاً ونال احترامهم ، حيث أعجبهم عدم إيمانه بمحمد وعدم مجاملته له ، وأعجبهم أن يظل على دين الآباء ، فاحترموا حمايته لابن أخيه ، وهذا منع عن رسول الله إيذاءهم ، وحمى الدعوة من كثير من الاعتداءات عليها .

لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً على أنْ يردَّ له هذا الجميل ، وردُّ رسول الله للجميل لا يكون بعرَض من الدنيا ، إنما بشيء باقٍ خالد ، فلما حضرت أبا طالب الوفاة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عم ، قُلْ لا إله إلا الله كلمة أشفع لك بها عند الله يوم القيامة » فقال : يا ابن أخي ، لولا أن قريشاً تُعيِّرني بهذه الواقعة ، ويقولون ما آمن إلا جزعاً من الموت لأقررت عينك بها .

لكن يُروى أنه بعدما انتقل أبو طالب ، جاء العباس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : يا محمد ، إن الكلمة التي طلبتَ من عمِّك أنْ يقولها قالها قبل أن يموت وأنا أشهد بها .

ونلاحظ هنا دقة الأداء من العباس ، حيث لم يقُلْ : إن هذه الكلمة لا إله إلا الله ، بل سماها (الكلمة) لماذا؟ لأنه لم يكن قد أسلم بعد .

إذن : الهداية المنفية عن سيدنا رسول الله { إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ . . . } [القصص : 56] هي هداية المعونة والتوفيق للإيمان؛ لأنه صلى الله عليه وسلم هدى الجميع هداية الدلالة والإرشاد ، وكان مما قال : { ياأيها الذين آمَنُواْ هَلْ أَدُلُّكمْ على تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ } [الصف : 10] .

فهداية الدلالة صدرت أولاً عن الله تعالى ، ثم بالبلاغ من رسوله صلى الله عليه وسلم ثانياً .

<u>٢٠- مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠)</u>

فرحكم برسول الله كرسول أَوْلَى من فرحكم به كأب ، وإلاَّ فما أكثر من لهم آباء ، وهم أشقياء في الحياة لا قيمة لهم .

وقوله { مَّا كَانَ . . . } النفي هنا يفيد الجحود ، فهو ينكر ويجحد أنْ يكون محمداً أباً لأحد من رجالكم ، وتأمل عظمة الأداء القرآني في كلمة { مِّن رِّجَالِكُمْ . . . } ولم يَقُلْ مثلاً أبا أحد منكم ، لماذا؟ قالوا : لأنه صلى الله عليه وسلم كان أباً لعبد الله وللقاسم ولإبراهيم ، وكانوا جميعاً منهم ، وهو صلى الله عليه وسلم أبوهم ، فجاءت كلمة { رِّجَالِكُمْ . . . } لتُخرج هؤلاء الثلاثة؛ لأنهم لم يبلُغوا مبلغ الرجال ، فمحمد ما كان أبداً أبا أحد من الرجال ، وإنْ كان أباً لأولاد صغار لم يصلوا إلى مرحلة الرجولة

وقوله { ولكن . . . } أي : أهم من أُبوَّته أن يكون رسول الله { ولكن رَّسُولَ الله . . . } ليس هذا فحسب ، ولكن أيضاً { وَخَاتَمَ النبيين . . . }

<u>مِنْ رِجَالِكُمْ</u>

أَنَّ الرَّجُلَ فِي الِاسْتِعْمَالِ يَدْخُلُ فِي مَفْهُومِهِ الْكِبَرُ وَالْبُلُوغُ وَلَمْ يَكُنْ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابْنٌ كَبِيرٌ يُقَالُ إِنَّهُ رَجُلٌ وَالثَّانِي: هُوَ أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: مِنْ رِجالِكُمْ وَوَقْتَ الْخِطَابِ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ ذَكَرٌ

21- النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ(الاحزاب٦)

الشعراوى

ويقولون : أوطان الناس تختلف باختلاف هِمَمها ، فرجل وطنه نفسه ، فيرى كل شيء لنفسه ، ولا يرى نفسه لأحد ، ورجل وطنه أبناؤه وأهله ، ورجل يتعدَّى الأصول إلى الفروع ، ورجل وطنه بلده أو قريته ، ورجل وطنه العالم كله والإنسانية كلها .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم تعدَّى خيره إلى الإنسانية كلها على وجه العموم ، والمؤمنين على وجه الخصوص؛ لذلك « كان صلى الله عليه وسلم إذا مات الرجل من أمته وعليه دَيْن ، وليس عنده وفاء لا يُصلِّي عليه ويقول : (صَلُّوا على أخيكم).

فلما نزل قوله تعالى : { النبي أولى بالمؤمنين مِنْ أَنْفُسِهِمْ . . } [الأحزاب : 6] صار رسول الله يتحمل الدَّيْن عمَّنْ يموت من المسلمين وهو مدين ، ويؤدي عنه رسول الله

ثم ألم يَقُلْ سيدنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ◌َ أمام عمر: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من: نفسه، وماله، والناس أجمعين» ولصدْق عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْه - مع نفسه قال: نعم يا رسول الله، أنت احبُّ إليَّ من أهلي ومالي، لكن نفسي.

. فقال النبي صلى الله عليه السلام: «والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه» فلما رأى عمر أن المسألة عزيمة فَطِن إلى الجواب الصحيح، فلا بُدَّ أن الله أنطق رسوله بحُبٍّ غير الحبَ الذي أعرفه، إنه الحب العقلي، فمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ◌َ أحبُّ إليه من نفسه، والإنسان حين يحب الدواء

٢٢- لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) الاحزاب

، فهو صلى الله عليه وسلم ظرف للأسْوة الحسنة في كل عضو فيه صلى الله عليه وسلم ، ففي لسانه أُسْوة حسنة ، وفي عينه أُسْوة حسنة ، وفي يده أُسْوة حسنة . . إلخ ، كله صلى الله عليه وسلم أُسْوة حسنة

٢٣-إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)الاحزاب

هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣)الاحزاب

وَالصَّلَاةُ مِنَ اللهِ رَحْمَةٌ وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ اسْتِغْفَارٌ

وَقَالَ تَعَالَى: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} [الْبَقَرَة: ١٥٥-١٥٧]

سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا صَلَّى عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ".

من صلى على مرة صلى الله عليه عشرا
ومن صلى على عشرة صلى الله عليه مائة
اذن الصلاة على النبى ص من المؤمنون تجعل الله تعالى يصلى عليهم ومن ثم فيخرجهم من الظلمات الى النور

الرازى

إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً (٥٦)
هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ جَعَلَ الصَّلَاةَ لِلَّهِ وعطف الملائكة على الله، وهاهنا جَمَعَ نَفْسَهُ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَسْنَدَ الصَّلَاةَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: يُصَلُّونَ وَفِيهِ تَعْظِيمُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهَذَا لِأَنَّ إِفْرَادَ الْوَاحِدِ بِالذِّكْرِ وَعَطْفَ الْغَيْرِ عَلَيْهِ يُوجِبُ تَفْضِيلًا لِلْمَذْكُورِ عَلَى الْمَعْطُوفِ
فَقَالَ فِي حَقِّ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّهُمْ يُصَلُّونَ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَالْأَصْلِ وَفِي الصَّلَاةِ عَلَى المؤمنين
اللَّهُ يَرْحَمُهُمْ، ثُمَّ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُوَافِقُونَهُ فَهُمْ فِي الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُصَلُّونَ بِالْإِضَافَةِ كَأَنَّهَا وَاجِبَةٌ عَلَيْهِمْ أَوْ مَنْدُوبَةٌ سَوَاءٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَوْ لَمْ يُصَلِّ وَفِي الْمُؤْمِنِينَ لَيْسَ كَذَلِكَ.
إِذَا صَلَّى اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ عَلَيْهِ فَأَيُّ حَاجَةٍ إِلَى صَلَاتِنَا؟ نَقُولُ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ لَيْسَ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهَا وَإِلَّا فَلَا حَاجَةَ إِلَى صَلَاةِ الْمَلَائِكَةِ مَعَ صَلَاةِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا هُوَ لِإِظْهَارِ تَعْظِيمِهِ، كَمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْجَبَ عَلَيْنَا ذِكْرَ نَفْسِهِ وَلَا حَاجَةَ لَهُ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا هُوَ لِإِظْهَارِ تَعْظِيمِهِ مِنَّا شَفَقَةً عَلَيْنَا لِيُثِيبَنَا عَلَيْهِ، وَلِهَذَا
قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا» .
لَمْ يَتْرُكِ اللَّهُ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَحْتَ مِنَّةِ أُمَّتِهِ بِالصَّلَاةِ حَتَّى عَوَّضَهُمْ مِنْهُ بِأَمْرِهِ بِالصَّلَاةِ عَلَى الْأُمَّةِ حَيْثُ قَالَ: وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ [التَّوْبَةِ: ١٠٣] وَقَوْلُهُ: وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً أَمْرٌ فَيَجِبُ وَلَمْ يَجِبْ فِي غَيْرِ الصَّلَاةِ فَيَجِبُ فِيهَا وَهُوَ قَوْلُنَا السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ فِي التَّشَهُّدِ وَهُوَ حُجَّةٌ عَلَى مَنْ قَالَ بِعَدَمِ وُجُوبِهِ وَذَكَرَ الْمَصْدَرَ لِلتَّأْكِيدِ لِيُكْمِلَ السَّلَامَ عَلَيْهِ وَلَمْ يُؤَكِّدِ الصَّلَاةَ بِهَذَا التَّأْكِيدِ لِأَنَّهَا كَانَتْ مُؤَكَّدَةً بِقَوْلِهِ: إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ.

القرطبى

وَالصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ رَحْمَتُهُ وَرِضْوَانُهُ، وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ وَالِاسْتِغْفَارُ، وَمِنَ الْأُمَّةِ الدُّعَاءُ وَالتَّعْظِيمُ لِأَمْرِهِ.
وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ:" يُصَلُّونَ" فَقَالَتْ فِرْقَةٌ: الضَّمِيرُ فِيهِ لِلَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَهَذَا قَوْلٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى شَرَّفَ بِهِ مَلَائِكَتَهُ
قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِالصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُونَ أَنْبِيَائِهِ تَشْرِيفًا لَهُ،
وروى أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:" إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ" فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (هَذَا مِنَ الْعِلْمِ الْمَكْنُونِ وَلَوْلَا أَنَّكُمْ سَأَلْتُمُونِي عَنْهُ مَا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَكَّلَ بِي مَلَكَيْنِ فَلَا أُذْكَرُ عِنْدَ مُسْلِمٍ فَيُصَلِّي عَلَيَّ إِلَّا قَالَ ذَلِكَ الْمَلَكَانِ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَلَائِكَتُهُ جَوَابًا لِذَيْنِكَ الْمَلَكَيْنِ آمِينَ. وَلَا أُذْكَرُ. عِنْدَ عَبْدٍ مُسْلِمٍ فَلَا يُصَلِّي عَلَيَّ إِلَّا قَالَ ذَلِكَ الْمَلَكَانِ لَا غَفَرَ اللَّهُ لَكَ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَلَائِكَتُهُ لِذَيْنِكَ الْمَلَكَيْنِ آمِينَ

فَبَيَّنَ كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ وَعَلَّمَهُمْ فِي التَّحِيَّاتِ كَيْفَ السَّلَامُ عَلَيْهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: (السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ) .

الصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ الْعِبَادَاتِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَوَلَّاهَا هُوَ وَمَلَائِكَتُهُ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا الْمُؤْمِنِينَ، وَسَائِرُ الْعِبَادَاتِ لَيْسَ كَذَلِكَ.

رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالْبِشْرُ يُرَى فِي وَجْهِهِ، فَقُلْتُ: إِنَّا لَنَرَى الْبُشْرَى فِي وَجْهِكَ! فَقَالَ: (إِنَّهُ أَتَانِي الْمَلَكُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ أَمَا يُرْضِيكَ أَنَّهُ لَا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا

النسفي

قولوا اللهم صل على محمد أو صلى الله على محمد {وَسَلّمُواْ تَسْلِيماً} أي قولوا اللهم سلم على محمد أو انقادوا لأمره وحكمه انقياداً

ابن كثير

صَلَاةُ اللَّهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ: الدُّعَاءُ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُصَلُّونَ: يبرّكون.

{إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ} قَالَ: صَلَاتُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: سُبّوح قُدُّوسٌ، سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي.

وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ عِبَادَهُ بِمَنْزِلَةِ عَبْدِهِ وَنَبِيِّهِ عِنْدَهُ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، بِأَنَّهُ يُثْنِي عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي عَلَيْهِ. ثُمَّ أَمَرَ تَعَالَى أَهْلَ الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ، لِيَجْتَمِعَ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِينَ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ جَمِيعًا.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالُوا لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَلْ يُصَلِّي رَبُّكَ؟ فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا مُوسَى، سَأَلُوكَ: "هَلْ يُصَلِّي رَبُّكَ؟ " فَقُلْ: نَعَمْ، إِنَّمَا أُصَلِّي أَنَا وَمَلَائِكَتِي عَلَى أَنْبِيَائِي وَرُسُلِي.

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَجَدْتَ سَجْدَةً خَشِيتُ أَنْ [يَكُونَ] اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، قَبَضَ نَفْسَكَ فِيهَا. فَقَالَ: "إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي فَبَشَّرَنِي أَنَّ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُ لَكَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ -فسجدتُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، شُكْرًا"

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي فَقَالَ لِي: مَا مِنْ عبد يصلي عليك صلاة إلا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا". فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا أَجْعَلُ نِصْفَ دُعَائِي لَكَ؟ قَالَ: "إِنْ شِئْتَ". قَالَ: أَلَا أَجْعَلُ ثُلُثَيْ دُعَائِي لَكَ؟ قَالَ: "إِنْ شِئْتَ". قَالَ: أَلَا أَجْعَلُ دُعَائِي لَكَ كُلَّهُ؟ قَالَ: "إِذَنْ يَكْفِيكَ اللَّهُ هَمَّ الدُّنْيَا وَهَمَّ الْآخِرَةِ".

٢٤- الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157)

فهذه تسع صفات لسيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهي

1- أن الله أوحى إليه كتابًا مختصاً به وهو القرآن

2- وأنه صاحب المعجزات

3- أنه بلّغ ونبأ بأفضل وأتم العقائد والعبادات والأخلاق
4- وهو - عليه الصلاة والسلام - الأمي الذي لم يمارس القراءة والكتابة ولم يجلس إلى معلم ، فهو - عليه السلام - باقٍ على الحالة التي ولد عليها
5- وقد ذكره ربّه - جل وعلا - باسمه وصفاته ونعوته عند اليهود والنصارى في التوارة والإنجيل وقد كتمها الكافرون منهم أو أساءوا تأويلها
6- كما وصفه ربه بأنه يأمرهم بالمعروف ويكلفهم بفعل ما تدعوا إليه الطبائع المستقيمة والفطر السليمة؛ لأن في ذلك النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة
7- وأنه - صلى الله عليه وسلم - يزجرهم وينهاهم عن كل منكر مستهجن تستقبحه الجبلة القويمة ، والخلقة السوية
8- ويحل لهم ما حرم عليهم من الطيبات التي منعوا منها وحظرها الله عليهم جزاء طغيانهم وضلالهم ، ويحرم عليهم كل ضار وخبيث : كأكل الميتة والمال الحرام من الربا والرشوة والغش
9- ويخفف عنهم ما شق عليهم وثقل من التكاليف التي كانت في شريعة موسى - عليه السلام - كقطع الأعضاء الخاطئة وتحريم الغنائم عليهم ووجوب إحراقها ، وكذلك يخفف الله ويحط عنهم المواثيق الشديدة التي فرضت عليهم عقابا لهم على فسوقهم وظلمهم .

٢٥- قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤)

الحق سبحانه وتعالى يعطينا صورة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . أنه يحب ويشتاق أن يتجه إلى الكعبة بدلا من بيت المقدس . . وكان عليه الصلاة والسلام قد اعتاد أن يأتيه الوحي من علو . . فكأنه صلى الله عليه وسلم كان يتجه ببصره إلى السماء مكان إيتاء الوحي . . ولا يأتي ذلك إلا إذا كان قبله متعلقا بأن يأتيه الوحي بتغيير القبلة . . فكأن هذا أمر شغله .
قال الله تعالى : { فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجد الحرام } . . والمراد بالوجه هو الذات كلها وكلمة شطر معناها الجهة ، والشطر معناه النصف ..

٢٦-{لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}
لَمْ يَكُنْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَنْبٌ، فَمَاذَا يُغْفَرُ لَهُ؟
١-الْمُرَادُ ذَنْبُ الْمُؤْمِنِينَ
٢- الْمُرَادُ تَرْكُ الْأَفْضَلِ
٣- الصَّغَائِرُ فَإِنَّهَا جَائِزَةٌ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِالسَّهْوِ وَالْعَمْدِ، وَهُوَ يَصُونُهُمْ عَنِ الْعُجْبِ
٤- الْمُرَادُ الْعِصْمَةُ، وَقَدْ بَيَّنَّا وَجْهَهُ فِي سُورَةِ الْقِتَالِ.

قَوْلِهِ وَمَا تَأَخَّرَ
نَقُولُ فِيهِ وُجُوهٌ
١- أَنَّهُ وَعَدَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُ لَا يُذْنِبُ بَعْدَ النُّبُوَّةِ

٢- مَا تَقَدَّمَ عَلَى الْفَتْحِ، وَمَا تَأَخَّرَ عَنِ الْفَتْح
٣- الْعُمُومُ يُقَالُ اضْرِبْ مَنْ لَقِيتَ وَمَنْ لَا تَلْقَاهُ، مَعَ أَنَّ مَنْ لَا يَلْقَى لَا يُمْكِنُ ضَرْبُهُ إِشَارَةً إِلَى الْعُمُومِ
٤- مِنْ قَبْلِ النُّبُوَّةِ وَمِنْ بَعْدِهَا، وَعَلَى هَذَا فَمَا قَبْلَ النُّبُوَّةِ بِالْعَفْوِ وَمَا بَعْدَهَا بِالْعِصْمَةِ،
وقيل مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَمْرِ مَارِيَةَ، وَمَا تَأَخَّرَ مِنْ أَمْرِ زَيْنَبَ

٢٧- وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ يَحْتَمِلُ وُجُوهًا:

١- هُوَ أَنَّ التَّكَالِيفَ عِنْدَ الْفَتْحِ تَمَّتْ حَيْثُ وَجَبَ الْحَجُّ، وَهُوَ آخِرُ التَّكَالِيفِ، وَالتَّكَالِيفُ نِعَمٌ
٢- يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ بِإِخْلَاءِ الْأَرْضِ لَكَ عَنْ مُعَانِدِيكَ
القرطبي
لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ
" فَقِيلَ:" مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ" قَبْلَ الرِّسَالَةِ." وَما تَأَخَّرَ" بَعْدَهَا
هُوَ رَاجِعٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى" إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ- إلى قوله- تَوَّاباً" [النصر: ٣- ١] ."
لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ" قَبْلَ الرِّسَالَةِ" وَما تَأَخَّرَ" إِلَى وَقْتِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ

" لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ"

١-مَا عَمِلْتَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُوحَى إِلَيْكَ." وَما تَأَخَّرَ" كُلُّ شَيْءٍ لَمْ تَعْمَلْهُ
٢- مَا تَقَدَّمَ" قَبْلَ الْفَتْحِ." وَما تَأَخَّرَ" بَعْدَ الْفَتْحِ.
٣- وَقِيلَ:" مَا تَقَدَّمَ" قَبْلَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ." وَما تَأَخَّرَ" بَعْدَهَا.
٤- وقيل:" مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ" يَعْنِي مِنْ ذَنْبِ أَبَوَيْكَ آدَمَ وَحَوَّاءَ." وَما تَأَخَّرَ" مِنْ ذُنُوبِ أُمَّتِكَ.
٥- وَقِيلَ: مِنْ ذَنْبِ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ." وَما تَأَخَّرَ" مِنْ ذُنُوبِ النَّبِيِّينَ.
٦- وَقِيلَ:" مَا تَقَدَّمَ" مِنْ ذَنْبِ يَوْمِ بَدْرٍ." وَما تَأَخَّرَ" مِنْ ذَنْبِ يَوْمِ حُنَيْنٍ. وَذَلِكَ أَنَّ الذَّنْبَ الْمُتَقَدِّمَ يَوْمَ بَدْرٍ، أَنَّهُ جَعَلَ يَدْعُو وَيَقُولُ:" اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ أَبَدًا" وَجَعَلَ يُرَدِّدُ هَذَا الْقَوْلَ دَفَعَاتٍ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ أَيْنَ تَعْلَمُ أَنِّي لَوْ أَهْلَكْتُ هَذِهِ الْعِصَابَةَ لَا أُعْبَدُ أَبَدًا، فَكَانَ هَذَا الذَّنْبُ الْمُتَقَدِّمُ.
وَأَمَّا الذَّنْبُ الْمُتَأَخِّرُ فَيَوْمَ حُنَيْنٍ، لَمَّا انْهَزَمَ النَّاسُ قَالَ لِعَمِّهِ الْعَبَّاسِ وَلِابْنِ عَمِّهِ أَبِي سُفْيَانَ: نَاوِلَانِي كَفًّا مِنْ حَصْبَاءِ الْوَادِي فَنَاوَلَاهُ فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ وَرَمَى بِهِ فِي وُجُوهِ الْمُشْرِكِينَ وَقَالَ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ. حم. لَا يُنْصَرُونَ فَانْهَزَمَ الْقَوْمُ عَنْ آخِرِهِمْ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلَّا امْتَلَأَتْ عَيْنَاهُ رَمْلًا وَحَصْبَاءَ. ثُمَّ نَادَى فِي أَصْحَابِهِ فَرَجَعُوا فَقَالَ لَهُمْ عِنْدَ رُجُوعِهِمْ: لَوْ لَمْ أَرْمِهِمْ لَمْ يَنْهَزِمُوا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ"وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللَّهَ رَمى " [الأنفال: ١٧] فَكَانَ هَذَا هُوَ الذَّنْبُ الْمُتَأَخِّرُ.
٧- وقيل لَوْ كَانَ لَكَ ذَنْبٌ قَدِيمٌ أَوْ حَدِيثٌ لَغَفَرْنَاهُ لَكَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى:" وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ

" قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فِي الْجَنَّةِ.
وَقِيلَ: بِالنُّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ.
وَقِيلَ: بِفَتْحِ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ وَخَيْبَرَ.
وَقِيلَ: بِخُضُوعِ مَنِ اسْتَكْبَرَ وَطَاعَةِ مَنْ تَجَبَّرَ.

" **وَيَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقِيماً"** أَيْ يُثَبِّتُكَ عَلَى الْهُدَى إِلَى أَنْ يَقْبِضَكَ إِلَيْهِ." **وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً"** أَيْ غَالِبًا مَنِيعًا لاَ يتبعه ذل.

ابن كثير

النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي حَتَّى تَرِمَ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: "أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا".

وَقَوْلُهُ: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} : هَذَا مِنْ خَصَائِصِهِ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ-الَّتِي لا يشاركه فيها غيره. وليس صحيح فِي ثَوَابِ الأَعْمَالِ لِغَيْرِهِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. وَهَذَا فِيهِ تَشْرِيفٌ عَظِيمٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ-فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْبِرِّ وَالاِسْتِقَامَةِ الَّتِي لَمْ يَنَلْهَا بَشَرٌ سِوَاهُ، لاَ مِنَ الأَوَّلِينَ وَلاَ مِنَ الآخِرِينَ، وَهُوَ أَكْمَلُ الْبَشَرِ عَلَى الإِطْلاَقِ، وَسَيِّدُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَلَمَّا كَانَ أَطْوَعَ خَلْقِ اللَّهِ لِلَّهِ، وَأَكْثَرَهُمْ تَعْظِيمًا لأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ.

28- الاستغفار

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (٦٤)النساء

الرازى

وَمَا أَرْسَلْتُ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا وَأَنَا مُرِيدٌ أَنْ يُطَاعَ وَيُصَدَّقَ وَلَمْ أُرْسِلْهُ لِيُعْصَى.

الْآيَةُ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يُوجَدُ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ وَالْعِصْيَانِ إِلَّا بِإِرَادَةِ اللَّه تَعَالَى، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: إِلَّا لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ

الآيَةُ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّهُ لاَ رَسُولَ إِلاَّ وَمَعَهُ شَرِيعَةٌ لِيَكُونَ مُطَاعًا فِي تِلْكَ الشَّرِيعَةِ وَمَتْبُوعًا فِيهَا، إِذْ لَوْ كَانَ لاَ يَدْعُو إِلاَّ إِلَى شَرْعِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ لَمْ يَكُنْ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مُطَاعًا، بَلْ كَانَ الْمُطَاعُ هُوَ الرَّسُولُ الْمُتَقَدِّمُ الَّذِي هُوَ الْوَاضِعُ لِتِلْكَ الشَّرِيعَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى حَكَمَ عَلَى كُلِّ رَسُولٍ بِأَنَّهُ مُطَاعٌ.

الآيَةُ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ الأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ مَعْصُومُونَ عَنِ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ لأَنَّهَا دَلَّتْ عَلَى وُجُوبِ طَاعَتِهِمْ مُطْلَقًا، فَلَوْ أَتَوْا بِمَعْصِيَةٍ لَوَجَبَ عَلَيْنَا الاِقْتِدَاءُ بِهِمْ فِي تِلْكَ الْمَعْصِيَةِ

الْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ عند ما ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالتَّحَاكُمِ إِلَى الطَّاغُوتِ وَالْفِرَارِ مِنَ التَّحَاكُمِ إِلَى الرَّسُولِ جَاءُوا الرَّسُولَ وَأَظْهَرُوا النَّدَمَ عَلَى مَا فَعَلُوهُ وَتَابُوا عَنْهُ وَاسْتَغْفَرُوا مِنْهُ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ بِأَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَهَا لَهُمْ عِنْدَ تَوْبَتِهِمْ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا

لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: أَلَيْسَ لَوِ اسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَتَابُوا عَلَى وَجْهٍ صَحِيحٍ لَكَانَتْ تَوْبَتُهُمْ مَقْبُولَةً، فَمَا الْفَائِدَةُ فِي ضَمِّ اسْتِغْفَارِ الرَّسُولِ إِلَى اسْتِغْفَارِهِمْ؟

الْجَوَابُ

١ـ أَنَّ ذَلِكَ التَّحَاكُمَ إِلَى الطَّاغُوتِ كَانَ مُخَالَفَةً لِحُكْمِ اللَّهِ، وَكَانَ أَيْضًا إِسَاءَةً إِلَى الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَإِدْخَالاً لِلْغَمِّ فِي قَلْبِهِ، وَمَنْ كَانَ ذَنْبُهُ كَذَلِكَ وَجَبَ عَلَيْهِ الاِعْتِذَارُ عَنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ لِغَيْرِهِ، فَلِهَذَا الْمَعْنَى وَجَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَطْلُبُوا مِنَ الرَّسُولِ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُمْ.

٢- أنَّ الْقَوْمَ لَمَّا لَمْ يَرْضَوْا بِحُكْمِ الرَّسُولِ ظهر منهم ذلك التمرد، فَإِذَا تَابُوا وَجَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَفْعَلُوا مَا يُزِيلُ عَنْهُمْ ذَلِكَ التَّمَرُّدَ، وَمَا ذَاكَ إِلاَّ بِأَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَطْلُبُوا مِنْهُ الاِسْتِغْفَارَ.

٣- لَعَلَّهُمْ إِذَا أَتَوْا بِالتَّوْبَةِ أَتَوْا بِهَا عَلَى وَجْهِ الْخَلَلِ، فَإِذَا انْضَمَّ إِلَيْهَا اسْتِغْفَارُ الرَّسُولِ صَارَتْ مُسْتَحِقَّةً لِلْقَبُولِ واللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ وَلَمْ يَقُلْ وَاسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ إِجْلاَلاً لِلرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَأَنَّهُمْ إِذَا جَاءُوهُ فَقَدْ جَاءُوا مَنْ خَصَّهُ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَأَكْرَمَهُ بِوَحْيِهِ وَجَعَلَهُ سَفِيرًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَرُدُّ شَفَاعَتَهُ، فَكَانَتِ الْفَائِدَةُ فِي الْعُدُولِ عَنْ لَفْظِ الْخِطَابِ إِلَى لَفْظِ الْمُغَايَبَةِ مَا ذَكَرْنَاهُ.

٢٩-{ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } الأنفال : ٣٣

القرطبي

قِيلَ: إِنَّ الاِسْتِغْفَارَ هُنَا يُرَادُ بِهِ الإِسْلاَمُ. أَيْ" وَما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ" أَيْ يُسْلِمُونَ، وَقِيلَ:" وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ" أَيْ فِي أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

وَقِيلَ: مَعْنَى" يَسْتَغْفِرُونَ" لَوِ اسْتَغْفَرُوا. أَيْ لَوِ اسْتَغْفَرُوا لَمْ يُعَذَّبُوا. اسْتَدْعَاهُمْ إِلَى الاِسْتِغْفَارِ، عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْرِفًا عَلَى نَفْسِهِ، لَمْ يَكُنْ يَتَحَرَّجُ، فَلَمَّا أَنْ تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبِسَ الصُّوفَ وَرَجَعَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ، وَأَظْهَرَ الدِّينَ وَالنُّسُكَ. فَقِيلَ لَهُ: لَوْ فَعَلْتَ هَذَا وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ لَفَرِحَ بِكَ. قَالَ: كَانَ لِي أَمَانَانِ، فَمَضَى وَاحِدٌ وَبَقِيَ الآخَرُ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:" وَما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ" فَهَذَا أَمَانٌ. وَالثَّانِي" وَما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ".

الرازي

أَنَّ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مَا دَامَ يَكُونُ حَاضِرًا مَعَهُمْ، فَإِنه تَعَالَى لاَ يَفْعَلُ بِهِمْ ذَلِكَ تَعْظِيمًا لَهُ

وَهَذَا أَيْضًا عَادَةُ اللَّهِ مَعَ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يُعَذِّبْ أَهْلَ قَرْيَةٍ إِلاَّ بَعْدَ أَنْ يَخْرُجَ رَسُولُهُمْ مِنْهَا، كَمَا كَانَ فِي حَقِّ هُودٍ وَصَالِحٍ وَلُوطٍ.

١- قِيلَ: لَمَّا كَانَ حُضُورُهُ فِيهِمْ مَانِعًا مِنْ نُزُولِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ، عَذَابُ الاِسْتِئْصَالِ

٢- وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَ هَؤُلاَءِ الْكُفَّارِ وَفِيهِمْ مُؤْمِنُونَ يَسْتَغْفِرُونَ وَالْمُرَادُ بَعْضُهُمْ.

٣- وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَ هَؤُلاَءِ الْكُفَّارِ، وَفِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ يَكُونُ لَهُمْ أَوْلاَدٌ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ، فَوُصِفُوا بِصِفَةِ أَوْلاَدِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ.

٤- وَما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ أَيْ لَوِ اسْتَغْفَرُوا لَمْ يُعَذَّبُوا، فَكَانَ الْمَطْلُوبُ مِنْ ذِكْرِ هَذَا الْكَلاَمِ اسْتِدْعَاءَ الاِسْتِغْفَارِ مِنْهُمْ. أَيْ لَوِ اشْتَغَلُوا بِالاِسْتِغْفَارِ لَمَا عَذَّبَهُمُ اللَّهُ. وَلِهَذَا ذَهَبَ بعضهم إلى أن الاستغفار هاهنا بِمَعْنَى الإِسْلاَمِ

30- تحكيم الرسول

لاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)النساء

وهذا تكريم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودليل على أن محمداً عليه الصلاة والسلام ذو منزلة عالية

الرازى

فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ قَسَمٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَنَّهُمْ لا يَصِيرُونَ مَوْصُوفِينَ بِصِفَةِ الْإِيمَانِ إِلَّا عِنْدَ حُصُولِ شَرَائِطَ:

1- قَوْلُهُ تَعَالَى: حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ الرَّسُولِ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا.

وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ يَتَمَسَّكُ بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي بَيَانِ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بِإِرْشَادِ النَّبِيِّ الْمَعْصُومِ قَالَ:

لِأَنَّ قَوْلَهُ: لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ تَصْرِيحٌ بِأَنَّهُ لَا يَحْصُلُ لَهُمُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِأَنْ يَسْتَعِينُوا بِحُكْمِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي كُلِّ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَلَزِمَ بِحُكْمِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ لَا يَحْصُلُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِحُكْمِهِ وَإِرْشَادِهِ وَهِدَايَتِهِ، وَحَقَّقُوا ذَلِكَ بِأَنَّ عُقُولَ أَكْثَرِ الْخَلْقِ نَاقِصَةٌ وَغَيْرُ وَافِيَةٍ بِإِدْرَاكِ هَذِهِ الْحَقَائِقِ؟ وَعَقْلُ النَّبِيِّ الْمَعْصُومِ كَامِلٌ مُشْرِقٌ، فَإِذَا اتَّصَلَ إِشْرَاقُ نُورِهِ بِعُقُولِ الْأُمَّةِ قَوِيَتْ عُقُولُهُمْ وَانْقَلَبَتْ مِنَ النَّقْصِ إِلَى الْكَمَالِ، وَمِنَ الضَّعْفِ إِلَى الْقُوَّةِ، فَقَدَرُوا عِنْدَ ذَلِكَ عَلَى مَعْرِفَةِ هَذِهِ الْأَسْرَارِ الْإِلَهِيَّةِ. وَالَّذِي يُؤَكِّدُ ذَلِكَ أَنَّ الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَانِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا جَازِمِينَ مُتَيَقِّنِينَ كَامِلِي الْإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ، والذين بعدوا عنه اضطربوا واختلفوا، وَهَذِهِ الْمَذَاهِبُ مَا تَوَلَّدَتْ إِلَّا بَعْدَ زَمَانِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ

٢- قَوْلُهُ: ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ قَالَ الزَّجَّاجُ: لاَ تَضِيقُ صُدُورُهُمْ مِنْ أَقْضِيَتِكَ. وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّاضِيَ بِحُكْمِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَدْ يَكُونُ رَاضِيًا بِهِ فِي الظَّاهِرِ دُونَ الْقَلْبِ فَبَيَّنَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ حُصُولِ الرِّضَا بِهِ فِي الْقَلْبِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَيْلَ الْقَلْبِ وَنُفْرَتَهُ شَيْءٌ خَارِجٌ عَنْ وُسْعِ الْبَشَرِ، فَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ ذَلِكَ، بَلِ الْمُرَادُ مِنْهُ أَنْ يَحْصُلَ الْجَزْمُ وَالْيَقِينُ فِي الْقَلْبِ بِأَنَّ الَّذِي يَحْكُمُ بِهِ الرَّسُولُ هُوَ الْحَقُّ وَالصِّدْقُ.

٣- قَوْلُهُ تَعَالَى: وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ عَرَفَ بِقَلْبِهِ كَوْنَ ذَلِكَ الْحُكْمِ حَقًّا وَصِدْقًا قَدْ يَتَمَرَّدُ عَنْ قَبُولِهِ عَلَى سَبِيلِ الْعِنَادِ أَوْ يَتَوَقَّفُ فِي ذَلِكَ الْقَبُولِ، فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّهُ كَمَا لاَ بُدَّ فِي الْإِيمَانِ مِنْ حُصُولِ ذَلِكَ الْيَقِينِ فِي الْقَلْبِ. فَلاَ بُدَّ أَيْضًا مِنَ التَّسْلِيمِ مَعَهُ فِي الظَّاهِرِ، فَقَوْلُهُ: ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ الْمُرَادُ بِهِ الِانْقِيَادُ فِي الْبَاطِنِ، وَقَوْلُهُ: وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً الْمُرَادُ مِنْهُ الِانْقِيَادُ فِي الظَّاهِرِ واللَّهُ أَعْلَمُ.

4- دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَعْصُومُونَ عَنِ الْخَطَأِ فِي الْفَتْوَى وَفِي الْأَحْكَامِ،

فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَكْمُلُ إِيمَانُهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ لَا يَلْتَفِتَ إِلَى ذَلِكَ الْحَرَجِ، وَيُسَلِّمَ النَّصَّ تَسْلِيمًا كُلِّيًّا، وَجَمِيعُ اسْتِعْمَالَاتِ التَّسْلِيمِ رَاجِعٌ إِلَى الْأَصْلِ فَقَوْلُهُمْ: سَلَّمَ عَلَيْهِ، أَيْ دَعَا لَهُ بِأَنْ يَسْلَمَ، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ الْوَدِيعَةَ، أَيْ دَفَعَهَا إِلَيْهِ بِلَا مُنَازَعَةٍ

، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ أَيْ رَضِيَ بِحُكْمِهِ، وَسَلَّمَ إِلَى فُلَانٍ فِي كَذَا، أَيْ تَرَكَ مُنَازَعَتَهُ فِيهِ، وَسَلَّمَ إِلَى اللَّهِ أَمْرَهُ أَيْ فَوَّضَ إِلَيْهِ حُكْمَ نَفْسِهِ، عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ لَمْ يَرَ لِنَفْسِهِ فِي أَمْرِهِ أَثَرًا وَلَا شَرِكَةً، وَعَلِمَ أَنَّ الْمُؤَثِّرَ الصَّانِعَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

٣١-{ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ } التوبة : ١٢٨

١- أي : من جنسكم وبشريتكم ، فهو نفس لها كل طاقات البشر ، ليكون لكم أسوة ، ولو جاء الرسول مَلَكاً لما تحققتْ فيه الأسوة ، ولَقُلْتم هذا ملَك ، ونحن لا نقدر على ما يقدر هو عليه .

٢- أو { مِّنْ أَنفُسِكُمْ . . . } [التوبة : ١٢٨] يعني : من العرب ومن قريش

٣- والبعض يرى أن { مِّنْ أَنفُسِكُمْ . . . } [التوبة : ١٢٨] يعني : خَلْق حواء من ضلع آدم ، فهي من أنفسنا يعني : قطعة منا

لما نزلت { **وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** }[الأنبياء : ١٠٧]

« سأل سيدنا رسول الله جبريل عليه السلام : » أما لك من هذه الرحمة شيء يا أخي جبريل؟ « فقال : نعم ، كنت أخشى سوء العاقبة كإبليس ، فلما أنزل الله عليك قوله : { ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي العرش مَكِينٍ } [التكوير ٢٠] أمنْتُ العاقبة ، فتلك هي الرحمة التي نالتني »

٣٢- لَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧)

ويتمثَّل امتنانُ الحق سبحانه على رسوله أنه أنزل عليه السَّبْع المثاني ، واتفق العلماء على أن كلمة « المثاني » تعني فاتحة الكتاب ، فلا يُثنَّى في الصلاة إلا فاتحة الكتاب .

ونجده سبحانه يَصِف القرآنَ بالعظيم؛ وهو سبحانه يحكم بعظمة القرآن على ضَوْء مقاييسه المُطْلقة؛ وهي مقاييس العظمة عنده سبحانه .

والمثَل الآخر على ذلك وَصفْه سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم : { وَإِنَّكَ لعلى خُلُقٍ عَظِيمٍ } [القلم : 4] .

وهذا حُكْم بالمقاييس العُلْيا للعظمة وقد أعطى الحق سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم السَّبْع المثاني والقرآن العظيم ، وتلك هي قِمَّة العطايا؛

آيات العتاب

نجد أن كل عتب على نبي الله، إنما كان عتباً لصالحه لا عليه

١- وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨)الكهف

الشعراوى

نزلتْ هذه الآية في «أهل الصُّفَّة» وهم جماعة من أهل الله انقطعوا للعبادة فتناولتهم ألسنة الناس واعترضوا عليهم، لماذا لا يعملون؟ ولماذا لا يشتغلون كباقي الناس؟ بل وذهبوا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولون: نريد أن تلتفت إلينا، وأن تترك هؤلاء المجاذيب، فأنزل الله تعالى: {واصبر نَفْسَكَ مَعَ الذين يَدْعُونَ رَبَّهُم. .} [الكهف: ٢٨]

ثم يقول تعالى: {وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ. .} [الكهف: ٢٨] أي: اجعل عينيك فيهم، ولا تصرفها عنهم إلى غيرهم من أهل الدنيا؛ لأن مَدد النظرة من رسول الله صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زاد للمؤمن {تُرِيدُ زِينَةَ الحياة الدنيا. .} [الكهف: ٢٨] لأنك إنْ فعلتَ ذلك وانصرفتَ عنهم، فكأنك تريد زينة الحياة الدنيا وزخارفها.
ثم يقول تعالى: {وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا. .} [الكهف: ٢٨] لأنه لا يأمرك بالانصراف عن هؤلاء والالتفات إلى أهل الدنيا إلا مَنْ غفل عن ذكر الله، أما مَن اطمأن قلبه إلى ذِكْرنا وذاق حلاوة

الإيمان فإنه لا يأمر بمثل هذا الأمر، بل هو أقرب ما يكون إلى هؤلاء المجاذيب الأولياء من أهل الصُّفَّة، بل وربما تراوده نفسه أن يكون مثلهم، فكيف يأمر بالانصراف عنهم؟
وقد أوضح النبي صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الموقف من الدنيا في قوله: «أوحى الله إلى الدنيا: مَنْ خدمني فاخدميه، ومَنْ خدمك فاستخدميه. .» فالدنيا بأهلها في خدمة المؤمن الذي يعمر الإيمانُ قلبه، وليس في باله إلا الله في كل ما يأتي أو يَدَع.
وقوله تعالى: {واتبع هَوَاهُ. .} [الكهف: ٢٨] أي: أن هذا الذي يُحرِّضك على أهل الصُّفَّة ما غفل قلبه عن ذكرنا إلا لأنه سار خلف هواه، فأخذه هواه وألهاه عن ذكر الله، فما دام قد انشغل بشيء يوافق هواه فلن يهتم بمطلوب الله، إنه مشغول بمطلوب نفسه؛ لذلك يقول صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئتُ به» .
فالمؤمن الحق سليم الإيمان مَنْ كان هواه ورغبته موافقة لمنهج الله، لا يحيد عنه، وقد قال الحق سبحانه وتعالى: {وَلَوِ اتبع الحق أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ السماوات والأرض. .} [المؤمنون: ٧١]
وقوله تعالى: {وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً} [الكهف: ٢٨] أي: كان أمره ضياعاً وهباءً، فكأنه أضاع نفسه.
<u>الرازي</u>
وَلا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ يُقالُ عَداهُ إذا جاوَزَهُ تُفِيدُ المُباعَدَةَ فَكَأنَّهُ تَعالى نَهى عَنْ تِلْكَ المُباعَدَةِ نَهى رَسُولُ اللَّهِ صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ أنْ يَزْدَرِيَ فُقَراءَ المُؤْمِنِينَ وأنْ تَنْبُوَ عَيْناهُ عَنْهُمْ لِأجْلِ رَغْبَتِهِ فِي مُجالَسَةِ الأغْنِياءِ وحُسْنِ صُورَتِهِمْ وقَوْلِهِ: تُرِيدُ زِينَةَ الحَياةِ الدُّنْيا نُصِبَ فِي مَوْضِعِ الحالِ. يَعْنِي أنَّكَ [إنْ] فَعَلْتَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ إقْدامُكَ عَلَيْهِ إلّا لِرَغْبَتِكَ فِي زِينَةِ الحَياةِ الدُّنْيا، ولَمّا بالَغَ فِي أمْرِهِ بِمُجالَسَةِ الفُقَراءِ مِنَ المُسْلِمِينَ بالَغَ فِي النَّهْيِ عَنِ الِالتِفاتِ إلى أقْوالِ الأغْنِياءِ والمُتَكَبِّرِينَ فَقالَ: وَلا تُطِعْ مَنْ أغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا واتَّبَعَ هَواهُ وكانَ أمْرُهُ فُرُطاً ومن الممكن أنْ يَصِيرَ غافِلاً عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، ومَعَ ذَلِكَ فَلا يَتَّبِعُ الهَوى
١- أنَّهُ تَعالى لَمّا صَبَّ عَلَيْهِمُ الدُّنْيا صَبًّا وأدّى ذَلِكَ إلى رُسُوخِ الغَفْلَةِ فِي قُلُوبِهِمْ
٢- أغْفَلْنا أيْ تَرَكْناهُ غافِلاً فَلَمْ نَسِمْهُ بِسِمَةِ أهْلِ الطَّهارَةِ والتَّقْوى
٣- أغْفَلْنا قَلْبَهُ أيْ خَلّاهُ مَعَ الشَّيْطانِ ولَمْ يَمْنَعِ الشَّيْطانَ مِنْهُ
قَوْلُهُ: وَلا تُطِعْ مَنْ أغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا واتَّبَعَ هَواهُ يَدُلُّ عَلى أنَّ شَرَّ أحْوالِ الإنْسانِ أنْ يَكُونَ قَلْبُهُ خالِيًا عَنْ ذِكْرِ الحَقِّ ويَكُونَ مَمْلُوءًا مِنَ الهَوى الدّاعِي إلى الِاشْتِغالِ بِالخَلْقِ وتَحْقِيقُ القَوْلِ

أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ نُورٌ وَذِكْرَ غَيْرِهِ ظُلْمَةٌ لِأَنَّ الْوُجُودَ طَبِيعَةُ النُّورِ وَالْعَدَمَ مَنْبَعُ الظُّلْمَةِ، وَالْحَقَّ تَعَالَى وَاجِبُ الْوُجُودِ لِذَاتِهِ فَكَانَ النُّورُ الْحَقُّ هُوَ اللَّهُ، وَمَا سِوَى اللَّهِ فَهُوَ مُمْكِنُ الْوُجُودِ لِذَاتِهِ. وَالْإِمْكَانُ طَبِيعَةٌ عَدَمِيَّةٌ فَكَانَ مَنْبَعَ الظُّلْمَةِ فَالْقَلْبُ إِذَا أَشْرَقَ فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ فَقَدْ حَصَلَ فِيهِ النُّورُ وَالضَّوْءُ وَالْإِشْرَاقُ، وَإِذَا تَوَجَّهَ الْقَلْبُ إِلَى الْخَلْقِ فَقَدْ حَصَلَ فِيهِ الظُّلْمُ وَالظُّلْمَةُ بَلِ الظُّلُمَاتُ، فَلِهَذَا السَّبَبِ إِذَا أَعْرَضَ الْقَلْبُ عَنِ الْحَقِّ وَأَقْبَلَ عَلَى الْخَلْقِ فَهُوَ الظُّلْمَةُ الْخَالِصَةُ التَّامَّةُ، فَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْحَقِّ هُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَالْإِقْبَالُ عَلَى الْخَلْقِ هُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: وَاتَّبَعَ هَواهُ.

قِيلَ: فُرُطاً أَيْ مُجَاوِزًا لِلْحَدِّ مِنْ قَوْلِهِمْ

فَقَوْلُهُ وَكانَ أَمْرُهُ فُرُطًا مَعْنَاهُ أَنَّ الْأَمْرَ الَّذِي يَلْزَمُهُ الْحِفْظُ لَهُ وَالِاهْتِمَامُ بِهِ وَهُوَ أَمْرُ دِينِهِ يَكُونُ مَخْصُوصًا بِإِيقَاعِ التَّفْرِيطِ وَالتَّقْصِيرِ فِيهِ

عن رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أَبْشِرُوا يَا صَعَالِيكَ الْمُهَاجِرِينَ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِمِقْدَارِ خمسين ألف سنة» .

٢- وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٣١)طه

الشعراوى

بعد أن قال الحق سبحانه لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {فاصبر على مَا يَقُولُونَ} [طه: ١٣٠] حذره أن ينظر إلى هؤلاء الجبابرة والمعاندين على أنهم في نعمة تمتد عينه إليها. ومعنى مَدِّ العين ألاَّ تقتصر على مجرد النظر على قدر طاقتها، إنما يُوجهها باستزادة ويوسعها لترى أكثر مما ينبغي، ومَدُّ العين يأتي دائماً بعد شغل النفس بالنعمة وتطلّعها إليها، فكأن الله يقول: لا تشغل نفسك بما هم فيه من نعيم؛ لأنه زهرة الدنيا التي سرعان ما تفنى.

وقوله: {إلى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ} [طه: ١٣١] الأزواج لا يُراد بها هنا الرجل والمرأة، إنما تعني الأصناف المقترنة، كما في قوله تعالى: {وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ} [فصلت: ٢٥] .

كل واحد له شيطان يلازمه لا يفارقه. هذه هي الزوجية المرادة، كذلك في قوله تعالى: {قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ} [الصافات: ٥١] .

والزَّهْرة إشارة إلى سرعة النهاية والحياة القصيرة، وهي زَهْرة لحياة دنيا، وأيّ وصف لها أقل من كَوْنها دنيا؟ وهذا الذي أعطيناهم من متاع الدنيا الزائل فأخذوا يزهُون به، ما هو إلا فتنة واختبار {لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ} [طه: ١٣١] .

والاختبار يكون بالخير كما يكون بالشر، يقول تعالى: {وَنَبْلُوكُم بالشر والخير فِتْنَةً} [الأنبياء: ٣٥] .

فهَبْ أن الله أعطاك نعمة ولم تُؤَدِّ شكْرها وحقَّها، فأيُّ إكرام فيها؟

ثم يقول تعالى: {وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وأبقى} [طه: ١٣١] أي:

لا تشغل بالك بما أعطاهم الله؛ لأنه سبحانه سيعطيك أعظم من هذا، ورِزْق ربك خير من هذا النعيم الزائل وأبْقى وأخلد؛ لأنه دائم لا ينقطع في دار البقاء التي لا تفوتها ولا تفوتك، أما هؤلاء فنعيمهم موقوت، إمّا أنْ يفوتهم بالفقر، أو يفوتوه هم بالموت.

الرازى
قَوْلِهِ: وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ وَجْهَانِ:
١- الْمُرَادُ مِنْهُ نَظَرُ الْعَيْنِ
مَدُّ النَّظَرِ تَطْوِيلُهُ وَأَنْ لا يَكَادَ يَرُدُّهُ اسْتِحْسَانًا لِلْمَنْظُورِ إِلَيْهِ إِعْجَابًا بِهِ كَمَا فَعَلَ نَظَّارَةُ قارون حيث قالوا: يَا لَيْتَ لَنا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (القَصَص: ٧٩)
وَفِيهِ أَنَّ النَّظَرَ غَيْرَ الْمَمْدُودِ مَعْفُوٌّ عَنْهُ
٢- وقيل: وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ لَيْسَ هُوَ النَّظَرَ، بَلْ هُوَ الأَسَفُ أَيْ لاَ تَأْسَفْ عَلَى مَا فَاتَكَ مِمَّا نَالُوهُ مِنْ حَظِّ الدُّنْيَا.
أَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: **إِلى مَا مَتَّعْنا بِهِ**
[أَيْ] أَلْذَذْنَا بِهِ، وَالإِمْتَاعُ الإِلْذَاذُ بِمَا يُدْرِكُ مِنَ الْمَنَاظِرِ الْحَسَنَةِ
أَمَّا قَوْلُهُ: **أَزْواجاً مِنْهُمْ**
أَيْ أَشْكَالاً وَأَشْبَاهًا مِنَ الْكُفَّارِ وَهِيَ مِنَ الْمُزَاوَجَةِ بَيْنَ الأَشْيَاءِ وَهِيَ الْمُشَاكَلَةُ، وَذَلِكَ لأَنَّهُمْ أَشْكَالٌ فِي الذَّهَابِ عَنِ الصَّوَابِ
وقيل: أَصْنَافًا مِنْهُمْ
وقيل: رِجَالاً مِنْهُمْ
أَمَّا قَوْلُهُ: **زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا**
مَعْنَى الزَّهْرَةِ بِعَيْنِهِ وَهُوَ الزِّينَةُ وَالْبَهْجَةُ
وَأَنْ يَكُونَ جَمْعُ زَاهِرٍ وَصْفًا لَهُمْ بِأَنَّهُمْ زَهْرَةُ هَذِهِ الدُّنْيَا لِصَفَاءِ أَلْوَانِهِمْ وَتَهَلُّلِ وُجُوهِهِمْ بِخِلاَفِ مَا عَلَيْهِ الصُّلَحَاءُ مِنْ شُحُوبِ الأَلْوَانِ وَالتَّقَشُّفِ فِي الثِّيَابِ،
أَمَّا قَوْلُهُ: **لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ**
١- لِنُعَذِّبَهُمْ بِهِ كَقَوْلِهِ: فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِها فِي الْحَياةِ الدُّنْيا [التَّوْبَةِ: ٥٥] .
٢- إِضْلالاً مِنِّي لَهُمْ.
٣- تَشْدِيدًا فِي التَّكْلِيفِ عَلَيْهِمْ لأَنَّ الإِعْرَاضَ عَنِ الدُّنْيَا عِنْدَ حُضُورِهَا وَالإِقْبَالَ إِلَى اللَّهِ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ عَدَمِ حُضُورِهَا
ثُمَّ قالَ لِرَسُولِهِ: وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقى
١- أَنَّ مَطْلُوبَكَ الَّذِي تَجِدُهُ مِنَ الثَّوَابِ خَيْرٌ مِنْ مَطْلُوبِهِمْ وَأَبْقَى، لأَنَّهُ يَدُومُ وَلاَ يَنْقَطِعُ وَلَيْسَ كَذَلِكَ حَالُ مَا أوتوه من مِنَ الدُّنْيَا،
٢- مَا أُوتِيتَهُ مِنْ يَسِيرِ الدُّنْيَا إِذَا قَرَنْتَهُ بِالطَّاعَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حَيْثُ الْعَاقِبَةِ وَأَبْقَى، فَذَكَرَ الرِّزْقَ فِي الدُّنْيَا وَوَصَفَهُ بِحُسْنِ عَاقِبَتِهِ إِذَا رَضِيَ بِهِ وَصَبَرَ عَلَيْهِ،
٣- مَا أُعْطِيَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالدَّرَجَاتِ الرَّفِيعَةِ

٣-{ وَلاَ تَطْرُدِ الذين يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغداة والعشي يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظالمين } [الأنعام : ٥٢] .
الرازى

رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ الْمَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ صُهَيْبٌ وَخَبَّابٌ وَبِلاَلٌ وَعَمَّارٌ وَغَيْرُهُمْ مِنْ ضُعَفَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ أَرَضِيتَ بِهَؤُلاَءِ عَنْ قَوْمِكَ؟
أَفَنَحْنُ نَكُونُ تَبَعًا لِهَؤُلاَءِ؟ اطْرُدْهُمْ عَنْ نَفْسِكَ، فَلَعَلَّكَ إِنْ طَرَدْتَهُمُ اتَّبَعْنَاكَ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: «مَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ» فَقَالُوا فَأَقِمْهُمْ عَنَّا إِذَا جِئْنَا، فَإِذَا أَقَمْنَا فَأَقْعِدْهُمْ مَعَكَ إِنْ شِئْتَ، فَقَالَ «نَعَمْ» طَمَعًا فِي إِيمَانِهِمْ.
فَنَزَلَ قَوْلُهُ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
[الْكَهْفِ: ٢٨] وَقَالَ: «الْحَمْدُ للهَّ الَّذِي لَمْ يُمِتْنِي حَتَّى أَمَرَنِي أَن أَصْبِرَ نَفْسِيَ مَعَ قَوْمٍ مِنْ أُمَّتِي مَعَكُمُ الْمَحْيَا وَمَعَكُمُ الْمَمَاتُ» .
احْتَجَّ الطَّاعِنُونَ فِي عِصْمَةِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ بِهَذِهِ الآيَةِ مِنْ وُجُوهٍ:
١- أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ طَرَدَهُمْ واللهَّ تَعَالَى نَهَاهُ عَنْ ذَلِكَ الطَّرْدِ، فَكَانَ ذَلِكَ الطَّرْدُ ذَنْبًا.
٢- أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ طَرَدَهُمْ، فَيَلْزَمُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ كَانَ مِنَ الظَّالِمِينَ.
٣- أَنَّهُ تَعَالَى حَكَى عَنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَنَّهُ قَالَ: وَما أَنَا بِطارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا [هُودٍ: ٢٩] ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِمُتَابَعَةِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ فِي جَمِيعِ الأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ، حَيْثُ قَالَ: أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهَّ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ [الأَنْعَامِ: ٩٠] فَبِهَذَا الطَّرِيقِ وَجَبَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَنْ لاَ يَطْرُدَهُمْ، فَلَمَّا طَرَدَهُمْ كَانَ ذَلِكَ ذَنْبًا.
٤-أَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ هَذِهِ الآيَةَ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ، فَزَادَ فِيهَا فَقَالَ: تُرِيدُ زِينَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا [الْكَهْفِ: ٢٨] ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى نَهَاهُ عَنِ الاِلْتِفَاتِ إِلَى زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي آيَةٍ أُخْرَى فَقَالَ وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى مَا مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا [طه: ١٣١] فَلَمَّا نُهِيَ عَنِ الاِلْتِفَاتِ إِلَى زِينَةِ الدُّنْيَا، ثُمَّ/ ذُكِرَ فِي تِلْكَ الآيَةِ أَنَّهُ يُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَانَ ذَلِكَ ذَنْبًا.
٥-نُقِلَ أَنَّ أُولَئِكَ الْفُقَرَاءَ كُلَّمَا دَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ يَقُولُ «مَرْحَبًا بِمَنْ عَاتَبَنِي رَبِّي فِيهِمْ»
وَذَلِكَ يَدُلُّ أَيْضًا عَلَى الذَّنْبِ.
وَالْجَوَابُ
عَنِ الأَوَّلِ: أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ مَا طَرَدَهُمْ لأَجْلِ الاِسْتِخْفَافِ بِهِمْ وَالاِسْتِنْكَافِ مِنْ فَقْرِهِمْ وَإِنَّمَا عَيَّنَ لِجُلُوسِهِمْ وَقْتًا مُعَيَّنًا سِوَى الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ يَحْضُرُ فِيهِ أَكَابِرُ قُرَيْشٍ فَكَانَ غَرَضُهُ مِنْهُ التَّلَطُّفَ فِي إِدْخَالِهِمْ فِي الإِسْلاَمِ وَلَعَلَّهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ كَانَ يَقُولُ هَؤُلاَءِ الْفُقَرَاءُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لاَ يَفُوتُهُمْ بِسَبَبِ هَذِهِ الْمُعَامَلَةِ أَمْرٌ مُهِمٌّ فِي الدُّنْيَا وَفِي الدِّينِ، وَهَؤُلاَءِ الْكُفَّارُ فَإِنَّهُ يَفُوتُهُمُ الدِّينُ وَالإِسْلاَمُ فَكَانَ تَرْجِيحُ هَذَا الْجَانِبِ أَوْلَى فَأَقْصَى مَا يُقَالُ إِنَّ هَذَا الاِجْتِهَادَ وَقَعَ خَطَأً إِلاَّ أَنَّ الْخَطَأَ فِي الاِجْتِهَادِ مَغْفُورٌ.
وَأَمَّا قَوْلُهُ ثَانِيًا: إِنَّ طَرْدَهُمْ يُوجِبُ كَوْنَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ مِنَ الظَّالِمِينَ.
فَجَوَابُهُ: أَنَّ الظُّلْمَ عِبَارَةٌ عَنْ وَضْعِ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَالْمَعْنَى أو أُولَئِكَ الضُّعَفَاءَ الْفُقَرَاءَ كَانُوا يَسْتَحِقُّونَ التَّعْظِيمَ مِنَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَإِذَا طَرَدَهُمْ عَنْ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ كَانَ ذَلِكَ ظُلْمًا، إِلاَّ أَنَّهُ مِنْ بَابِ تَرْكِ الأَوْلَى وَالأَفْضَلِ لاَ مِنْ بَابِ تَرْكِ الْوَاجِبَاتِ

وَكَذَا الْجَوَابُ عَنْ سَائِرِ الْوُجُوهِ فَإِنَّا نَحْمِلُ كُلَّ هَذِهِ الْوُجُوهِ عَلَى تَرْكِ الأَفْضَلِ وَالأَكْمَلِ وَالأَوْلَى وَالأَحْرَى، والله أَعْلَمُ.

فِي قَوْلِهِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَالْعَشِيِّ قَوْلاَنِ:

١- أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الدُّعَاءِ الصَّلاَةُ، يَعْنِي يَعْبُدُونَ رَبَّهُمْ بِالصَّلاَةِ الْمَكْتُوبَةِ، وَهِيَ صَلاَةُ الصُّبْحِ وَصَلاَةُ الْعَصْرِ

٢- الْمُرَادُ مِنَ الدعاء الذكر قال إبراهيم: الدعاء هاهنا هُوَ الذِّكْرُ وَالْمَعْنَى يَذْكُرُونَ رَبَّهُمْ طَرَفَيِ النَّهَارِ.

قَوْلِهِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وقَوْلِهِ وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ [الرَّحْمَن: ٢٧] .

الأَوَّلُ: قَوْلُهُ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ الْمَعْنَى يُرِيدُونَهُ إِلاَّ أَنَّهُمْ يَذْكُرُونَ لَفْظَ الْوَجْهِ لِلتَّعْظِيمِ

وَالثَّانِي: أَنَّ مَنْ أَحَبَّ ذَاتًا أَحَبَّ أَنْ يَرَى وَجْهَهُ، فَرُؤْيَةُ الْوَجْهِ مِنْ لَوَازِمِ الْمَحَبَّةِ، فَلِهَذَا السَّبَبِ جُعِلَ الْوَجْهُ كِنَايَةً عَنِ الْمَحَبَّةِ وَطَلَبِ الرِّضَا

وَتَمَامُ هَذَا الْكَلاَمِ تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ [الْبَقَرَةِ: ١١٥]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَما مِنْ حِسابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ

١- أَنَّهُ عَائِدٌ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، وَالْمَعْنَى مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ شَيْءٍ وَلاَ حِسَابُكَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَإِنَّمَا اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ عَبِيدَهُ كَمَا يَشَاءُ وَأَرَادَ. وَالْغَرَضُ مِنْ هَذَا الْكَلاَمِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَمَّلُ هَذَا الاقْتِرَاحَ مِنْ هَؤُلاَءِ الْكُفَّارِ، فَلَعَلَّهُمْ يَدْخُلُونَ فِي الإِسْلاَمِ وَيَتَخَلَّصُونَ مِنْ عِقَابِ الْكُفْرِ، فَقَالَ تَعَالَى: لاَ تَكُنْ فِي قَيْدِ أَنَّهُمْ يَتَّقُونَ الْكُفْرَ أَمْ لاَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْهَادِي وَالْمُدَبِّرُ.

٢- أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ إِلَى الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، وَهُمُ الْفُقَرَاءُ، قَوْلِهِ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ قَوْلَيْنِ

أ- أَنَّ الْكُفَّارَ طَعَنُوا فِي إِيمَانِ أُولَئِكَ الْفُقَرَاءِ وَقَالُوا يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُمْ إِنَّمَا اجْتَمَعُوا عِنْدَكَ وَقَبِلُوا دِينَكَ لأَنَّهُمْ يَجِدُونَ بِهَذَا السَّبَبِ مَأْكُولاً وَمَلْبُوسًا عِنْدَكَ، وَإِلاَّ فَهم فَارِغُونَ عَنْ دِينِكَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِنْ كَانَ الأَمْرُ كَمَا يَقُولُونَ، فَمَا يَلْزَمُكَ إِلاَّ اعْتِبَارُ الظَّاهِرِ وَإِنْ كَانَ لَهُمْ بَاطِنٌ غَيْرُ مَرْضِيٍّ عِنْدَ اللَّهِ، فحسابهم عليه لا زم لَهُمْ، لاَ يَتَعَدَّى إِلَيْكَ، كَمَا أَنَّ حِسَابَكَ عَلَيْكَ لاَ يَتَعَدَّى إِلَيْهِمْ، كَقَوْلِهِ وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى [الأَنْعَام: ١٦٤] .

فَإِنْ قِيلَ: أَمَا كَفَى قَوْلُهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى ضَمَّ إِلَيْهِ قَوْلَهُ وَما مِنْ حِسابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ.

قُلْنَا: جُعِلَتِ الْجُمْلَتَانِ بِمَنْزِلَةِ جُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ قُصِدَ بِهِمَا مَعْنًى وَاحِدٌ وَهُوَ الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى وَلاَ يَسْتَقِلُّ بِهَذَا الْمَعْنَى إِلاَّ الْجُمْلَتَانِ جَمِيعًا، كَأَنَّهُ قِيلَ لاَ تُؤَاخَذُ أَنْتَ وَلاَ هُمْ بِحِسَابِ صَاحِبِهِ.

ب- مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِ رِزْقِهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَمَلَّهُمْ وَتَطْرُدُهُمْ، وَلاَ حِسَابُ رِزْقِكَ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا الرَّازِقُ لَهُمْ وَلَكَ هُوَ اللهُ تَعَالَى، فَدَعْهُمْ يَكُونُوا عِنْدَكَ وَلاَ تَطْرُدْهُمْ.

٤- { **عَبَسَ وتولى* أَن جَآءَهُ الأعمى*وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يزكى** } عبس١-٣

فكأنه اختار الصعب الشاق وترك السهل اليسير ، إذن : فالعتاب هنا عتاب لصالح الرسول لا ضده ، كما يظن البعض في فهمهم لهذه الآيات .
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْرِمُ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ ، وَيَقُولُ: إِذَا رَآهُ «مَرْحَبًا بِمَنْ عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي» وَيَقُولُ: هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ، وَاسْتَخْلَفَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ مَرَّتَيْنِ
وَفِي الْمَوْضِعِ سُؤَالاَتٌ:
أَنَّ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ كَانَ يَسْتَحِقُّ التَّأْدِيبَ لِوُجُوهٍ
١- أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ لِفَقْدِ بَصَرِهِ لاَ يَرَى الْقَوْمَ، لَكِنَّهُ لِصِحَّةِ سَمْعِهِ كَانَ يَسْمَعُ مُخَاطَبَةَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُولَئِكَ الْكُفَّارَ، وَكَانَ يَسْمَعُ أَصْوَاتَهُمْ أَيْضًا، وَكَانَ يَعْرِفُ بِوَاسِطَةِ اسْتِمَاعِ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ شِدَّةَ اهْتِمَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَأْنِهِمْ، فَكَانَ إِقْدَامُهُ عَلَى قَطْعِ كَلاَمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِلْقَاءِ غَرَضِ نَفْسِهِ فِي الْبَيْنِ قَبْلَ تَمَامِ غَرَضِ النَّبِيِّ إِيذَاءً لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَذَلِكَ مَعْصِيَةٌ عَظِيمَةٌ
٢- أَنَّ الأَهَمَّ مُقَدَّمٌ عَلَى الْمُهِمِّ، وَهُوَ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ وَتَعَلَّمَ، مَا كَانَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ، أَمَّا أُولَئِكَ الْكُفَّارُ فَمَا كَانُوا قَدْ أَسْلَمُوا، وَهُوَ إِسْلاَمُهُمْ سَبَبًا لإِسْلاَمِ جَمْعٍ عَظِيمٍ، فَإِلْقَاءُ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، ذَلِكَ الكَلاَمَ فِي الْبَيْنِ كَالسَّبَبِ فِي قَطْعِ ذَلِكَ الْخَيْرِ الْعَظِيمِ، لِغَرَضٍ قَلِيلٍ وَذَلِكَ مُحَرَّمٌ
٣- أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ [الْحُجُرَاتِ: ٤] فَنَهَاهُمْ عَنْ مجرد النداء إلا في الوقت، فههنا هَذَا النِّدَاءُ الَّذِي صَارَ كَالصَّارِفِ لِلْكُفَّارِ عَنْ قَبُولِ الإِيمَانِ وَكَالْقَاطِعِ عَلَى الرَّسُولِ أَعْظَمَ مُهِمَّاتِهِ، أَوْلَى أَنْ يَكُونَ ذَنْبًا وَمَعْصِيَةً، فَثَبَتَ بِهَذَا أَنَّ الَّذِي فَعَلَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ كَانَ ذَنْبًا وَمَعْصِيَةً، وَأَنَّ الَّذِي فَعَلَهُ الرَّسُولُ كَانَ هُوَ الْوَاجِبُ،
كَيْفَ عَاتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ الفعل؟.
الله سبحانه ذَكَرَهُ بِاسْمِ الأَعْمَى مَعَ أَنَّ ذِكْرَ الإِنْسَانِ بِهَذَا الْوَصْفِ يَقْتَضِي تَحْقِيرَ شَأْنِهِ انْكِسَارَ قُلُوبِ الْفُقَرَاءِ، فَلِهَذَا السَّبَبِ حَصَلَتِ الْمُعَاتَبَةُ
ذِكْرَهُ بِلَفْظِ الأَعْمَى لَيْسَ لِتَحْقِيرِ شَأْنِهِ، بَلْ كَأَنَّهُ قِيلَ: إِنَّهُ بِسَبَبِ عَمَاهُ اسْتَحَقَّ مَزِيدَ الرِّفْقِ وَالرَّأْفَةِ، فَكَيْفَ يَلِيقُ بِكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تَخُصَّهُ بِالْغِلْظَةِ
أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠)

أَيُّ شَيْءٍ يَجْعَلُكَ دَارِيًا بِحَالِ هَذَا الأَعْمَى لَعَلَّهُ يَتَطَهَّرُ بِمَا يَتَلَقَّنُ مِنْكَ، مِنَ الْجَهْلِ أَوِ الإِثْمِ، أَوْ يَتَّعِظُ فَتَنْفَعَهُ ذِكْرَاكَ أَيْ مَوْعِظَتُكَ، فَتَكُونَ لَهُ لُطْفًا فِي بَعْضِ الطَّاعَاتِ، بِمَعْنَى أَنْتَ طَمِعْتَ فِي أَنْ يَزَّكَّى الْكَافِرُ بِالإِسْلاَمِ أَوْ يَذَّكَّرَ فَتُقَرِّبَهُ الذِّكْرَى إِلَى قَبُولِ الْحَقِّ: وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ مَا طَمِعْتَ فِيهِ كَائِنٌ
أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥)
قَالَ عَطَاءٌ: يُرِيدُ عَنِ الإِيمَانِ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: اسْتَغْنَى عَنِ اللَّهِ،
فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦)
قَالَ الزَّجَّاجُ: أَيْ أَنْتَ تُقْبِلُ عَلَيْهِ وَتَتَعَرَّضُ لَهُ وَتَمِيلُ إِلَيْهِ
وَما عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى (٧)

الْمَعْنَى لاَ شَيْءَ عَلَيْكَ فِي أَنْ لاَ يُسْلِمَ مَنْ تَدْعُوهُ إِلَى الإِسْلاَمِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاَغُ، أَيْ لاَ يَبْلُغَنَّ بِكَ الْحِرْصُ عَلَى إِسْلاَمِهِمْ إِلَى أَنْ تُعْرِضَ عَمَّنْ أَسْلَمَ لِلاِشْتِغَالِ بِدَعْوَتِهِمْ.

وَأَمَّا مَنْ جاءَكَ يَسْعى (٨) وَهُوَ يَخْشى (٩)

أَنْ يُسْرِعَ فِي طَلَبِ الْخَيْرِ

وَقَوْلُهُ: وَهُوَ يَخْشى فِيهِ ثَلاَثَةُ أَوْجُهٍ

يَخْشَى اللَّهَ وَيَخَافُهُ فِي أَنْ لاَ يَهْتَمَّ بِأَدَاءِ تَكَالِيفِهِ،

أَوْ يَخْشَى الْكُفَّارَ وَأَذَاهُمْ فِي إِتْيَانِكَ،

أَوْ يَخْشَى الْكَبْوَةَ فَإِنَّهُ كَانَ أَعْمَى، وَمَا كَانَ لَهُ قَائِدٌ.

فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) أَيْ تَتَشَاغَلُ

وَمَعْنَاهُ إِنْكَارُ التَّصَدِّي وَالتَّلَهِّي عَنْهُ، أَيْ مِثْلُكَ، خُصُوصًا لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَتَصَدَّى لِلْغَنِيِّ، وَيَتَلَهَّى عن الفقير.

كَلاَّ إِنَّها تَذْكِرَةٌ (١١)

قَالَ مُقَاتِلٌ: يَعْنِي آيَاتِ الْقُرْآنِ،او يَعْنِي هَذِهِ السُّورَةَ

إِنَّها تَذْكِرَةٌ الْمُرَادُ بِهِ الْقُرْآنُ قَوْلُهُ: فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ.

كَأَنَّهُ قِيلَ: هَذَا التَّأْدِيبُ الَّذِي أَوْحَيْتُهُ إِلَيْكَ وَعَرَّفْتُهُ لَكَ فِي إِجْلاَلِ الْفُقَرَاءِ وَعَدَمِ الاِلْتِفَاتِ إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا أُثْبِتَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ الَّذِي قَدْ وُكِّلَ بِحِفْظِهِ أَكَابِرُ الْمَلاَئِكَةِ

وكَأَنَّهُ قِيلَ: هَذَا الْقُرْآنُ قَدْ بَلَغَ فِي الْعَظَمَةِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ الْعَظِيمِ، فَأَيُّ حَاجَةٍ بِهِ إِلَى أَنْ يَقْبَلَهُ هَؤُلاَءِ الْكُفَّارُ، فَسَوَاءٌ قَبِلُوهُ أَوْ لَمْ يَقْبَلُوهُ فَلاَ تَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ وَلاَ تَشْغَلْ قَلْبَكَ بِهِمْ، وَإِيَّاكَ وَأَنْ تُعْرِضَ عَمَّنْ آمَنَ بِهِ تطبيبا لقلب أرباب الدنيا.

<u>فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤)</u>

اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى وَصَفَ تِلْكَ التَّذْكِرَةَ بِأَمْرَيْنِ

١- **قَوْلُهُ: فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ** أَيْ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ بَيِّنَةٌ ظَاهِرَةٌ بِحَيْثُ لَوْ أَرَادُوا فَهْمَهَا وَالاِتِّعَاظَ بِهَا وَالْعَمَلَ بِمُوجِبِهَا لَقَدَرُوا عَلَيْهِ

٢-**قَوْلُهُ: فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ** أَيْ تِلْكَ التَّذْكِرَةُ مُعَدَّةٌ فِي هَذِهِ الصُّحُفِ الْمُكَرَّمَةِ، وَالْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ تَعْظِيمُ حَالِ الْقُرْآنِ وَالتَّنْوِيهُ بِذِكْرِهِ وَالْمَعْنَى أَنَّ هَذِهِ التَّذْكِرَةَ مُثْبَتَةٌ فِي صُحُفٍ،

وَالْمُرَادُ مِنَ الصُّحُفِ :أَنَّهَا صُحُفٌ مُنْتَسَخَةٌ مِنَ اللَّوْحِ مُكَرَّمَةٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مَرْفُوعَةٌ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ أَوْ مَرْفُوعَةُ الْمِقْدَارِ مطهر عَنْ أَيْدِي الشَّيَاطِينِ، أَوِ الْمُرَادُ مُطَهَّرَةٌ بِسَبَبِ أَنَّهَا لاَ يَمَسُّهَا إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ وَهُمُ الْمَلاَئِكَةُ.

بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرامٍ بَرَرَةٍ (١٦)

اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَ الْمَلاَئِكَةَ بِثَلاَثَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ الصِّفَاتِ:

<u>أَوَّلُهَا: أَنَّهُمْ سَفَرَةٌ وَفِيهِ قَوْلاَنِ:</u>

١- هُمُ الْكَتَبَةُ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ، السَّفَرَةُ الْكَتَبَةُ وَاحِدُهَا سَافِرٌ مِثْلُ كَتَبَةٌ وَكَاتِبٌ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْكَتَبَةِ: سَفَرَةٌ وَلِلْكَاتِبِ سَافِرٌ، لأَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّهُ الَّذِي يُبَيِّنُ الشَّيْءَ وَيُوَضِّحُهُ يُقَالُ: سَفَرَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا كَشَفَتْ عَنْ وَجْهِهَا

٢- السَّفَرَةَ هَاهُنَا هُمُ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ يَسْفَرُونَ بِالْوَحْيِ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ رُسُلِهِ فَجُعِلَتِ الْمَلاَئِكَةُ إِذَا نَزَلَتْ بِوَحْيِ اللَّهِ وَتَأْدِيَتِهِ، كَالسَّفِيرِ الَّذِي يُصْلِحُ بِهِ بَيْنَ الْقَوْمِ

وَاعْلَمْ أَنَّ أَصْلَ السِّفَارَةِ مِنَ الْكَشْفِ، وَالْكَاتِبُ إِنَّمَا يُسَمَّى سَافِرًا لِأَنَّهُ يَكْشِفُ، وَالسَّفِيرُ إِنَّمَا سُمِّيَ سَفِيرًا أَيْضًا لِأَنَّهُ يَكْشِفُ، وَهَؤُلَاءِ الْمَلاَئِكَةُ لَمَّا كَانُوا وَسَائِطَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الْبَشَرِ فِي الْبَيَانِ وَالْهِدَايَةِ وَالْعِلْمِ، لاَ جَرَمَ سُمُّوا سَفَرَةً.

الصِّفَةُ الثَّانِيَةُ: لِهَؤُلَاءِ الْمَلاَئِكَةِ: أَنَّهُمْ كِرَامٌ

كِرَامٌ عَلَى رَبِّهِمْ، وقيل: يُرِيدُ أَنَّهُمْ يَتَكَرَّمُونَ أَنْ يَكُونُوا مَعَ ابْنِ آدَمَ إِذَا خَلاَ مَعَ زَوْجَتِهِ لِلْجِمَاعِ وعند قضاء الحاجة.

الصفة الثالثة: أَنَّهُمْ: بَرَرَةٍ

مُطِيعِينَ، وَبَرَرَةٌ جَمْعُ بَارٍ

فِي تَفْسِيرِ الصُّحُفِ: أَنَّهَا هِيَ صُحُفُ الْأَنْبِيَاءِ لِقَوْلِهِ: إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى [الأعْلَى: ١٨] يَعْنِي أَنَّ هَذِهِ التَّذْكِرَةَ مُثْبَتَةٌ فِي صُحُفِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ

وَالسَّفَرَةُ الْكِرَامُ الْبَرَرَةُ هُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقِيلَ هُمُ الْقُرَّاءُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: **مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ** يَقْتَضِي أَنَّ طَهَارَةَ تِلْكَ الصُّحُفِ إِنَّمَا حَصَلَتْ بِأَيْدِي هَؤُلَاءِ السَّفَرَةِ

لَمَّا كَانَ لاَ يَمَسُّهَا إِلاَّ الْمَلاَئِكَةُ الْمُطَهَّرُونَ أُضِيفَ التَّطْهِيرُ إِلَيْهَا لطهارة من يمسها

قُتِلَ الْإِنْسانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧)

تَرَفُّعِ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ عَلَى فقراء المسلمين، عجب عباده المؤمنين مِنْ ذَلِكَ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: وَأَيُّ سَبَبٍ فِي هَذَا الْعَجَبِ وَالتَّرَفُّعِ مَعَ أَنَّ أَوَّلَهُ نُطْفَةٌ قَذِرَةٌ وَآخِرَهُ جِيفَةٌ مَذِرَةٌ، وَفِيمَا بَيْنَ الْوَقْتَيْنِ حَمَّالُ عَذِرَةٍ

، فَلاَ جَرَمَ ذَكَرَ تَعَالَى مَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ عِلاَجًا لِعُجْبِهِمْ، وَمَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ عِلاَجًا لِكُفْرِهِمْ، فَإِنَّ خِلْقَةَ الْإِنْسَانِ تَصْلُحُ لِأَنْ يُسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى وُجُودِ الصَّانِعِ، وَلِأَنْ يُسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى الْقَوْلِ بِالْبَعْثِ وَالْحَشْرِ وَالنَّشْرِ.

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: نَزَلَتِ الْآيَةُ فِي عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ

وَقَالَ آخَرُونَ: الْمُرَادُ بِالْإِنْسَانِ الَّذِينَ أَقْبَلَ الرَّسُولُ عَلَيْهِمْ وَتَرَكَ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ بِسَبَبِهِمْ

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الْمُرَادُ ذَمُّ كُلِّ غَنِيٍّ تَرَفَّعَ عَلَى فَقِيرٍ بِسَبَبِ الْغِنَى وَالْفَقْرِ،

وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ:

١- أَنَّهُ تَعَالَى ذَمَّهُمْ لِتَرَفُّعِهِمْ فَوَجَبَ أَنْ يَعُمَّ الْحُكْمُ بِسَبَبِ عُمُومِ الْعِلَّةِ

٢- أَنَّهُ تَعَالَى زَيَّفَ طَرِيقَتَهُمْ بِسَبَبِ حَقَارَةِ حَالِ الْإِنْسَانِ فِي الِابْتِدَاءِ وَالِانْتِهَاءِ عَلَى مَا قَالَ: مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ ... ثُمَّ أَماتَهُ فَأَقْبَرَهُ [عبس: ١٩- ٢١] وَعُمُومُ هَذَا الزَّجْرِ يَقْتَضِي عُمُومَ الْحُكْمِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: قُتِلَ الْإِنْسانُ دُعَاءٌ عَلَيْهِ وَهِيَ مِنْ أَشْنَعِ دَعَوَاتِهِمْ، لِأَنَّ الْقَتْلَ غَايَةُ شَدَائِدِ الدُّنْيَا وَمَا أَكْفَرَهُ تَعَجُّبٌ مِنْ إِفْرَاطِهِ فِي كُفْرَانِ نِعْمَةِ اللَّهِ، فَقَوْلُهُ: قُتِلَ الْإِنْسانُ تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّهُمُ اسْتَحَقُّوا أَعْظَمَ أَنْوَاعِ الْعِقَابِ، وَقَوْلُهُ: مَا أَكْفَرَهُ تَنْبِيهٌ عَلَى أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمُنْكَرَاتِ

مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَماتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢) كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣)

١- قَالَ بَعْضُهُمْ: الْمُرَادُ تَسْهِيلُ خُرُوجِهِ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ وخُرُوجَهُ حَيًّا مِنْ ذَلِكَ الْمَنْفَذِ الضَّيِّقِ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ
٢- يَتَنَاوَلُ التَّمْيِيزَ بَيْنَ كُلِّ خَيْرٍ وَشَرٍّ يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا، وَبَيْنَ كُلِّ خَيْرٍ وَشَرٍّ يَتَعَلَّقُ بِالدِّينِ أَيْ جَعَلْنَاهُ مُتَمَكِّنًا مِنْ سُلُوكِ سَبِيلِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالتَّيْسِيرُ يَدْخُلُ فِيهِ الْإِقْدَارُ وَالتَّعْرِيفُ وَالْعَقْلُ وَبَعْثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنْزَالُ الْكُتُبِ
الْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، هُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ [الْبَلَدِ: ١٠]

ثُمَّ أَماتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢)

ثَلَاثُ مَرَاتِبَ، الْإِمَاتَةُ، وَالْإِقْبَارُ، وَالْإِنْشَارُ، أَمَّا الْإِمَاتَةُ أَنَّهَا هِيَ الْوَاسِطَةُ بَيْنَ حَالِ التَّكْلِيفِ وَالْمُجَازَاةِ،
وَأَمَّا الْإِقْبَارُ: جَعَلَهُ اللَّهُ مَقْبُورًا وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِمَّنْ يُلْقَى لِلطَّيْرِ وَالسِّبَاعِ، لِأَنَّ الْقَبْرَ مِمَّا أُكْرِمَ بِهِ الْمُسْلِمَ . وَلَمْ يَقُلْ فَقَبَرَهُ، لِأَنَّ الْقَابِرَ هُوَ الدَّافِنُ بِيَدِهِ، وَالْمُقْبِرُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، يُقَالُ قَبَرَ الْمَيِّتَ إِذَا دَفَنَهُ وَأَقْبَرَ الْمَيِّتَ، إِذَا أَمَرَ غَيْرَهُ بِأَنْ يَجْعَلَهُ فِي الْقَبْرِ
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ الْمُرَادُ مِنْهُ الْإِحْيَاءُ [وَ] الْبَعْثُ، وَإِنَّمَا قَالَ: إِذَا شَاءَ إِشْعَارًا بِأَنَّ وَقْتَهُ غَيْرُ مَعْلُومٍ لَنَا، فَتَقْدِيمُهُ وَتَأْخِيرُهُ مَوْكُولٌ إِلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى

كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ ما أَمَرَهُ (٢٣)

وَاعْلَمْ أَنَّ قَوْلَهُ: كَلاَّ رَدْعٌ لِلْإِنْسَانِ عَنْ تَكَبُّرِهِ وَتَرَفُّعِهِ، أَوْ عَنْ كُفْرِهِ وَإِصْرَارِهِ عَلَى إِنْكَارِ التَّوْحِيدِ، وَعَلَى إِنْكَارِهِ الْبَعْثَ وَالْحَشْرَ وَالنَّشْرَ،
وَفِي قَوْلِهِ: لَمَّا يَقْضِ ما أَمَرَهُ :وُجُوهٌ
١- لاَ يَقْضِي أَحَدٌ جَمِيعَ مَا كَانَ مَفْرُوضًا عَلَيْهِ أَبَدًا، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لاَ يَنْفَكُّ عَنْ تَقْصِيرِ الْبَتَّةَ، وقد يكون الْإِنْسَانِ هَاهُنَا الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ
٢- أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّ الْإِنْسَانَ الْمُتَرَفِّعَ الْمُتَكَبِّرَ لَمْ يَقْضِ مَا أُمِرَ بِهِ مِنْ تَرْكِ التَّكَبُّرِ

٥-{ <u>يأيها النبي لِمَ تُحَرّمُ مَآ أَحَلَّ الله لَكَ</u> . . } [التحريم : ١] فالله يعاتب رسوله لأنه ضيَّق على نفسه ، فحرَّم عليها ما أحله الله لها .
اخْتَلَفُوا فِي الَّذِي حَرَّمَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَفْسِهِ
١- رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَلاَ بِمَارِيَةَ فِي يَوْمِ عَائِشَةَ وَعَلِمَتْ بِذَلِكَ حَفْصَةُ، فَقَالَ لَهَا: اكْتُمِي عَلَيَّ وَقَدْ حَرَّمْتُ مَارِيَةَ عَلَى نَفْسِي وَأُبَشِّرُكِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَمْلِكَانِ بَعْدِي أَمْرَ أُمَّتِي، فَأَخْبَرَتْ بِهِ عَائِشَةَ، وَكَانَتَا مُتَصَادِقَتَيْنِ
٢- وَقِيلَ: خَلاَ بِهَا فِي يَوْمِ حَفْصَةَ، فَأَرْضَاهَا بِذَلِكَ وَاسْتَكْتَمَهَا، فَلَمْ تَكْتُمْ فَطَلَّقَهَا وَاعْتَزَلَ نِسَاءَهُ، وَمَكَثَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً فِي بَيْتِ مَارِيَةَ وَرُوِيَ أَنَّهُ مَا طَلَّقَهَا وَإِنَّمَا نَوَّهَ بِطَلَاقِهَا،
٣- وَرُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ شَرِبَ عَسَلاً فِي بَيْتِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ فَتَوَاطَأَتْ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ، فَقَالَتَا لَهُ: إِنَّا نَشُمُّ مِنْكَ رِيحَ الْمَغَافِيرِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُ التَّفَلَ فَحَرَّمَ الْعَسَلَ
فَمَعْنَاهُ: لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ مِنْ مِلْكِ الْيَمِينِ أَوْ مِنَ الْعَسَلِ
٤- حَرَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّ وَلَدِهِ وَحَلَفَ أَنْ لاَ يَقْرَبَهَا/ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ

وَتَحْرِيمُ الْحَلاَلِ مَكْرُوهٌ، وَالْحَلاَلُ لاَ يُحَرَّمُ إِلاَّ بِتَحْرِيمِ اللهِّ تعالى وقوله تعالى: تَبْتَغِي مَرْضاتَ أَزْواجِكَ وَهَذَا زَلَّةٌ مِنْهُ، لأَنَّهُ لَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يُحرِّمَ مَا أَحَلَّ اللهُّ وَاللهُّ غَفُورٌ رَحِيمٌ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الزَّلَّةِ، رَحِيمٌ قَدْ رَحِمَكَ لَمْ يُؤَاخِذْكَ بِهِ

لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُّ لَكَ الظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا الْخِطَابَ لَيْسَ بِطَرِيقِ الْعِتَابِ بَلْ بِطَرِيقِ التَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ مَا صَدَرَ مِنْهُ لَمْ يَكُنْ كَمَا يَنْبَغِي.

يُقَالُ: لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُّ؟ نَقُولُ: الْمُرَادُ مِنْ هَذَا التَّحْرِيمِ هُوَ الامْتِنَاعُ عَنِ الانْتِفَاعِ بِالأَزْوَاجِ لاَ اعْتِقَادُ كَوْنِهِ حراما بعد ما أَحَلَّ اللهُّ تَعَالَى فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امْتَنَعَ عَنِ الانْتِفَاعِ مَعَهَا مَعَ اعْتِقَادِهِ بِكَوْنِهِ حَلاَلاً

قَدْ فَرَضَ اللهُّ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمانِكُمْ وَاللهُّ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلى بَعْضِ أَزْواجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُّ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَها بِهِ قالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هذا قالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣)

قَدْ فَرَضَ اللهُّ لَكُمْ. قَالَ مُقَاتِلٌ: قَدْ بَيَّنَ اللهُّ

تَحِلَّةَ أَيْمانِكُمْ أَيْ تحليلها بالكفارة

أو أَنْ يُسْتَعْمَلَ بِمَعْنَى الشَّيْءِ الْقَلِيلِ يَعْنِي زَمَانًا يَسِيرًا

ظَاهِرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: قَدْ فَرَضَ اللهُّ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمانِكُمْ أَنَّهُ كَانَتْ مِنْهُ يَمِينٌ/ فَهَلْ كَفَّرَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لِذَلِكَ؟ نَقُولُ: عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ لَمْ يُكَفِّرْ لأَنَّهُ كَانَ مَغْفُورًا لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعْلِيمٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ مُقَاتِلٍ أَنَّهُ أَعْتَقَ رَقَبَةً في تحريم مارية.

<u>٦- وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧)الاحزاب</u>

الشعراوى

اذكر إذ تقول للذي أنعم الله عليه بالإيمان - والمراد زيد

وأنعمتَ عليه بالعتق أولاً ،

وأنعمت عليه بقانون البشرية بأنْ جعلْتَه ابناً لك

وأنعمتَ عليه بأن زوَّجته ، وهو عبد ، من قرشية ، هي ابنة عمتك ،

ثم أنعمتَ عليه حين قُلْت له { أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ واتق الله . . . . }

لكن ، لماذا قُلْتَ له هذه الكلمة يا محمد؟ أخوفاً من كلام الناس أنْ يقولوا : تزوَّج من امرأة مُتبنَّاه؟ كيف وهذا مقصود من الله تعالى { والله أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ . . . } فدعْكَ من الناس .

خشيته صلى الله عليه وسلم لم تكن خشية خوف من شيء يضره ، إنما خشية استحياء ليدفع رسول الله الشبهة عن نفسه

وقوله تعالى : { فَلَمَّا قضى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا . . . } الوطر : هو الأشياء التي تناسب معاش الرجل ، فمعناه الغاية أو الحاجة

وطر الرجل من زوجته أن تكون سكناً ، فإن لم يكُنْ ، فمودة تجمعهما ، فإنْ لم يَكُنْ فرحمة متبادلة
(وأما إذا طلق وانقضت عدتها استغنى عنها ولم يبق له معها تعلق فيقضي منها الوطر)
(وكذلك قوله : { لِكَىْ لاَ يَكُونَ عَلَى المؤمنين حَرَجٌ فِى أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَراً } أي إذا طلقوهن وانقضت عدتهن

وقد افتقد زيد في زوجته كل هذه المراحل ، فلم يجد معها ، لا السكن ، ولا المودة ، ولا الرحمة ، فلماذا - إذن - يستمر في الارتباط بها؟ لذلك كان يذهب إلى رسول الله ، فيشتكي له ما يلاقي من زينب ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له
{ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ واتق الله }
وتأمل هنا هذه الرياضة الإيمانية بين سيدنا رسول الله وزيد وزينب رضي الله عنهما : لما طلَّق زيدٌ زينب تركها رسول الله لتقضي عدَّتها ، فلما قضتْ العِدَّة قال : يا زيد اذهب إلى زينب فاخطبها عليَّ ، فما هذه العظمة؟ رسول الله يبعث المطلق ليخطب له المطلَّقة ، وهذا يدل على ثقته في زيد ، وأنه قد قضي وطره من زينب ، ولم يَعُدْ فيها حاجة .
ويدخل زيد على زينب ، فيقول لها : أبشري يا زينب ، لقد بعثني رسول الله لأخطبك له ، فقالت : والله لا أجيب حتى أسجد شكراً لله ، فقامت زينب فسجدتْ ، عندها عاد زيد إلى رسول الله ، فأخبره ما كان من زينب فجاءها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل عليها بلا استئذان .
تُرى لماذا يدخل عليها سيدنا رسول الله بلا استئذان؟ قالوا لأنها حينئذ صارت زوجته ، كما قال سبحانه(فَلَمَّا قضى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا .)

- مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (٣٨) الاحزاب
قوله تعالى : { مَّا كَانَ عَلَى النبي مِنْ حَرَجٍ . } أي : إثم أو ملامة { فِيمَا فَرَضَ الله لَهُ . } أي : كيف تلومون رسول الله على تنفيذ أمر فرضه الله له
وتأمل { فَرَضَ الله لَهُ . . . } [الأحزاب : ٣٨] أي : لصالحه ولم يقُلْ فرض عليه؟ ما دام أن الله هو الذي فرض هذا ، فلتُصعِّدوا الأمر إليه ، فليس لرسوله ذنب فيه .
{ وَكَانَ أَمْرُ الله قَدَراً مَّقْدُوراً } تلحظ أن الآية السابقة خُتِمَتْ بقوله تعالى : { وَكَانَ أَمْرُ الله مَفْعُولاً } [الأحزاب : ٣٧] فلقائل أن يقول نعم مفعولاً في هذا الوقت الذي حدثتْ فيه هذه الأحداث؛ لذلك قال هنا { وَكَانَ أَمْرُ الله قَدَراً مَّقْدُوراً } أي : أن ما حدث لرسول الله كان مقدراً أزلاً ، ولا شيء يخرج عن تقدير الله ، وقد صَحَّ أن القلم قد جَفَّ على ما كُتِب ، وعلى ما قُدِر
<u>الطبري</u>
قال الحسن: ما أنزلت عليه آية كانت أشد عليه منها؛ قوله(وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) ولو كان نبي الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كاتما شيئا من الوحي لكتمها(وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) قال: خشِي نبي الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم مقالة الناس.
الوطر ; قضى زيد بن حارثة من زينب حاجته

تفاخرت عائشة وزينب، فقالت زينب: أنا الذي نزل تزويجي .
وإني لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن؛ إن جدي وجدك واحد، وإني أنكحنيك الله من السماء، وإن السفير لجبرائيل عليه السلام.

قال الرازي

{ واتق الله } قيل في الطلاق ، وقيل في الشكوى من زينب ، فإن زيداً قال فيها إنها تتكبر علي بسبب النسب وعدم الكفاءة
{ وَتُخْفِي فِى نِفْسِكَ مَا الله مُبْدِيهِ } من أنك تريد التزوج بزينب
{ وتخشى الناس } من أن يقولوا أخذ زوجة الغير أو الإبن
{ والله أَحَقُّ أَن تخشاه } ليس إشارة إلى أن النبي خشي الناس ولم يخش الله بل المعنى الله أحق أن تخشاه وحده ولا تخش أحداً معه وأنت تخشاه وتخشى الناس أيضاً ، فاجعل الخشية له وحده كما قال تعالى: { الذين يُبَلّغُونَ رسالات الله وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ الله } الأحزاب : 9
ثم قال تعالى : { فَلَمَّا قضى زَيْدٌ مّنْهَا وَطَراً زوجناكها } أي لما طلقها زيد وانقضت عدتها وذلك لأن الزوجة ما دامت في نكاح الزوج فهي تدفع حاجته وهو محتاج إليها ، فلم يقض منها الوطر بالكلية ولم يستغن وكذلك إذا كان في العدة له بها تعلق لإمكان شغل الرحم فلم يقض منها بعد وطره
ولما قال : { سُنَّةَ الله فِى الذين خَلَوْاْ } إشارة إلى قصة داود عليه السلام حيث افتتن بامرأة أوريا قال : { وَكَانَ أَمْرُ الله قَدَراً مَّقْدُوراً } أي كان ذلك حكماً تبعياً
كما كان يتزوج الأنبياء بنسوة كثيرة أبكار ومطلقات الغير
في قوله تعالى أولا { وَكَانَ أَمْرُ الله مَفْعُولاً } وقوله ثانياً { وَكَانَ أَمْرُ الله قَدَراً مَّقْدُوراً } لطيفة وهي أنه تعالى لما قال { زوجناكها } قال { وَكَانَ أَمْرُ الله مَفْعُولاً } أي تزويجنا زينب إياك كان مقصوداً متبوعاً مقضياً مراعى
نقول ما كان في مجرى عادته تعالى على وجه تدركه العقول البشرية نقول بقضاء ، وما يكون على وجه يقع لعقل قاصر أن يقول لم كان ولماذا لم يكن على خلافه نقول بقدر .
فالقضاء ما كان مقصوداً في الأصل والقدر ما يكون تابعاً له ،
وإذا عرفت هذا فإن الخير كله بقضاء وما في العالم من الضرر بقدر

٧- وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (36)الاحزاب

قال البقاعي

ولما كان الإيمان قد يدعى كذباً لخفاء به ، قال : { لمؤمن } أي من عبد الله بن جحش وزيد وغيرهما { ولا مؤمنة } أي من زينب وغيرها ، فعلق الأمر بالإيمان إعلاماً بأن من اعترض غير مؤمن وإن أظهر الإيمان بلسانه { إذا قضى الله } أي الملك الأعظم الذي لا ينبغي لعاقل التوقف في أمره { ورسوله } الذي لا يعرف قضاؤه إلا به { أمراً } أي أيّ أمر كان المراد كل مؤمن ، والعبارة صالحة له
ولما كان قد أخبره الله سبحانه أن زينب رضي الله عنها ستكون من أزواجه وأن زيداً سيطلقها ، وأخفى في نفسه ذلك تكرماً وخشية من مقاله الناس أنه يريد نكاح زوجة ابنه ، وكان في

إظهار ذلك أعلام من أعلام النبوة ، وكان مبنى أمر الرسالة على إبلاغ الناس ما أعلم الله به أحبوه أو كرهوه ، وأن لا يراعي غيره ، ولا يلتفت إلى سواه

{ وتخفي } أي والحال أنك تخفي ، أي تقول له مخفياً { في نفسك } أي مما أخبرك الله من أنها ستصير إحدى زوجاتك عند طلاق زيد

{ ما الله مبديه } أي بحمل زيد على تطليقها وإن أمرته أنت بإمساكها وتزويجك بها وأمرك بالدخول عليها ، وهو دليل على أنه ما أخفى غير ما أعلمه الله تعالى من أنها ستصير زوجته عند طلاق زيد لأن الله تعالى ما أبدى غير ذلك ولو أخفى غيره لأبداه سبحانه لأنه لا يبدل القول لديه

{ وتخشى الناس } قالت عائشة رضي الله عنها : لو كتم النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً مما أوحي إليه لكتم هذه الآية .

<u>8- إِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (73) الاسراء</u>

وهذه خبيثة جديدة من خبائثهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كانوا يحاولون جادِّين أنْ يصرفوا رسول الله عما بعثه الله به ،

فمرة يقولون له : دَعْ آلهتنا نتمتع بها سنة ونأخذ الغنائم من ورائها وتحرم لنا بلدنا أي : ثقيف كما حرمت مكة .

ومرة يقولون له : لا تستلم الحجر ويمنعونه من استلامه حتى يستلم آلهتهم أولاً .

ومعنى { كَادُواْ } أي قاربوا ، والمقاربة غير الفعل ، فالمقاربة مشروع فعل وتخطيط له ، لكنه لم يحدث ، إنهم قاربوا أنْ يفتنوك عن الذي أُنزِل إليك لكن لم يحدث؛ لأن محاولاتهم كانت من بعيد ، فهي تحوي حول فتنتك عن الدين ، كما قالوا مثلاً : نعبد إلهك سنة ، و تعبد آلهتنا سنة .

ومعنى : { لَيَفْتِنُونَكَ } لَيُحوّلونك ويَصْرِفونك عما أنزل الله إليك ، لماذا؟

<u>{ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ . . } [الإسراء : 73]</u>

كما حكى القرآن عنهم في آية أخرى : { ائت بِقُرْآنٍ غَيْرِ هاذآ أَوْ بَدِّلْهُ } [يونس 15]

فيكون الجواب من الحق سبحانه : { قُلْ مَا يَكُونُ لي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَآءِ نفسي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يوحى إِلَيَّ إني أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } [يونس : 15]

وقال تعالى : { قُل لَّوْ شَآءَ الله مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ } [يونس : 16]

ونلاحظ في مثل هذا الموقف أن الحق سبحانه يتحمل العنت عن رسوله ، وينقل المسألة من ساحة الرسول إلى ساحته تعالى ، لكي لا تكون عداوة بين محمد وقومه ، فالأمر ليس من عند محمد بل من عند الله

<u>ثم يقول تعالى : { وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً } [الإسراء : 73]</u>

الخليل : هو المخالّ الذي بينك وبينه حُبٌّ ومودّة

فالمعنى : لو أنك تنازلتَ عن المنهج الذي جاءك من الله لَصِرْتَ خليلاً لهم ، كما كنت خليلاً لهم من قبل ، وكانوا يحبونك ويقولون عنك « الصادق الأمين » . إذن : الذي جعلهم في حالة عداء لك هو منهج الله جئتَ به ، فلو تنازلتَ عنه أو تهاونت فيه فسوف يتخذونك خليلاً ، فلا تكُنْ خليلاً لهم بل خليلاً لربك الذي أرسلك

ـ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (74) الاسراء

والمتأمل في هذه الآية يجدها تحتاط لرسول الله عدة احتياطات ، فلم تقُلْ : لولا تثبتنا لك لَركنتَ إليهم ، لا ، بل لَقاربتَ أنْ تركنَ فمنعتْ مجرد المقاربة ، أما الركون فهو أمر بعيد وممنوع نهائياً وغير مُتصوّر من رسول الله ، ومع ذلك أكّد سبحانه وتعالى هذا المعنى بقوله : { شَيْئاً قَلِيلاً } [الإسراء : 74] أي : ركوناً قليلاً .

مما يدلُّ على أن طبيعته صلى الله عليه وسلم حتى دون الوحي من الله طبيعة سليمة بفطرتها فلو تصوَّرنا عدم التثبيت له من الله ماذا كان يحدث منه؟ يحدث مجرد
(كاد) أو (قَرُب) أنْ يركنَ إليهم شيئاً قليلاً ، وقلنا : إن المقارنة تعني مشروعَ فِعْل ، لكنه لم يحدث ، مِمّا يدلُّ على أن لرسول الله ذاتية مستقلة .

ومعنى { ثَبَّتْنَاكَ . . } [الإسراء : 74] التثبيت هو منع المثبَّت أنْ يتأرجح ، لذلك نقول للمتحرك : اثبت .

ومعنى : { تَرْكَنُ } من ركون الإنسان إلى شيء يعتصم به ويحتمي ،

وكأن الحق تبارك وتعالى في هذه الآية يقول : يا قوم إنْ لم يوافقكم محمد على ما كنتم تريدون منه الانصراف عَمَّا أُنزِل إليه من ربه ، فاعذروه؛ لأن الأمر عندي والتثبيت مني ، ولا ذنب لمحمد فيما خالفكم فيه ، كما لو كان عندك خادم مثلاً ارتكب خطأ ما ، فأردت أنْ تتحمل عنه المسئولية ، فقلت : أنا الذي كلفتُه بهذا وأمرتُه به ، فالأمر عندي وليس للخادم ذنب فيما فعل .

ـ إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (75) الاسراء

{ إذاً } أي : لو كِدتَ تركن إليهم شيئاً قليلاً لأذقناك ضِعْف الحياة وضِعْف الممات ، وبهذا التهديد يرفع الحق سبحانه سخيمة الكُرْه من صدور القوم لمحمد ، وينقلها له سبحانه وتعالى .

ومعنى { ضِعْفَ الحياة وَضِعْفَ الممات . . } [الإسراء : 75] الضِعْف : مضاعفة الشيء مرة أخرى . أي : قَدْر الشيء مرتين ، ولا يُذاق في الحياة إلا العذاب ، فالمراد : لأذقناك ضِعْف عذاب الحياة وضِعْف عذاب الممات ، لكن لماذا يُضَاعَف العذاب في حَقِّ محمد صلى الله عليه وسلم ؟

قالوا : لأنه أُسْوة كبيرة وقُدْوة يقتدي الناس بها ، ويستحيل في حقِّه هذا الفعل ، ولا يتصور منه صلى الله عليه وسلم

وقد اختار الحق سبحانه لفظ { لأذَقْنَاكَ } ؛ لأن الإذاقة من الذَّوْق ، وهو أعمّ الملكَات شُيوعاً في النفس ، فأنت ترى بعينك وتسمع بأذنك وتشمُّ بأنفك ، لكن المذاق تشترك فيه كل الملكات

الفصل العاشر
اقوال العلماء

الفصل العاشر
اقوال العلماء

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

١-سيرة النبي من آياته
٢-وأخلاقه وأقواله وأفعاله وشريعته من آياته
٣- وأمته من آياته
٤-وكرامات صالحي أمته من آياته.
وقال آخر:
اعلم أن من شاهد أحواله
وأصغى إلى سماع أخباره المشتملة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعاداته وسجاياه وسياسته لأصناف الخلق وهدايته إلى ضبطهم وتألفه أصناف الخلق وقوده إياهم إلى طاعته.
مع ما يحكى من عجائب أجوبته في مضائق الأسئلة وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق ومحاسن إشاراته في تفصيل ظاهر الشرع التي يعجز الفقهاء والعقلاء عن إدراك أوائل دقائقها في طول أعمارهم لم يبق له ريب ولا شك في أن ذلك لم يكن مكتسبًا بحيلة تقوم بها القوة البشرية.
بل لا يتصور ذلك إلا بالاستمداد من تأييد سماوي وقوة إلهية وأن ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس بل كانت شمائله وأحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى أن العربي القح كان يراه فيقول: والله ما هذا وجه كذاب.
فكان يشهد له بالصدق بمجرد رؤيته لشمائله فكيف من شاهد أخلاقه ومارس أحواله في جميع مصادره وموارده اهـ.
وقال الماوردي رحمه الله في ذكر خصائص الرسول (وفضائله وشرف أخلاقه وشمائله المؤيدة لنبوته والمبرهنة على عموم رسالته:
فالكمال المعتبر في البشر يكون من أربعة أوجه:
كمال الخلق- وكمال الخلق- وفضائل الأقوال- وفضائل الأعمال.
فأما الوجه الأول في كمال خلقه بعد اعتدال صورته فيكون بأربعة أوصاف
١-أحدها: السكينة الباعثة على الهيبة والتعظيم الداعية إلى التقديم والتسليم.
وكان أعظم مهيب في النفوس حتى ارتاعت رسل كسرى من هيبته حين أتوه مع ارتياعهم بصولة الأكاسرة ومكاثرة الملوك الجبابرة.
فكان (في نفوسهم أهيب وفي أعينهم أعظم وإن لم يتعاظم بأهبة ولم يتطاول بسطوة بل كان بالتواضع موصوفًا وبالوطأة – أي السهولة – معروفًا.
٢-والثاني: في الطلاقة الموجبة للإخلاص والمحبة الباعثة على المصافاة والمودة.
وقد كان صلوات الله عليه محبوبًا استحكمت محبة طلاقته في النفوس حتى لم يقله مصاحب ولم يتباعد منه مقارب وكان أحب إلى أصحابه من الآباء والأبناء وشرب الماء البارد على الظمأ.
٣-والثالث: حسن القبول الجالب لممايلة القلوب حتى تسرع إلى طاعته وتذعن بموافقته وقد كان قبول منظره (مستوليًا على القلوب ولذلك استحكمت مصاحبته في النفوس حتى لم ينفر منه معاند ولا استوحش منه مباعد إلا من ساقه الحسد إلى شقوته وقاده الحرمان إلى مخالفته.

٤-والرابع: ميل النفوس إلي متابعته وانقيادها لموافقته وثباته على شدائده ومصابرته، فما شذ عنه معها من أخلص ولا ند عنه فيها من تخصص.
وهذه الأربعة من دواعي السعادة وقوانين الرسالة وقد تكاملت فيه فكمل لما يوازيها واستحق ما يقتضيها.

وأما الوجه الثاني في كمال أخلاقه فيكون بست خصال:

١-(إحداهن): رجاحة عقله وصحة وهمه وصدق فراسته وقد دل على وفور ذلك فيه صحة رأيه وصواب تدبيره وحسن تألفه.
وأنه ما استغفل في مكيدة ولا استعجز في شديدة بل كان يلحظ الأعجاز في المبادئ فيكشف عيوبها ويحل خطوبها وهذا لا ينتظم إلا بأصدق وهم وأوضح جزم.
٢-والخصلة الثانية: ثباته في الشدائد وهو مطلوب وصبره على البأساء والضراء وهو مكروب ومحروب ونفسه في اختلاف الأحوال ساكنة لا يخور في شديدة ولا يستكين لعظيمة وقد لقي بمكة من قريش ما يشيب النواصي ويهد الصياصي وهو مع الضعف يصابر صبر المستعلي ويثبت ثبات المستولي.
٣-والخصلة الثالثة: زهده في الدنيا وإعراضه عنها وقناعته بالبلاغ منها فلم يمل إلى غضارتها ولم يله لحلاوتها وقد ملك من أقصى الحجاز إلى عذار العراق ومن أقصى اليمن إلى شحر عمان.
وهو أزهد الناس فيما يقتنى ويدخر وأعرضهم عما يستفاد ويحتكر لم يخلف عينًا ولا دينًا ولا حفر نهرًا ولا شيد قصرًا ولم يورث ولده وأهله متاعًا ولا مالاً ليصرفهم عن الرغبة في الدنيا كما صرف نفسه عنها فيكونوا على مثل حاله في الزهد فيها.
وحقيق بمن كان في الدنيا بهذه الزهادة حتى اجتذب أصحابه إليها أن لا يتهم بطلبها ويكذب على الله تعالى في إدعاء الآخرة ويقنع في العاجل وقد سلب الآجل بالميسور النزر ورضي بالعيش الكدر.
٤-والخصلة الرابعة: تواضعه للناس وهم أتباع وخفض جناحه لهم وهو مطاع يمشي في الأسواق ويجلس على التراب ويمتزج بأصحابه وجلسائه فلا يتميز عنهم إلا بإطراقه وحيائه، فصار بالتواضع متميزًا وبالتذلل متعززًا.
ولقد دخل عليه بعض الأعراب فارتاع من هيبته فقال خفض عليك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة وهذا من شرف أخلاقه وكريم شيمه فهي غريزة فطر عليها وجبلة طبع بها لم تندر فتعد ولم تحصر فتحد.
٥-والخصلة الخامسة: حلمه ووقاره عن طيش يهزه أو خرق يستفزه فقد كان أحلم في النفار من كل حليم وأسلم في الخصام من كل سليم.
وقد مني بجفوة الأعراب فلم يوجد منه نادرة ولم يحفظ عليه بادرة ولا حليم غيره إلا ذو عثرة ولا وقور سواه إلا ذو هفوة فإن الله تعالى عصمه من نزع الهوى وطيش القدرة لهفوة أو عثرة ليكون بأمته رؤوفًا وعلى الخلق عطوفًا قد تناولته قريش بكل كبيرة وقصدته بكل جريرة وهو صبور عليهم ومعرض عنهم.

وما تفرد بذلك سفهاؤهم عن حلمائهم ولا أراذلهم دون عظمائهم بل تمالأ عليه الجلة والدون، فكلما كانوا عليه من الأمر ألح - كان عنهم أعرض وأصفح حتى قهر فعفا، وقدر فغفر.

(وقال لهم) حين ظفر بهم عام الفتح وقد اجتمعوا إليه ما ظنكم بي قالوا ابن عم كريم فإن تعف فذاك الظن بك وإن تنتقم فقد أسأنا فقال بل أقول كما قال يوسف لإخوته (لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ).

وقال: اللهم قد أذقت أول قريش نكالاً فأذق آخرهم نوالاً وأتته هند بنت عتبة وقد بقرت بطن عمه حمزة ولاكت كبده فصفح عنها وأعطاها يده لبيعتها.

فإن قيل فقد ضرب رقاب بني قريظة صبرًا في يوم واحد وهم نحو سبعمائة فأين موضع العفو والصفح قيل إنما فعل ذلك في حقوق الله تعالى.

وقد كانت بنو قريظة رضوا بتحكيم سعد بن معاذ عليهم فحكم أن من جرت عليه الموسى قتل ومن لم تجر عليه استرق فقال رسول الله (: هذا حكم الله من فوق سبعة أرقعة، فلم يجز أن يعفو عن حق وجب لله تعالى عليهم وإنما يختص عفوه بحق نفسه.

٦-والخصلة السادسة: حفظه للعهد ووفاؤه بالوعد فإنه ما نقض لمحافظ عهدًا ولا أخلف لمراقب وعدًا يرى الغدر من كبائر الذنوب والإخلاف من مساوئ الشيم فيلتزم فيهما الأغلظ ويرتكب فيهما الأصعب حفظًا لعهده ووفاء بوعده حتى يبتدئ معاهدوه بنقضه فيجعل الله تعالى له مخرجًا كفعل اليهود من بني قريظة وبني النضير وكفعل قريش بصلح الحديبية فيجعل الله تعالى له في نكثهم الخيرة.

فهذه ست خصال تكاملت في خلقه، فضله الله تعالى على جميع خلقه.

وأما الوجه الثالث في فضائل أقواله فمعتبر بثمان خصال:

١- احداهن: ما أوتي من الحكمة البالغة، وأعطي من العلوم الجمة الباهرة، وهو أمي من أمة أمية لم يقرأ كتابًا ولا درس علمًا ولا صحب عالمًا ولا معلمًا فأتى بما بهر العقول وأذهل الفطن من إتقان ما أبان وإحكام ما أظهر فلم يعثر فيه بزلل في قول أو عمل.

وقد شرع من تقدم من حكماء الفلاسفو سننًا حملوا الناس على التدين بها حين علموا أنه "لا صلاح للعالم إلا بدين ينقادون له ويعملون به" فما راق لها أثر ولا فاق لها خبر.

٢- والخصلة الثانية: حفظه لما أطلعه الله تعالى عليه من قصص الأنبياء مع الأمم وأخبار العالم في الزمن الأقدم حتى لم يعزب عنه منها صغير ولا كبير ولا شذ عنه منها قليل ولا كثير.

وهو لا يضبطها بكتاب يدرسه ولا يحفظها بعين تحرسه، وما ذاك إلا من ذهن صحيح وصدر فسيح وقلب شريح وهذه الثلاثة آلة ما استودع من الرسالة وحمل من أعباء النبوة فجدير أن يكون بها مبعوثًا وعلى القيام بها محثوثًا.

٣- والخصلة الثالثة: إحكامه لما شرع بأظهر دليل وبيانه بأوضح تعليل حتى لم يخرج منه ما يوجبه معقول ولا دخل فيه ما تدفعه العقول.

ولذلك قال ("أوتيت جوامع الكلم واختصرت لي الحكمة اختصارًا" لأنه نبه بالقليل على الكثير فكف عن الإطالة وكشف عن الجهالة وما تيسر ذلك إلا وهو عليه معان وإليه مقاد.

٤- والخصلة الرابعة: ما أمر به من محاسن الأخلاق ودعا إليه من مستحسن الآداب وحث عليه من صلة الأرحام وندب إليه من التعطف على الضعفاء والأيتام.
ثم ما نهى عنه من التباغض والتحاسد وكف عنه من التقاطع والتباعد لتكون الفضائل فيهم أكثر ومحاسن الأخلاق بينهم أنشر، ومستحسن الآداب عليهم أظهر وتكون إلى الخير أسرع ومن الشر أمنع.
فيتحقق فيهم قول الله تعالى (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ) فلزموا أمره واتقوا زواجره فتكامل بهم صلاح دينهم ودنياهم حتى عز بهم الإسلام بعد ضعفه وذل بهم الشرك بعد عزه فصاروا أئمة أبرارًا وقادة أخيارًا.
٥- والخصلة الخامسة: وضوح جوابه إذا سئل وظهور حجاجه إذا جادل لا يحصره عي ولا يقطعه عجز ولا يعارضه خصم في جدال إلا كان جوابه أوضح وحجاجه أرجح.
٦- والخصلة السادسة: أنه محفوظ اللسان من تحريف في قول واسترسال في خبر يكون إلى الكذب منسوبًا وللصدق مجانبًا فإنه لم يزل مشهورًا بالصدق في خبره فاشيًا وكثيرًا حتى صار بالصدق مرقومًا وبالأمانة مرسومًا.
وكانت قريش بأسرها تتيقن صدقه قبل الإسلام فجهروا بتكذيبه في استدعائهم إليه فمنهم من كذبه حسدًا ومنهم من كذبه عنادًا ومنهم من كذبه استبعادًا أن يكون نبيًا أو رسولاً.
ولو حفظوا عليه كذبة نادرة في غير الرسالة لجعلوها دليلاً على تكذيبه في الرسالة، ومن لزم الصدق في صغره كان له في الكبر ألزم ومن عصم منه في حق نفسه كان في حقوق الله تعالى أعصم وحسبك بهذا دفعًا لجاحد وردًا لمعاند.
٧- والخصلة السابعة: تحرير كلامه في التوخي به إبان حاجته والاقتصار منه على قدر كفايته فلا يسترسل فيه هذرًا ولا يحجم عنه حصرًا وهو فيما عدا، حالتي الحاجة والكفاية أجمل الناس صمتًا وأحسنهم سمتًا.
ولذلك حفظ كلامه حتى لم يختل وظهر رونقه حتى لم يعتل واستعذبته الأفواه حتى بقي محفوظًا في القلوب مدونًا في الكتب فلن يسلم الإكثار من الزلل ولا الهذر من الملل.
٨- والخصلة الثامنة: أنه أفصح الناس لسانًا وأوضحهم بيانًا وأوجزهم كلامًا وأجزلهم ألفاظًا وأصحهم معاني لا يظهر في هجنة التكلف ولا يتخلله فيهقة التعسف.
وقد دون كثر من جوامع كلمه ومن كلامه الذي لا يشاكل في فصاحته وبلاغته ومع ذلك فلا يأتي عليه إحصاء ولا يبلغه استقصاء.
ولو مزج كلامه بغيره لتميز بأسلوبه ولظهر فيه آثار التنافر فلم يلتبس حقه من باطله ولبان صدقه من كذبه هذا ولم يكن متعاطيًا للبلاغة ولا مخالطًا لأهلها من خطباء أو شعراء أو فصحاء وإنما هو من غرائز طبعه وبداية جبلته وما ذاك إلا لغاية تراد وحادثة تشاد.

وأما الوجه الرابع في فضائل أفعاله فمختبر بثمان خصال:

١- (إحداهن) حسن سيرته وصحة سياسته في دين نقل به الأمة عن مألوف وصرفهم به عن معروف إلى غير معروف فأذعنت به النفوس طوعًا وانقادت خوفًا وطمعًا وشديد عادة منتزعة إلا لمن كان مع التأييد الإلهي معانًا بحزم صائب وعزم ثاقب.

وحسبك بما استقرت قواعده على الأبد حتى انتقل عن سلف إلى خلف يزداد فيهم حلاوته ويشتد فيهم جدته ويرونه نظامًا لأعصار تنقلب صروفها ويختلف مألوفها أن يكون لمن قام به برهانًا ولمن ارتاب به بيانًا.

٢- والخصلة الثانية: أنه جمع بين رغبة من استمال ورهبة من استطاع حتى اجتمع الفريقان على نصرته وقاموا بحقوق دعوته رغبًا في عاجل وآجل ورهبًا من زائل ونازل، لاختلاف الشيم والطباع في الانقياد الذي لا ينتظم بأحدهما ولا يستديم إلا بهما فلذلك صار الدين بهما مستقرًا والصلاح بهما مستمرًا.

٣- والخصلة الثالثة: أنه عدل فيما شرعه من الدين عن الغلو والتقصير إلى التوسط وخير الأمور أوساطها وليس لما جاوز العدل حظ من رشد ولا نصيب من سداد.

٤- والخصلة الرابعة: أنه لم يمل بأصحابه إلى الدنيا ولا إلى رفضها وأمدهم فيها بالاعتدال، وقال: "خيركم من لم يترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه" وهذا صحيح لأن الانقطاع إلى أحدهما اختلال والجمع بينهما اعتدال.

وقال (: "نعم المطية الدنيا فارتحلوها تبلغكم الآخرة" وإنما كان كذلك لأن منها يتزود لآخرته. ويستكثر فيها من طاعته وأنه لا يخلو تاركها من أن يكون محرومًا مضاعًا أو مرحومًا مراعى وهو في الأول كل وفي الثاني ومستذل.

٥- والخصلة الخامسة: تصديه لمعالم الدين ونوازل الأحكام حتى أوضح للأمة ما كلفوه من العبادات وبين لهم ما يحل وما يحرم من مباحات ومحظورات وفصل لهم ما يجوز ويمتنع من عقود ومناكح ومعاملات.

حتى احتاج أهل الكتاب في كثير من معاملاتهم ومواريثهم لشرعه ولم يحتج شرعه إلى شرع غيره ثم مهد لشرعه أصولاً تدل على الحوادث المغفلة ويستنبط لها الأحكام المعللة فأغنى عن نص بعد ارتفاعه وعن التباس بعد إغفاله ثم أمر الشاهد أن يبلغ الغائب ليعلم بإنذاره ويحتج بإظهاره فقال (: "بلغوا عني ولا تكذبوا علي فرب مبلغ أوعى من سامع ورب حامل فقه إلى من هو أفقه مني".

فأحكم ما شرع من نص أو تنبيه وعم ما أمر من حاضر وبعيد حتى صار لما تحمله من الشرع مؤديًا ولما تقلده من حقوق الأمة موفيا لئلا يكون في حقوق الله زلل وذلك في برهة من زمانه لم يستوف تطاول الاستيعاب حتى أوجز وأنجز وما ذاك إلا بديع معجز.

٦- والخصلة السادسة: انتصابه لجهاد الأعداء وقد أحاطوا بجهاته وأحدقوا بجنباته وهو في قطب مهجور، وعدد محقور فزاد به من قل وعز به من ذل وصار بإثخانه في الأعداء محذورًا وبالرعب فيه منصورًا فجمع بين التصدي لشرع الدين حتى ظهر وانتشر وبين الانتصاب لجهاد العدو حتى قهر وانتصر الجمع بينهما معوز إلا لمن أمده الله بمعونته وأيده بلطفه والمعوز معجز.

٧- والخصلة السابعة: ما خص به من الشجاعة في حروبه والنجدة في مصابرة عدوه فإنه لم يشهد حربًا في فزاع إلا صابر حتى انجلت عن ظفر أو دفاع وهو في موقفه لم يزل عنه هربًا ولا حاز فيه رغبًا.

بل ثبت بقلب آمن وجأش ساكن قد ولى عنه أصحابه يوم حنين حتى بقي بإزاء جمع كثير وجم غفير في تسعة من أهل بيته وأصحابه على بغلة مسبوقة إن طلبت غير مستعدة لهرب ولا طلب وهو ينادي أصحابه ويظهر نفسه ويقول إلي عبدا الله "أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب" فعادوا أشذاذًا وأرسالاً وهوازن تراه وتحجم عنه فما هاب حرب من كاثرة ولا انكفأ عن مصاولة من صابره.

وقد عضده الله تعالى بأنجاد وأنجاد فانحازوا وصبر حتى أمده الله بنصره وما لهذه الشجاعة من عديل ولقد طرق المدينة فزع فانطلق الناس فتلقوه نحو الصوت فوجدوا رسول الله (قد سبقهم إليه فتلقوه عائدًا على فرس عري لأبي طلحة الأنصاري وعليه السيف فجعل يقول أيها الناس لم تراعوا لم تراعوا ثم قال لأبي طلحة إنا وجدنا بحرًا وكان الفرس يبطئ فما سبقه فرس بعد ذلك.

وما ذاك إلا عن ثقة من أن الله تعالى سينصره وأن دينه سيظهره تحقيقًا لقوله تعالى (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ(وتصديقًا لقول رسوله ("زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيلغ ملك أمتي ما زوي لي منها" وكفى بهذا قيامًا بحقه وشاهدًا على صدقه.

٨- والخصلة الثامنة: <u>ما منح من السخاء والجود حتى جاد بكل موجود وآثر بكل مطلوب ومحبوب،</u> ومات ودرعه مرهونة عند يهودي على آصع من شعير لطعام أهله.

وقد ملك جزيرة العرب وكان فيها ملوك وأقيال لهم خزائن وأموال يقتنونها ذخرًا ويتباهون بها فخرًا ويستمتعون بها أشرًا وبطرًا وقد حاز ملك جميعهم فما اقتنى دينارًا ولا درهمًا لا يأكل إلا الخشن ولا يلبس إلا الخشن.

ويعطي الجزل الخطير ويصل الجم الغفير ويتجرع مرارة الإقلال ويصبر على سغب الاختلال وكان يقول "أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن ترك دينًا أو ضياعًا فعلي ومن ترك مالاً فلورثته" فهل مثل هذا الكرم والجود كرم وجود أم هل لمثل هذا الإعراض والزهادة إعراض وزهد هيهات.

هل يدرك شأو من هذه شذور من فضائله ويسير من محاسنه التي لا يحصى لها عددًا ولا يدرك لها أمدًا لم تكمل في غيره فيساويه ولا كذب بها ضد يناويه ولقد جهد كل منافق ومعاند وكل زنديق وملحد أن يزري عليه في قول أو فعل.

وأو يظفر بهفوة في جد أو هزل فلم يجد إليه سبيلاً وقد جهد جهده وجمع كيده.

فأي فضل أعظم من فضل شاهدة الحسدة والأعداء فلم يجدوا فيه مغمزًا لثالب أو قادح ولا مطعنًا لجارح أو فاضح فهو كما قال الشاعر:

شَهِدَ الأَنَامُ بِفَضْلِهِ حَتَّى العِدَا

والفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الأَعْدَاءُ

وبالجملة فآية أخلاقه صلوات الله عليه آية كبرى وعلم من أعلام نبوته العظمى وقد أجملها بعضهم بقول وآية أخرى لا يعرفها إلا الخاصة ومتى ذكرت الخاصة فالعامة في ذلك مثل الخاصة.

وهي الأخلاق والأفعال التي لم تجتمع لبشر قط قبله ولا تجتمع لبشر بعده وذلك أنا لم نر ولم نسمع لأحد قط كصبره ولا كحلمه ولا كوفائه ولا كزهده ولا كجوده ولا كنجدته ولا كصدق لهجته ولا ككرم عشرته ولا كتواضعه ولا كحفظه ولا كصمته أي إذا صمت ولا كقوله إذا قال ولا كعجيب منشئه ولا كعفوه ولا كدوام طريقته وقلة امتنانه.
ولم تجد شجاعًا قط إلا وقد جال حوله وفر فرة وانحاز مرة ولا يستطيع منافق ولا زنديق ولا دهري أن يحدث أنه (جال جولة قط ولا فر فرة قط ولا حام على غزوة ولا هاب حربًا من مكاثرة.
وذلك من أعجب ما آتاه الله نبيًا قط مع سائر ما جاء به من الآيات ومن ضرورة البرهانات إذ أعداؤه جم غفير وجمعهم كثير فخصمهم حين جادلوه وصابرهم حين عاندوه وكابد من الشدائد ما لم يثبت عليها إلا كل معصوم ولم يسلم منها إلا منصور إلى أن علت كلمته وظهرت دعوته.
وكل هذه آيات تنذر بالحق وتلائم الصدق، لأن الله لا يهدي كيد الخائنين ولا يصلح عمل المفسدين، انتهى كلامه.

<u>وقال الإمام ابن حزم:</u>
وبرهان ضروري لمن تدبره حسي لا محيد عنه وهو أن النبي أتى إلى قوم لقاح لا يطيعون لأحد ولا ينقادون لرئيس نشأ على هذا آباؤهم وأجدادهم وأسلافهم منذ ألوف من الأعوام قد سرى الفخر والعز والنخوة والكبر والظلم والأنفة في طباعهم وهم أعداد عظيمة ملأوا جزيرة العرب وهي نحو شهرين في شهرين قد صارت طباعهم طباع السباع وهم ألوف الألوف قبائل وعشائر يتعصب بعضهم لبعض أبدًا فدعاهم بلا مال ولا أتباع - بل خذله قومه - إلى أن ينحطوا من ذلك العز إلى غرم الزكاة.

وتبدلت طبائعهم بقدرة الله تعالى من الظلم إلى العدل ومن الجهل إلى العلم ومن الفسق والقسوة إلى العدل العظيم الذي لم يبلغه أكابر الفلاسفة وأسقطوا كلهم أولهم عن آخرهم طلب الثأر وصحب الرجل منهم قاتل ابنه وأبيه وأعدى الناس له صحبة الأخوة المتحابين دون خوف يجمعهم ولا رياسة ينفردون بها دون من أسلم من غيرهم ولا مال يتعجلونه فقد علم الناس كيف كانت سيرة أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - وكيف كانت طاعة العرب لهما بلا رزق ولا عطاء ولا غلبة.
فهل هذا إلا بغلبة من الله تعالى على نفوسهم كما قال تعالى (لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَّ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ(ثم بقي عليه الصلاة والسلام كذلك بين أظهرهم بلا حارس ولا ديوان جند ولا بيت مال محروسًا معصومًا.

إذ كان فقيرًا يتيمًا أميًا لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل والجاهلية يرعى غنم قومه يتقوت بها فعلمه الله تعالى الحكمة دون معلم وعصمه من كل من أراده بلا حرس وبلا حاجب ولا بواب ولا قصر يمتنع فيه على كثرة من أراد قتله من شجعان العرب وفتاكهم كعامر بن

الطفيل وأربد بن جزء وغورث بن الحارث وغيرهم مع إقرار أعدائه بنبوته كمسيلمة وسجاح وطليحة والأسود وهو مكذب لهم فهل بعد هذا برهان أو بعد هذه كفاية من الله تعالى كفاية وهو لا يبغي ذنبا ولا يمني بها من اتبعه بل أنذر الأنصار بالأثرة عليهم بعده وتابعوه على الصبر على ذلك.

قام له أصحابه على قدم فمنعهم وأنكر ذلك عليهم وأعلمهم أن القيام لله تعالى لا لخلقه ورضوا بالسجود له فاستعظم ذلك وأنكره إلا لله وحده.
ولا شك في أن هذه ليست صفة طالب دنيا قط أصلاً ولا صفة راغب في غلبة ولا بعد صوت بل هذه حقيقة النبوة الخالصة لمن كان له أدنى فهم.

ثم قال الإمام ابن حزم وأيضًا فإن سيرة محمد لمن تدبرها تقتضي تصديقه ضرورة وتشهد له بأنه رسول الله (حقًا فلو لم تكن له معجزة غير سيرته لكفى)وذلك أنه عليه الصلاة والسلام نشأ كما قلنا في بلاد الجهل لا يقرأ ولا يكتب ولا خرج عن تلك البلاد قط إلا خرجتين.

إحداهما إلى الشام وهو صبي مع عمه إلى أول أرض الشام ورجع والأخرى أيضًا إلى أول الشام ولم يطل بها البقاء ولا فارق قومه قط ثم أوطأه الله تعالى رقاب العرب كلها فلم تتغير نفسه ولا حالت سيرته إلى أن مات ودرعه مرهونه في شعير لقوت أهله. أصواع ليست بالكثيرة ولم يبت قط في ملكه دينار ولا درهم وكان يأكل على الأرض ما وجد ويخصف نعله بيده ويرقع ثوبه ويؤثر على نفسه وقتل رجل من أفاضل أصحابه مثل فقده يهد عسكرًا قتل بين أظهر أعدائه من اليهود فلم يتسبب إلى أذى أعدائه بذلك إذ لم يوجب الله تعالى له ذلك ولا توصل بذلك إلى دمائهم ولا إلى دم واحد منهم ولا إلى أموالهم بل فداه من عند نفسه بمائة ناقة.
وهو في تلك الحال محتاج إلى بعير واحد يتقوى به وهذا أمر لا تسمح به نفس ملك من ملوك الأرض وأهل الدنيا من أصحاب بيوت الأموال بوجه من الوجوه ولا يقتضي هذا أيضًا ظاهر السيرة والسياسة فصح يقينًا بلا شك أنه إنما كان متبعًا ما أمر به ربه عز وجل سواء كان ذلك مضرًا به في دنياه غاية الإضرار أو كان غير مضر به وهذا عجيب لمن تدبره.
ثم حضرته (المنية وأيقن بالموت وله عم أخو أبيه هو أحب الناس إليه وابن عم هو من أخص الناس به وهو أيضًا زوج ابنته وكلاهما عنده من الفضل والدين والسياسة في الدنيا والبأس والحلم وخلال الخير ما كان كل واحد منهما حقيقًا بسياسة العالم كله فلم يحابهما وهما من أشد الناس محبة فيه وهو من أحب الناس فيهما.
إذ كان غيرهما متقدمًا لهما في الفضل قاصدًا اتباع ما أمر به).

ولم يورث ورثته ابنته ونساءه وعمه فلسًا فما فوقه وهم كلهم أحب الناس إليه وأطوعهم له، وهذه أمور لمن تأملها كافية مغنية في أنه إنما تصرف بأمر الله تعالى له لا بسياسة ولا بهوى فوضح بما ذكرنا ولله الحمد كثيرًا أن نبوة محمد حق وأن شريعته التي أتى بها هي التي

وضحت براهينها واضطرت دلائلها إلى تصديقها والقطع على أنها الحق الذي لا حق سواه وأن دين الله تعالى الذي لا دين له في العالم غيره انتهى كلامه.

الفصل الحادى عشر

دفع شبهات اللئيمة عن ذات الرسول الكريمة

س١ : و ماذا عن قوله سبحانه و تعالى **((ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك))**
ألا يدل ذلك على كثرة أوزار نبى الاسلام) ؟!!
فمعنى ووضعنا عنك وزرك عصمناك من الاوزار التى من شأنها ان تقصم الظهور فلم يصدر عنك اى ذنب لا قبل النبوه ولا بعدها إلا أقل الصغائر التي فسرها القرآن الكريم و السنة النبوية فقط (و لا تعتبر ذنوب)
و قد تم رفع هذا الوزر فى حديث الملك الذى جاء الى رسول الله (ص)وهوفى السادسة ليشرح صدرة و ينزع عنة بذرة الشيطان .. فهو عصمة من الوزر قبل اقترافة أصلا
وبعضهم فسر الوزر بما كان يجده النبى صلى الله عليه وسلم من الصعوبات الشديده التى كان يضعها المشركون فى سبيل الدعوه الى الله سبحانه و تعالى وجحدهم الشديد وعدم الاصغاء الى الحق وهذا الامر كان حملا عظيما على عاتق النبى صلى الله عليه وسلم فقد كاد ان يهلك اسفا على عدم هدايه قومه وعنادهم فى أول الامر حتى قال له ربه(لعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا)

س ٢ : **((وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى))**

<u>هل هذا دليل على ضلال نبى الاسلام (ص)</u>

من المعلوم يقيناً لكل باحث منصف أن رسول الله (ص) ما اتجه قلبه الشريف إلى غير رب العالمين حنيفاً و ما كان من المشركين ، و هذا الحق تجزم به العقول و يشهد له المنقول، قال ابن اسحق: شب رسول الله (ص) يكلؤه الله و يحفظه و يحوطه من أقار الجاهلية، لما يريد من كرامته و رسالته حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة، و أحسنهم خلقاً و أكرمهم حسباً ، و أحسنهم جواراً ، و أعظمهم حلماً ، و أصدقهم حديثاً ، و أعظمهم أمانة ، و أبعدهم عن الفحش و الأخلاق التى تدنس الرجل تنزهاً و تكرماً ، حتى ما اسمه فى قومه إلا الصادق الأمين، لما جُمع فيه من الأمور الصالحة

أما قوله تعالى ((وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى)) فإن المقصود بالضلال هنا الغفلة ، أى كنت غافلاً عما تعلمه الأن من الشرائع و أسرار علوم الدين التى لا تُعلم بالفطرة ولا بالعقل، و إنما تُعلم بالوحى، فهداك الله إلى ذلك بما أوحى إليك و الضلال جاء بمعنى الغفلة فى مواضع شتى فى كتاب الله كقوله سبحانه عن شهادة المرأة ((أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى
و كذا يدل على هذا قوله سبحانه و تعالى ((وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)) و قوله سبحانه و تعالى ((نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ))

<u>ظروف لاستقبال النبأ العظيم بمبعث النبى الكريم</u>

و قد أعد الله تعالى الأجواء و هيء الظروف لاستقبال النبأ العظيم بمبعث النبى الكريم، فاستلزم ذلك حفظه و حفظ دعوته من قبل أن تبدأ ، و من ذلك:

أ- حادثة الفيل الشهيرة، حين أراد أبرهة الأشرم و هو أحد النصارى الأحباش غزو الكعبة المشرفة و هدمها لتكون كنيسته الخسيسة التى بناها فى صنعاء قبلة للعرب عوضاً عنها ، فهزمه الله تعالى و أرنا فيه أية خالدة تشهد لصدق الرسالة المحمدية و لعظيم مكانة بيت الله الحرام، و هذه القصة متواترة فى كتاب الله و سنة نبيه المصطفى كما هو معلوم.

ب- حادثة إتيان الملكين رسول الله (صلى الله علية و سلم) و هو طفل صغير فشقا صدره الجميل و أخرجا قلبه فغسلاه و استخلصاه من نصيب الشيطان ، قال ابن اسحق [حدثنى ثور بن يزيد عن خالد بن ممدان عن أصحاب رسول الله (ص) أنهم قالوا له: أخبرنا عن نفسك، قال: نعم ، أنا دعوة أبى إبراهيم و بشرى عيسى عليهما السلام ، و رأت أمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ، و استرضعت فى بنى سعد بن بكر ، فبنا أنا بهم اتانى رجلان عليهما ثياب بيض معهما طشت من ذهب مملوء ثلجاً فأضجعانى فشقا بطنى ثم استخرجا قلبى فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فالقياها ، ثم غسلا قلبى و بطنى بذلك الثلج ....الحديث] قال الحافظ ابن كثير اسناده جيد قوى

و هذه الروايات جازمة فى اثبات طهارة رسول الله (ص) و عصمته من غواية الشياطين منذ طفولته

ج- حادثة الراهب بحيرى حين مرت به قافلة قريش و بها رسول الله و هو ابن اثنتى عشر سنة، فأعد لهم وليمة ، و أخذ يتفرس فى رسول الله (ص) لما رأى فيه من علامات النبوة ، قال ابن اسحق [..... حتى إذا فزع القوم من طعامهم و تفرقوا قام إليه بحيرى و قال: يا غلام ، أسألك بحق اللات و العزى ألا أخبرتنى عما أسئلك عنه؟ و إنما قال بحيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بها، فقال رسول الله (ص) لا تسألنى باللات و العزى شيئاً، فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضها....الحديث

د- و كذلك فى الحديث أنه سمع جابر بن عبد الله يقول لما بنيت الكعبة ذهب النبي صلى الله عليه وسلم وعباس ينقلان حجارة فقال عباس اجعل إزارك على رقبتك من الحجارة ففعل فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم قام فقال إزاري إزاري فشد عليه إزاره

ه- وكذا من المعلوم أن رسول الله (ص) كلن يعتزل قومه و يذهب للتعبد بغار ثور مختلياً بربه يناجيه بعيداً عن الأصنام و الاوثان و رجزهم،
فكل هذه الشواهد النقلية و غيرها تعكس لنا صورة رسول الله (ص) قبل الإسلام
حتى أننا نقرأ عن صفة مولد رسول الله (ص) أنه وُلد مسروراً مختوناً رافعاً رأسه إلى السماء

وقال البيهقي : كان المولود إذا ولد في قريش دفعوه إلى نسوة من قريش إلى الصبح يكفأن عليه برمة ، فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعه عبد المطلب إلى نسوة فكفأن عليه برمة فلما أصبحن أتين فوجدن البرمة قد انفلقت عنه باثنتين ووجدنه مفتوح العينين شاخصا ببصره إلى السماء فأتاهن عبد المطلب فقلن له : ما رأينا مولودا مثله وجدناه قد انفلقت عنه البرمة ووجدناه مفتوحا عيناه شاخصا ببصره إلى السماء فقال : احفظنه فإني أرجو أن يكون له شأن أو أن يصيب خيرا ، فلما كان اليوم السابع ذبح عنه ودعا له قريشا فلما أكلوا قالوا : يا عبد المطلب أرأيت ابنك هذا الذي أكرمتنا على وجهه ما سميته ؟ قال : سميته محمدا قالوا : فما رغبت به عن أسماء أهل بيته ؟ قال : أردت أن يحمده الله في السماء وخلقه في الأرض قال أهل اللغة : كل جامع لصفات الخير يسمى محمدا كما قال بعضهم

أننا لا نجد في القرآن شخصية محمد صلى الله عليه و سلم . فنص القرآن الذي ينقل لنا حوادث واقعية عاشها محمد صلى الله علية و سلم أو عاشها المحيطون به
"... قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها"
١-اللحظات الصعبة التي مر بها في حياته كلحظة موت زوجته خديجة. حيث لا نجد أي ذكر لهذا الحدث في القرآن ، ولا حتى بضع كلمات يبث فيها محمد حزنه عليها ، وهوالذي كان مرهف الحس ، وهو الذي حتى بعد سنوات طوال بعد موتها كان يذكرها فتدمع عيناه هل يستطيع شاعر أو أديب أ ن يتجاهل ذاتيته ؟
كيف استطاع محمد صلى الله علية و سلم أ ن يتجاهل ذاتيته ولم يعبر عن مكنون وجدانه في حق خديجة في نص قرآني ؟
٢- كيف لا نجد ولو ذكرا واحدا لحوادث أخرى كان لابد أن تحضر لأنها أثرت فيه واستدرت الدمع من عينه مثل موت أبنائه الذكور واحدا تلو آخر. وخاصة إبنه إبراهيم الذي احتضر بين يديه ، وتوفي وهو بين ذراعيه ينظر إليه ؟؟
٣- محمد صلى الله علية و سلم كان يحب زوجته خديجة وزوجته عائشة ، ،لكننا لا نجد في القرأن سورة باسميهما ،في حين نجد اسم مريم يتكرر في القرآن ٤٤ مرة ،بل ثمة سورة كاملة باسم مريم!!! كما لانجد ذكرا لأسم فاطمة ولا الحسن والحسين مع شديد حبه لهم؟؟

اختلاف الأسلوب بين الحديث النبوى والقرآن والحديث القدسى

فأسلوبه في قول الحديث مخالف لأسلوبه في نظم القرآن.هذا مع أنه في أحاديثه لم يكن مجرد متكلم عادي بل بلغ الفصاحة في الخطاب ،فكيف يقتدر محمد صلى الله علية و سلم على ما لم يقتدر غيره من الكتاب والشعراء؟
و الأمر عند علماء النفس أصلا من المستحيلات أن يحدث هذا الفصل
بل للنبى (ص) ثلاث اساليب مختلفة القرآن ،والحديث القدسى ،والحديث النبوى
لذا أتساءل ألم يكن من السهل عليها أن تجمع فصحاء العرب وشعرائها لمعارضته؟؟
لكن يكفينا هنا التأمل في محاولة معاصرة التي حاول القيام بها " مجموعة أورشليم " من المسيحيين المتخصصين في اللغة العربية ،فقد عكفوا على مشروعهم طيلة ستة عشر سنة من أجل معرضة القرآن بإعادة كتابة أفكار الأنجيل بأسلوب قرآني

نجد في القرآن مرات عديدة إشارات غيبية تحققت ، ولم يتم تكذيبه ولو في واحدة . وهذا أمر مستغرب حقيقة . لأن الكهنة والمتنبئين يصيبون في واحدة ويكذبون في عشرات، بينما محمد لم يسجل قط له أن كذب في نبوءة وردت في القرآن أو في حديث من أحاديثه

سورة الرعد (١٣) : الآيات ٣٨ الى ٣٩]
وَلَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنا لَهُمْ أَزْواجاً وَذُرِّيَّةً وَما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ (٣٨) يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ (٣٩)
اعْلَمْ أَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا يَذْكُرُونَ أَنْوَاعًا مِنَ الشُّبُهَاتِ فِي إِبْطَالِ نُبُوَّتِهِ.
فَالشُّبْهَةُ الْأُولَى قَوْلُهُمْ: مالِ هذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْواقِ [الْفُرْقَانِ: ٧]
وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٨) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٩)الفرقان

ذَكَرُوا لَهُ صِفَاتٍ خَمْسَةً فَزَعَمُوا أَنَّهَا تُخِلُّ بِالرِّسَالَةِ
١-: مالِ هذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ
٢- قَوْلُهُمْ: وَيَمْشِي فِي الْأَسْواقِ يَعْنِي أَنَّهُ لَمَّا كَانَ كَذَلِكَ فَمِنْ أَيْنَ لَهُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا وَهُوَ مِثْلُنَا فِي هَذِهِ الْأُمُورِ
٣- لَوْلا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً يُصَدِّقُهُ أَوْ يَشْهَدُ لَهُ وَيَرُدُّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ
٤- أَوْ يُلْقى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَيِ مِنَ السَّمَاءِ فَيُنْفِقُهُ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّرَدُّدِ لِطَلَبِ الْمَعَاشِ
٥- أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْها قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ نَأْكُلُ مِنْها بِالنُّونِ وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْيَاءِ وَالْمَعْنَى إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ كَنْزٌ فَلَا أَقَلَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ كَوَاحِدٍ مِنَ الدَّهَاقِينِ فَيَكُونَ لَكَ بُسْتَانٌ تَأْكُلُ مِنْهُ
٦- قَوْلُهُمْ: إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً وَقَدْ تَقَدَّمَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ فِي آخِرِ سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ
فَأَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ هَذِهِ الشُّبْهَةِ مِنْ وُجُوهٍ: أَحَدُهَا: قَوْلُهُ: انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً وَفِيهِ أَبْحَاثٌ:
الْأَوَّلُ: أَنَّ هَذَا كَيْفَ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا عَنْ تِلْكَ الشُّبْهَةِ؟ وَبَيَانُهُ أَنَّ الَّذِي يَتَمَيَّزُ الرَّسُولُ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ هُوَ الْمُعْجِزَةُ وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي ذَكَرُوهَا لَا يَقْدَحُ شَيْءٌ مِنْهَا فِي الْمُعْجِزَةِ فَلَا يَكُونُ شَيْءٌ مِنْهَا قَادِحًا فِي النُّبُوَّةِ، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ انْظُرْ كَيْفَ اشْتَغَلَ الْقَوْمُ بِضَرْبِ هَذِهِ الْأَمْثَالِ الَّتِي لَا فَائِدَةَ فِيهَا لِأَجْلِ أَنَّهُمْ لَمَّا ضَلُّوا وَأَرَادُوا الْقَدْحَ فِي نُبُوَّتِكَ لَمْ يَجِدُوا إِلَى الْقَدْحِ فِيهِ سَبِيلاً الْبَتَّةَ إِذِ الطَّعْنُ عَلَيْهِ إِنَّمَا يَكُونُ بِمَا يَقْدَحُ فِي الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي ادَّعَاهَا لَا بِهَذَا الْجِنْسِ مِنَ الْقَوْلِ

وَالشُّبْهَةُ الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُمْ: الرَّسُولُ الَّذِي يُرْسِلُهُ اللَّهُ إِلَى الْخَلْقِ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ مِنْ جِنْسِ الْمَلَائِكَةِ كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ: لَوْ مَا تَأْتِينا بِالْمَلائِكَةِ [الْحِجْرِ: ٧] وَقَوْلِهِ: لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ [الْأَنْعَامِ: ٨] .

فَأَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ هَاهُنَا بِقَوْلِهِ: وَلَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنا لَهُمْ أَزْواجاً وَذُرِّيَّةً يَعْنِي أَنَّ الأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ كَانُوا مِنْ جِنْسِ الْبَشَرِ لاَ مِنْ جِنْسِ الْمَلاَئِكَةِ فَإِذَا جَازَ ذَلِكَ فِي حَقِّهِمْ فَلِمَ لاَ يَجُوزُ أَيْضًا مِثْلُهُ فِي حَقِّهِ.

الشُّبْهَةُ الثَّالِثَةُ: عَابُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَثْرَةِ الزَّوْجَاتِ وَقَالُوا: لَوْ كَانَ رَسُولاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَمَا كَانَ مُشْتَغِلاً بِأَمْرِ النِّسَاءِ بَلْ كَانَ مُعْرِضًا عَنْهُنَّ مُشْتَغِلاً بِالنُّسُكِ وَالزُّهْدِ، فَأَجَابَ اللَّهُ/ تَعَالَى عَنْهُ بِقَوْلِهِ: وَلَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنا لَهُمْ أَزْواجاً وَذُرِّيَّةً وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذَا الْكَلاَمُ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا عَنِ الشُّبْهَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَيَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا عَنْ هَذِهِ الشُّبْهَةِ، فَقَدْ كَانَ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ثَلاَثُمِائَةِ امْرَأَةٍ مَهِيرَةٍ وَسَبْعُمِائَةِ سُرِّيَّةٍ وَلِدَاوُدَ مِائَةُ امْرَأَةٍ.

وَالشُّبْهَةُ الرَّابِعَةُ: قَالُوا لَوْ كَانَ رَسُولاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَكَانَ أَيُّ شَيْءٍ طَلَبْنَا مِنْهُ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ أَتَى بِهِ وَلَمْ يَتَوَقَّفْ وَلَمَّا لَمْ يَكُنِ الأَمْرُ كَذَلِكَ عَلِمْنَا أَنَّهُ لَيْسَ بِرَسُولٍ، فَأَجَابَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: وَما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَتَقْرِيرُهُ: أَنَّ الْمُعْجِزَةَ الْوَاحِدَةَ كَافِيَةٌ فِي إِزَالَةِ الْعُذْرِ وَالْعِلَّةِ، وَفِي إِظْهَارِ الْحُجَّةِ وَالْبَيِّنَةِ، فَأَمَّا الزَّائِدُ عليها
فَهُوَ مُفَوَّضٌ إِلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِنْ شَاءَ أَظْهَرَهَا وَإِنْ شَاءَ لَمْ يُظْهِرْهَا وَلاَ اعْتِرَاضَ لأَحَدٍ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ.

الشُّبْهَةُ الْخَامِسَةُ: أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ كَانَ يُخَوِّفُهُمْ بِنُزُولِ الْعَذَابِ وَظُهُورِ النُّصْرَةِ لَهُ وَلِقَوْمِهِ. ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ الْمَوْعُودَ كَانَ يَتَأَخَّرُ فَلَمَّا لَمْ يُشَاهِدُوا تِلْكَ الأُمُورَ احْتَجُّوا بِهَا عَلَى الطَّعْنِ فِي نُبُوَّتِهِ، وَقَالُوا: لَوْ كَانَ نَبِيًّا صَادِقًا لَمَا ظَهَرَ كَذِبُهُ.

فَأَجَابَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ يَعْنِي نُزُولَ الْعَذَابِ عَلَى الْكُفَّارِ وَظُهُورَ الْفَتْحِ وَالنَّصْرِ لِلأَوْلِيَاءِ قَضَى اللَّهُ بِحُصُولِهَا فِي أَوْقَاتٍ مُعَيَّنَةٍ مَخْصُوصَةٍ، وَلِكُلِّ حَادِثٍ وَقْتٌ مُعَيَّنٌ ولِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ فَقَبْلَ حُضُورِ ذَلِكَ الْوَقْتِ لاَ يَحْدُثُ ذَلِكَ الْحَادِثُ فَتَأَخُّرُ تِلْكَ الْمَوَاعِيدِ لاَ يَدُلُّ عَلَى كَوْنِهِ كَاذِبًا.

الشُّبْهَةُ السَّادِسَةُ: قَالُوا: لَوْ كَانَ فِي دَعْوَى الرِّسَالَةِ مُحِقًّا لَمَا نسخ الأحكام التِي نص الله تعالى عليه ثوبتها فِي الشَّرَائِعِ الْمُتَقَدِّمَةِ نَحْوَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ، لَكِنَّهُ نَسَخَهَا وَحَرَّفَهَا نَحْوَ تَحْرِيفِ الْقِبْلَةِ، وَنَسْخِ أَكْثَرِ أَحْكَامِ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ، فَوَجَبَ أَنْ لاَ يَكُونَ نَبِيًّا حَقًّا.

فَأَجَابَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُ بِقَوْلِهِ: يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ وَيُمْكِنُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ كَالْمُقَدِّمَةِ لِتَقْرِيرِ هَذَا الْجَوَابِ، وَذَلِكَ لأَنَّا نُشَاهِدُ أَنَّهُ تَعَالَى يَخْلُقُ حَيَوَانًا عَجِيبَ الْخِلْقَةِ بَدِيعَ الْفِطْرَةِ مِنْ قَطْرَةٍ مِنَ النُّطْفَةِ ثُمَّ يُبْقِيهِ مُدَّةً مَخْصُوصَةً ثُمَّ يُمِيتُهُ وَيُفَرِّقُ أَجْزَاءَهُ وَأَبْعَاضَهُ فَلَمَّا لَمْ يَمْتَنِعْ أَنْ يُحْيِيَ أَوَّلاً، ثُمَّ يُمِيتَ ثَانِيًا فَكَيْفَ يَمْتَنِعُ أَنْ يُشَرِّعَ الحكم فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ، ثُمَّ ينسحه فِي سَائِرِ الأَوْقَاتِ

الفصل الثانى عشر

اقوال المستشرقون عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

بين يديك جلة من أقوال بعض المستشرقين الذين أعجبوا بشخصية الرسول العظيم) صلى الله عليه وسلم)، ومع كونهم لم يرتدوا عباءة الإسلام فإنهم قالوا كلمة حق سطرها التاريخ على ألسنتهم وفي كتبهم وتراثهم، وما أحبوه كذلك إلا لأن أنصبته قد فاضت بكم من الرقي الشخصي والأخلاقي والحضاري إلى أبعد حد مما جعلهم معجبون به إلى حد جعلهم يسطرون فيه الكتب ويذكرون شخصه في كل وقت .وهذا جزء من كل ما قالوا في عظيم شخصه وصفاته الجليلة

١- مهاتما غاندى

مهاتما غاندي في حديث لجريدة "ينج إنديا" وتكلم فيه عن صفات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
غاندي "أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر ..لقد أصبحت مقتنعا كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته. هذه الصفات هي التي مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف .بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي أسفا لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة ."

٢- ساروجنى ندو شاعرة الهند

"يعتبر الإسلام أول الأديان مناديًا ومطبقًا للديمقراطية، وتبدأ هذه الديمقراطية في المسجد خمس مرات في اليوم الواحد عندما ينادى للصلاة، ويسجد القروي والملك جنب لجنب اعترافًا بأن الله أكبر.. ما أدهشني هو هذه الوحدة غير القابلة للتقسيم والتي جعلت من كل رجل بشكل تلقائي أخًا للآخر ."

٣- مونتجومري

(مونتجومرى وات، من كتاب "محمد في مكة"، ١٩٥٣، صفحة ٥٢ .)
إن استعداد هذا الرجل لتحمل الاضطهاد من أجل معتقداته، والطبيعة الأخلاقية السامية لمن آمنوا به واتبعوه واعتبروه سيدا وقائدا لهم، إلى جانب عظمة إنجازاته المطلقة، كل ذلك يدل على العدالة والنزاهة المتأصلة في شخصه .فافتراض أن محمدا مدع افتراض يثير مشاكل أكثر ولا يحلها. بل إنه لا توجد شخصية من عظماء التاريخ الغربيين لم تنل التقدير اللائق بها مثل ما فعل بمحمد .

٤- بوسورث سميث

بوسورث سميث، من كتاب "محمد والمحمدية"، لندن ١٨٧٤، صفحة ٩٢
لقد كان محمد قائدا سياسيا وزعيما دينيا في آن واحد. لكن لم تكن لديه عجرفة رجال الدين،

كما لم تكن لديه فيالق مثل القياصرة. ولم يكن لديه جيوش مجيشة أو حرس خاص أو قصر مشيد أو عائد ثابت. إذا كان لأحد أن يقول إنه حكم بالقدرة الإلهية فإنه محمد، لأنه استطاع الإمساك بزمام السلطة دون أن يملك أدواتها ودون أن يسانده أهلها .

٥- جيبون أوكلي

إدوارد جيبون وسيمون أوكلي، من كتاب "تاريخ إمبراطورية الشرق"، لندن ١٨٧٠، صفحة ٥٤ .

جيبون وكلي ليس انتشار الدعوة الإسلامية هو ما يستحق الانبهار وإنما استمراريتها وثباتها على مر العصور. فما زال الانطباع الرائع الذي حفره محمد في مكة والمدينة له نفس الروعة والقوة في نفوس الهنود والأفارقة والأتراك حديثي العهد بالقرآن، رغم مرور اثني عشر قرنا من الزمان .

لقد استطاع المسلمون الصمود يدا واحدة في مواجهة فتنة الإيمان بالله رغم أنهم لم يعرفوه إلا من خلال العقل والمشاعر الإنسانية. فقول "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله" هي ببساطة شهادة الإسلام. ولم يتأثر إحساسهم بألوهية الله (عز وجل) بوجود أي من الأشياء المنظورة التي كانت تتخذ آلهة من دون الله. ولم يتجاوز شرف النبي وفضائله حدود الفضيلة المعروفة لدى البشر، كما أن منهجه في الحياة جعل مظاهر امتنان الصحابة له) لهدايته إياهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور) منحصرة في نطاق العقل والدين .

٦- الدكتور زويمر

(الدكتور زويمر الكندي مستشرق كندي ولد ١٨١٣ ـ ١٩٠٠ قال في كتابه الشرق وعاداته)
إن محمداً كان ولا شك من أعظم القواد المسلمين الدينيين، ويصدق عليه القول أيضاً بأنه كان مصلحاً قديراً وبليغاً فصيحاً وجريئاً مغواراً، ومفكراً عظيماً، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء .

٧- سانت هيلر

العلامة برتلي سانت هيلر الألماني مستشرق ألماني ولد في درسدن ١٧٩٣ ـ ١٨٨٤ قال في كتابه الشرقيون وعقائدهم

كان محمد رئيساً للدولة وساهراً على حياة الشعب وحريته، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجترحون الجنايات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبي بين ظهرانيها، فكان النبي داعياً إلى ديانة الإله الواحد وكان في دعوته هذه لطيفاً ورحيماً حتى مع أعدائه، وإن في شخصيته صفتين هما من أجلّ الصفات التي تحملها النفس البشرية وهما العدالة والرحمة .

٨- إدوار مونته

الفيلسوف إدوار مونته الفرنسي مستشرق فرنسي ولد في بلدته لوكادا ١٨١٧ ـ ١٨٩٤ قال في آخر كتابه (العرب)

عرف محمد بخلوص النية والملاطفة وإنصافه في الحكم، ونزاهة التعبير عن الفكر والتحقق، وبالجملة كان محمد أزكى وأدين وأرحم عرب عصره، وأشدهم حفاظاً على الزمام فقد وجههم

إلى حياة لم يحلموا بها من قبل، وأسس لهم دولة زمنية ودينية لا تزال إلى اليوم .

٩- السير موير

(السير موير الإنكليزي في كتابه (تاريخ محمد)

إن محمداً نبي المسلمين لقب بالأمين منذ الصغر بإجماع أهل بلده لشرف أخلاقه وحسن سلوكه، ومهما يكن هناك من أمر فإن محمداً أسمى من أن ينتهي إليه الواصف، ولا يعرفه من جهله، وخبير به من أمعن النظر في تاريخه المجيد، ذلك التاريخ الذي ترك محمداً في طليعة الرسل ومفكري العالم .

١٠- سنرستن الآسوجي

(العلامة سنرستن الآسوجي: مستشرق آسوجي ولد عام ١٨٦٦، أستاذ اللغات الساميّة، ساهم في دائرة المعارف، جمع المخطوطات الشرقية، محرر مجلة (العالم الشرقي) له عدة مؤلفات منها: (القرآن الإنجيل المحمدي ومنها: (تاريخ حياة محمد)

إننا لم ننصف محمداً إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا، فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية، مصراً على مبدئه، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المبين، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع، وهو فوق عظماء التاريخ .

١١- المستر سنكس

(المستر سنكس الأمريكي: مستشرق أميركي ولد في بلدته بالاي عام ١٨٣١، توفي ١٨٨٣ في كتابه: (ديانة العرب)

ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر، بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة، وبإرجاعها إلى الاعتقاد بإله واحد، وبحياة بعد هذه الحياة .

إلى أن قال: إن الفكرة الدينية الإسلامية، أحدثت رقياً كبيراً جداً في العالم، وخلّصت العقل الإنساني من قيوده الثقيلة التي كانت تأسره حول الهياكل بين يدي الكهان. ولقد توصل محمد - بمحوه كل صورة في المعابد وإبطاله كل تمثيل لذات الخالق المطلق - إلى تخليص الفكر الإنساني من عقيدة التجسيد الغليظة .

١٢- آن بيزيت

(آن بيزينت: حياة وتعاليم محمد دار مادرس للنشر ١٩٣٢ .)

من المستحيل لأي شخص يدرس حياة وشخصية نبي العرب العظيم ويعرف كيف عاش هذا النبي وكيف علم الناس، إلا أن يشعر بتبجيل هذا النبي الجليل، أحد رسل الله العظماء، ورغم أنني سوف أعرض فيما أروي لكم أشياء قد تكون مألوفة للعديد من الناس فإنني أشعر في كل مرة أعيد فيها قراءة هذه الأشياء بإعجاب وتبجيل متجددين لهذا المعلم العربي العظيم .

هل تقصد أن تخبرني أن رجلاً في عنفوان شبابه لم يتعد الرابعة والعشرين من عمره بعد أن تزوج من امرأة أكبر منه بكثير وظل وفياً لها طيلة ٢٦ عاماً ثم عندما بلغ الخمسين من عمره -

السن التي تخبو فيها شهوات الجسد - تزوج لإشباع رغباته وشهواته؟! ليس هكذا يكون الحكم على حياة الأشخاص .
فلو نظرت إلى النساء اللاتي تزوجهن لوجدت أن كل زيجة من هذه الزيجات كانت سبباً إما في الدخول في تحالف لصالح أتباعه ودينه أو الحصول على شيء يعود بالنفع على أصحابه أو كانت المرأة التي تزوجها في حاجة ماسة للحماية .

١٣- شبرك النمساوي (الدكتور شبرك النمساوي)

إنّ البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها، إذ إنّه رغم أُمّيته، استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أنْ يأتي بتشريع، سنكونُ نحنُ الأوروبيين أسعد ما نكون، إذا توصلنا إلى قمّته .

١٤- (توماس كارليل)
القرآن هو الكتاب الذي يقال عنه (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون)

١٥- (أرنست رينان)

لم يعتر القرآن أي تبديل أو تحريف ، وعندما تستمع إلى آياته تأخذك رجفة الإعجاب والحب ، وبعد أن تتوغل في دراسة روح التشريع فيه لا يسعك إلا أن تعظم هذا الكتاب العلوي وتقدسه.

١٦- (ليوتولستوي)
سوف تسود شريعة القرآن العالم لتوافقها وانسجامها مع العقل والحكمة.
لقد فهمت ... لقد أدركت ... ما تحتاج إليه البشرية هو شريعة سماوية تحق الحق ، وتزهق الباطل.
لا يوجد في تاريخ الرسالات كتاب بقي بحروفه كاملا دون تحوير سوى القرآن الذي نقله محمد.

١٧- (الأمريكي مايكل هارت)

مايكل هارت (مايكل هارت: في كتابه مائة رجل من التاريخ .)
إن اختياري محمداً، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي .
فهناك رُسل وأنبياء وحكماء بدءوا رسالات عظيمة، ولكنهم ماتوا دون إتمامها، كالمسيح في المسيحية، أو شاركهم فيها غيرهم، أو سبقهم إليهم سواهم، كموسى في اليهودية، ولكن محمداً هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية، وتحددت أحكامها، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته.
ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة، فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضاً، وحّد القبائل في شعب، والشعوب في أمة، ووضع لها كل أسس حياتها، ورسم أمور دنياها، ووضعها في موضع

الانطلاق إلى العالم. أيضاً في حياته، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية، وأتمها .

١٨- (جيمس جينز)

سمع العالم الفلكي (جيمس جينز) العالم المسلم (عناية الله المشرقي) يتلو الآية الكريمة (إنما يخشى الله من عباده العلماء) فصرخ قائلا: مدهش وغريب! إنه الأمر الذي كشفت عنه بعد دراسة استمرت خمسين سنة! ، من أنبأ محمدا به؟ هل هذه الآية موجودة في القرآن حقيقة؟! لو كان الأمر كذلك فأنا أشهد أن القرآن كتاب موحى به من عند الله.

١٩-(العلامة بارتلمي هيلر)

لما وعد الله رسوله بالحفظ بقوله (والله يعصمك من الناس) صرف النبي حراسه ، والمرء لا يكذب على نفسه ، فلو كان لهذا القرآن مصدر غير السماء لأبقى محمد على راسته!

٢٠- (الدكتور إيرنبرج أستاذ في جامعة أوسلو)

لا شك في أن القرآن من الله ، ولا شك في ثبوت رسالة محمد.

٢١- (البروفيسور يوشيودي كوزان - مدير مرصد طوكيو)

لا أجد صعوبة في قبول أن القرآن كلام الله ، فإن أوصاف الجنين في القرآن لا يمكن بناؤها على المعرفة العلمية للقرن السابع ، الاستنتاج الوحيد المعقول هو أن هذه الأوصاف قد أوحيت إلى محمد من الله.

٢٢- (عالم اللاهوت السويسري د.هانز كونج)

محمد نبي حقيقي بمعنى الكلمة ، ولا يمكننا بعد إنكار أن محمدا هو المرشد القائد إلى طريق النجاة.

بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان ، فوجدته في النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم

٢٣- غوته

-يخاطب الشاعر غوته أستاذه الروحي الشاعر الكبير حافظ شيرازي فيقول: (يا حافظ إن أغانيك لتبعث السكون ... إنني مهاجر إليك بأجناس البشرية المحطمة ، بهم جميعا أرجوك أن تأخذنا في طريق الهجرة إلى المهاجر الأعظم محمد بن عبد الله). (غوته)

-إن التشريع في الغرب ناقص بالنسبة للتعاليم الإسلامية ، وإننا أهل أوربا بجميع مفاهيمنا لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد ، وسوف لا يتقدم عليه أحد. (غوته)

لما بلغ غوته السبعين من عمره ، أعلن على الملأ أنه يعتزم أن يحتفل في خشوع بتلك الليلة المقدسة التي أنزل فيها القرآن الكريم على النبي محمد صلى الله عليه وسلم. القرآن كتاب الكتب ، وإني أعتقد هذا كما يعتقده كل مسلم. (غوتة)

كلما قرأت القرآن شعرت أن روحي تهتز داخل جسمي. (غوتة)

٢٤- (توماس كارليل)

إنما محمد شهاب قد أضاء العالم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

قرأت حياة رسول الإسلام جيدا مرات ومرات ، فلم أجد فيها إلا الخلق كما ينبغي أن يكون ، وكم ذا تمنيت أن يكون الإسلام هو سبيل العالم .

٢٥ـ (كارل ماركس)

جدير بكل ذي عقل أن يعترف بنبوته وأنه رسول من السماء إلى الأرض.

(كارل ماركس)

هذا النبي افتتح برسالته عصرا للعلم والنور والمعرفة ، حري أن تدون أقواله وأفعاله بطريقة علمية خاصة ، وبما أن هذه التعاليم التي قام بها هي وحي فقد كان عليه أن يمحو ما كان متراكما من الرسالات السابقة من التبديل والتحوير.

٢٦ـ (فارس الخوري)

إن محمدا أعظم عظماء العالم ، والدين الذي جاء به أكمل الأديان.

قالوا عن أعظم إنسان

٢٧ـ العالم الأمريكي مايكل هارث

"إن محمدًا صلى الله عليه وسلم كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي.. إن هذا الاتحاد الفريد الذي لا نظير له للتأثير الديني والدنيوي معًا يخوّله أن يعتبر أعظم شخصية ذات تأثير في تاريخ البشرية

٢٨ـ برتراند راسل

أخلاق "محمد" تمنح معنى للوجود

برتراند راسل وهو أحد فلاسفة بريطانيا الكبار والحاصل على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٥٠، قال: "لقد قرأت عن الإسلام ونبي الإسلام فوجدت أنه دين جاء ليصبح دين العالم والإنسانية، فالتعاليم التي جاء بها محمد والتي حفل بها كتابه مازلنا نبحث ونتعلق بذرات منها وننال أعلى الجوائز من أجلها."

٢٩ـ توماس كارليل

الرسول لم يكن من محبي الشهرة

المصلح الاجتماعي الإنجليزي توماس كارليل كان مولعاً بالشخصيات التي غيرت مجرى التاريخ، وأفرد في كتابه "الأبطال" فصلاً كاملاً للحديث عن الرسول الكريم "صلى الله عليه وسلم" واستعرض فيه نواحي العظمة في حياته ورد على افتراءات الكارهين له ولرسالته العظيمة حتى انه اتهم بالتحيز للإسلام.

ومما قاله "قوم يضربون في الصحراء عدة قرون لا يؤبه بهم ولهم فلما جاءهم النبي العربي، أصبحوا قبلة الأنظار في العلوم والمعرفات وكثروا بعد قلة، وعزوا بعد ذلة، ولم يمض قرن حتى استضاءت أطراف الأرض بعقولهم وعلومهم."

٣٠ـ في كتاب "الأبطال والبطولة" تعجب مؤلفه توماس كارلايل

"كيف تمكن رجل واحد بمفرده في ربط شمل القبائل المتحاربة والبدو الهائمة ليصبحوا من اقوي الأمم وأكثرها تحضرا في فترة تقل عن عقدين من الزمن

٣١- ويليام موير

السير ويليام موير هو اسكتلندي درس الحقوق في جامعتي أدنبره، وجلاسجو وبدأ يبحث عن الإسلام ويدرس أخلاق نبي الإسلام في بداية وجوده بالهند وله دراسات جديدة منها "سيرة النبي والتاريخ الإسلامي

٣٢-روسو

لم أرى في العالم رجلا مثل "محمد"

٣٣- فولتير

الشاعر والكاتب الفرنسي فولتير وصاحب حركة الاستنارة الفرنسية في القرن الثامن عشر والذي كان يؤمن بالتسامح الديني عندما تحدث عن رسول الإسلام قال "السنن التي أتى بها محمد كانت كلها ما عدا تعدد الزوجات قاهرة للنفس ومهذبة لها، فجمال تلك الشريعة وبساطة قواعدها الأصلية جذبا للدين المحمدي، أمماً كثيرة أسلمت"

٣٤- تولستوي

(ليو تولستوي «١٨٢٨ - ١٩١٠» الأديب العالمي الذي يعد أدبه من أمتع ما كتب في التراث الإنساني قاطبة عن النفس البشرية .)

الأديب الروسي ليو تولستوي قال "لا يوجد نبي حظي باحترام أعدائه سوى النبي محمد مما جعل الكثرة من الأعداء يدخلون الإسلام"

أنا واحد من المبهورين بالنبي محمد الذي اختاره الله الواحد لتكون آخر الرسالات على يديه ، وليكون هو أيضا آخر الأنبياء.

يكفي محمداً فخراً أنّه خلّص أمةً ذليلةً دمويةً من مخالبِ شياطين العادات الذميمة، وفتح على وجوههم طريقَ الرُّقي والتقدم، وأنّ شريعةَ محمدٍ، ستسودُ العالم لانسجامها مع العقل والحكمة .

إن شريعة محمد صلي الله عليه وسلم ستسود العالم لانسجامها مع العقل والحكمة

٣٥- غوستاف لوبون

"جمع محمد [صلى الله عليه وسلم] قبل وفاته كلمة العرب، وبنى منهم أمة واحدة خاضعة لدين واحد مطيعة لزعيم واحد، فكانت في ذلك آيته الكبرى.. ومما لا ريب فيه أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] أصاب في بلاد العرب نتائج لم تصب مثلها جميع الديانات التي ظهرت قبل الإسلام، ومنها اليهودية والنصرانية ولذلك كان فضله على العرب عظيمًا.."

"إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد [صلى الله عليه وسلم] من أعظم من عرفهم التاريخ، وقد أخذ علماء الغرب ينصفون محمدًا [صلى الله عليه وسلم] مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله.."

"استطاع محمد [صلى الله عليه وسلم] أن يبدع مثلاً عاليًا قويًا للشعوب العربية التي لا عهد لها بالمثل العليا، وفي ذلك الإبداع تتجلى عظمة محمد [صلى الله عليه وسلم] على الخصوص.. ولم يتردد أتباعه في التضحية بأنفسهم في سبيل هذا المثل الأعلى.."

".. لا شيء أصوب من جمع محمد [صلى الله عليه وسلم] لجميع السلطات المدنية والحربية والدينية في يد واحدة أيام كانت جزيرة العرب مجزأة ما استطعنا أن نقدر قيمة ذلك بنتائجه، فقد فتح العرب العالم في قرن واحد بعد أن كانوا قبائل من أشباه البرابرة المتحاربين قبل ظهور محمد [صلى الله عليه وسلم]".

٣٦ـ لوقا

مسيحي من مصر. يتميز بنظرته الموضوعية وإخلاصه العميق للحق. ورغم إلحاح أبويه على تنشئته على المسيحية منذ كان صبيًا، فإنه كثيرًا ما كان يحضر مجالس شيوخ المسلمين ويستمع بشغف إلى كتاب الله وسيرة الرسول عليه السلام. بل إنه حفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز العاشرة من عمره. ألف عددًا من الكتب أبرزها (محمد الرسالة والرسول)، و(محمد في حياته الخاصة).

".. ما كان [محمد صلى الله عليه وسلم] كآحاد الناس في خلاله ومزاياه، وهو الذي اجتمعت له آلاء الرسل [عليهم السلام]، وهمة البطل، فكان حقًا على المنصف أن يكرم فيه المثل، ويحيّي فيه الرجل"

"لا تأليه ولا شبهة تأليه في معنى النبوة الإسلامية.. وقد درجت شعوب الأرض على تأليه الملوك والأبطال والأجداد، فكان الرسل أيضًا معرضين لمثل ذلك الربط بينهم وبين الألوهية بسبب من الأسباب، فما أقرب الناس لو تركوا لأنفسهم أن يعتقدوا في الرسول أو النبي أنه ليس بشرًا كسائر البشر وأن له صفة من صفات الألوهية على نحو من الأنحاء. ولذا نجد توكيد هذا التنبيه متواترًا مكررًا في آيات القرآن، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر" {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ} [الكهف ١١٠]، وفي تخير كلمة (مثلكم) معنى مقصود به التسوية المطلقة، والحيلولة دون الارتفاع بفكرة النبوة أو الرسالة فوق مستوى البشرية بحال من الأحوال. بل نجد ما هو أصرح من هذا المعنى فيما جاء بسورة الشورى: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلا الْبَلاغُ} [الشورى ٤٨]، وظاهر في هذه الآية تعمد تنبيه الرسول نفسه [صلى الله عليه وسلم] إلى حقيقة مهمته، وحدود رسالته التي كلف بها، وليس له أن يعدوها، كما أنه ليس للناس أن يرفعوه فوقها"

".. رجل فرد هو لسان السماء. فوقه الله لا سواه. ومن تحته سائر عباد الله من المؤمنين. ولكن هذا الرجل يأبى أن يداخله من ذلك كبر. بل يشفق، بل يفرق من ذلك ويحشد نفسه كلها لحرب الزهو في سريرته، قبل أن يحاربه في سرائر تابعيه. ولو أن هذا الرسول [صلى الله عليه وسلم] بما أنعم من الهداية على الناس وما تم له من العزة والأيادي، وما استقام له من السلطان، اعتد بذلك كله واعتزّ، لما كان عليه جناح من أحد، لأنه إنما يعتد بقيمة ماثلة، ويعتز بمزية طائلة. يطريه أصحابه بالحق الذي يعلمون عنه، فيقول لهم: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد الله، فقولوا عبد الله ورسوله. ويخرج على جماعة من أصحابه فينهضون تعظيمًا له، فينهاهم عن ذلك قائلاً: لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضًا"

"ماذا بقي من مزعم لزاعم؟ إيمان امتحنه البلاء طويلاً قبل أن يفاء عليه بالنصر وما كان النصر متوقعًا أو شبه متوقع لذلك الداعي إلى الله في عاصمة الأوثان والأزلام.. ونزاهة ترتفع فوق المنافع، وسمو يتعفف عن بهارج الحياة، وسماحة لا يداخلها زهو أو استطالة بسلطان

مطاع. لم يفد. ولم يورث آله، ولم يجعل لذريته وعشيرته ميزة من ميزات الدنيا ونعيمها وسلطانها. وحرم على نفسه ما أحلّ لآحاد الناس من أتباعه، وألغى ما كان لقبيلته من تقدم على الناس في الجاهلية حتى جعل العبدان والأحابيش سواسية وملوك قريش. لم يمكن لنفسه ولا لذويه. وكانت لذويه بحكم الجاهلية صدارة غير مدفوعة، فسوّى ذلك كله بالأرض أي قالة بعد هذا تنهض على قدمين لتطاول هذ المجد الشاهق أو تدافع هذا الصدق الصادق؟ لا خيرة في الأمر، ما نطق هذا الرسول عن الهوى.. وما ضلّ وما غوى.. وما صدق بشر إن لم يكن هذا الرسول بالصادق الأمين.."

"أي الناس أولى بنفي الكيد عن سيرته من (أبي القاسم) [صلى الله عليه وسلم] الذي حول الملايين من عبادة الأصنام الموبقة إلى عبادة الله رب العالمين، ومن الضياع والانحلال إلى السموّ والإيمان، ولم يفد من جهاده لشخصه أو آله شيئًا مما يقتتل عليه طلاب الدنيا من زخارف الحطام؟"

"كان [محمد [صلى الله عليه وسلم]] يملك حيويته ولا تملكه حيويته. ويستخدم وظائفه ولا تستخدمه وظائفه. فهي قوة له تحسب في مزاياه، وليست ضعفًا يعد في نقائصه. لم يكن [صلى الله عليه وسلم] معطل النوازع ولكنها لم تكن نوازع تعصف به، لأنه يسخرها في كيانه في المستوى الذي يكرم به الإنسان حين يطلب ما هو جميل وجليل في الصورة الجميلة الجليلة التي لا تهدر من قدره بل تضاعف من تساميه وعفته وطهره. وبيان ذلك في أمر بنائه بزوجاته التسع [رضي الله عنهن].."

٣٧- ماسيه

ولد عام ١٨٨٦، عمل مديرًا للمعهد الفرنسي بالقاهرة، وعين أستاذًا في جامعة الجزائر (١٩١٦-١٩٢٧)، وعضوًا في مجمع الكتابات والآداب وفي المجمع العلمي العربي بدمشق

"بفضل إصلاحات محمد [صلى الله عليه وسلم] الدينية والسياسية، وهي إصلاحات موحدة بشكل أساسي، فإن العرب وعوا أنفسهم وخرجوا من ظلمات الجهل والفوضى ليعدّوا دخلوهم النهائي إلى تاريخ المدنية"

".. كان محمد [صلى الله عليه وسلم] هو المشرّع الملهم والمحرك الأول للوحدة الدينية بين جميع الأقوام، .. وكان بسيطًا وحازمًا.."

٣٨- مونته

أستاذ اللغات الشرقية في جامعة جنيف، من كتبه (محمد والقرآن)، وترجمة جيدة للقرآن، و(حاضر الإسلام ومستقبله).

"إن طبيعة محمد [صلى الله عليه وسلم] الدينية تدهش كل باحث مدقّق نزيه المقصد بما يتجلى فيها من شدة الإخلاص. فقد كان محمد مصلحًا دينيًا ذا عقيدة راسخة، ولم يقم إلا بعد أن تأمل كثيرًا وبلغ سن الكمال بهذه الدعوة العظيمة التي جعلته من أسطع الأنوار الإنسانية في الدين. وهو في قتاله الشرك والعادات القبيحة التي كانت عند أبناء زمنه كان في بلاد العرب أشبه بنبي من أنبياء بني إسرائيل الذين نراهم كبارًا جدًا في تاريخ قومهم. ولقد جهل كثير من الناس محمدًا [صلى الله عليه وسلم] وبخسوه حقه وذلك لأنه من المصلحين النادرين الذين عرف الناس أطوار حياتهم بدقائقها"

"كان محمد [صلى الله عليه وسلم] كريم الأخلاق حسن العشرة، عذب الحديث، صحيح الحكم صادق اللفظ، وقد كانت الصفات الغالبة عليه هي صحة الحكم وصراحة اللفظ، والاقتناع التام بما يعمله ويقوله"

".. ندر بين المصلحين من عرفت حياتهم بالتفصيل مثل [محمد [صلى الله عليه وسلم]] وإن ما قام به من إصلاح أخلاق وتطهير المجتمع يمكن أن يعد به من أعظم المحسنين للإنسانية"

"لا مجال للشك في إخلاص الرسول [صلى الله عليه وسلم] وحماسته الدينية التي تشبعت بها نفسه وفكره.."

٣٩- نهرو

ولد في عام ١٨٨٩، في مدينة الله آباد، في الهند، والتقى بغاندي في أوائل عام ١٩١٩، اعتقل عدة مرات، وانتخب رئيسًا لحزب المؤتمر الهندي الوطني عدة مرات

".. لربما خامرت هؤلاء الملوك والحكام [الذين تسلموا كتب الرسول [صلى الله عليه وسلم] الدهشة من هذا الرجل البسيط الذي يدعوهم إلى الطاعة. ولكن إرسال هذه الكتب يعطينا صورة عن مقدار ثقة محمد [صلى الله عليه وسلم] بنفسه ورسالته. وقد هيأ بهذه الثقة وهذا الإيمان لأمته أسباب القوة والعزّة والمنعة وحوّلهم من سكان صحراء إلى سادة يفتحون نصف العالم المعروف في زمانهم.. وقد توفي محمد [صلى الله عليه وسلم] بعد أن جعل من القبائل العربية المتنافرة أمة واحدة تتقد غيرة وحماسًا.."

٤٠- هارث

أمريكي، حصل على عدة شهادات في العلوم وعلى الدكتوراه في الفلك من جامعة برنستون، عام ١٩٧٢، عمل في مراكز الأبحاث والمراصد، وهو أحد العلماء المعتمدين في الفيزياء التطبيقية.

"إن اختياري لمحمد [صلى الله عليه وسلم] ليكون رأس القائمة التي تضم الأشخاص الذين كان لهم أعظم تأثير عالمي في مختلف المجالات، ربما أدهش كثيرًا من القراء.. ولكن في اعتقادي أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي"

"لقد أسس محمد [صلى الله عليه وسلم] ونشر أحد أعظم الأديان في العالم، وأصبح أحد الزعماء العالميين السياسيين العظام. ففي هذه الأيام وبعد مرور ثلاثة عشر قرنًا تقريبًا على وفاته، فإن تأثيره لا يزال قويًا وعارمًا.."

".. من وجهة النظر الدينية الصرفة يبدو أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] كان له تأثير على البشرية عبر التاريخ كما كان للمسيح (عليه السلام)"

".. إن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] يختلف عن المسيح بأنه كان زعيمًا دنيويًا فضلاً عن أنه زعيم ديني، وفي الحقيقة إذا أخذنا بعين الاعتبار القوى الدافعة وراء الفتوحات الإسلامية، فإن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] يصبح أعظم قائد سياسي على مدى الأجيال"

".. إن هذا الاتحاد الفريد لا نظير له للتأثير الديني والدنيوي معًا يخول محمدًا [صلى الله عليه وسلم] أن يعتبر أعظم شخصية مفردة ذات تأثير في تاريخ البشرية"

٤١- مونتغمري وات

"منذ أن قام كارليل بدراسته عن محمد [صلى الله عليه وسلم] في كتابه (الأبطال وعبادة البطل) أدرك الغرب أن هناك أسبابًا وجيهة للاقتناع بصدق محمد. إذ إن عزيمته في تحمل الاضطهاد من أجل عقيدته، والخلق السامي للرجال الذين آمنوا به، وكان لهم بمثابة القائد، وأخيرًا عظمة عمله في منجزاته الأخيرة، كل ذلك يشهد باستقامته التي لا تتزعزع. فاتهام محمد [صلى الله عليه وسلم] بأنه دجال Imposteur يثير من المشاكل أكثر مما يحلّ. ومع ذلك فليس هناك شخصية كبيرة في التاريخ حط من قدرها في الغرب كمحمد [صلى الله عليه وسلم]. فقد أظهر الكتاب الغربيون ميلهم لتصديق أسوأ الأمور عن محمد [صلى الله عليه وسلم] وكلما ظهر أي تفسير نقدي لواقعة من الوقائع ممكنًا قبوله. ولا يكفي، مع ذلك، في ذكر فضائل محمد أن نكتفي بأمانته وعزيمته إذا أردنا أن نفهم كل شيء عنه. وإذا أردنا أن نصحح الأغلاط المكتسبة من الماضي بصدده فيجب علينا في كل حالة من الحالات، لا يقوم الدليل القاطع على ضدها، أن نتمسك بصلابة بصدقه. ويجب علينا أن لا ننسى عندئذ أيضًا أن الدليل القاطع يتطلب لقبوله أكثر من كونه ممكنًا وأنه في مثل هذا الموضوع يصعب الحصول عليه.."

"هناك – على العكس – أسباب قوية تؤكد صدق (محمد) [صلى الله عليه وسلم] ونستطيع في مثل هذه الحالة الخاصة أن نبلغ درجة عالية من اليقين، لأن النقاش حول هذه المسألة.. يعتمد على وقائع ولا يمكن أن يتضمن خلافًا في التقدير حول الأخلاقية.."

".. ليس توسع العرب شيئًا محتومًا أو آليًا وكذلك إنشاء الأمة الإسلامية. ولولا هذا المزيج الرائع من الصفات المختلفة الذي نجده عند محمد [صلى الله عليه وسلم] لكان من غير الممكن أن يتم هذا التوسع، ولاستنفذت تلك القوى الجبارة في غارات على سوريا والعراق دون أن تؤدي لنتائج دائمة. ونستطيع أن نميز ثلاث هبات مهمة أوتيها محمد [صلى الله عليه وسلم]. وكانت كل واحدة منها ضرورية لإتمام عمل محمد [صلى الله عليه وسلم] بأكمله. لقد أوتي أولاً موهبة خاصة على رؤية المستقبل. فكان للعالم العربي بفضله، أو بفضل الوحي الذي ينزل عليه حسب رأي المسلمين، أساس فكري (إيديولوجي) حلت به الصعوبات الاجتماعية، وكان تكوين هذا الأساس الفكري يتطلب في نفسه الوقت حدسًا ينظر في الأسباب الأساسية للاضطراب الاجتماعي في ذلك العصر، والعبقرية الضرورية للتعبير عن هذا الحدس في صورة تستطيع إثارة العرب حتى أعمق كيانها.. وكان محمد [صلى الله عليه وسلم] ثانيًا رجل دولة حكيمًا. ولم يكن هدف البناء الأساسي الذي نجده في القرآن، سوى دعم التدابير السياسية الملموسة والمؤسسات الواقعية. ولقد ألححنا خلال هذا الكتاب غالبًا على استراتيجية محمد [صلى الله عليه وسلم] السياسية البعيدة النظر على إصلاحاته الاجتماعية ولقد دلّ على بعد نظره في هذه المسائل الانتشار السريع الذي جعل من دولته الصغيرة إمبراطورية، وتطبيق المؤسسات الاجتماعية على الظروف المجاورة واستمرارها خلال أكثر من ثلاثة عشر قرنًا. وكان محمد [صلى الله عليه وسلم] ثالثًا رجل إدارة بارعًا، فكان ذا بصيرة رائعة في اختيار الرجال الذين يندبهم للمسائل الإدارية. إذ لن يكون للمؤسسات المتينة والسياسة الحكيمة أثر إذا كان التطبيق خاطئًا مترددًا. وكانت الدولة التي أسسها محمد [صلى الله عليه وسلم] عند وفاته،

مؤسسة مزدهرة تستطيع الصمود في وجه الصدمة التي أحدثها غياب مؤسسها، ثم إذا بها بعد فترة تتلاءم مع الوضع الجديد وتتسع بسرعة خارقة اتساعًا رائعًا"

"كلما فكرنا في تاريخ محمد [صلى الله عليه وسلم] وتاريخ أوائل الإسلام، تملكنا الذهول أمام عظمة مثل هذا العمل. ولا شك أن الظروف كانت مواتية لمحمد فأتاحت له فرصًا للنجاح لم تتحها لسوى القليل من الرجال غير أن الرجل كان على مستوى الظروف تمامًا. فلو لم يكن نبيًا ورجل دولة وإدارة، ولو لم يضع ثقته بالله ويقتنع بشكل ثابت أن الله أرسله، لما كتب فصلاً مهمًا في تاريخ الإنسانية. ولي أمل أن هذه الدراسة عن حياة محمد [صلى الله عليه وسلم] يمكنها أن تساعد على إثارة الاهتمام ، من جديد ، برجل هو أعظم رجال أبناء آدم"

٤٢- ولز

الكاتب والأديب البريطاني المعروف. حصل على بكالوريوس العلوم سنة ١٨٨٨

".. هل تراك علمت قط أن رجلاً على غير كريم السجايا مستطيع أن يتخذك صديقًا؟ ذلك أن من عرفوا محمدًا [صلى الله عليه وسلم] أكثر من غيرهم، كانوا أشد الناس إيمانًا به. وقد آمنت به خديجة [رضي الله عنها] كل حياته على أنها ربما كانت زوجة محبة. فأبو بكر [رضي الله عنه] شاهد أفضل وهو لم يتردد قط في إخلاصه. كان يؤمن بالنبي [صلى الله عليه وسلم] ومن العسير على أي إنسان يقرأ تلك الأيام إلا يؤمن بأبي بكر [رضي الله عنه]، وكذلك علي [رضي الله عنه] فإنه خاطر بحياته من أجل النبي [صلى الله عليه وسلم] في أحلك أيامه سوادًا.."

"حجّ محمد [صلى الله عليه وسلم] حجة الوداع من المدينة إلى مكة، قبل وفاته بعام، وعند ذاك ألقى على شعبه موعظة عظيمة.. إنّ أول فقرة فيها تجرف أمامها كل ما بين المسلمين من نهب وسلب ومن ثارات ودماء، وتجعل الفقرة الأخيرة منها الزنجي المؤمن عدلاً للخليفة.. إنها أسست في العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم، وإنها لتنفخ في الناس روح الكرم والسماحة، كما أنها إنسانية السمة ممكنة التنفيذ، فإنها خلقت جماعة إنسانية يقل ما فيها مما يغمر الدنيا من قسوة وظلم اجتماعي، عما في أي جماعة أخرى سبقتها"

"لقد منح [العرب] العالم ثقافة جديدة، وأقاموا عقيدة لا تزال إلى اليوم من أعظم القوى الحيوية في العالم أما الرجل الذي أشعل ذلك القبس العربي فهو محمد [صلى الله عليه وسلم]

٤٣-عبد الله لويليام

"كان محمد [صلى الله عليه وسلم] على أعظم ما يكون من كريم الطباع وشريف الأخلاق ومنتهى الحياء وشدة الإحساس.. وكان حائزًا لقوة إدراك عجيبة وذكاء مفرط وعواطف رقيقة شريفة. وكان على خلق عظيم وشيم مرضية مطبوعًا على الإحساس.."

".. إن بعض كتاب هذا العصر الحاضر كادوا أن يعرفوا بأن الطعن والقدح والشتم والسب ليس بالحجة ولا البرهان فسلموا بذكر كثير من صفات النبي [صلى الله عليه وسلم] السامية وجليل أعماله الفاخرة.."

".. ما اهتدى مئات الملايين إلى الإسلام إلا ببركة محمد [صلى الله عليه وسلم] الذي علمهم الركوع والسجود لله وأبقى لهم دستورًا لن يضلوا بعده أبدًا وهو القرآن الجامع لمصالح دنياهم ولخير أخراهم.."

"لما شرف محمد [صلى الله عليه وسلم] ساحة عالم الشهود بوجوده الذي هو الواسطة العظمى والوسيلة الكبرى إلى اعتلاء النوع الإنساني وترقيه في درجات المدنية أكمل ما يحتاجه البشر من اللوازم الضرورية على نهج مشروع وأوصل الخلق إلى أقصى مراتب السعادة بسرعة خارقة. ومن نظر بعين البصيرة في حال الأنام قبله عليه الصلاة والسلام وما كانوا عليه من الضلالة. ونظر في حالهم بعد ذلك وما حصل لهم في عصره من الترقّي العظيم رأى بين الحالين فرقًا عظيمًا كما بين الثريا والثرى"

".. امتدت أنوار المدنية بعد محمد [صلى الله عليه وسلم] في قليل من الزمان ساطعة في أقطار الأرض من المشرق إلى المغرب حتى إن وصول أتباعه في ذلك الزمن اليسير إلى تلك المرتبة العلية من المدنية قد حيّر عقول أولي الألباب. وما السبب في ذلك إلا كون أوامره ونواهيه موافقة لموجب العقل ومطابقة لمقتضى الحكمة

٤٤- كاهن كلود كاهن Cl. Cahen

ولد عام ١٩٠٩، وتخرج باللغات الشرقية من السوربون ومدرسة اللغات الشرقية ومدرسة المعلمين العليا، وعين محاضرًا في مدرسة اللغات الشرقية في باريس (١٩٣٨)، وأستاذًا لتاريخ الإسلام في كلية الآداب بجامعة ستراسبورغ (١٩٤٥)، وفي جامعة باريس.

"اصطبغت شخصية محمد [صلى الله عليه وسلم] بصبغة تاريخية قد لا تجدها عند أي مؤسس آخر من مؤسسي الديانات الكبرى"

"يبدو للمؤرخ المنصف أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] كان في عداد الشخصيات النبيلة السامية التي سعت في كثير من الحماس والإخلاص إلى النهوض بالبيئة التي عاش فيها أخلاقيًا وفكريًا، كما استطاع في الوقت نفسه أن يكيف رسالته حسب طباع الناس وتقاليدهم بمزيد من الفهم والتنظيم بحيث كفل البقاء والخلود للرسالة التي بشر بها. وحتم علينا أن نلقى محمدًا [صلى الله عليه وسلم] بعواطف الإجلال والاحترام لما تحلى به من سمو الإلهام ومن قدرة على تذليل العقبات الإنسانية عامة والتغلب على مصاعبه الشخصية خاصة. وربما أثارت فينا بعض جوانب حياته شيئًا من الارتباك تبعًا لعقليتنا المعاصرة. فقد أكدت المهاترات على شهوات الرسول [صلى الله عليه وسلم] الدنيوية وألمحت إلى زوجاته التسع اللائي اتخذهن بعد وفاة خديجة [رضي الله عنه]. لكن الثابت أن معظم هذه الصلات الزوجية قد طبعت بطابع سياسي، وأنها استهدفت الحصول على ولاء بعض الأشراف وبعض الأفخاذ. ثم إن العقلية العربية تقرّ الإنسان إذا استخدم طبيعته على نحو ما خلقها الله"

٤٥- هاملتون كب

".. اقتضى الأمر نشوء علم جديد غايته جمع الحديث ونقده وتصنيفه وتنسيقه والحصول في النهاية – بقدر الإمكان – على مجموعة متفق عليها يتقبلها الجميع. وقد استأثرت هذه المهمة

بالكثير من طاقات الفقهاء والعلماء في القرن الثالث، ولكن القائمين عليها أحرزوا نجاحًا حتى أصبح حديث الرسول [صلى الله عليه وسلم] يعتبر مرجعًا ثانيًا معتمدًا للفقه والعقيدة"
".. يكاد يكون من المؤكد أن الآراء التي تعبر عنها الأحاديث [التي تم جمعها في القرن الثالث] تمثل تعاليم القرآن ومبادئه الخلقية تمثيلاً صادقًا"
"إن بدايات التاريخ العلمي بالعربية تقترن بدراسة سيرة الرسول [صلى الله عليه وسلم] ودراسة أعماله. وعليه فإننا نجد مصدر هذه الدراسة في جمع الحديث النبوي وبخاصة الأحاديث المتعلقة بمغازي الرسول [صلى الله عليه وسلم]. وكان موطن هذه الدراسة هو المدنية.. ويفسر لنا ارتباط المغازي بالحديث، هذا الارتباط الذي ترك طابعًا لا يمحى في المنهج التاريخي باستخدام هذا المنهج للإسناد، ما طرأ من تغير هائل ظهر منذ هذه اللحظة في طبيعة الأخبار التاريخية عند العرب، ودقتها المؤسسة على النقد. ويمكننا أن نشعر لأول مرة بأننا نستند إلى أساس تاريخي قويم حتى وإن اعترفنا بوجود بعض العناصر المشكوك فيها في أخبار الفترتين، المدنية والمكية، من حياة الرسول [صلى الله عليه وسلم]"
"ومهما نقل في قوة النزعة الإسلامية نحو محمد [صلى الله عليه وسلم] وفي آثارها فإنا لا نوصف بالغلو. فقد كان إجلال الرسول [صلى الله عليه وسلم] شعورًا طبيعيًا محتومًا في عصره وفيما بعده، غير أن ما نومئ إليه شيء يتجاوز الإجلال. فإن العلاقات الشخصية من الإعجاب والحب اللذين بعثهما في نفوس صحابته ظل صداها يتردد خلال القرآن، والفضل في ذلك يعود إلى الوسائل التي أقرّتها الأمة لتستثير بهما مجددين في كل جيل"
".. لولا الحديث لأصبح [لمحمد صلى الله عليه وسلم] في أقل تقدير صورة معممة – إن لم نقل بعيدة – في أصولها التاريخية والدينية. أما الحديث فقد صور وجوده الإنساني في مجموعة وفيرة من التفصيلات الحية المحسوسة، وبذلك قدم للمسلمين حين ربط بين المسلمين وبين نبيهم بنفسه الروابط الذاتية الوثيقة التي كانت تصله بأصحابه الأولين، وهي روابط نمت على مر القرون وكانت أقوى من أن تصاب بالضعف. ولم يصبح شخص محمد [صلى الله عليه وسلم] أبدًا ذا صبغة مرسومة مقررة، ويكاد لا يكون من الغلو أن نقول إن حرارة ذلك الشعور الشخصي نحو الرسول الحبيب [صلى الله عليه وسلم] كانت أبدًا أقوى عنصر حيوي في دين الجماهير الإسلامية أو كانت كذلك بين أهل السنة، على الأقل"(٥).
".. ما تزال الاحتفالات العائلية تختتم بأدعية وأناشيد في تمجيد الرسول [صلى الله عليه وسلم] وكل الأمة تراعيها وتشهدها بحماسة في ذلك اليوم المجيد، يوم مولد النبي [صلى الله عليه وسلم] في الثاني عشر من شهر ربيع الأول. هنالك ترى المجددين والمقلدين والصوفية والسلفية والعلماء وأفراد الجمهور يلتقون جميعًا معًا على بقعة واحدة، وقد يكون بين نزعاتهم العقلية تنوع واسع متباين، ولكنهم جميعًا وحدة متآلفة في إخلاصهم وحبهم محمد [صلى الله عليه وسلم]"
٤٦- بارتعالم ألماني معاصر
"كان من بين ممثلي حركة التنوير من رأوا في النبي العربي [صلى الله عليه وسلم] أدلة الله، ومشرعًا حكيمًا، ورسولاً للفضيلة، وناطقًا بكلمة الدين الطبيعي الفطري، مبشرًا به"

"كان العرب يعيشون منذ قرون طويلة في بوادي وواحات شبه الجزيرة، يعيثون فيها فسادًا. حتى أتى محمد [صلى الله عليه وسلم] ودعاهم إلى الإيمان بإله واحد، خالق بارئ، وجمعهم في كيان واحد متجانس"

٤٧- بروييباحث فرنسي معاصر، وأستاذ في السربون.

"جاء محمد بن عبد الله [صلى الله عليه وسلم]، النبي العربي وخاتمة النبيين، يبشر العرب والناس أجمعين، بدين جديد، ويدعو للقول بالله الواحد الأحد، كانت الشريعة [في دعوته] لا تختلف عن العقيدة أو الإيمان، وتتمتع مثلها بسلطة إلهية ملزمة، تضبط ليس الأمور الدينية فحسب، بل أيضًا الأمور الدنيوية، فتفرض على المسلم الزكاة، والجهاد ضد المشركين.. ونشر الدين الحنيف.. وعندما قبض النبي العربي [صلى الله عليه وسلم]، عام ٦٣٢م، كان قد انتهى من دعوته، كما انتهى من وضع نظام اجتماعي يسمو كثيرًا فوق النظام القبلي الذي كان عليه العرب قبل الإسلام، وصهرهم في وحدة قوية، وهكذا تم للجزيرة العربية وحدة دينية متماسكة، لم تعرف مثلها من قبل.."

<u>٤٨- بلاشير</u>

".. إن معجزة النبي [عليه الصلاة والسلام] الحقيقية والوحيدة هي إبلاغه الناس رسالة ذات روعة أدبية لا مثيل لها، فمن هو ذلك الرجل المكلّف بالمهام الثقيلة العبء وهي حمل النور إلى عرب الحجاز في أوائل القرن السابع ؟ إن محمدًا [عليه الصلاة والسلام] لا يبدو في القرآن إطلاقًا، منعمًا عليه بمواهب تنزهه عن الصفات الإنسانية، فهو لا يستطيع في نظر معاصريه المشركين أن يفخر بالاستغناء عن حاجاتهم هي حاجاتهم، وهو يصرّح بفخر أنه لم يكن سوى مخلوق فان: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ} [الكهف ١١٠]. وهو لم يتلق أي قدرة على صنع المعجزات، ولكنه انتخب ليكون منذرًا ومبشرًا للكافرين. إن نجاح رسالته مرتبط إذن في قيمتها الإحيائية وإلى شكلها المنقطع النظير. ولم يكن محمد [عليه الصلاة والسلام] رغم ذلك، صاحب بيان ولا شاعرًا، فإن الأخبار التي روت سيرته لم تحسن الاحتفاظ بذكرى مفاخراته الشخصية، وثمة عوامل تحملنا على الشك فيما إذا كان عرف استعمال السجع، أو أنه تلقى من السماء فنّ ارتجال الشعر. وعندما قال عنه المكّيّون المشركون أنه شاعر، أو حين عرّضوا بأن مصدر الوحي جنّي معروف أزال الله عنه هذه التهمة: {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ، لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ} [يس ٦٩–٧٠]. وهكذا يطرح هذا الوحي البالغ جماله حد الإعجاز، الواثق بحمل الناس بقوة بيانه على الهداية، كظاهرة لا علاقة لها بالفصاحة ولا الشعر"

".. أما عن انتصار الإسلام فثمَّة أسباب تداخلت وفي طليعتها القرآن والسنة وحالة الحجاز الدينية، ونصح وبيان وأمانة الرجل المرسل لإبلاغ الرسالة المنزلة عليه.."

٤٩- سانتيلانا

ولد في تونس، ودرس في روما، أحرز الدكتوراه في القانون، فدعاه المقيم العام الفرنسي في تونس. كان على معرفة واسعة بالمذهبين المالكي والشافعي، وفي سنة ١٩١٠ عين أستاذًا لتاريخ الفلسفة في الجامعة المصرية

"ما كان من محمد [صلى الله عليه وسلم] إلا أن تناول المجتمع العربي هدمًا من أصوله وجذوره وشاد صرحًا اجتماعيًا جديدًا.. هذا العمل الباهر لم تخطئه عين (ابن خلدون) النفاذة الثاقبة. إن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] هدم شكل القبيلة والأسرة المعروفين آنذاك، ومحا منه الشخصية الفردية Gentes والموالاة والجماعات المتحالفة. من يعتنق دين الإسلام عليه أن ينشئ روابطه كلها ومنها رابطة قرباه وأسرته، إلا إذا كانوا يعتنقون دينه (إخوته في الإيمان). فما داموا هم على دينهم القديم فإنه يقول لهم كما قال إبراهيم [عليه السلام] لأهله: (لقد تقطعت بيننا الأسباب.."
"كان محمد [صلى الله عليه وسلم] رسول الله إلى الشعوب الأخرى، كما كان رسول الله إلى العرب"

٥٠- آرنولد

".. لعله من المتوقع، بطبيعة الحال، أن تكون حياة مؤسس الإسلام ومنشئ الدعوة الإسلامية [صلى الله عليه وسلم]، هي الصورة الحق لنشاط الدعوة إلى هذا الدين. وإذا كانت حياة النبي [صلى الله عليه وسلم] هي مقياس سلوك عامة المؤمنين، فإنها كذلك بالنسبة إلى سائر دعاة الإسلام. لذلك نرجو من دراسة هذا المثل أن نعرف شيئًا عن الروح التي دفعت الذين عملوا على الاقتداء به، وعن الوسائل التي ينتظر أن يتخذوها. ذلك أن روح الدعوة إلى الإسلام لم تجئ في تاريخ الدعوة متأخرة بعد أناة وتفكر، وإنما هي قديمة قدم العقيدة ذاتها. وفي هذا الوصف الموجز سنبين كيف حدث ذلك وكيف كان النبي محمد [صلى الله عليه وسلم] يعد نموذجًا للداعي إلى الإسلام.."
".. من الخطأ أن نفترض أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] في المدينة قد طرح مهمة الداعي إلى الإسلام والمبلغ لتعاليمه، أو أنه عندما سيطر على جيش كبير يأتمر بأمره، انقطع عن دعوة المشركين إلى اعتناق الدين.."
".. إن المعاملة الحسنة التي تعودتها وفود العشائر المختلفة من النبي [صلى الله عليه وسلم] واهتمامه بالنظر في شكاياتهم، والحكمة التي كان يصلح بها ذات بينهم، والسياسة التي أوحت إليه بتخصيص قطع من الأرض مكافأة لكل من بادر إلى الوقوف في جانب الإسلام وإظهار العطف على المسلمين، كل ذلك جعل اسمه مألوفًا لديهم، كما جعل صيته ذائعًا في كافة أنحاء شبه الجزيرة سيدًا عظيمًا ورجلاً كريمًا. وكثيرًا ما كان يفد أحد أفراد القبيلة على النبي [صلى الله عليه وسلم] بالمدينة ثم يعود إلى قومه داعيًا إلى الإسلام جادًا في تحويل إخوانه إليه.."

٥١- إبراهيم خليل أحمد

"هذه هي حقيقة يثبتها التاريخ: فبينما كان العالم الشرقي والعالم الغربي بفلسفاتهما العقيمة يعيش في دياجير ظلام الفكر وفساد العبادة، بزغ من مكة المكرمة في شخص محمد رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، نور وضاء أضاء على العالم فهداه إلى الإسلام"

"إن سيدنا عيسى عليه السلام يتنبأ عن الرسول الكريم محمد [صلى الله عليه وسلم] بقوله: (وأما متى جاء ذاك: روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية)

"يقول برنابا: (سيأتي مسيا (أي الرسول) المرسل من الله لكل العالم،.. وحينئذ يسجد لله في كل العالم وتنال الرحمة..)

".. كلمة إنجيل كلمة يونانية تعني بشارة أو بشرى، ولعل هذا هو الذي نستفيده من سيرة سيدنا عيسى عليه السلام، أنه كان بشرى من الله للرحمة، وبشرى بتبشيره عن المسيا الذي سيأتي للعالمين هدى ورحمة، ألا وهو الرسول الكريم سيدنا محمد [صلى الله عليه وسلم]"

"يقول عيسى [عليه السلام] في إنجيل برنابا: (لأن الله سيصعِّدني من الأرض وسيغير منظر الخائن حتى يظنه كل أحد إيّاي. ومع ذلك فإنه حين يموت شر ميتة أمكث أنا في ذلك العار زمنًا طويلاً في العالم ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس تزال عني هذه الوصمة)

٥٢- رودنسن

مكسيم رودنسن ولد عام ١٩١٥، من أساتذة مدرسة الدراسات العليا بباريس، ثم مديرها.

".. [بظهور عدد من المؤرخين الأوروبيين المستنيرين في القرن الثامن عشر] بدأت تتكامل معالم صورة هي صورة محمد [صلى الله عليه وسلم] الحاكم المتسامح والحكيم والمشرع"

٥٣- فرانز روزنثال

"إن أفكار الرسول [صلى الله عليه وسلم] التي تلقاها وحيًا أو التي أدى إليها اجتهاده نشّطت دراسة التاريخ نشاطًا لا مزيد عليه، فقد أصبحت أعمال الأفراد وأحداث الماضي وحوادث كافة شعوب الأرض أمورًا ذات أهمية دينية، كما أن شخصية الرسول [صلى الله عليه وسلم] كانت خطًا فاصلاً واضحًا في كل مجرى التاريخ، ولم يتخط علم التاريخ الإسلامي هذا الخط قط.."

"تبقى حقيقة، هي أن الرسول [صلى الله عليه وسلم] نفسه وضع البذور التي نجني منها اهتمامًا واسعًا بالتاريخ.. لقد كان التاريخ يملأ تفكير الرسول [صلى الله عليه وسلم] لدرجة كبيرة، وقد ساعد عمله من حيث العموم في تقديم نمو التاريخ الإسلامي في المستقبل، رغم أن الرسول [صلى الله عليه وسلم] لم يتنبأ بالنمو الهائل للمعرفة والعلم الذي سيتم باسم دينه"

٥٤- جاك ريسلر

"القرآن يكمله الحديث الذي يعد سلسلة من الأقوال تتعلق بأعمال النبي [صلى الله عليه وسلم] وإرشاداته. وفي الحديث يجد المرء ما كان يدور بخلد النبي [صلى الله عليه وسلم]، العنصر الأساسي من سلوكه أمام الحقائق المتغيرة في الحياة، هذه الأقوال ، أو هذه الأحاديث التي يشكل مجموعها السنة دونت مما روي عن الصحابة [رضي الله عنهم] أو نقل عنهم مع التمحيص الشديد في اختيارها وهكذا جمع عدد كبير من الأحاديث.. والسنة هي المبينة للقرآن التي لا غنى عنها للقرآن.."

".. كان لزامًا على محمد [صلى الله عليه وسلم] أن يبرز في أقصر وقت ممكن تفوّق الشعب العربي عندما أنعم الله عليه بدين سام في بساطته ووضوحه، وكذلك بمذهبه الصارم في التوحيد في مواجهة التردد الدائم للعقائد الدينية. وإذا ما عرفنا أن هذا العمل العظيم أدرك وحقق في أقصر أجل أعظم أمل لحياة إنسانية فإنه يجب أن نعترف أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] يظل

في عداد أعظم الرجال الذين شرف بهم تاريخ الشعوب والأديان"

٥٥- جورج سارتون

"صدع الرسول [صلى الله عليه وسلم] بالدعوة نحو عام ٦١٠م وعمره يوم ذاك أربعون سنة، وكان مثل إخوانه الأنبياء السابقين [عليهم السلام] ولكن كان أفضل منهم بما لا نسبة فيه.. وكان زاهدًا وفقيهًا ومشرعًا ورجلاً عمليًا.."

"إنه لم يتح لنبي من قبل.. أن ينتصر انتصارًا تامًا كانتصار محمد [صلى الله عليه وسلم].."

".. لم يكن محمد [صلى الله عليه وسلم] نبي الإسلام فحسب، بل نبي اللغة العربية والثقافة العربية، على اختلاف أجناس المتكلمين بها وأديانهم"

٥٦- نصري سلهب

"في مكة.. أبصر النور طفل لم يمرّ ببال أمة، ساعة ولادته، أنه سيكون أحمد أعظم الرجال في العالم بل في التاريخ، ولربما أعظمهم إطلاقًا.."

"هنا عظمة محمد [صلى الله عليه وسلم]. لقد استطاع، خلال تلك الحقبة القصيرة من الزمن، أن يحدث شريعة خلقية وروحية واجتماعية لم يستطعها أحد في التاريخ بمثل تلك السرعة المذهلة"

".. هذا الرجل الذي ما عرف الهدوء ولا الراحة ولا الاستقرار، استطاع وسط ذلك الخضم الهائج، أن يرسي قواعد دولة، وأن يشرّع قوانين ويسنّ أنظمة، ويجود بالتفسير والاجتهادات.. ولم ينس أنه أب وجد لأولاد وأحفاد، فلم يحرمهم عطفه وحنانه، فكان بشخصيته الفذة الغنية بالقيم والمعطيات والمؤهلات، المتعددة الأبعاد والجوانب، الفريدة بما أسبغ الله عليها من نعم وصفات، وبما حباها من إمكانات، كان بذلك كله، عالمًا قائمًا بنفسه"

"تراثك يا ابن عبد الله ينبغي أن يُحيا، لا في النفوس والقلوب فحسب، بل في واقع الحياة، في ما يعاني البشر من أزمات وما يعترضهم من عقبات. تراثك مدرسة يلقى على منابرها كل يوم عظة ودرس. كل سؤال له عندك جواب. كل مشكلة مهما استعصت وتعقدت، نجد لها في آثارك حلاً"

".. لم يكن النبي [صلى الله عليه وسلم] رسولاً وحسب، يهدي الناس إلى الإيمان، إنما كان زعيمًا وقائد شعب، فعزم على أن يجعل من ذلك الشعب خير أمة أخرجت للناس. وكان له ما أراد"

٥٧- مارسيل بوازار

"سبق أن كتب كل شيء عن نبي الإسلام [صلى الله عليه وسلم]، فأنوار التاريخ تسطع على حياته التي نعرفها في أدق تفاصيلها. والصورة التي خلفها محمد [صلى الله عليه وسلم] عن نفسه تبدو، حتى وإن عمد إلى تشويهها، علمية في الحدود التي تكشف فيها وهي تندمج في ظاهرة الإسلام عن مظهر من مظاهر المفهوم الديني وتتيح إدراك عظمته الحقيقية.."

"لم يكن محمد [صلى الله عليه وسلم] على الصعيد التاريخي مبشرًا بدين وحسب بل كان كذلك مؤسس سياسة غيّرت مجرى التاريخ، وأثرت في تطور انتشار الإسلام فيما بعد على أوسع نطاق..".

"منذ استقر النبي محمد [صلى الله عليه وسلم] في المدينة، غدت حياته جزءًا لا ينفصل من التاريخ الإسلامي. فقد نقلت إلينا أفعاله وتصرفاته في أدق تفاصيلها.. ولما كان منظمًا شديد الحيوية، فقد أثبت نضالية في الدفاع عن المجتمع الإسلامي الجنيني، وفي بث الدعوة.. وبالرغم من قتاليته ومنافحته، فقد كان يعفو عند المقدرة، لكنه لم يكن يلين أو يتسامح مع أعداء الدين. ويبدو أن مزايا النبي الثلاث، الورع والقتالية والعفو عند المقدرة قد طبعت المجتمع الإسلامي في إبان قيامه وجسّدت المناخ الروحي للإسلام.. وكما يظهر التاريخ الرسول [صلى الله عليه وسلم] قائدًا عظيم ملء قلبه الرأفة، يصوره كذلك رجل دولة صريحًا قوي الشكيمة له سياسته الحكيمة التي تتعامل مع الجميع على قدم المساواة وتعطي كل صاحب حق حقه. ولقد استطاع بدبلوماسيته ونزاهته أن ينتزع الاعتراف بالجماعة الإسلامية عن طريق المعاهدات في الوقت الذي كان النصر العسكري قد بدأ يحالفه. وإذا تذكرنا أخيرًا على الصعيد النفساني هشاشة السلطان الذي كان يتمتع به زعيم من زعماء العرب، والفضائل التي كان أفراد المجتمع يطالبونه بالتحلي بها، استطعنا أن نستخلص أنه لابدّ أن يكون محمد [صلى الله عليه وسلم] الذي عرف كيف ينتزع رضا أوسع الجماهير به إنسانًا فوق مستوى البشر حقًا، وأنه لابد أن يكون نبيًا حقيقيًا من أنبياء الله"

".. لقد كان محمد [صلى الله عليه وسلم] نبيًا لا مصلحًا اجتماعيًا. وأحدثت رسالته في المجتمع العربي القائم آنذاك تغييرات أساسية ما تزال آثارها ماثلة في المجتمع الإسلامي المعاصر.."

".. مما لا ريب فيه أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] قد اعتبر، بل كان في الواقع، ثائرًا في النطاق الذي كان فيه كل نبي ثائرًا بوصفه نبيًا، أي بمحاولته تغيير المحيط الذي يعيش فيه.."

٥٨- توينبي

المؤرخ البريطاني المعاصر، الذي انصبت معظم دراساته على تاريخ الحضارات، وكان أبرزها – ولا ريب – مؤلفه الشهير (دراسة للتاريخ) الذي شرع يعمل فيه منذ عام ١٩٢١ وانتهى منه عام ١٩٦١،

"لقد كرّس محمد [صلى الله عليه وسلم] حياته لتحقيق رسالته في كفالة هذين المظهرين في البيئة الاجتماعية العربية [وهما الوحدانية في الفكرة الدينية، والقانون والنظام في الحكم]. وتم ذلك فعلاً بفضل نظام الإسلام الشامل الذي ضم بين ظهرانيه الوحدانية والسلطة التنفيذية معًا.. فغدت للإسلام بفضل ذلك قوة دافعة جبارة لم تقتصر على كفالة احتياجات العرب ونقلهم من أمة جهالة إلى أمة متحضرة، بل تدفق الإسلام من حدود شبه الجزيرة، واستولى على العالم السوري بأسره من سواحل الأطالسي إلى شواطئ السهب الأوراسي.."

".. لقد أخذت سيرة الرسول العربي [صلى الله عليه وسلم] بألباب أتباعه، وسمت شخصيته لديهم إلى أعلى علّيين، فآمنوا برسالته إيمانًا جعلهم يتقبلون ما أوحي به إليه وأفعاله كما سجّلتها السنة، مصدرًا للقانون، لا يقتصر على تنظيم حياة الجماعة الإسلامية وحدها، بل يرتب كذلك علاقات المسلمين الفاتحين برعاياهم غير المسلمين الذين كانوا في بداية الأمر يفوقونهم عددًا"

٥٩- فيليب حتي

"إن اللغة العربية هي لغة القرآن التي كانت الأساس الذي قامت عليه أمة جديدة أخرجت للناس، أمة جاءت بها بعثة محمد [صلى الله عليه وسلم] من قبائل متنافرة متنازعة لم يقدّر لها من قبل

أن تجتمع على رأي واحد. وهكذا استطاع رسول الإسلام [صلى الله عليه وسلم] أن يضيف حدًا جديدًا (رابعًا) إلى المأثرة الحضارية ذات الحدود الثلاثة من الدين والدولة والثقافة، ذلك الحد الرابع الجديد كان (إيجاد أمة ذات لغة فوق اللغات).."

"إن إقامة الأخوة في الإسلام مكان العصبية الجاهلية (القائمة على الدم والقرابة) للبناء الاجتماعي كان في الحقيقة عملاً جريئًا جديدًا قام به النبي العربي [صلى الله عليه وسلم].."

"في الكتاب المعاصرين لنا نفرٌ يحاولون أن يكتشفوا الأعمال الباهرة (التي حققها محمد صلى الله عليه وسلم) أو أن يعالجوا حياته الزوجية على أساس من التحليل النفسي، فلا يزيدون على أن يضيفوا إلى أوجه التحامل وإلى الآراء الهوائية أحكامًا من زيف العلم.."

"صفات محمد [صلى الله عليه وسلم] مثبتة في القرآن بدقة بالغة فوق ما نجد في كل مصدر آخر. إن المعارك التي خاضها والأحكام التي أبرمها والأعمال التي قام بها لا تترك مجالاً للريب في الشخصية القوية والإيمان الوطيد والإخلاص البالغ وغير ذلك من الصفات التي خلقت الرجال القادة في التاريخ. ومع أنه كان في دور من أدوار حياته يتيمًا فقيرًا، فقد كان في قلبه دائمًا سعة لمؤاساة المحرومين في الحياة"

"إذا نحن نظرنا إلى محمد [صلى الله عليه وسلم] من خلال الأعمال التي حققها، فإن محمدًا الرجل والمعلم والخطيب ورجل الدولة والمجاهد يبدو لنا بكل وضوح واحدًا من أقدر الرجال في جميع أحقاب التاريخ. لقد نشر دينًا هو الإسلام، وأسس دولة هي الخلافة، ووضع أساس حضارة هي الحضارة العربية الإسلامية، وأقام أمة هي الأمة العربية. وهو لا يزال إلى اليوم قوة حية فعالة في حياة الملايين من البشر"

٦٠- جورج حنا

".. كان محمد [صلى الله عليه وسلم] يخرج من سويعات [لقائه مع جبريل عليه السلام] بآيات تنطق بالحكمة، داعيًا قومه إلى الرجوع عن غيّهم، والإيمان بالإله الواحد الكليّ القدرة، صابًا النقمة على الآلهة الصنمية، التي كان القوم يعبدونها فكان طبيعيًا أن يحقد عليه أشراف العرب ويضمروا له الشر، لما كان في دعوته من خطر على زعامتهم، وهي ما كانت قائمة إلا على التعبد للأصنام التي جاء هذا الرجل يدعو إلى تحطيمها. لكن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] لم يكن يهادن في بث دعوته، ولم يكن يسكت عن اضطهاد أشراف قريش له، بل كان يتحداهم، فيزدادون حقدًا عليه وتآمرًا على حياته. فلم تلبث دعوته حتى تحولت من دعوة سلمية إلى دعوة نضالية. إنه لم يرض بأن يحوّل خدّه الأيسر لمن يضربه على خدّه الأيمن.. بل مشى في طريقه غير هيّاب، في يده الواحدة رسالة هداية، يهدي بها من سالموه، وفي يده الثانية سيف يحارب به من يحاربوه. لقد آمن به نفر قليل في بداية الدعوة، وكان نصيب هذا النفر مثل نصيبيه من الاضطهاد والتكفير.. كان هؤلاء باكورة الديانة الإسلامية، والشعلة التي انطلقت منها رسالة محمد [صلى الله عليه وسلم]"

"كان محمد [صلى الله عليه وسلم] في المدينة أكثر اطمئنانًا على نفسه وعلى أتباعه ورسالته مما كان في مكة.. كانت يثرب مدينة العامة التابعة، لا مدينة الخاصة المتبوعة. والعامة دائمًا أقرب إلى اقتباس كلمة الحق من الخاصة، لا سيما إذا كانت كلمة الحق هذه، تحررها من عبوديتها للخاصة"

"محمد بن عبد الله [صلى الله عليه وسلم] كان ثائرًا، عندما أبى أن يماشي أهل الصحراء في عبادة الأصنام وفي عاداتهم الهمجية وفي مجتمعهم البربري. فأضرمها حربًا لا هوادة فيها على جاهلية المشركين وأسيادهم وآلهتهم. فكفره قومه واضطهدوه وأضمروا له الموت. فهاجر تحت جنح الليل مع نفر من أتباعه، وما تخلى عن النضال في نشر دعوته، وما أحجم عن تجريد السيف من أجلها. فأخرج من جاهلية الصحراء عقيدة دينية واجتماعية تجمع بين مئات الملايين من البشر في أقطار المعمورة"

٦١- أميل درمنغم

".. إذا كانت كل نفس بشرية تنطوي على عبرة وإذا كان كل موجود يشتمل على عظة فما أعظم ما تثيره فينا من الأثر الخاص العميق المحرك الخصيب حياة رجل يؤمن برسالته فريق كبير من بني الإنسان!"

".. ولد لمحمد [صلى الله عليه وسلم]، من مارية القبطية] ابنه إبراهيم فمات طفلاً، فحزن عليه كثيرًا ولحده بيده وبكاه، ووافق موته كسوف الشمس فقال المسلمون: إنها انكسفت لموته، ولكن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] كان من سموّ النفس ما رأى به ردّ ذلك فقال: (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد..) فقول مثل هذا مما لا يصدر عن كاذب دجال.."

".. تجلت بهذه الرحلة الباهرة [حجة الوداع] ما وصلت إليه من العظمة والسؤدد رسالة ذلك النبي الذي أنهكه اضطهاد عشر سنين وحروب عشر سنين أخرى بلا انقطاع، وهو النبي الذي جعل من مختلف القبائل المتقاتلة على الدوام أمة واحدة.."

"[إن] محمدًا [صلى الله عليه وسلم] الذي خلق القيادة لم يطلب معاصريه بغير ما يفرض عليهم من الطاعة لرجل يبلّغهم رسالات الله، فهو بذلك واسطة بين الله رب العالمين والناس أجمعين.. وكان ينهى عن عدّه ملكًا.. ولقد نال السلطان والثراء والمجد، ولكنه لم يغتر بشيء من هذا كله فكان يفضل إسلام رجل على أعظم الغنائم، ومما كان يمضه عجز كثير من الناس عن إدراك كنه رسالته.."

".. الحق أن النبي [صلى الله عليه وسلم] لم يعرف الراحة ولا السكون بعد أن أوحي إليه في غار حراء، فقضى حياة يعجب الإنسان بها، والحق أن عشرين سنة كفت لإعداد ما يقلب الدنيا، فقد نبتت في رمال الحجاز الجديبة حبة سوف تجدد، عما قليل، بلاد العرب وتمتد أغصانها إلى بلاد الهند والمحيط الأطلنطي. وليس لدينا ما نعرف به أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] أبصر، حين أفاض من جبل عرفات، مستقبل أمته وانتشار دينه، وأنه أحسّ ببصيرته أن العرب الذين ألّف بينهم سيخرجون من جزيرتهم لفتح بلاد فارس والشام وأفريقية وإسبانية"

٦٢- دُرّاني

سليل أسرة مسلمة منذ القدم، أصبح نصرانيًا في فترة مبكرة من حياته وتحت تأثير إحدى المدارس التبشيرية المسيحية، وقضى ردحًا من حياته في كنيسة إنكلترا، حيث عمل قسيسًا منذ عام ١٩٣٩ وحتى عام ١٩٦٣ حيث جاءه الإسلام "كما يأتي فصل الربيع"، فعاد إلى دين آبائه وأجداده.

"أستطيع أن أقول بكل قوة أنه لا يوجد مسلم جديد واحد لا يحمل في نفسه العرفان بالجميل

لسيدنا محمد [صلى الله عليه وسلم] لما غمره به من حب وعون وهداية وإلهام فهو القدوة الطيبة التي أرسلها الله رحمة لنا وحبًا بنا حتى نقتفي أثره"

".. وأخيراً أخذت أدرس حياة النبي محمد [صلى الله عليه وسلم] فأيقنت أن من أعظم الآثام أن نتنكر لذلك الرجل الرباني الذي أقام مملكة لله بين أقوام كانوا من قبل متحاربين لا يحكمهم قانون، يعبدون الوثن، ويقترفون كل الأفعال المشينة، فغير طرق تفكيرهم، لا بل بدل عاداتهم وأخلاقهم، وجمعهم تحت راية واحدة وقانون واحد ودين واحد وثقافة واحدة وحضارة واحدة وحكومة واحدة، وأصبحت تلك الأمة، التي لم تنجب رجلاً عظيمًا واحدًا يستحق الذكر منذ عدة قرون، أصبحت تحت تأثيره وهديه تنجب ألوفًا من النفوس الكريمة التي انطلقت إلى أقصى أرجاء المعمورة تدعو إلى مبادئ الإسلام وأخلاقه ونظام الحياة الإسلامية وتعلم الناس أمور الدين الجديد"

".. تحمل [صلى الله عليه وسلم] ثلاثة عشر عامًا كاملةً من المتاعب [في مكة] دون انقطاع، وثمانية سنوات [في المدينة] دون توقف، فتحمل ذلك كله، فلم يتزحزح شعرة عن موقفه، وكان صامدًا، رابط الجأش، صلبًا في أهدافه وموقفه. عرضت عليه أمته أن تنصبه ملكًا عليها وأن تضع عند قدميه كل ثروات البلاد إذا كف عن الدعوة إلى دينه ونشر رسالته. فرفض هذه الإغراءات كلها فاختار بدلاً من ذلك أن يعاني من أجل دعوته. لماذا؟ لماذا لم يكترث أبدًا للثروات والجاه والملك والمجد والراحة والدعة والرخاء ؟ لابدّ أن يفكر المرء في ذلك بعمق شديد إذا أراد أن يصل إلى جواب عليه"

"هل بوسع المرء أن يتصور مثالاً للتضحية بالنفس وحب الغير والرأفة بالآخرين أسمى من هذا المثال حيث نجد رجلاً يقضي على سعادته الشخصية لصالح الآخرين، بينما يقوم هؤلاء القوم أنفسهم الذين يعمل على تحسين أحوالهم ويبذل أقصى جهده في سبيل ذلك يقومون برميه بالحجارة والإساءة إليه ونفيه وعدم إتاحة الفرصة له للحياة الهادئة حتى في منفاه، وأنه رغم كل ذلك يرفض أن يكف عن السعي لخيرهم؟ هل يمكن لأحد أن يتحمل كل هذا العناء والألم من أجل دعوة السعي لخيرهم؟ هل يمكن لأحد أن يتحمل كل هذا العناء والألم من أجل دعوة مزيفة؟ هل يستطيع أي مدخول غير مخلص.. أن يبدي هذا الثبات والتصميم على مبدئه والتمسك به حتى آخر رمق دون أدنى وجل أو تعثر أمام الأخطار وصنوف التعذيب التي يمكن تصورها وقد قامت عليه البلاد بأكملها وحملت السلاح ضده؟"

"إن هذا الإيمان وهذا السعي الحثيث وهذا التصميم والعزم الذي قاد به محمد [صلى الله عليه وسلم] حركته حتى النصر النهائي، إنما هو برهان بليغ على صدقه المطلق في دعوته. إذ لو كانت في نفسه أدنى لمسة من شك أو اضطراب لما استطاع أبدًا أن يصمد أمام العاصفة التي استمرّ أوارها أكثر من عشرين عامًا كاملة. هل بعد هذا من برهان على صدق كامل في الهدف واستقامة في الخلق وسموّ في النفس كل هذه العوامل تؤدي لا محالة إلى الاستنتاج الذي لا مفر منه وهو أن هذا الرجل هو رسول الله حقًا. هذا هو نبينا محمد [صلى الله عليه وسلم] إذ كان آية في صفاته النادرة ونموذجًا كاملاً للفضيلة والخير، ورمزًا للصدق

والإخلاص.. [إن] حياته وأفكاره وصدقه واستقامته، وتقواه وجوده، وعقيدته ومنجزاته، كل أولئك براهين فريدة على نبوته. فأي إنسان يدرس دون تحيّز حياته ورسالته سوف يشهد أنه حقًا رسول من عند الله، وأن القرآن الذي جاء به للناس هو كتاب الله حقًا. وكل مفكر منصف جاد يبحث عن الحقيقة لابدّ أن يصل إلى هذا الحكم"

٦٣- أحمد سوسة

".. أي غاية أسمى وأقرب إلى الإنسانية ودين الله من تلكم الغاية التي كان يرمي إليها الرسول [صلى الله عليه وسلم] في توحيد القلوب وإظهار الحقيقة ؟ لنتصور محمدًا [صلى الله عليه وسلم] وهو يملي على أهل الكتاب وحي الله قائلاً: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران ٦٤].."

".. إن نبي الإسلام شخصية تاريخية مبجلة. ما حياة الرسول [صلى الله عليه وسلم] سوى سلسلة وقائع تاريخية عظيمة الشأن نبيلة المرمى يتجلى فيها مقامه السامي من الحلقة الإنسانية.."

".. كان محمد [صلى الله عليه وسلم] أنموذجًا للحياة الإنسانية بسيرته وصدق إيمانه ورسوخ عقيدته القويمة. بل مثالاً كاملاً للأمانة والاستقامة وإن تضحياته في سبيل بث رسالته الإلهية خير دليل على سموّ ذاته ونبل مقصده وعظمة شخصيته وقدسية نبوته"

"إن التاريخ ينبئنا أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] ضحى بكل شيء من أجل رسالته إذ أتيحت له مرات فرصة الاختيار بين أمرين أولهما حياة راحة وهناء وغنى على أن ينبذ [دعوته] وثانيهما حياة عسر واضطهاد مقرونة بنشر رسالته، وقد فضل الأمر الثاني لأن إيمانه برسالته كان قويًا وكان قد أوحي إليه بأنه قد اختاره ربه لبث هذه الرسالة على الإنسانية جمعاء فكان ما أراد الله له"

٦٤- ول ديورانت

..."يبدو أن أحدًا لم يعن بتعليم [محمد صلى الله عليه وسلم] القراءة والكتابة، ولم يعرف عنه أنه كتب شيئًا بنفسه، ولكن هذا لم يحل بينه وبين قدرته على تعرف شؤون الناس تعرفًا قلّما يصل إليه أرقى الناس تعليمًا"

" كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مهرة القواد، ولكنه كان إلى هذا سياسيًا محنكًا، يعرف كيف يواصل الحرب بطريق السلم"

"إذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا إن محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان من أعظم عظماء التاريخ، فلقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحًا لم يدانه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله، وقلّ أن نجد إنسانًا

غيره حقق ما كان يحلم به، ولم يكن ذلك لأنه هو نفسه كان شديد التمسك بالدين وكفى، بل لأنه لم يكن ثمة قوة غير قوة الدين تدفع العرب في أيامه إلى سلوك ذلك الطريق الذي سلكوه، وكانت بلاد العربي لما بدأ الدعوة صحراء جدباء، تسكنها قبائل من عبدة الأوثان قليل عددها، متفرقة كلمتها، وكانت عند وفاته أمة موحدة متماسكة. وقد كبح جماح التعصب والخرافات، وأقام فوق اليهودية والمسيحية، ودين بلاده القديم، دينًا سهلاً واضحًا قويًا، وصرحًا خلقيًا وقوامه البسالة والعزة القومية .واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مائة معركة، وفي قرن واحد أن ينشئ دولة عظيمة، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم في نصف العالم"

..." لسنا نجد في التاريخ كله مصلحًا فرض على الأغنياء من الضرائب ما فرضه عليهم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لإعانة الفقراء.."

" تدل الأحاديث النبوية على أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يحث على طلب العلم ويعجب به، فهو من هذه الناحية يختلف عن معظم المصلحين الدينيين.."

<u>٦٥- و يقول الاديب الفيلسوف برنارد شو:</u>

برناردشو (برناردشو الإنكليزي ولد في مدينة كانيا ١٨١٧ ـ ١٩٠٢ له مؤلف أسماه (محمد)، وقد أحرقته السلطة البريطانية)
هذا النبي الذي لو تولي أمر العالم اليوم لوفق في حل مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر كلهم إليها

إن العالم أحوج ما يكون إلى رجلٍ في تفكير محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، خالداً خلود الأبد، وإني أرى كثيراً من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة (يعني أوروبا) .
إنّ رجال الدين في القرون الوسطى، ونتيجةً للجهل أو التعصّب، قد رسموا لدين محمدٍ صورةً قاتمةً، لقد كانوا يعتبرونه عدوًّا للمسيحية، لكنّني اطّلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبةً خارقةً، وتوصلت إلى أنّه لم يكن عدوًّا للمسيحية، بل يجب أنْ يسمّى منقذ البشرية، وفي رأيي أنّه لو تولّى أمر العالم اليوم، لوفّق في حلّ مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها .

لقد درست محمدا باعتباره رجلا مدهشا ، فرأيته بعيدا عن مخاصمة المسيح ، بل يجب أن يدعى منقذ الإنسانية ، وأوربا في العصر الراهن بدأت تعشق عقيدة التوحيد ، وربما ذهبت إلى أبعد من ذلك فتعترف بقدرة هذه العقيدة على حل مشكلاتها ، فبهذه الروح يجب أن تفهموا نبوءتي.

برنارد شو
الكاتب المسرحي البريطاني جورج برنارد شو، رفض أن يكون أداة لتشويه صورة الرسول

"صلى الله عليه وسلم" عندما طلب منه البعض أن يمسرح حياة النبي حيث جاء رفضه قاطعاً. ومما قاله عن الإسلام ورسوله: "قرأت حياة رسول الإسلام جيداً، مرات ومرات لم أجد فيها إلا الخلق كما يجب أن يكون، وأصبحت أضع محمداً في مصاف بل على قمم المصاف من الرجال الذين يجب أن يتبعوا."

٦٦- يقول المفكر الفرنسي لامارتن:

النبي محمد علية الصلاة والسلام هو النبي الفيلسوف المحارب الخطيب المشرع قاهر الأهواء وبالنظر إلي كل مقاييس العظمة البشرية أود أن اتسائل هل هناك من هو أعظم من النبي محمد علية الصلاة والسلام

أعظم حدث في حياتي هو أنني درست حياة رسول الله محمد دراسة وافية ، وأدركت ما فيها من عظمة وخلود.

-أي رجل أدرك من العظمة الإنسانية مثلما أدرك محمد ، وأي إنسان بلغ من مراتب الكمال مثل ما بلغ ، لقد هدم الرسول المعتقدات الباطلة التي تتخذ واسطة بين الخالق والمخلوق.

لا مارتين "إذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أيا من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في عبقريته؟ فهؤلاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة وسنوا القوانين وأقاموا الإمبراطوريات. فلم يجنوا إلا أمجادا بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانَيْهم .

لكن هذا الرجل (محمدا (صلى الله عليه وسلم)) لم يقد الجيوش ويسن التشريعات ويقم الإمبراطوريات ويحكم الشعوب ويروض الحكام فقط، وإنما قاد الملايين من الناس فيما كان يعد ثلث العالم حينئذ. ليس هذا فقط، بل إنه قضى على الأنصاب والأزلام والأديان والأفكار والمعتقدات الباطلة .

لقد صبر النبي وتجلد حتى نال النصر (من الله). كان طموح النبي (صلى الله عليه وسلم) موجها بالكلية إلى هدف واحد، فلم يطمح إلى تكوين إمبراطورية أو ما إلى ذلك. حتى صلاة النبي الدائمة ومناجاته لربه ووفاته (صلى الله عليه وسلم) وانتصاره حتى بعد موته، كل ذلك لا يدل على الغش والخداع بل يدل على اليقين الصادق الذي أعطى النبي الطاقة والقوة لإرساء عقيدة ذات شقين :الإيمان بوحدانية الله، والإيمان بمخالفته تعالى للحوادث .

فالشق الأول يبين صفة الله (ألا وهي الوحدانية)، بينما الآخر يوضح ما لا يتصف به الله تعالى (وهو المادية والمماثلة للحوادث). لتحقيق الأول كان لا بد من القضاء على الآلهة المدعاة من دون الله بالسيف، أما الثاني فقد تطلّب ترسيخ العقيدة بالكلمة (بالحكمة والموعظة الحسنة) .

هذا هو محمد (صلى الله عليه وسلم) الفيلسوف، الخطيب، النبي، المشرع، المحارب، قاهر الأهواء، مؤسس المذاهب الفكرية التي تدعو إلى عبادة حقة، بلا أنصاب ولا أزلام. هو المؤسس لعشرين إمبراطورية في الأرض، وإمبراطورية روحانية واحدة. هذا هو محمد (صلى الله عليه وسلم) .

بالنظر لكل مقاييس العظمة البشرية، أود أن أتساءل: هل هناك من هو أعظم من النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)؟

٦٧- يقول الاديب جورج ويلز :

فيري في النبي محمد علية الصلاة والسلام أعظم من أقام دولة للعدل والتسامح

٦٨- مؤلف موسوعة قصة الحضارة ول ديورانت

يقول إذا حكمنا علي العظمة بما كان للعظيم من اثر في الناس قلنا (ان النبي محمد علية الصلاة والسلام هو أعظم عظماء التاريخ كله)

٦٩- استاذ الفلسفة الهندي (هندوسي) ك. س. راماكريشنا راو

أطلق علي محمد (صلي في كتابه محمد رسول الإسلام) لقب "النموذج المثالي للحياة الإنسانية" ، ويشرح راو رأيه قائلا "
من الصعب الوصول إلى الحقيقة الكاملة لشخصية محمد (صلي الله عليه وسلم)، فقط أمكنني إدراك لمحة منها ، ويا لها من لقطات فاتنة ،
فهناك محمد (صلي الله عليه وسلم) النبي ،
محمد (صلي الله عليه وسلم) المحارب ،
محمد (صلي الله عليه وسلم) رجل الأعمال ،
محمد (صلي الله عليه وسلم) رجل الدولة ،
محمد (صلي الله عليه وسلم) الخطيب ،
محمد) صلي الله عليه وسلم) المصلح ،
محمد (صلي الله عليه وسلم) ملاذ اليتامى ،
محمد (صلي الله عليه وسلم) حامي العبيد والرقيق ،
محمد (صلي الله عليه وسلم) محرر المرأة ،
محمد (صلي الله عليه وسلم) القاضي ،
ومحمد (صلي الله عليه وسلم) القديس.
في كل هذه الأدوار الرائعة في مختلف أقسام الانشطه الإنسانية ، كان محمداً بطلاً

٧٠- راما كريشنا راو (البروفسور رما كريشنا راو في كتابه "محمد النبي.")

"لا يمكن معرفة شخصية محمد بكل جوانبها. ولكن كل ما في استطاعتي أن أقدمه هو نبذة عن حياته من صور متتابعة جميلة. فهناك محمد النبي، ومحمد المحارب، ومحمد رجل الأعمال، ومحمد رجل السياسة، ومحمد الخطيب، ومحمد المصلح، ومحمد ملاذ اليتامى، وحامي العبيد، ومحمد محرر النساء، ومحمد القاضي، كل هذه الأدوار الرائعة في كل دروب الحياة الإنسانية تؤهله لأن يكون بطلا ."

٧١- وولفجانج جوثي ، الشاعر الاوروبي الاعظم كتب عن محمد (صلي الله عليه وسلم) "انه نبي وليس بشاعر وعلى ذلك فيعتبر قرآنه قانون مقدس وليس كتاب بشري تعليمي او ترفيهي
وهذه قطرة من بحر وغيض من فيض فيما قاله عقلاء الغرب ومفكريه في نبينا ورسولنا الكريم ﷺ ومهما شمر الغرب المسيحي عن نواياه السيئة سيظل رسولنا أعظم الرسل وكيف لا وهو مرسل من عند الحق جل وعلا بالحق وهاديا للناس أجمعين
المنصفين من أهل الكتاب والكفار

لقد كان محمد فيكم غلاما حدثا ، أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم : قلتم ساحر . لا والله ما هو بساحر ؛ قد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم ، وقلتم : كاهن . لا والله ما هو بكاهن ؛ قد رأينا الكهنة وحالهم وسمعنا سجعهم ، وقلتم : شاعر . لا والله ما هو بشاعر ؛ لقد روينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه ، وقلتم مجنون . لا والله ما هو بمجنون؛ لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه ، يا معشر قريش انظروا في شأنكم، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم
وهذه بعض شهادات المنصفين من المعاصرين

-يقول إبراهيم خليل:(يرتبط هذا النبي) بإعجاز أبد الدهر بما يخبرنا به المسيح –عليه السلام- في قوله عنه:(ويخبركم بأمور آتية) ، وهذا الإعجاز هو القرآن الكريم ، معجزة الرسول الباقية ما بقي الزمان ، فالقرآن الكريم يسبق العلم الحديث في كل مناحيه ؛ من طب وفلك و جغرافيا وجيولوجيا وقانون واجتماع وتاريخ... ففي أيامنا هذه استطاع العلم أن يرى ما سبق إليه القرآن

وقال : (أعتقد يقينا أني لو كنت إنسانا وجوديا ، لا يؤمن برسالة من الرسالات السماوية، وجاءني نفر من الناس وحدثني بما سبق به القرآن العلم الحديث في كل مناحيه ؛ لآمنت برب العزة والجبروت خالق السماوات والأرض ، ولن أشرك به أحدا)

وقال بلاشير: (إن القرآن ليس معجزة بمحتواه وتعليمه فقط، إنه أيضاً و يمكنه أن يكون قبل أي شيء آخر تحفة أدبية رائعة ، تسمو على جميع ما أقرته الإنسانية وبجلته من التحف ، إن الخليفة المقبل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - المعارض الفظ في البداية للدين الجديد ،قد غدا من أشد المتحمسين لنصرة الدين عقب سماعه لمقطع من القرآن)

وقالت بوتر :(عندما أكملت قراءة القرآن الكريم ، غمرني شعور بأن هذا هو الحق الذي يشتمل على الإجابات الشافية حول مسائل الخلق وغيرها ، وإنه يقدم لنا الأحداث بطريقة منطقية ، نجدها متناقضة مع بعضها في غيره من الكتب الدينية ، أما القرآن فيتحدث عنها في نسق رائع وأسلوب قاطع لا يدع مجالاً للشك بأن هذه هي الحقيقة ، وأن هذا الكلام هو من عند الله لا محالة).

وقالت بوتر أيضا: كيف استطاع محمد الرجل الأمي ، الذي نشأ في بيئة جاهلية أن يعرف معجزات الكون التي وصفها القرآن الكريم ،والتي لا يزال العلم الحديث حتى يومنا هذا يسعى لاكتشافها ؟ لابد إذن أن يكون هذا الكلام هو كلام الله عز وجل

قال بوكاي: (لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم ،وذلك دون أي فكر مسبق ، وبموضوعية تامة بحثاً عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث ،وكنت أعرف قبل هذه الدراسة ،وعن طريق الترجمات ،أن القرآن يذكر أنواعا كثيرة من الظاهرات الطبيعية، لكن معرفتي كانت وجيزة ،وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي ، استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد

الانتهاء منها ، أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث ، وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأناجيل، أما بالنسبة للعـهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتـاب الأول،أي سفر التكوين فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينـها وبين أكثر معطيات العلم رسوخـاً في عصـرنا ، وأما بالنسبة للأناجيل ،فإننا نجد نص إنجيل متي يناقض بشكل جلي إنجيل لوقا،وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمراً لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الأرض)

وقال حتي : (إن أسلوب القرآن مختلف عن غيره،ثم إنه لا يقبل المقارنة بأسلوب آخر ،ولا يمكن أن يقلد، وهذا في أساسه . هو إعجاز القرآن .. فمن جميع المعجزات كان القرآن المعجزة الكبرى)

وقال أرنولد :(.. (إننا) نجد حتى من بين المسيحيين مثل الفار (الإسباني) الذي عرف بتعصبه على الإسلام ،يقرر أن القرآن قد صيغ في مثل هذا الأسلوب البليغ الجميل ،حتى إن المسيحيين لم يسعهم إلا قراءته والإعجاب به)

ولقد ألف الدكتور مراد هوفمان –سفير ألمانيا السابق بالرباط- كتاب (الإسلام كبديل) وفيه شهادات كثيرة على إعجاز القرآن وصدقه ، وصدق النبي (وكمال التشريع)

الفصل الثالث عشر

الوفاة

قبل وفاة الرسول كانت حجة الوداع، وبعدها نزل قول الله عز وجل
(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)فبكي أبو بكر الصديق عند سماعه هذه الآية ..
فقالوا له: ما يبكيك يا أبو بكر أنها آية مثل كل آية نزلت علي الرسول ..
فقال : هذا نعي رسول الله..
وعاد الرسول.. وقبل الوفاة بـ ٩ أيام نزلت آخر أيه من القرآن
(واتقوا يوما ترجعون فيه إلي الله ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) وبدأ الوجع يظهر علي الرسول
فقال : أريد أن أزور شهداء أحد
فذهب الي شهداء أحد ووقف علي قبور الشهداء
وقال السلام عليكم يا شهداء أحد، أنتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وإني إن شاء الله

بكم لاحق . وأثناء رجوعه من الزيارة بكي رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا: ما يبكيك يا رسول الله ؟
قال: (اشتقت إلي إخواني)
قالوا : أو لسنا إخوانك يا رسول الله ؟
قال : لا أنتم أصحابي، أما إخواني فقوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني
اللهم أنا نسألك أن نكون منهم
وعاد الرسول وقبل الوفاة بـ ٣ أيام بدأ الوجع يشتد عليه وكان في بيت السيدة ميمونة

فقال: (اجمعوا زوجاتي)
فجمعت الزوجات
فقال النبي: (أتأذنون لي أن أمرض في بيت عائشة ؟)
فقلن: نأذن لك يا رسول الله
فأراد أن يقوم فما استطاع فجاء علي بن أبي طالب والفضل بن العباس فحملا النبي
وخرجوا به من حجرة السيدة ميمونة إلي حجرة السيدة عائشة فرآه الصحابة علي هذا الحال لأول مره ..
فيبدأ الصحابة في السؤال بهلع :ماذا أحل برسول الله.. ماذا أحل برسول الله .
فتجمع الناس في المسجد وامتلأ وتزاحم الناس عليه.
فبدأ العرق يتصبب من النبي بغزاره
فقالت السيدة عائشة : لم أر في حياتي أحد يتصبب عرقا بهذا الشكل.
فتقول: كنت آخذ بيد النبي وأمسح بها وجهه، لأن يد النبي أكرم وأطيب من يدي .
وتقول : فأسمعه يقول لا اله إلا الله ، إن للموت لسكرات).

فتقول السيدة عائشة : فكثر اللغط (أي الحديث) في المسجد إشفاقا علي الرسول
فقال النبي : (ما هذا ؟) ..
فقالوا : يا رسول الله ، يخافون عليك .
فقال : (احملوني إليهم) ..
فأراد أن يقوم فما استطاع
فصبوا عليه ٧ قرب من الماء حتي يفيق . فحمل النبي وصعد إلي المنبر.. آخر خطبه لرسول الله و آخر كلمات له
فقال النبي: (أيها الناس، كأنكم تخافون علي)
فقالوا : نعم يا رسول الله ..
فقال : (أيها الناس، موعدكم معي ليس الدنيا، موعدكم معي عند الحوض..
والله لكأني أنظر إليه من مقامي هذا. أيها الناس، والله ما الفقر أخشي عليكم، ولكني أخشي عليكم الدنيا أن تنافسوها كما تنافسها الذين من قبلكم، فتهلككم كما أهلكتهم).
ثم قال : (أيها الناس ، الله الله في الصلاة ، الله الله في الصلاة
بمعني أستحلفكم بالله العظيم أن تحافظوا علي الصلاة ، وظل يرددها

ثم قال : (أيها الناس، اتقوا الله في النساء، اتقوا الله في النساء، أوصيكم بالنساء خيرا)
ثم قال : (أيها الناس إن عبدا خيره الله بين الدنيا وبين ما عند الله ، فاختار ما عند الله)
فلم يفهم أحد قصده من هذه الجملة ، وكان يقصد نفسه
سيدنا أبو بكر هو الوحيد الذي فهم هذه الجملة ، فانفجر بالبكاء وعلي نحيبه ، ووقف وقاطع النبي
وقال : فديناك بآبائنا ، فديناك بأمهاتنا ، فديناك بأولادنا ، فديناك بأزواجنا ، فديناك بأموالنا وظل يرددها..
فنظر الناس إلي أبو بكر ، كيف يقاطع النبي.. فأخذ النبي يدافع عن أبو بكر
قائلا : (أيها الناس ، دعوا أبو بكر ، فما منكم من أحد كان له عندنا من فضل إلا كافأناه به ، إلا أبو بكر لم أستطع مكافأته ، فتركت مكافأته إلي الله عز وجل ، كل الأبواب إلي المسجد تسد إلا باب أبو بكر لا يسد أبدا)
وأخيرا قبل نزوله من المنبر .. بدأ الرسول بالدعاء للمسلمين قبل الوفاة كآخر دعوات لهم

فقال أوآكم الله ، حفظكم الله ، نصركم الله ، ثبتكم الله ، أيدكم الله ...
وآخر كلمه قالها ، آخر كلمه موجهه للأمة من علي منبره قبل نزوله
قال أيها الناس ، أقرءوا مني السلام كل من تبعني من أمتي إلي يوم القيامة .
وحمل مرة أخري إلي بيته. وهو هناك دخل عليه عبد الرحمن بن أبي بكر وفي يده سواك، فظل النبي ينظر الي السواك ولكنه لم يستطيع ان يطلبه من شدة مرضه .ففهمت السيدة عائشة من نظرة النبي، فأخذت السواك من عبد الرحمن ووضعته في فم النبي، فلم يستطع أن يستاك به، فأخذته من النبي وجعلت تلينه بفمها وردته للنبي مره أخري حتى يكون طريا عليه
فقالت : كان آخر شئ دخل جوف النبي هو ريقي ، فكان من فضل الله علي أن جمع بين ريقي وريق النبي قبل أن يموت.
تقول السيدة عائشة : ثم دخلت فاطمة بنت النبي ، فلما دخلت بكت ، لأن النبي لم يستطع القيام ، لأنه كان يقبلها بين عينيها كلما جاءت إليه ..
فقال النبي: (أدنو مني يا فاطمة)
فحدثها النبي في أذنها ، فبكت أكثر . فلما بكت
قال لها النبي: (أدنو مني يا فاطمة)
فحدثها مره أخري في أذنها ، فضحكت ......
بعد وفاته سئلت ماذا قال لك النبي
فقالت : قال لي في المرة الأولي : (يا فاطمة ، إني ميت الليلة) فبكيت

فلما وجدني أبكي قال : (يا فاطمة ، أنتي أول أهلي لحاقا بي) فضحكت .
تقول السيدة عائشة : ثم قال النبي : (أخرجوا من عندي في البيت) وقال : (أدنو مني يا عائشة)
فنام النبي علي صدر زوجته ، ويرفع يده للسماء
ويقول : (بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى) ....

تقول السيدة عائشة: فعرفت أنه يخير.
دخل سيدنا جبريل علي النبي
وقال : يا رسول الله ، ملك الموت بالباب ، يستأذن أن يدخل عليك ، وما استأذن علي أحد من قبلك
فقال النبي : (ائذن له يا جبريل)
فدخل ملك الموت علي النبي
وقال : السلام عليك يا رسول الله ، أرسلني الله أخيرك ، بين البقاء في الدنيا وبين أن تلحق بالله .
فقال النبي : (بل الرفيق الأعلى ، بل الرفيق الأعلى)
ووقف ملك الموت عند رأس النبي
وقال : أيتها الروح الطيبة ، روح محمد بن عبد الله ، أخرجي إلي رضا من الله و رضوان ورب راض غير غضبان...
تقول السيدة عائشة: فسقطت يد النبي وثقلت رأسه في صدري ، فعرفت أنه قد مات ... فلم أدري ما أفعل ، فما كان مني غير أن خرجت من حجرتي
وفتحت بابي الذي يطل علي الرجال في المسجد وأقول مات رسول الله ، مات رسول الله .
تقول :فانفجر المسجد بالبكاء. فهذا علي بن أبي طالب أقعد، وهذا عثمان بن عفان كالصبي يؤخذ بيده يمني ويسري وهذا عمر بن الخطاب يرفع سيفه ويقول من قال أنه قد مات قطعت رأسه، إنه ذهب للقاء ربه كما ذهب موسي للقاء ربه وسيعود ويقتل من قال أنه قد مات. أما أثبت الناس فكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه دخل علي النبي واحتضنه
وقال : وآآآ خليلاه ، وآآآصفياه ، وآآآ حبيباه ، وآآآ نبياه . وقبل النبي
وقال: طبت حيا وطبت ميتا يا رسول الله.
ثم خرج يقول : من كان يعبد محمد فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ... ويسقط السيف من يد عمر بن الخطاب، يقول: فعرفت أنه قد مات... ويقول: فخرجت أجري أبحث عن مكان أجلس فيه وحدي لأبكي وحدي....
ودفن النبي
والسيدة فاطمة تقول : أطابت أنفسكم أن تحثوا التراب علي وجه النبي .... ووقفت تنعي النبي وتقول: يا أبتاه ، أجاب ربا دعاه ، يا أبتاه ، جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه ، الي جبريل ننعاه.
تري، هل ستترك حياتك كما هي بعد وصايا رسول الله صلي الله عليه وسلم لك في آخر كلمات له ؟؟

المراجع

١-اسم الكتاب / الخصائص الكبرى
المؤلف / أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي
٢-خصائص المصطفى(ص) بين الغلو والجفاءالفقهية تأليف الصادق بن محمد بن إبراهيم
٣-البداية والنهاية ابن كثير
٤-سيرة النبى (ص) لابن تيمية
٥-خواطر الشيخ متولى الشعراوى
٦-خصائص الرسول للماوردى
٧-الامام ابن حزم
٨-التداخل بين مفهومى النبى والرسول آحمد صبحي منصور
٩-معجزات النبى (ص) المؤلف عبد العزيز بن محمد السلمان